تمت مناقشة هذه الرسالة بتاريخ ٧/ ٣/ ٢٠١٩م

ونالت مرتبة/جيد جيداً/ وعلامة قدرها (٧٩ من أصل ٩٠)

من السادة الأعضاء:

الدكتور: نصار نصار التوقيع

الدكتور: عبد العزيز حاجي التوقيع

الدكتور :عجاج برغش التوقيع

الجمهورية العربية السورية

وزارة التعليم العالي

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم علوم القرآن والحديث

منهج الترجيح بالمأثور عند الإمام النسفي في تفسيره

دراسة تأصيلية تطبيقية

رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب: حامد محمود المرعي

إشراف

الأستاذ الدكتور: نصار نصار

٢٠١٨ – ٢٠١٩

١٤٣٩ – ١٤٤٠



إلى من كان منارة دربي وسندي في طلبي للعلم

أبي رحمه الله

إلى من كانت تسهر الليالي وتذرف الدمع حتى تراني في مثل هذا اليوم

والدتي رحمها الله

إلى رفيقة دربي ونبض قلبي التي طالما تحملت من أجل طلبي للعلم

زوجتي

إلى كل طالب علم

أهدي هذا العمل راجياً من الله القبول



أتوجه من أعماق قلبي بجزيل الشكر إلى فضيلة

الأستاذ الدكتور

نصَّار نصَّار

على ما أولاني من اهتمامه وعِلمه ووقته

فجزاه الله عني خير الجزاء

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه، وأفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم على سيد الأولين والآخرين، وحبيب رب العالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإنَّ القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة التي أكرم الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأكرم به هذه الأمة، جعله الله دستور حياتهم، فيه سعادتُهم وفلاحُهم وعزُّهم في الدنيا والآخرة، من تمسَّك به نجا، ومن اعتصم به هُدي، ومن استرشد به لم يضلّ، هو الصراط المستقيم، والنور المبين الهادي في دياجي الظُلَم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء:٩]

ولما كان العمل بالقرآن الكريم لا يمكن إلا بعد فهم معانيه، فقد عكف عليه العلماءُ تلاوةً ودراسةً وفهماً، ينهلون من علومه، ويرتوون من حِكَمه وأحكامه، فكثُرت مؤلفاتهم حول القرآن الكريم، بل ما تركوا باباً من أبواب العلوم المستفادة من القرآن إلا وكتبوا فيه، وأغناه جيلٌ بعد جيل.

وعلم التفسير هو من أشرف العلوم وأزكاها؛ فشرف العِلْم بشرف موضوعه، وموضوعُ علم التفسير هو كلام الله العزيز الحميد، فأشرِفْ به من كلامٍ، وأعظم به، فهو كلام الإله اللطيف الخبير الذي يعلم ما يُصلح أمور العباد في الدارين، ويحقق لهم الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلك:١٤]

لذلك اهتم العلماء بتفسير كتاب الله عز وجل، وبيان أسراره وحِكَمه، ودقيق معانيه، ولما كانت معاني القرآن الكريم غزيرةً، ومتعددة الاحتمالات؛ اختلفت أنظار المفسرين حولها، وتعدَّدت أقوالهم فيها، ولكلٍ منهم اختياراته ومنهجه في الترجيح.

وكان من هؤلاء المفسرين الإمام: عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي – رحمه الله – هذا الإمام الذي عَلَت مكانته، وذاع صيته، وكان له في كل علمٍ نصيب، وكانت له مؤلفات كثيرة، وكان من أهم مؤلفاته تفسيرُه المسمَّى:

"مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ويُعدُّ هذا التفسير من التفاسير المهمَّة؛ لأنَّ الإمام النسفي اختصره من تفسيريِّ: الكشَّاف للزمخشري[1]، وأنوار التنزيل للبيضاوي[2]– وهما من أهمِّ كتب التفسير – غيرَ أنَّه ترك ما في الكشَّاف من الاعتزالات، وجرى فيه على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، فكان وسطاً في التأويلات، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، ضمَّنه مؤلفُه أقاويلَ أهل السُّنَّة والجماعة، وجنَّبه أباطيل أهل البدع والضلالة.

وقد اخترت منهج الترجيح بالمأثور في هذا الكتاب؛ ليكون موضوع رسالتي في الماجستير، التي جعلتها بعنوان:

منهج الترجيح بالمأثور عند الإمام النسفي في تفسيره
دراسة تأصيلية تطبيقية

أولاً: أهمية البحث:

وتتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

١– لقد كثُرَت في التفسير الأقوال، وتعدَّدت فيه الآراء، فهو بحاجةٍ إلى التحقيق والترجيح، ولما كانت أحسن طرق التفسير أن يُفسَّر القرآن بالقرآن، فإن لم يُوجد فبسُنَّة المصطفى عليه الصلاة والسلام، فإن

---

(١) محمود بن عمر بن محمد، أبو القاسم، جار الله، الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المتكلم المعتزلي المفسر، ولد سنة (٤٦٧هـ) بزمخشر، قرية من قرى خوارزم، ومن تصانيفه: الكشاف في التفسير، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة، وربيع الأبرار... وغيرها، مات سنة (٥٣٨هـ)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان: ج ٥ ص (١٦٨– ١٧٣)، طبقات المفسرين للسيوطي: ج ١ ص(١٢٠– ١٢١)

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أبو الخير، القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، ومن مصنفاته: الطوالع، المصباح في أصول الدين، مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، شرح المصابيح في الحديث... وغيرها، مات سنة (٦٨٥هـ)، وقيل: سنة (٦٩١هـ)، انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ج ٥ ص (٣٩٢ –٣٩٣)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٢٥٤ – ٢٥٥)

لم يُوجد فبأقوال الصحابة الكرام، فإن لم يُوجد فبأقوال التابعين – كما ذهب كثيرٌ من الأئمة – فمن هنا تأتي أهمية الترجيح بالمأثور.

٢– كونه يبحث جانب الترجيح بالمأثور في تفسيرٍ يُعدُّ من كتب التفسير بالرأي المحمود.

ثانياً: أسباب اختيار البحث:

١– اهتمامي بالمأثور في التفسير؛ لأنَّ النفسَ إليه أميل؛ لكونه منقولاً إمَّا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فسُنَّتُه شارحةٌ ومُبيِّنة لكتاب الله، وإمَّا عن صحابته الكرام – رضوان الله عليهم – فإنهم أدرى الناس بكتاب الله عزَّ وجلَّ؛ وذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، وإمَّا عن التابعين؛ لأنهم تلقَّوا غالب تفسيراتهم عن الصحابة.

٢– عدم وجود دراسة سابقة – فيما أحسب – لهذا الموضوع؛ مع أنه يستحق البحث والدراسة؛ لأنَّ الإمام النسفي كانت له عناية بالترجيح عموماً في تفسيره.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

١– ما قيمة التفسير المأثور عند الإمام النسفي؟

٢– هل كان يرجّح بالمأثور؟ أم كان يُقدِّم عليه الرأي المبني على الاجتهاد المنضبط بضوابط التفسير؟

٣– هل كان يتوقف عن الترجيح بين الأقوال؟

٤– ما منهج الإمام النسفي في الترجيح بالمأثور؟

٥– ما القواعد التي اعتمد عليها الإمام النسفي في الترجيح بالمأثور؟

رابعاً: الدراسات السابقة لهذا البحث:

لم أجد – في حدود البحث الذي قمت به – دراسةً خاصةً بمنهج الترجيح عند الإمام النسفي عموماً، ولا بمنهج الترجيح بالمأثور عند الإمام النسفي خصوصاً؛ ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت منهج الإمام النسفي في تفسيره عموماً، وهي:

١– أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي وكتابه: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: رسالة دكتوراه، للباحث: بدر الدين جتين أر، أرضوم – معهد العلوم الاجتماعية، جامعة أتاتورك، عام ١٩٨٤م.

٢- النسفي ومنهجه في التفسير: رسالة ماجستير، جامعة بغداد، للباحث: محمد مجيد الكبيسي، عام ١٩٩٠م.

٣- منهج الإمام النسفي في تفسير القرآن الكريم ومقارنته بمنهج الزمخشري والبيضاوي وأبي السعود: رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، للباحث: محمود لطفي محمد جاد، عام ١٩٩٢ م.

ولم أستطع الحصول على هذه الرسائل للاطلاع عليها.

وهناك رسائل جامعية تناولت تفسير الإمام النسفي بالدراسة من جوانب أخرى، لا علاقة لها بمنهج الترجيح، ومنها:

١- منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: رسالة ماجستير، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية بغزة، للباحثة: سحر محمد فهمي كردية، عام ٢٠٠١م.

وقد اطلعت على هذه الرسالة، واستفدت منها في كلامي عن القراءات عند الإمام النسفي، وأثرها في تفسيره، وأشرت إلى ذلك في الحواشي.

٢- الخلاف النحوي في تفسير الإمام النسفي: رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، للباحث: حمدان إبراهيم حمدان الزوبعي، عام ٢٠١٢ م.

ولم أستطع الحصول على هذه الرسالة للاطلاع عليها.

وهناك دراسة في جمع ودراسة ترجيحات الإمام النسفي في التفسير لسورتي الفاتحة والبقرة، جاءت بعنوان:

١- ترجيحات الإمام النسفي في التفسير لسورتي الفاتحة والبقرة جمعاً ودراسة: رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية أصول الدين، للباحث: عبد الحق علي علي أحمد يعقوب، عام ٢٠١٤ م.

وقد اطلعت على هذه الرسالة، حيث تكلم الباحث عن منهج الإمام النسفي في تفسيره، ثمَّ عن منهجه في بيان القول الراجح، ثمَّ انتقل للكلام عن ترجيحات الإمام النسفي في سورتي الفاتحة والبقرة، التي هي موضوع أطروحته.

وهناك دراسات في الترجيح عند غير النسفي، منها:

١- الترجيح بالسُنَّة عند المفسرين جمعاً ودراسة: رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: ناصر الصائغ.

٢- اختيارات أبي جعفر النحاس في التفسير، من أول سورة الحجر إلى آخر سورة النمل جمعاً ودراسة ومقارنة: رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، للباحث: عبد الهادي الزهراني.

٣- منهج ابن جرير الطبري في الترجيح بين أقوال المفسرين: رسالة ماجستير، جامعة النجاح في نابلس، للباحث: تمام كمال موسى الشاعر، عام ٢٠٠٤.

٤- منهج الإمام أبي السعود في الترجيح في تفسيره إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية: رسالة ماجستير، جامعة دمشق، كلية الشريعة، للباحث: عجاج برغش.

وقد اطلعت على هذه الرسالة، وأفدت منها الكثير في ثنايا بحثي، وخاصة في كلامي عن المنهج في عرض أقوال المفسرين، وعن المنهج في بيان القول الراجح، وغير ذلك، وأشرت إلى كلٍّ ذلك في الحواشي.

٥- قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية: رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، للباحث: حسين بن علي الحربي.

وقد اطلعت على هذه الرسالة، وأفدت منها عند كلامي عن تعريف الترجيح، وتأصيل بعض القواعد، وقد أشرت إلى ذلك في الحواشي.

خامساً: منهج البحث:

يعتمد منهج البحث على:

١- الاستقراء: حيث استقريت تفسير الإمام النسفي كاملاً؛ للوقوف على المواضع التي رجَّح فيها الإمام النسفي، وجمع الأمثلة التطبيقية.

٢- التحليل والاستنباط: وذلك من خلال دراسة المواضع التي رجَّح فيها الإمام النسفي، وتحليلها؛ لاستنباط منهجه في الترجيح، وكذلك دراسة الأمثلة، واختيار الأنسب منها.

سادساً: إجراءات البحث والكتابة:

فقد التزمت في بحثي الإجراءات الآتية:

١- تخريج الآيات القرآنية، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية مباشرة بعد الآية في المتن؛ تجنباً لإثقال البحث بالحواشي.

٢- تخريج الأحاديث والآثار، مكتفياً بذكر الصحيحين إن وُجد الحديث أو الأثر فيهما، وإن لم يُوجد فيهما انتقل إلى باقي الكتب الستة، فإن لم يكن مخرَّجاً فيها انتقل إلى باقي كتب السُنَّة، وأذكرُ أقوال العلماء في الحكم على الحديث، إن وُجدت، وإن لم توجد فلا أحكم على الحديث.

٣- فيما يتعلق بالعزو إلى المصادر، فإني أكتفي بذكر اسم المصدر مع اسم مؤلفه، مع رقم الجزء والصفحة، ولا أذكر باقي معلومات المصدر؛ لأنها موجودة في فهرس المصادر والمراجع، وتجنباً لإثقال البحث بالحواشي.

٤- أمَّا بالنسبة للأعلام، فإني أترجم لجميع الأعلام الذين يرد ذكرهم في ثنايا البحث، مع الرجوع إلى كتب التراجم المختصة، وقد أرجع لأكثر من مرجع استيفاء للمعلومة، وقد أرجع إلى كتاب معاصر إن لم أجد ترجمة العلم في كتب الطبقات والتراجم.

٥- تخريج الأبيات الشعرية التي يرد ذكرها في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى دواوين الشعراء، وإلا فإلى كتب الأدب المختصة.

٦- تخريج القراءات التي يرد ذكرها في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى كتب القراءات.

٧- شرح الكلمات الغريبة التي لا تُفهم، وذلك بالرجوع إلى المعاجم، وكذلك شرح المصطلحات العلمية، وذلك بالرجوع إلى الكتب المختصة.

٨- التعريف بالأماكن التي يرد ذكرها في ثنايا البحث، وذلك بالرجوع إلى كتب البلدان، وغيرها من المصادر.

٩- أُدلِّل لكل فكرة بمثالين أو أكثر من تفسير النسفي؛ إلا إن لم أجد إلا مثالاً واحداً فإني أذكره.

سابعاً: خطة البحث:

يتضمن البحث مُقدِّمةً، وخمسة فصولٍ، وخاتمةً، وفهارس.

أما المقدمة:

وتتضمن الكلام عن: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة فيه، ومنهج البحث، وإجراءات البحث والكتابة، وخطة البحث.

الفصل التمهيدي: مدخل إلى البحث، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير.

المبحث الثاني: تعريف منهج الترجيح.

المبحث الثالث: تعريف المأثور.

المبحث الرابع: الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه.

المبحث الخامس: التعريف بالإمام النسفي وتفسيره.

الفصل الأول: أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين، وبيان الراجح من أقوالهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف اختلاف المفسرين، وأنواعه، وأسبابه.

المبحث الثاني: أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين.

المبحث الثالث: أساليب الإمام النسفي في بيان القول الراجح.

الفصل الثاني: الترجيح بالقرآن الكريم وقراءاته، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن، وأهميته، وأنواعه.

المبحث الثاني: الترجيح بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الترجيح بالقراءات عند الإمام النسفي.

الفصل الثالث: الترجيح بالسنَّة المطهرة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالسنَّة، وأهمية السنَّة في التفسير، وأوجه بيانها للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الترجيح بالسنَّة المطهرة عند الإمام النسفي.

الفصل الرابع: الترجيح بأقوال الصحابة والتابعين، وأسباب النزول والإجماع، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وحُجِّية أقوالهم في التفسير.

المبحث الثاني: الترجيح بأقوال الصحابة.

المبحث الثالث: الترجيح بأقوال التابعين.

المبحث الرابع: الترجيح بأسباب النزول.

المبحث الخامس: الترجيح بالإجماع.

الخاتمة.

نتائج البحث.

التوصيات.

الفصل التمهيدي

مدخل إلى البحث

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التفسير.

المبحث الثاني: تعريف منهج الترجيح.

المبحث الثالث: تعريف المأثور.

المبحث الرابع: الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه.

المبحث الخامس: التعريف بالإمام النسفي وتفسيره.

المبحث الأول

تعريف التفسير

المطلب الأول: تعريف التفسير لغة:

الفسر في اللغة هو الكشف والبيان والإيضاح.

قال ابن فارس[1]: ((الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر، يقال: فَسَرْتُ الشيء، وفسَّرته..))[2].

قال ابن منظور[3]: ((الفَسْر: البيان، فَسَرَ الشيء يفسِره، بالكسر، ويفسُره، بالضم فسراً، وفسّره: أبانه، والتفسير مثله... الفسْر: كشف المغطّى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل..))[4].

وقال الفيروز آبادي[5]: ((الفسْر: الإبانة، وكشف المغطّى، كالتفسير..))[1].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، اللغوي القزويني، كان نحوياً على طريقة الكوفيين، وكان شافعياً، فتحوّل مالكياً، رزق حسن التصنيف، ومن مصنفاته: المجمل في اللغة، معجم مقاييس اللغة، جامع التأويل في تفسير القرآن، غريب إعراب القرآن، وغيرها، مات سنة (٣٩٥هـ) بالرّي، انظر في ترجمته: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي: ج ١ ص ٣٥٢، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٩٢-٩٣)

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٤ ص ٥٠٤

(٣) محمد بن مكرّم بن علي بن أحمد بن منظور الأنصاري الإفريقي ثم المصري، جمال الدين أبو الفضل، صاحب كتاب " لسان العرب " في اللغة، ولد سنة (٦٣٠هـ)، كان عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة، وكان مولعاً باختصار كتب الأدب المطولة، واختصر كثيراً منها: كالأغاني والعقد والذخيرة ومفردات ابن البيطار، واختصر " تاريخ دمشق " في نحو ربعه، ونُقل أن مختصراته خمسمائة مجلد، خدم في ديوان الإنشاء مدة عمره، وولي قضاء طرابلس، مات سنة (٧١١هـ)، انظر في ترجمته: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر: ج ٦ ص (١٥-١٦)، بغية الوعاة: ج ١ ص ٢٤٨

(٤) لسان العرب: ج ٥ ص٥٥

(٥) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي، العلامة مجد الدين أبو الطاهر، ولد سنة (٧٢٩هـ) بكارزين، تفقه ببلاده، وبرع في اللغة، جال البلاد، وظهرت فضائله، وكثر الآخذون عنه، وله من التصانيف: القاموس المحيط في اللغة، تسهيل الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، شرح خطبة الكشاف، تنوير المقباس على تفسير ابن عباس، وغيرها، مات سنة (٨١٦هـ)، انظر في ترجمته: بغية الوعاة: ج ١ ص (٢٧٣-٢٧٤)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٣١٢-٣١٣)

فخلاصة ما سبق أنَّ التفسير لغة يكون بمعنى: الكشف والبيان والإيضاح.

المطلب الثاني: تعريف التفسير اصطلاحاً:

أما في الاصطلاح، فقد عُرِّف التفسير عدة تعريفات:

قال أبو حيان[٢] في "البحر المحيط": ((التفسير: علمٌ يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفراديَّة والتركيبيَّة، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتتمَّاتٍ لذلك.))[٣].

ثم خرَّج التعريف، فقال: ((فقولنا: "علم" هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: " يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هذا هو علم القراءات[٤]، وقولنا: "ومدلولاتها " أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة[٥] الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفراديّة والتركيبيَّة " هذا يشمل علم التصريف[٦]، وعلم الإعراب[٧]، وعلم

---

(١) القاموس المحيط: ص ٥٨٧

(٢) محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين، أبو حيان الأندلسي الجياني، إمام اللغة والنحو والتصريف، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والتراجم، ولد سنة (٦٥٤هـ)، ومن مصنفاته: البحر المحيط في التفسير، وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل، والحلل الحالية في أسانيد القراءات العالية، ونحاة الأندلس، والأبيات الوافية في علم القافية... وغيرها، مات سنة (٧٤٥هـ)، انظر في ترجمته: الدرر الكامنة: ج ٦ ص (٥٨ – ٦٥)، شذرات الذهب: ج ٦ ص (١٤٥ – ١٤٧)

(٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: ج ١ ص ٢٦

(٤) علم القراءات: ((هو علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة)). منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري: ص ٩

(٥) علم اللغة: ((وهو علم الألفاظ المجردة، الموضوعة للدلالة على معانيها المفردة، كالإنسان، والفرس، والجدار، وغير ذلك)). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي: ج ٣ ص ١٩٤

(٦) علم التصريف: ((وهو أخص من علم اللغة؛ لأنّ متعلّقه ليس إلا سلامة الألفاظ، ومعرفة أصليّها من زائدها، وصحيحها من عليلها، وإجراء إعلالها على القوانين المألوفة)). المرجع السابق، الموضع ذاته.

(٧) علم الإعراب: ((وهو أخص مما سبقه؛ لأنّ ما سبقه من علم اللغة والتصريف، يختصان بالأمور المفردة، وهذا مختص بالكلم المركبة، لذلك هو علم بالمعاني الإعرابية الحاصلة عند العقد والتركيب، كقولنا: قام زيد، فإن الإعراب لا يحصل إلا لمجموعهما، فالتركيب أقلّه من جزأين، والعقد إسناد أحدهما إلى الآخر، فلو حصل أحدهما وتعذر الآخر، لفات المعنى، ولبطل الإعراب)). المرجع السابق: ج ١ ص (١٤-١٥)، ج ٣ ص ١٩٤

البيان[١]، وعلم البديع[٢]، "ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب"، شمل بقوله: "التي تُحمل عليها" ما دلالته عليه بالحقيقة[٣]، وما دلالته عليه بالمجاز[٤]؛ فإن التركيب قد يقتضي يقتضي بظاهره شيئاً، ويَصدُّ عن الحمل على الظاهر[٥] صادٌّ؛ فيُحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وقولنا: "وتتمّات لذلك"، هو معرفة النَسْخ[٦]، وسبب النزول[٧]، وقصةٍ تُوضِّح بعض ما انبهم[٨] في القرآن، ونحو ذلك))[٩].

ويُلاحظ على هذا التعريف عدمُ اشتماله على المعنى اللغوي لكلمة التفسير، وهو الكشف والبيان، وكذلك ذِكرُه بعض العلوم التي يُحتاج إليها في التفسير، وهي خارجة عن حدِّ التفسير، وكذلك الإبهام في قوله "وتتمَّات لذلك"[١٠].

---

(١) علم البيان: ((هو إيراد المعنى الواحد، بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، كالاستعارة والكناية والتشبيه وغيرها)). الطراز لأسرار البلاغة: ج ١ ص ١٠

(٢) علم البديع: ((هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة)). التعريفات للجرجاني: ص ٢٠٠

(٣) الحقيقة: ((هي اللفظ المستعمل فيما وضع له لغة)). انظر: الفصول في الأصول للجصاص: ج ١ ص ٤٦، المستصفى في علم الأصول للغزالي: ج ١ ص ١٨٦

(٤) المجاز: ((هو اللفظ المستعمل فيما لم يوضع له لغة)). انظر: المرجعين السابقين في الموضع ذاته.

(٥) الظاهر: ((هو ما دلَّ على معنى بالوضع الأصلي أو العرفي، ويحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً)). الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ج ٣ ص ٥٨

(٦) النسخ في اصطلاح أكثر الأصوليين هو: ((رفعُ حكمٍ شرعيّ بدليلٍ شرعيّ متراخٍ)). شرح الكوكب المنير لابن النجار: ج ٣ ص ٥٢٦، وانظر في ذلك: رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لتاج الدين السبكي: ج ٤ ص ٢٦

(٧) سيأتي معنا الكلام عن أسباب النزول – بشكل مستقل – في الفصل الرابع من هذه الرسالة.

(٨) المبهم: ((هو ما أُغفل، ولم يُعيّن فيه الفردُ أو الشخصُ، مع فهم المعنى، مثل: (رجل)، (امرأة))). علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٢٠، وجاء في "الموسوعة القرآنية المتخصصة" (ج ١ ص ٦٠٨): ((والمبهم في كتاب الله تعالى: هو ما خفي اسمه، أو رسمه، أو وصفه، أو زمانه، أو مكانه، ونحو ذلك، مما خفيت آثاره، أو جُهلت أحواله، لسبب من الأسباب الجليّة أو الخفيّة، سواءٌ احتاج المكلفون إلى معرفته بالبحث عن الوسائل التي تُزيل خفاءه، وتدفع إشكاله، أم لم يحتاجوا إلى ذلك)).

(٩) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ٢٦

(١٠) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم" للباحث عجاج برغش، وهي رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن: ص ٣

وقال الزركشي[١] في "البرهان": ((التفسير علمٌ يُعرف به فهمُ كتاب الله المنزل، على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيانُ معانيه، واستخراجُ أحكامه وحِكَمِه، واستمدادُ ذلك من علم اللغة، والنحو[٢]، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه[٣]، والقراءات، ويُحتاج لمعرفة لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ[٤]))[٥].

أيضاً يُلاحظ على هذا التعريف ذِكرُه للعلوم التي يُحتاج إليها في التفسير، وهي خارجة عن حدِّ التفسير؛ إلا أن يكون قوله "واستمدادُ ذلك..." توضيحاً للتعريف غيرَ داخل فيه، إلا أنَّ هذا التعريف اشتمل على المعنى اللغوي للتفسير، وهو البيان[٦].

وقال الزُّرقاني[٧] في "مناهل العرفان": ((التفسير في الاصطلاح: علمٌ يُبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالتُه على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية))[٨].

ثم قال: ((وخرج بقولنا: "يُبحث فيه عن أحوال القرآن" العلوم الباحثة عن أحوال غيره، وخرج بقولنا: "من حيث دلالته على مراد الله تعالى" العلوم التي تبحث عن أحوال القرآن من

---

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله، عالم في التفسير والحديث وجميع الفنون، ولد سنة: (٧٤٥هـ)، ومن مصنفاته: البرهان في علوم القرآن، والنكت على البخاري، البحر المحيط في الأصول، تخريج أحاديث الرافعي، وتفسير القرآن العظيم وصل فيه إلى سورة مريم، مات سنة (٧٩٤هـ). انظر في ترجمته: شذرات الذهب: ج ٦ ص ٣٣٥، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٣٠٢

(٢) النحو: ((هو علم بقوانين يُعرف بها أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرهما)). التعريفات للجرجاني: ص ٣٠٨

(٣) أصول الفقه: ((معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفيةُ الاستفادة منها، وحالُ المستفيد)). معجم مقاليد العلوم للسيوطي: ص ٦٢

(٤) الناسخ: ((ما يُبيّن انتهاءَ حُكمٍ سابق))، والمنسوخ: ((ما انتهى حكمه بحكم آخر متأخرٍ عنه)). معجم مقاليد العلوم: ص ٤٠

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ج ١ ص ١٣

(٦) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود: ص (٣-٤)

(٧) محمد عبد العظيم الزرقاني: من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرّساً لعلوم القرآن والحديث، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٧هـ)، ومن كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن، وبحث في الدعوة والإرشاد. الأعلام للزركلي: ج ٦ ص ٢١٠

(٨) مناهل العرفان: ج ٢ ص ٤

جهةٍ غير جهة دلالته، كعلم القراءات؛ فإنه يبحث عن أحوال القرآن من حيث ضبطُ ألفاظه، وكيفيةُ أدائها، ومثل علم الرسم العثماني[١]؛ فإنه يبحث عن أحوال القرآن الكريم من حيث كيفيةُ كتابة ألفاظه، وخرج بهذه الحيثية أيضاً، المعارف التي تبحث عن أحوال القرآن من حيث إنه مخلوق أو غير مخلوق؛ فإنها من علم الكلام[٢]، وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها؛ فإنها من علم الفقه[٣]، الفقه[٣]، وقولنا "بقدر الطاقة البشرية"؛ لبيان أنه لا يقدح في العلم بالتفسير، عدمُ العلم بمعاني المتشابهات[٤]، ولا عدمُ العلم بمراد الله في الواقع ونفس الأمر))[٥].

واعتُرض على هذا التعريف بأنَّ علم القراءات وعلم الرسم داخلان في علم التفسير؛ لأنَّ المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات، كقراءة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان:٢٠] بضم الميم وإسكان اللام، فإنَّ معناها مغاير لقراءة مَن قرأ: ﴿ومَلِكاً كبيراً﴾، بفتح الميم وكسر اللام[٦]. كما أنَّ المعنى يختلف أيضاً باختلاف الرسم القرآني في المصحف، المصحف، فمثلاً قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المُلك:٢٢] بوصل ﴿أَفَمَن﴾،

---

(١) الرسم العثماني أو رسم المصحف: يُراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه، ومن كان معه من الصحابة، في كتابة كلمات القرآن، ورسم حروفه في المصاحف التي وجّه بها إلى الآفاق، والمصحفِ الإمامِ الذي احتفظ به لنفسه. المدخل لدراسة القرآن الكريم لمحمد محمد أبو شهبة: ص ٣٣٧، وينسبون هذا الرسم إلى عثمان رضي الله عنه؛ لأنه جرى في عهده، وبأمر منه، وبموافقته، فيقولون: (رسم عثمان) أو (الرسم العثماني).

(٢) علم الكلام: ((ما يُبحث فيه عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأحوال الممكنات في المبدأ والمعاد، على قانون الإسلام)). معجم مقاليد العلوم: ص ٧٠

(٣) علم الفقه: ((هو العلم بالأحكام الشرعية العملية، المكتسبُ من أدلتها التفصيلية)). التعريفات للجرجاني: ص ٢١٦

(٤) المتشابه: ((هو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المراد منه)). علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٢٢، ١٢٢، وانظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ج ٣ ص ٩

(٥) مناهل العرفان: ج ٢ ص (٤-٥)

(٦) ذكرها الفخر الرازي في تفسيره عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة الأنعام: ج ١٣ ص ١٠٨، وقال النيسابوري في تفسيره: ((وعن علي أنه قرأ: (مَلِكاً كبيراً)، بفتح الميم، وكسر اللام: هو الله)): ج ٦ ص ٤١٦، كما ذكرها ابن الجزري في كتابه "النشر" وعزاها إلى ابن كثير وغيره. انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج ١ ص ٢٩

يغاير في المعنى: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ [النساء:١٠٩] بفصلها؛ فإنَّ المفصولة تفيد معنى "بل" دون الموصولة(١).

وكذلك الناظر في عمل المفسِّرين يجد أنهم يدخلون علم القراءات في علم التفسير، فيذكرون وجوه القراءات، ويوجِّهونها، ويعتمدون عليها في التفسير والترجيح، ونحو ذلك، وإن اختلفوا في ذلك بين مُكثرٍ ومقلٍّ.

وبعد النظر في التعاريف السابقة فإني أختار التعريف الآتي: هو علم يُبحث فيه عن بيان القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية(٢).

ويشتمل هذا البيان على بيان الألفاظ والتراكيب، وبيان الأحكام التي نزل بها القرآن الكريم، وبيان حِكَمه وإعجازه، وغير ذلك، بالاعتماد على علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها.

وهذا البيان يكون بقدر الطاقة البشرية، وهذا قيدٌ لا بدَّ منه؛ لأنَّ المفسِّر حينما يفسِّر القرآن الكريم سواءٌ أكان بالتفسير بالمأثور، أم بالاجتهاد والرأي المقبول؛ لا يمكنه الجزم والقطع بأنَّ هذا التفسير هو مراد الله تبارك وتعالى، ولا يتأتَّى هذا القطع إلا لنبيٍّ مرسل يُوحى إليه من ربه، وأمَّا غيرُه فلا (٣).

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي: ج ١ ص ١٥

(٢) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٥

(٣) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد محمد أبو شهبة: ص ٢٧

المبحث الثاني

تعريف منهج الترجيح

منهج الترجيح تركيب إضافي، مركبٌ من كلمة (منهج)، ومن كلمة (الترجيح)، فلا بدَّ من تعريفه أولاً باعتبار مفرداته، ثم باعتبار تركيبه الإضافي.

المطلب الأول: تعريف المنهج:

أولاً: تعريف المنهج لغة:

كلمة (المنهج) مأخوذة في اللغة من مادة (نهج).

قال ابن فارس: ((النون والهاء والجيم أصلان متباينان، الأول: النَّهْجُ: الطريق، ونَهَجَ لي الأمرَ: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج: الطريق أيضاً، والجمع المناهج، والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان يَنْهَجُ: إذا أتى مبهوراً منقطع النَّفَس))[1].

وجاء في "لسان العرب": ((وطريق نَهْجٌ: بَيِّنٌ واضحٌ... والمنهاج: كالمنهج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وأنهَجَ الطريق: وضَحَ واستبان، وصار نَهْجاً واضحاً بيِّناً... والمنهاج: الطريق الواضح... ونهجتُ الطريقَ: أبنْته وأوضحته... والنهْج: الطريق المستقيم، ونَهَجَ الأمر وأنْهَجَ، لغتان، إذا وضح))[2].

والذي يتعلق بموضوع البحث هو أنَّ المنهج يعني الطريق الواضح.

ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً:

عُرِّف المنهج اصطلاحاً بعدة تعريفات:

فقيل: ((هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة؛ لاكتشاف الحقيقة)).

وقيل: ((خطوات منظمة يتبعها الباحث في معالجة الموضوعات التي يقوم بدراستها)).

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٥ ص٣٦١

(٢) لسان العرب: ج ٢ ص ٣٨٣

وقيل: ((فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين))[١].

واعتُرض على التعريف الأخير بأنه ناقص؛ لأنه لا يكاد يتحدث إلا عن الأفكار، لا عن الوقائع والقوانين.

ثمّ عُرِّف المنهج بأنه: ((الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة))[٢].

ويُلاحظ بأن علماء المسلمين ما عرفوا اصطلاح "المنهج" بمعنى: ((جملة القواعد العامة المصوغة من أجل الكشف عن الحقيقة والبرهنة عليها في فرع من فروع المعرفة)) إلا في العصر الحديث، ولكنَّه كان مستخدماً بمعان متعددة هي أقرب إلى معناه اللغوي، فقد استُخدم بمعنى الطريق الواضح، أو أسلوب الشاعر أو الكاتب، أو المذهب المتبع.

ولكنَّ الاصطلاح الذي كان يُستعمل مرادفاً المعنى الحديث للمنهج هو مصطلح "الأصول"، فالأصول مصطلح استُخدم في علوم متعددة كالفقه والتفسير للدلالة على القواعد الكلية التي تستند إليها هذه العلوم[٣].

المطلب الثاني: تعريف الترجيح:

أولاً: تعريف الترجيح لغة:

كلمة (الترجيح) مأخوذة في اللغة من مادة (رجح).

قال ابن فارس: ((الراء والجيم والحاء أصلٌ واحدٌ يدل على رزانة وزيادة، يُقال: رَجَحَ الشيءُ، وهو راجح، إذا رَزَنَ))[٤].

---

(١) انظر: منهج البحث في العلوم الإسلامية للدكتور محمود الدسوقي: ص ٤٣

(٢) انظر: مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي: ص (٤-٥)

(٣) انظر: منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – دراسة نقدية للدكتور سامر رشواني: ص (٣٢-٣٣)

(٤) معجم مقاييس اللغة: ج ٢ ص ٤٨٩

وجاء في "لسان العرب": ((الراجح: الوازن، ورَجَحَ الشيءَ بيده: رزنه ونظر ما ثقْله، وأرجحَ الميزانَ، أي: أثقله حتى مال، وأرجحتُ لفلان ورجّحتُ ترجيحاً: إذا أعطيته راجحاً... ورَجَحَ الميزانُ يرجَح ويرجِح ويرجُح رجحاناً: مال...))[١].

فالترجيح لغة هو: جعل الشيء راجحاً، أي: فاضلاً زائداً، فهو التثقيل والتمييل وإظهار الزيادة.

ثانياً: تعريف الترجيح اصطلاحاً:

عُرِّف الترجيح عند الأصوليين بعدة تعريفات:

فقيل: ((بيانُ اختصاص الدليل بمزيد قوةٍ عن مقابله ليُعمل بالأقوى))[٢].

وهذا التعريف بيَّن أنَّ وظيفة الترجيح هي بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة عن مقابله، أي الكشف عن القوة الموجودة في الدليل من قبل، وهذا ما يقوم به المرجِّح، فهو الذي يكشف عن قوة الدليل، وبالتالي يجعله راجحاً على مقابله، ورجحان القول أو الدليل هو اشتماله على مزيد قوة عن مقابله، ولا تعارض بين كون القول أو الدليل راجحاً بنفسه أو راجحاً بفعل المرجِّح؛ لأنَّ الترجيح حقيقة هو كشف عن قوة القول أو الدليل أي أنه لازم للرجحان[٣].

ويُؤخذ على هذا التعريف ذِكرُ ثمرة الترجيح، فالثمرة لا تدخل في التعريف.

وقيل: ((تغليب بعض الأمارات على بعض في سبيل الظن))[٤].

وهذا التعريف بيَّن أنَّ الترجيح إنما يكون بين ظنِّي وظنِّي؛ لأنَّ الأمارة[٥] هي التي يمكن أن يُتوصل بصحيح النظر فيها إلى الظنِّ، أمَّا ما يُتوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم فهو الدليل

---

(١) لسان العرب: ج ٢ ص ٤٤٥

(٢) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي: ج ٤ ص ٤٢٥

(٣) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٦

(٤) البرهان في أصول الفقه للجويني: ج ٢ ص ٧٤١

(٥) الأمارة لغة: العلامة. لسان العرب: ج ٤ ص٣٣

كما قال الأصوليون[1]، لذلك لا يكون الترجيح بين قطعيٍّ وقطعيٍّ؛ لأنَّ الترجيح هو مسلك من مسالك دفع التعارض بين الأدلة، ولا تعارض بين قطعيٍّ وقطعيٍّ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع النقيضين[2]، أو ارتفاعهما، ولأنَّ ترجيح أحدهما على الآخر محال، فلا مدخل للترجيح في الأدلة القطعية؛ لأنَّ الترجيح فرع التعارض، ولا تعارض فيها، كذلك لا يكون الترجيح بين قطعيٍّ وظنِّيٍّ؛ لأنه لا تعادل بينهما ولا تعارض، لانتفاء الظنِّ؛ لأنه يستحيل وجود ظنٍّ في مقابلة يقين، فالقطعيُّ هو المعمول به، والظنُّ لغوٌ، وكذلك يشترط في التعارض بين الدليلين أن يكونا في قوة واحدة.

لذلك ينحصر التعارض في الأدلة الظنية، سواء كانت نقليةً، أو عقليةً، أو أحدها عقليَّاً، والآخر نقليَّاً، ثم يقع الترجيح بينها[3][4].

هذا عند الأصوليين، أمَّا عند المفسرين، فإنَّ المفسِّر يرجِّح بين الأقوال الواردة في تفسير الآية، لا بين الأدلة الشرعية مباشرة، وهذه الأقوال ظنِّية في الغالب، ولا يُشترط فيها التعارض، وعدم إمكانية الجمع والتوفيق –كما هو الحال في التعارض عند الأصوليين – بل يمكن الجمع بينها؛ لأنَّ كثيراً من اختلاف المفسِّرين – ولا سيما السلف – هو من باب اختلاف التنوع لا من باب اختلاف التضاد، وكذلك لا يجب دائماً ترك القول المرجوح، بل يمكن حمل الآية على كلا القولين: الراجح والمرجوح، وإن كان أحدهما أقوى من الآخر[5].

---

(١) انظر: المعتمد في أصول الفقه لأبي حسين البصري: ج ١ ص ٥، التلخيص في أصول الفقه للجويني: ج ١ ص (١٣١-١٣٢)، المحصول في علم الأصول للرازي: ج ١ ص ١٠٦، الإحكام للآمدي: ج ١ ص ٢٧

(٢) النقيضان: ((هما اللذان لا يصح اجتماعهما معاً، ولا ارتفاعهما معاً)). مفتاح العلوم للسكاكي: ص ١٩٤، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة لزكريا الأنصاري: ص ٧٣

(٣) انظر: البحر المحيط للزركشي: ج ٤ ص ٤٧٤، شرح الكوكب المنير: ج ٤ ص (٦٠٧-٦٠٨)، إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول للشوكاني: ص (٤٥٨- ٤٥٩)

(٤) يقول الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله تعالى: ((وفي رأيي أنَّ اقتصار محل التعارض على الأدلة الظنية تحكّم؛ لأنَّ التعارض يحدث في الظاهر فقط، وكما يصح أن يطرأ التعارض على الأدلة الظنية، يطرأ على الأدلة القطعية)). أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي: ج ٢ ص ١١٧٥

(٥) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٧

وقيل في تعريف الترجيح: ((تقوية إحدى الأمارتين على الأخرى بدليل، فيُعلم الأقوى، فيُعمل به))[١].

ويُؤخذ على هذا التعريف أيضاً ذِكرُ ثمرة الترجيح، وهي العمل بالراجح وترك المرجوح، والثمرة لا تدخل في التعريف.

أما تعريف الترجيح في اصطلاح المفسرين، فهو: ((تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية؛ لدليلٍ أو قاعدةٍ تقوّيه، أو لتضعيف أو ردِّ ما سواه))[٢].

ويُؤخذ على هذا التعريف أنه قال: "تقوية أحد الأقوال"، والمفسِّر أحياناً قد يقوّي أكثرَ من قولٍ، إلا إن حُمل قوله على الغالب.

لذلك فالأولى في تعريف الترجيح عند المفسرين أنه: ((تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية))[٣].

ثالثاً: تعريف المركب الإضافي: منهج الترجيح.

يمكن تعريف منهج الترجيح عند المفسرين بأنه: ((طريقة المفسِّر في تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية))[٤].

فقولي: "طريقة المفسِّر في تقوية بعض الأقوال" يشمل طريقته في تعريف القارئ بالقول الراجح، وطريقته في الوصول إلى رجحان القول من خلال استعمال قواعد الترجيح وأدلته وقرائنه، ومن خلال مناقشة الأقوال الأخرى، وغير ذلك.

وقولي: "بعض الأقوال على بعض" يشمل ترجيح قول واحد، ويشمل كذلك ترجيح أكثر من قول.

---

(١) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه لعلاء الدين المرداوي الحنبلي: ج ٨ ص ٤١٤١، وانظر: شرح الكوكب المنير: ج ٤ ص ٦١٦، الإبهاج في شرح المنهاج لعلي بن عبد الكافي السبكي: ج ٣ ص ٢٠٨

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين – دراسة نظرية تطبيقية – للدكتور حسين بن علي الحربي: ج ١ ص ٣٥

(٣) منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٨

(٤) المرجع السابق، الموضع ذاته.

وقولي: "في تفسير الآية" من باب التغليب، وإلا فقد يكون الاختلاف في تفسير جزءٍ من الآية، أو في تفسير لفظةٍ، لا في تفسير الآية كلِّها[1].

وبعد أن عرَّفتُ منهج الترجيح عند المفسرين، أنتقلُ للكلام عن تعريف المأثور لغة واصطلاحاً، ومن خلاله أذكر تعريف منهج الترجيح بالمأثور، وهذا ما خُصِّص له المبحث الآتي.

(١) منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٨

المبحث الثالث

تعريف المأثور

المطلب الأول: تعريف المأثور:

أولاً: تعريف المأثور لغة:

كلمة (المأثور) مأخوذة في اللغة من مادة (أثر).

((والأثَـرُ: بقيـة الشـيء، والجمـع: آثـارٌ، وأُثُـور، وخرجـتُ في إِثْـره وفي أَثَـره، أي: بعـدَه ... والأَثَرُ، بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء))[١].

((والأثَر: الخبر، وجمعه الآثار... والأثَر: نقلُ الحديث عن القوم، وروايته... أَثَرَ الحديثَ عن القوم يأثِره، أي: من حدِّ (ضَرَبَ)، ويأثُره، أي: من حدِّ (نَصَرَ): أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر، وقيل: حدّث به عنهم في آثارهم))[٢].

((وحديثٌ مأثورٌ، أي: يخبر الناسُ به بعضهم بعضاً، أي: ينقله خلفٌ عن سلف، يُقال منه: أَثَرتُ الحديثَ، فهو مأثورٌ وأنا آثِرٌ))[٣].

((وحديثٌ مأثورٌ يأثِره ويأثُره، أي: يرويه قرن عن قرن))[٤].

((أَثَرتُ الحديثَ أَثْراً، من باب (قَتَلَ): نقلتُه، والأَثَرُ بفتحتين: اسم منه، وحديثٌ مأثورٌ، أي: منقول))[٥].

فالمأثور هو المنقول الذي يرويه قرنٌ عن قرنٍ، وينقله خلفٌ عن سلفٍ، ويخبر الناسُ به بعضهم بعضاً.

ثانياً: تعريف المأثور اصطلاحاً:

---

(١) لسان العرب: ج ٤ ص ٥، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي: ج ١٠ ص ١٢

(٢) تاج العروس: ج ١٠ ص (١٣،١٥)

(٣) لسان العرب: ج ٤ ص ٧، تاج العروس: ج ١٠ ص ١٦

(٤) أساس البلاغة للزمخشري: ص ١١

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي: ج ١ ص ٤

بالعودة إلى كتب علوم القرآن نجد وبصورة خاصة أنَّ مصطلح "المأثور" إنما ورد في معرض حديث العلماء عن أقسام التفسير؛ فهم يُقسِّمون التفسير من حيث المنهج العلمي المتَّبع لمعرفة معاني القرآن الكريم إلى قسمين: تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي، ثم بعد ذلك يتطرقون إلى تعريف كلٍ منهما.

عرَّف الزرقاني التفسير بالمأثور، فقال: ((هو ما جاء في القرآن أو السنَّة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه))[1][2].

وعرَّف الدكتور محمد حسين الذهبي[3] التفسير بالمأثور بأنه: ((ما جاء في القرآن نفسِه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كلِّ ما هو بيانٌ وتوضيحٌ لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم))[4].

وبالمقارنة بين التعريفين نلاحظ أنَّ الزرقاني قد اكتفى في تعريفه للتفسير بالمأثور بذكر ما جاء في القرآن أو السنَّة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه، ثم علَّل بأنَّ ما جاء في القرآن أو السنَّة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه لا شكَّ في قبوله؛ لأنَّ الله تعالى أعلمُ بمراد نفسه من غيره، وأصدقُ الحديث كتاب الله تعالى، وكذلك لأنَّ خيرَ الهدي هديُ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ووظيفته البيان والشرح مع القطع بعصمته وتوفيقه، قال الله تعالى

---

(١) مناهل العرفان: ج ٢ ص ١٠

(٢) وتبعه الدكتور فهد الرومي في كتابه (دراسات في علوم القرآن: ص ١٥١) حيث عرَّف التفسير بالمأثور، فقال: ((هو بيان معنى الآية بما ورد في الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة رضي الله عنهم)).

(٣) محمد حسين الذهبي: عالم أزهري كبير، عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، من أهم مؤلفاته: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها، التفسير والمفسرون، الشريعة الإسلامية: دراسة مقارنة بين مذاهب أهل السنة ومذهب الجعفرية، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، وغيرها من المؤلفات القيمة، اغتيل في شهر رجب عام (١٩٧٧). انظر في ترجمته: تكملة معجم المؤلفين لمحمد خير يوسف: ص ٤٧٤

(٤) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٥٢، وانظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٤، مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان: ص ٣٥٨، الواضح في علوم القرآن للدكتور مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو: ص ٢٣٦، الموسوعة القرآنية المتخصصة لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين: ص ٢٥٣

في محكم تنزيله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]

أمَّا بيان القرآن بما صحَّ وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم؛ فلأنَّهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا وعاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النقاب عن معاني الكتاب، ولهم من سلامة فطرتهم، وصفاء نفوسهم، وعلو كعبهم في الفصاحة والبيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله، وما يجعلهم يوقنون بمراده من تنزيله وهداه(١).

في حين أنَّه لم يذكر في تعريفه ما نُقل عن التابعين، واحتجَّ لذلك بقوله: ((أما ما يُنقل عن التابعين؛ ففيه خلاف العلماء: منهم من اعتبره من المأثور؛ لأنهم تلقَوه من الصحابة غالباً، ومنهم من قال: إنه من التفسير بالرأي...))(٢)، ثم قال: ((وفي تفسير ابن جرير الطبري(٣) كثيرٌ من النقول عن الصحابة والتابعين في بيان القرآن الكريم))(٤)، فنلاحظ وكأنه يُشير إلى إدراج المنقول عن التابعين في التفسير بالمأثور؛ لوروده في كتب التفسير بالمأثور.

أما الدكتور محمد حسين الذهبي فقد ذَكَرَ في تعريفه للتفسير بالمأثور ما نُقل عن التابعين، ثم قال: ((وإنما أدرجنا في التفسير المأثور ما رُوي عن التابعين – وإن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور، أو من قبيل الرأي – لأنَّا وجدنا كتب التفسير المأثور، كتفسير ابن جرير

---

(١) انظر: مناهل العرفان: ج ٢ ص(١١– ١٢)

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ١٢

(٣) الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، رأس المفسرين على الإطلاق، ولد بآمل طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، وكان شافعي المذهب، ثم انفرد بمذهب مستقل وأقاويل واختيارات، وله أتباع ومقلدون، ومن أشهر مصنفاته: تفسير القرآن المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تهذيب الآثار، تاريخ الأمم والملوك، وكتاب اختلاف العلماء، وكتاب أحكام شرائع الإسلام، توفي سنة (٣١٠هـ)، انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي: ج ٢٣ ص (٢٧٩ – ٢٨٦)، طبقات المفسرين للسيوطي: ص(٩٥– ٩٧)

(٤) مناهل العرفان: ج ٢ ص ١٢

وغيره، لم تقتصر على ذِكْر ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما رُوي عن أصحابه، بل ضمَّت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين في التفسير))[1].

فالدكتور الذهبي ذكر العلَّة التي من أجلها أدرج – في تعريفه للتفسير بالمأثور – ما نُقل عن التابعين، وهي أنَّ كتب التفسير المأثور، كتفسير ابن جرير وغيره، لم تقتصر على ذِكْر ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما رُوي عن أصحابه، بل ضمَّت إلى ذلك ما نُقِل عن التابعين في التفسير[2]، وهذا عينُ ما أشار إليه الإمام الزرقاني –كما ذكرت آنفاً – عندما تكلَّم عن المنقول عن التابعين، ثم قال: ((وفي تفسير ابن جرير الطبري كثيرٌ من النقول عن الصحابة والتابعين في بيان القرآن الكريم))[3].

فبناءً على ما تقدَّم يكون التفسير بالمأثور هو تفسير القرآن بالقرآن؛ لأنَّ القرآن هو كلام الله تعالى، والله جلَّ جلاله هو أعلم بمراده، أو تفسيره بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنها جاءت مبيِّنةً لكتاب الله تعالى، أو تفسيره بما نُقِل عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فَهُمُ الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان، وتميَّزوا عن غيرهم بما شاهدوه من القرائن والأحوال حين النزول، أو تفسيره بما نُقل عن التابعين؛ لأنهم تلقَّوا ذلك غالباً عن الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

وبناءً على ما سبق، فالمأثور –كما يُفهم من التعريف السابق – هو القرآن الكريم، وسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلُّ ما نُقِل عن الصحابة الكرام، وكلُّ ما نُقِل عن التابعين؛ لأنَّ المأثور –كما سبق في معناه اللغوي – هو المنقول الذي يرويه قرنٌ عن قرنٍ، وينقله

---

(١) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٥٢

(٢) وهذا ما سار عليه الأستاذ الدكتور نور الدين العتر، حيث قال: ((أما ما يُنقل عن التابعين، فبعض العلماء يعتبره من المأثور، وبعضهم يعتبره من التفسير بالرأي؛ ولكن كتب التفسير بالمأثور قد ضمَّت ما نُقل عن التابعين في التفسير، ولذلك نعتبره مدرجاً في التفسير المأثور)). علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٤

(٣) مناهل العرفان: ج ٢ ص ١٢

خلفٌ عن سلفٍ، ويخبر الناسُ به بعضهم بعضاً، وهذا ينطبق على الأنواع الأربعة السابقة الذكر؛ فالقرآن الكريم يُعرَّف اصطلاحاً بأنه:

((كلام الله المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته، المعجز ولو بسورةٍ منه))[(١)]، فمن صفات القرآن الكريم أنَّه منقول، نُقِل إلينا بالتواتر، أي أنَّ القرآن قد نقله جمعٌ عظيمٌ غفيرٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب، ولا وقوع الخطأ منهم صدفة، هذا الجمع الضخم ينقل القرآنَ عن جمعٍ مثله، وهكذا إلى النبي صلى الله عليه وسلم[(٢)].

لذلك عندما تكلم الدكتور محمد محمد أبو شهبة[(٣)] عن أقسام التفسير قال: ((التفسير المعتدُّ به عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً ينقسم إلى قسمين: الأول: التفسير بالمأثور، الثاني: التفسير بالرأي السديد، والاجتهاد الصحيح المبني على العلوم والمعارف...)). ثم بدأ بتعريف التفسير بالمأثور فقال: ((المأثور: اسم مفعولٍ من: أَثَرْتُ الحديثَ أَثْرَاً، من باب (قَتَلَ): نقلته، و(الأَثَر) بفتحتين: اسمٌ منه، وحديث مأثور، أي: منقول.

فالتفسير بالمأثور، أي: بالمنقول، سواءٌ أكان متواتراً أم غير متواتر، وعلى هذا: يشمل المنقول عن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم، والمنقول عن التابعين رحمهم الله، وعلى هذه الأنواع الأربعة يدور التفسير بالمأثور))[(٤)].

---

(١) علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٠

(٢) المرجع السابق: ص ١١

(٣) محمد محمد أبو شهبة: علامة بالحديث وعلوم القرآن، ولد بقرية (منية جناح) في كفر الشيخ بمصر عام (١٩١٤)، وتخرج في كلية أصول الدين، ونال درجة العالمية برتبة أستاذ، عُيّن مدرّساً في كلية أصول الدين عام (١٩٦٤)، ثم أُعير للتدريس في العديد من جامعات الدول العربية، ثم استقر في السعودية ينشر العلم في جامعة الملك عبد العزيز، وتوفي إثر عملية جراحية عام (١٩٨٣)، ومن مصنفاته: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، المدخل لدراسة القرآن الكريم، علوم الحديث، الوضع في الحديث أسبابه وأماراته، وغيرها من الكتب الهامة. انظر: ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين لأحمد العلاونة: ص (١٩٨-١٩٩)

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (٤٣-٤٤)

أمَّا المنقول عن أتباع التابعين فيدخل في باب المأثور لغةً؛ لأنَّ طريقه النقلُ والرواية أيضاً، أمَّا اصطلاحاً فلم أُدخِلْه في حدود بحثي؛ لأنَّ كلَّ من عرَّف التفسير بالمأثور –كما مرَّ معنا في كلام الزرقاني والذهبي وأبو شهبة – اقتصر على القرآن الكريم، والسنَّة النبوية، وما نُقل عن الصحابة والتابعين، أمَّا المنقول عن أتباع التابعين فما ذكره أحدٌ من العلماء عند كلامهم عن التفسير بالمأثور، بالإضافة إلى وقوع الخلاف في حجيَّة تفسير التابعين، وهم الذين تلقَّوا غالب تفاسيرهم عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فمن باب أولى ألَّا تدخل تفاسير أتباع التابعين في المأثور اصطلاحاً، وهم الذين لم يشاهدوا صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما سمعوا منهم.

وبعد أنَّ تبيَّن لنا أنَّ القرآن الكريم منقول، فكذلك كلُّ ما ورد عن المصطفى صلى الله عليه وسلم منقول، وكل ما ورد عن الصحب الكرام والتابعين فهو منقول، يرويه قرنٌ عن قرنٍ، وينقله خلفٌ عن سلفٍ؛ ويسمَّى أَثَراً على المعتمد عند المحدِّثين[1]، وطريق معرفتنا بهذه الآثار – أي المرويات – سواءٌ أكانت عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة الكرام، أو عن التابعين رحمهم الله تعالى إنما هو طريق الرواية والنقل.

وكذلك صار المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين عِلْماً قائماً بحدِّ ذاته، سمَّاه العلماء في كتب مصطلح الحديث عِلمَ الحديث روايةً، وعرَّفوه بقولهم: ((هو علمٌ

---

(١) يقول الأستاذ الدكتور نور الدين العتر – حفظه الله – وهو يتكلم عن تعريف الحديث والخبر والأثر: ((لكن المعتمد الذي عليه المحدِّثون أن يُسمّى كل هذا أثراً؛ لأنه مأخوذ من: أَثَرْتُ الحديثَ، أي: رَويته، ويؤيد ذلك إطلاق الحافظ العراقي على نفسه لقب "الأثري" بمعنى: المحدِّث، حيث قال في أول ألفيّته:

يقول راجي ربه المقتدر ... عبد الرحيم بن الحسين الأثري

وسمّى الحافظ ابن حجر كتابه في المصطلح: "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر"، وغير ذلك كثير يشهد لما قلناه، والحاصل: أنّ هذه العبارات الثلاثة: الحديث، الخبر، الأثر، تطلق عند المحدِّثين بمعنى واحد هو: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة خِلقية أو خُلُقية أو أضيف إلى الصحابي أو التابعي)). منهج النقد في علوم الحديث للدكتور نور الدين عتر: ص (٢٨-٢٩)

يشتمل على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفة خِلْقية وخُلُقية، وكذا ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوالهم وأفعالهم))[1].

وبعد تعريف المأثور لغةً واصطلاحاً نستطيع تعريف منهج الترجيح بالمأثور عند المفسِّرين بأنَّه: ((طريقة المفسِّر في تقوية بعض الأقوال على بعضٍ في تفسير الآية بما جاء في القرآن الكريم نفسِه من البيان والتفصيل لبعض آياته، أو بما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم، أو عن التابعين، من كلِّ ما هو بيانٌ وتوضيحٌ لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم)).

وبعد أن عرَّفتُ منهج الترجيح بالمأثور عند المفسِّرين، أنتقلُ للكلام عن موضوع في غاية الأهمية، وله ارتباطٌ وثيقٌ برواية المأثور، ألا وهو أسباب الضعف في رواية التفسير المأثور، وهذا ما خُصِّص له المبحث الآتي.

(١) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث للدكتور محمد محمد أبو شهبة: ص ٢٤، وانظر: شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لملا علي القاري: ص ١٥٦

المبحث الرابع

الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه

علمنا مما تقدَّم في المبحث السابق أنَّ التفسير بالمأثور يشمل ما كان تفسيراً للقرآن بالقرآن، وما كان تفسيراً للقرآن بما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم، أو عن التابعين.

أمَّا تفسير القرآن بالقرآن، أو بما ثبت من السنَّة الصحيحة المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك ممَّا لا خلاف في وجاهته وقَبوله؛ لأنَّه لا يتطرق إليه الضعف، ولا يجد الشكُّ إليه سبيلاً.

وأمَّا تفسير القرآن بما يُروى عن الصحابة الكرام أو عن التابعين، فقد تسرَّب إليه الخلل، وتطرَّق إليه الضعف، إلى حدٍّ كاد يُفقدنا الثقة بكل ما رُوي من ذلك، لولا جهود العلماء، حتى لقد نُقِل عن الإمام الشافعي[1] رضي الله عنه أنه قال: ((لم يثبت عن ابن عباس[2] في

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله المطلبي القرشي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وشيخ المذهب الشافعي، يعد مؤسس علم أصول الفقه، ولد بغزة سنة (١٥٠هـ)، نشأ بمكة، وأفتى وعمره خمس عشرة سنة، قصد المدينة المنورة، وأخذ عن الإمام مالك رحمه الله، وزار بغداد مرتين، وانتهى به المطاف في مصر، تصانيفه كثيرة، ومنها: الأم في الفقه، الرسالة في أصول الفقه، أحكام القرآن، المسند في الحديث... مات في مصر سنة (٢٠٤ هـ)، ودفن بسفح جبل المقطم بالقاهرة. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ١٠ ص ٥، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك لإبراهيم بن علي الطرسوسي: ص ٧٨، البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٠ ص ٢٥١، شذرات الذهب: ج ٢ ص ٩

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفهم في القرآن، فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وقد كُفَّ بصره في أواخر عمره، مات سنة (٦٨هـ) بالطائف، وهو من فقهاء الصحابة، وأحد المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة. انظر في ترجمته: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني: ج ٤ ص١٤١، تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ص ٣٠٩، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٣

في التفسير إلا شبيه بمائة حديث))[1]، وهذا العدد الذي ذكره الإمام الشافعي لا يكاد يُذكر بجوار ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنه من التفسير، وهذا يدلُّ على مبلغ ما دخل في التفسير المأثور من الروايات المكذوبة المصنوعة.

ونستطيع أن نجمل أسباب الضعف في أمورٍ ثلاثةٍ:

أولها: دخول الإسرائيليات.

ثانياً: كثرة الوضع في التفسير المأثور.

ثالثاً: حذف الأسانيد[2].

المطلب الأول: دخول الإسرائيليات:

والمراد بـ (الإسرائيليات): اللون اليهوديّ واللون النصراني في التفسير، وما تأثَّر به التفسير من الثقافتين اليهوديَّة والنصرانيَّة.

وإنما أطلقنا على جميع ذلك لفظ "الإسرائيليات"، من باب التغليب للجانب اليهوديِّ على الجانب النصرانيِّ، فإنَّ الجانب اليهوديَّ هو الذي اشتهر أمره، فكَثُرَ النقل عنه، وذلك لكثرة أهله، وظهور أمرهم، وشدَّة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن دخل الناس في دين الله أفواجاً.

فاليهود كانت لهم ثقافة دينية، وكذلك النصارى، وكلتا الثقافتين كان لها أثرٌ في التفسير إلى حدٍّ ما.

أمَّا اليهود، فإنَّ ثقافتهم تعتمد بشكل أساسي على التوراة، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنها من الكتب السماوية المنزَّلة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ [المائدة:٤٤]

---

(١) أورده السيوطي في الإتقان: ج ٤ ص ٤٩٨

(٢) انظر: مناهل العرفان: ج ٢ ص (١٨-٢٠)، التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٥٦- ١٨٣،٢٠١- ٢٠٣)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص (٧٤-٧٧)

وأمَّا النصارى فكانت ثقافتهم تعتمد غالباً على الإنجيل، وقد أشار القرآن إلى أنَّه من الكتب السماوية التي أوحى بها الله جلَّ جلاله إلى سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد:٢٧]

وإذا نحن أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثيرٍ مما اشتمل عليه القرآن الكريم، وبخاصة ما كان له تعلُّق بقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وذلك على اختلافٍ في الإجمال والتفصيل، فالقرآن عندما يعرِض لقصة من قصص الأنبياء – على سبيل المثال – نجد أنَّ منهجه في عرض القصة يختلف تماماً عن منهج التوراة والإنجيل، فتراه يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل الجزئيات، فلا يذكر تاريخ الوقائع، ولا أسماء البلدان التي حصلت فيها، كما أنه لا يذكر في الغالب أسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث، بل يتخيَّر من ذلك ما يمسُّ جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة، أمَّا في التوراة والإنجيل فعند عرض قصة من القصص التي اتفق في ذكرها القرآن والتوراة، أو القرآن والإنجيل نجد فيهما التعرض لجزئيات المسائل: كتاريخ الوقائع، وأسماء البلدان التي حصلت فيها، وأسماء الأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث(١).

أولاً: مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره:

نستطيع أن نقول: إنَّ دخول الإسرائيليات في التفسير أمرٌ يرجع إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم؛ وذلك نظراً لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل مع فارق واحد، وهو الإيجاز في القرآن، والبسط في التوراة والإنجيل، فكان الصحابيّ إذا مَرَّ على قصةٍ من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها، ولم يتعرَّض له، فلا يجد مَن يجيبه على سؤاله سوى هؤلاء النفر من أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا إلى أهله ما معهم من ثقافة دينية، غير أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم وإن تشوَّقوا لمعرفة التفاصيل، إلا أنهم لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٦٥-١٦٨)

شيء، مع توقفهم فيما يُلقى إليهم ما دام يحتمل الصدق والكذب، امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تصدِّقوا أهل الكتاب ولا تكذِّبوهم، وقولوا آمنَّا بالله وما أُنزل إلينا »[(١)]، فالصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن شيءٍ يتصل بالعقيدة، ولم يعدِلوا عمَّا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه إذا ثبت الشيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لهم أن يعدِلوا عنه إلى غيره، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يُشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، والبعضِ الذي ضُرِب به القتيل من البقرة، ومقدار سفينة نوح عليه الصلاة والسلام، ونوع خشبها، واسم الغلام الذى قتله الخضر... وغير ذلك.

كذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يُصدِّقون اليهود فيما يخالف الشريعة، أو يتنافى مع العقيدة، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأً، رَدُّوا عليهم خطأهم، وبيَّنوا لهم وجه الصواب فيه.

وهكذا لم يخرج الصحابة رضوان الله عليهم عن دائرة الجواز التي حدَّدها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: « بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار »[(٢)]، كما أنَّهم لم يخالفوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تصدِّقوا أهل الكتاب، ولا تكذِّبوهم، وقولوا آمنَّا بالله وما أنزل إلينا »، فالحديث الأول أباح أن يحدِّثوا عما وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب للعبرة والعظة بشرط أن يعلموا أنه ليس مكذوباً؛ لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعقل أن يبيح لهم رواية المكذوب. قال الحافظ ابن حجر[(٣)] عند شرحه لهذا الحديث: ((وقال الشافعي: من المعلوم أنَّ النبي صلى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء: رقم الحديث (٦٩٢٨)، ج ٦ ص ٢٦٧٩

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأنبياء، باب ما ذُكر عن بني إسرائيل: رقم الحديث (٣٢٧٤)، ج ٣ ص ١٢٧٥

(٣) شيخ الإسلام، حافظ العصر، شهاب الدين، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بابن حجر العسقلاني المصري الشافعي، ولد بمصر سنة (٧٧٣هـ)، حبّب الله إليه طلب الحديث، فأقبل عليه، وسمع الكثير، وطاف البلاد=

الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى: حدِّثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأمَّا ما تجوِّزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: إذا حدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذبوهم. ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه)) [1].

والحديث الثاني يُراد منه التوقف فيما يُحدِّث به أهل الكتاب مما يكون محتملاً للصدق والكذب؛ لأنه ربما كان صدقاً فيُكَذِّبونه، أو كذباً فيُصَدِّقونه، فيقعون بذلك في الحَرَج، أما ما خالف شرعنا فنحن في حِلٍّ من تكذيبه، وما وافقه فنحن في حِلٍّ من تصديقه؛ لأنه لم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه[2].

وأما ما روي عن عمر بن الخطاب[3] رضي الله عنه أنه: أتى النبيَ صلى الله عليه وسلم بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتب، فقال: يا رسول الله، إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال: فغضب، وقال: « أمتهوِّكون[4] فيها يا بن الخطاب؟! فو الذي نفسي

=حتى صار أمير المؤمنين في الحديث، ومقصد الطلاب من كل الأقطار، تصانيفه كثيرة مفيدة جامعة، ومنها: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، لسان الميزان، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، وغيرها... مات بمصر سنة (٨٥٢ هـ)، انظر في ترجمته: شذرات الذهب: ج ٧ ص (٢٧٠- ٢٧٣)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني: ج ١ ص (٨٧- ٩٢)

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج ٦ ص ٤٩٩

(٢) المرجع السابق: ج ٨ ص ١٧٠

(٣) أمير المؤمنين ،أبو حفص، عمر بن الخطاب القرشي العدوي، من السابقين الأولين، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كبار علماء الصحابة، وزهادهم، مناقبه وفضائله عظيمة كثيرة، استشهد سنة (٢٣هـ). انظر في ترجمته: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ج ٣ ص ١١٤٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١٠٨

(٤) أي: أمتحيرون أنتم في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى. غريب الحديث لابن سلَّام: ج ٣ ص ٢٩، وانظر: لسان العرب: ج ١٠ ص ٥٠٨

بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده لو كان موسى حيَّاً ما وَسِعَهُ إلا أن يتبعني » [(١)].

فهذا الحديث لا يعارض القول بالجواز؛ لأنَّ النهي الوارد هنا كان في مبدأ الإسلام، وقبل استقرار الأحكام، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، قال الحافظ ابن حجر: ((وكأنَّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار)) [(٢)(٣)].

أما التابعون: فقد توسَّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثرت في عهدهم الروايات الإسرائيلية لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميلِ نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهوديَّة أو نصرانيَّة، فظهرت في هذا العهد جماعة حشوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة كمقاتل بن سليمان[(٤)]، ثم جاء بعد عصر التابعين مَن عظم شغفُه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردُّون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كلَّ ما يُروَى لهم وإن كان لا يتصوره العقل!.

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار": كتاب الأدب، باب من كره النظر في كتب أهل الكتاب، رقم الحديث (٢٦٤٢١)، ج ٥ ص ٣١٢، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: مسند جابر بن عبد الله، رقم الحديث (١٥١٩٥)، ج ٣ ص ٣٨٧، وقال الهيثمي: ((وفيه: مجالد بن سعيد، ضعَّفه: أحمد، ويحيى بن سعيد، وغيرهما)). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي: ج ١ ص ١٧٤

(٢) فتح الباري: ج ٦ ص ٤٩٨

(٣) ويمكن دفع ما يُتوهم من التعارض بما نقله ابن بطال عن المهلَّب أنه قال: ((هذا النهي إنما هو في سؤالهم عمَّا لا نص فيه؛ لأنَّ شرعنا مكتفٍ بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غنىً عن سؤالهم، ولا يدخل في النهى سؤالُهم عن الأخبار المصدِّقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة)). فتح الباري: ج ١٣ ص ٣٣٤

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، أبو الحسن البلخي، دخل بغداد، وحدّث بها، وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور، كان يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن العزيز الذي يوافق كتبهم، وكان مشبِّهاً يشبِّه الربَّ بالمخلوقين، وكان يكذب مع ذلك في الحديث، توفي سنة (١٥٠هـ) بالبصرة، انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٥ ص (٢٥٥-٢٥٧)، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان: ج ٣ ص ١٤، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٠

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فَوُجِد من المفسِّرين مَنْ حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، الذي كاد يصدُّ الناسَ عن النظر فيها، والركون إليها[١].

وقد أشار ابن خلدون[٢] في مقدمته إلى أسباب الاستكثار من هذه المرويَّات الإسرائيلية، وكيف تسرَّبت إلى المسلمين، فقال رحمه الله: ((وقد جمع المتقدمون في ذلك – يعني التفسير المأثور – وأوعوا إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغثِّ والسمين، والمقبول والمردود، والسبب في ذلك أنَّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأُميَّة، وإذا تشوَّقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومَنْ تبع دينهم من النصارى... وهؤلاء مثل: كعب الأحبار[٣]، ووهب بن منبه[٤]، وعبد الله بن سلام[١]، وأمثالهم، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم،

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٦٩-١٧٧)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٥

(٢) قاضي القضاة، المؤرخ المالكي، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الأشبيلي أبو زيد، ولد بتونس سنة (٧٣٢هـ)، وبرع في العلوم، وتقدّم في الفنون، ومهر في الأدب والكتابة، تنقل في البلدان، وتولى القضاء فيها في المذهب المالكي، له مؤلفات تدل على سعة أفقه منها: (عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) في التاريخ سبع مجلدات أوّلها (المقدمة)، وهي تعدّ من أصول علم الاجتماع، طبيعة العمران، شرح قصيدة البردة، شفاء السائل لتهذيب المسائل ...مات بالقاهرة فجأة سنة (٨٠٨هـ). انظر في ترجمته: رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني: ص (٢٣٣-٢٣٨)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي: ص ١٥٤، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين للبغدادي: ج ٥ ص ٥٢٩، الأعلام للزركلي: ج ٣ ص ٣٣٠

(٣) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، أبو إسحاق، العلامة الحبر الذي كان يهودياً فأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس الصحابة، وكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الإسلام، متين الديانة، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه متوجهاً إلى الغزو سنة (٣٢هـ)، ودفن بحمص. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص (٤٨٩-٤٩٤)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ج ٢ ص (٣٧٧-٣٧٨)

(٤) الحافظ أبو عبد الله الصنعاني، الأخباري صاحب القصص، عالم أهل اليمن، ولد سنة (٣٤هـ)، كان ثقة صدوقاً من خيار التابعين، وكان كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات، صنَّف كتاب القدر ثم ندم على تصنيفه، وقال: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً من كتب الأنبياء في كلها: من جعل لنفسه شيئاً=

وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يُرجع إلى الأحكام، فيتُحرَّى فيها الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسِّرون في مثل ذلك، وملؤوا الكتب بهذه المنقولات، وأصلها – كما قلنا – عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بَعُد صيتهم، وعظمت أقدارهم؛ لما كانوا عليه من المقامات في الدين والمِلَّة، فتلقيت بالقبول من يومئذ...))[٢].

فابن خلدون –كما قال الدكتور محمد حسين الذهبي[٣]– أرجع الأمر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية، فعَدَّ من الاعتبارات الاجتماعية: غلبة البداوة والأُميِّة على العرب، وتشوُّقهم لمعرفة ما تتشوَّق إليه النفوس البشرية، من أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، وهم إنما يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم.

وعدَّ من الاعتبارات الدينية التي سوَّغت لهم تلقِّي المرويات في تساهل وعدم تحرٍّ للصحة: أنَّ مثل هذه المنقولات ليست ممَّا يرجع إلى الأحكام فيُتحرَّى فيها الصحة التي يجب بها العمل.

ثانياً: أثر الإسرائيليات في التفسير:

كان للإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب، وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثرٌ سيءٌ؛ لأنَّ الأمر لم يقف على ما كان في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، بل زاد ودخل فيه القصص الخيالي المخترع، مما جعل الناظر في كتب التفسير – التي هذا شأنها – يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها؛ لاعتقاده أنَّ الكلَّ من وادٍ واحدٍ، والحقيقة فإنَّ المكثرين من هذه

= من المشيئة فقد كفر، فتركت قولي. وله أيضاً كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم، وغير ذلك، مات وهو على قضاء صنعاء سنة (١١٤هـ). انظر في ترجمته: معجم الأدباء لياقوت الحموي: ج ٥ ص ٥٧٦، تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١ ص (١٠٠-١٠١)

(١) الحبر عبد الله بن سلام بن الحارث، أبو يوسف الإسرائيلي ثم الأنصاري، كان حليف الأنصار، وكان من بني قينقاع، أسلم وقت مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان اسمه الحصين، فسمّاه رسول الله عبد الله، وشهد له بالجنة، وكان عبد الله عالم أهل الكتاب، وفاضلهم في زمانه بالمدينة، مات بالمدينة في خلافة معاوية سنة (٤٣هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٤ ص (١١٨-١١٩)، الاستيعاب: ج ٣ ص (٩٢١-٩٢٣)

(٢) مقدمة ابن خلدون لابن خلدون الحضرمي: ص (٤٣٩-٤٤٠)

(٣) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٧٨

الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رَووه من قصصٍ مكذوبٍ، وأخبارٍ لا تصح[1].

ثالثاً: قيمة ما يُروى من الإسرائيليات:

تنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يُعلم صحته مما بأيدينا من القرآن والسنَّة[2]، أو كان له شاهدٌ من الشرع يؤيده، وهذا القسم صحيح مقبول، وتجوز روايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجَّة عليهم من كتبهم، وفي هذا القسم ورد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم: « بلِّغوا عنِّي ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار».

قال الحافظ ابن حجر: ((أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدَّم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسُّع في ذلك، وكأنَّ النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية، والقواعد الدينية؛ خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار))[3].

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٧٨-١٧٩) علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٦

(٢) وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه الصلاة والسلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند البخاري في صحيحه: ((قال ابن عباس: حدثني أبيُّ بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فَسُئِل: أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك....إلى أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ قال: رجعا يقُصَّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجّى ثوباً، فسلّم عليه موسى، فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام. قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلِّمني مما علِّمت رشداً... »))، والحديث ورد: في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾، رقم الحديث (٤٤٤٨)، ج ٤ ص (١٧٥٢-١٧٥٣)

(٣) فتح الباري: ج ٦ ص ٤٩٨

القسم الثاني: ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل[١]، وهذا القسم لا يصح قَبوله ولا روايته إلا مقترناً ببيان كذبه.

روي عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدثُ[٢]، تقرؤونه محضاً لم يُشَب[٣]، وقد حدَّثكم أنَّ أهل الكتاب بدَّلوا كتاب الله، وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: هو من عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أُنزل عليكم)) [٤].

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به، ولا نُكذِّبه، وتجوز حكايته لما تقدَّم من قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب، ولا تُكَذِّبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أُنزِلَ إلينا »، وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً، ويأتي عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى عليه الصلاة والسلام من أيِّ الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتعيين بعض البقرة الذي ضُرِب به قتيل بني إسرائيل، ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى عليه الصلاة والسلام... إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن، ولا فائدة في تعيينه تعود على المكلَّفين في دنياهم أو دينهم[٥].

---

(١) وذلك مثل ما ذكروه من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كقصة يوسف، وداود، وسليمان عليهم الصلاة والسلام، ومثل ما ذكروه في توراتهم من أنَّ الذبيح إسحاق؛ لا إسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

(٢) أي: آخر الكتب السماوية نزولاً من عند الله تعالى.

(٣) أي: لم يُخلط بغيره قط؛ لأنه محفوظ من التبديل، والزيادة. قال في "لسان العرب": ((الشّوبُ: الخَلْط. شَابَ الشيء شَوْباً: خَلَطَه، وشِبْتُه أشُوبُه: خَلَطْته، فهو مَشُوب)). لسان العرب: ج ١ ص٥١٠

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء: رقم الحديث (٦٩٢٩)، ج ٦ ص ٢٦٧٩

(٥) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (١٠٦-١٠٨)

أما إذا جاء عن أحد من الصحابة[1] – بطريق صحيح – شيءٌ مما سكت عنه الشرع، ولم يكن فيه ما يؤيده أو يمنعه، فإن كان قد جزم به فهو كالقسم الأول، يُقبل ولا يُردُّ؛ لأنَّه لا يعقل أن يكون قد أخذه عن أهل الكتاب بعد نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تصديقهم، وإن كان لم يجزم به فالنفس أسكن إلى قَبوله؛ لأنَّ احتمال سماع الصحابي له من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ممَّن سمعه منه، أقوى من احتمال السماع من أهل الكتاب، ولا سيَّما بعد ما تقرَّر من أنَّ أخذ الصحابة عن أهل الكتاب كان قليلاً بالنسبة لغيرهم من التابعين ومَن يليهم.

أمَّا إن جاء شيءٌ من هذا القبيل عن بعض التابعين، فهو مما يُتوقف فيه، ولا يُحكم عليه بصدق ولا كذب؛ لأنَّ احتمال السماع من أهل الكتاب احتمال قوي؛ لما عُرف به التابعون من كثرة الأخذ عنهم، واحتمال كونه مما سُمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمال بعيد، وهذا إذا لم يتفق أهل الرواية من علماء التفسير على ذلك، أما إذا اتفقوا فإنه يكون أبعد من أن يكون مسموعاً من أهل الكتاب، وحينئذٍ تسكن النفس إلى قَبوله والأخذ به، والله أعلم[2].

رابعاً: موقف المفسِّر إزاء الإسرائيليات:

يجب على المفسِّر أن يكون يقظاً، ناقداً، حتى يستطيع أن يستخلص من الإسرائيليات ما يناسب روح القرآن، ويتفق مع العقل والنقل، كما يجب عليه أن لا ينقل عن أهل الكتاب إذا كان في سنَّة المصطفى صلى الله عليه وسلم بيان لمجمل القرآن، فمثلاً: في قوله تعالى في حق سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

(١) أي الصحابي الذي لم يكن قبل إسلامه من أهل الكتاب.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٨٠

﴿٣٤﴾ [ص:٣٤] ينبغي ألا تذكر قصة صخر المارد[١]، وهناك بيان في السنَّة النبوية الصحيحة، وهو قصة ترك "إن شاء الله" والمؤاخذة عليه[٢].

---

(١) القصة أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة، ونصها: ((أنَّ سليمان أمر ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال: فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إنّ شيطاناً في البحر يقال له صخر شبه المارد، قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها، وجعل فيها خمر، فجاء يوم وروده، فإذا هو بالخمر، فقال: إنك لشراب طيب، إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً، ثم أتاها، فقال: إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم، وتزيدين الجاهل جهلاً، قال: ثم شربها حتى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم، أو ختم به بين كتفيه، فذلّ، قال: فكان مُلكه في خاتمه، فأتى به سليمان، فقال: إنّا قد أمرنا ببناء هذا البيت، وقيل لنا: لا يسمعنّ فيه صوت حديد، قال: فأتى ببيض الهدهد، فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها، فجعل يرى بيضه، ولا يقدر عليه، فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه، فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه، فأخذ الماس، فجعلوا يقطعون به الحجارة، فكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمّام لم يدخلها بخاتمه، فانطلق يوماً إلى الحمّام، وذلك الشيطان صخر معه، وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه، قال: فدخل الحمام، وأعطى الشيطان خاتمه، فألقاه في البحر، فالتقمته سمكة، ونزع مُلك سليمان منه، وألقي على الشيطان شبه سليمان، قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلّط على ملك سليمان كله غير نسائه، قال: فجعل يقضي بينهم، وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا: لقد فتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبّهونه بعمر بن الخطاب في القوة، فقال: والله لأجرّبنه، قال: فقال له: يا نبي الله – وهو لا يرى إلا أنه نبي الله – أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة، فيدع الغسل عمداً حتى تطلع الشمس، أترى عليه بأساً؟ قال: لا، قال: فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة، فأقبل فجعل لا يستقبله جنّي ولا طير إلا سجد له، حتى انتهى إليهم، ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ قال: هو الشيطان صخر)). جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري: ج ٢٣ ص (١٥٧-١٥٨)

(٢) القصة أخرجها الإمام البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنَّ الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين كلُّهن يأتي بفارسٍ يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشقِّ رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون ». والحديث ورد في كتاب: الجهاد والسير، باب: من طلب الولد للجهاد: رقم الحديث (٢٦٦٤)، ج ٣ ص ١٠٣٨

كذلك يجب على المفسِّر أن يضع نصب عينيه أنَّ الضرورة تقدَّر بقدرها، فلا يذكر في تفسيره شيئاً من ذلك إلا بقدر ما يقتضيه بيان الإجمال.

أما إذا اختلف المتقدمون في شيء من هذا القبيل، وكثرت أقوالهم ونقولهم، فلا مانع من نقل المفسِّر لهذه الأقوال جميعاً، على أن ينبِّه على الصحيح منها، ويبطِل الباطل، وليس له أن يحكي الخلاف ويُطلقه، دون أن ينبّه على الصحيح من الأقوال؛ لأنّ مثل هذا العمل يُعَد ناقصاً لا فائدة فيه، ويضع أمام القارئ من الأقوال المختلفة ما يسبب له الحيرة والاضطراب، على أنّ من الخير للمفسِّر أن يُعرِض كل الإعراض عن هذه الإسرائيليات، وأن يُمسك عما لا طائل تحته مما يُعَدّ صارفاً عن القرآن، وشاغلاً عن التدبر في حكمته وأحكامه[1].

المطلب الثاني: كثرة الوضع في التفسير المأثور:

أولاً: نشأة الوضع في التفسير:

نشأ الوضع في التفسير المأثور مع نشأته في الحديث؛ لأنَّهما كانا أول الأمر مزيجاً لا يستقل أحدهما عن الآخر، فأول ما دُوِّن من التفسير هو التفسير المأثور، وكان رجال الحديث والرواية هم أصحاب الشأن الأول في هذا، حيث كان التفسير يُكتب على أنَّه باب من أبواب الحديث المختلفة، يَجمع فيه رجال الحديث والرواية ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين، ثم انفصل التفسير عن الحديث، فأُلِّفت في القرن الثاني تفاسير جمعت أقوال الصحابة والتابعين، كتفسير سفيان بن عيينة[2]، ووكيع بن الجراح[3]، وشعبة بن الحجَّاج[1] وغير ذلك، وقد جمعها ابن جرير الطبري في تفسيره الكبير.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٨١-١٨٣)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٦

(٢) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ولد في شعبان سنة (١٠٧هـ)، كان ثقة حافظاً فقيهاً حجة، وكان إماماً في التفسير، وله تفسير القرآن، وكانت وفاته بمكة في رجب سنة (١٩٨هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص ٢٤٥، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٣

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرُؤاسي، الإمام أبو سفيان الكوفي، ولد سنة (١٢٩هـ)، كان ثقة حافظاً مفسِّراً عابداً، مات في سنة (١٩٧هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص٥٨١، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٢

وكان مبدأ ظهور الوضع حوالي سنة أربعين للهجرة، حين اختلف المسلمون سياسيًّاً، وتفرَّقوا إلى شيعة[٢] وخوارج[٣] وغير ذلك، ووُجِدَ من أهل البدع والأهواء مَنْ تعصبَّوا لأهوائهم، وأرادوا أن يُروِّجوا لبدعهم، فاستباح بعض هؤلاء لأنفسهم أن يؤيِّدوا أهواءهم ومذاهبهم بما يقوِّيها، فما وجد هؤلاء إلا باب الحديث بأنواعه من أحكام، وتفسير، وسير، وغيرها، فولجوا منه، ووضعوا رواياتهم الباطلة المكذوبة، ليصلوا بها إلى أغراضهم الدنيئة، فكان نتيجة ذلك أن دخل على الحديث – ومنه التفسير – بلاءٌ غير قليل، وكان مبدأ ذلك في عصر صغار الصحابة وكبار التابعين.

كما دخل في الإسلام مَن أضمر الكفر وأظهر الإسلام؛ بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم الدنيئة، ورغباتهم الخبيثة[٤].

---

(١) شعبة بن الحجّاج بن الورد العتكي مولاهم، أبو بسطام الواسطي، ثم البصري، ولد سنة (٨٢هـ)، كان ثقة حافظاً متقناً مفسِّراً عابداً، وكان الثوري – رحمه الله – يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث. وهو أول من فتَّش بالعراق عن الرجال، وذبَّ عن السنَّة، مات بالبصرة سنة (١٦٠هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص٢٦٦، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص٩٠، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٠

(٢) الشيعة: هم الذين شايعوا عليًّاً – رضي الله عنه – وقالوا بإمامته وخلافته نصًّاً ووصيةً إمَّا جليّاً، وإمَّا خفيًّاً، واعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا بأنَّ الإمامة هي ركن الدين الذي لا يجوز للرسل إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة، وهم ثلاثة أصناف عند الأشعري: الشيعة الغالية، والشيعة الزيدية، والشيعة الإمامية وهم الرافضة، وكل صنف ينقسم إلى فرق. انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية تأليف الدكتور: عبد المنعم الحفني: ص ٢٦٥

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب– رضي الله عنه – في صِفين بعد قبول التحكيم، وأجمعوا على أمرين لا مزيد عليهما: الأول: تكفير عليٍّ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحَكَمين، وكل من رضي بهما، وكل هؤلاء في زعمهم كفروا، الثاني: كل من أذنب ذنباً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وخالد في النار، إلا جماعة منهم يُقال لهم: النجدات، قالوا: إنَّ الفاسق كافرٌ على معنى: أنه كافر نعمة ربه، ويُقال للخوارج أيضاً: الحرورية، والنواصب، والشُراة. انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٢١٥–٢١٦)

(٤) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٥٧–١٥٨)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (٢٠–٢٣)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٤

ثانياً: أسباب الوضع في التفسير:

يرجع الوضع في التفسير إلى أسباب متعددة:

١- الخلافات السياسيّة:

فقد سوَّلت هذه الخلافات لأرقاء الدِّين، وضعفاء الإيمان أن يضعوا أحاديث في فضائل متبوعيهم، وفي مثالب مخالفيهم، وفيها ما يتعلق بتفسير بعض آيات القرآن، وبأسباب النزول، وذلك: كما فعل الشيعة – ولا سيما الروافض – فقد وضعوا في فضل سيدنا عليٍّ[١] – رضي الله عنه – وآله أحاديث كثيرة، ونسبوا إليه كلَّ علم وفضل، كما وضعوا أحاديث في ذمِّ كبار الصحابة[٢] رضوان الله عليهم أجمعين.

وكذلك فعل أنصار العباسيين، فقد وضعوا على عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – روايات كثيرة، ولا سيما في تفسير القرآن، وصوَّروه بصورة العالم بكلِّ شيء، وقوَّلوه ما لم يقل، كما وضعوا أحاديث في مثالب الأمويين[٣] وذمِّهم، وقابلهم أنصار الأمويين بالمثل.

---

(١) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، القرشي، الهاشمي، أبو الحسن، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة الزهراء، أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، وتربّى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الخلفاء الراشدين، وفضائله ومناقبه كثيرة وعظيمة، قُتل في رمضان سنة (٤٠هـ)، والذي وَلِيَ قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم المرادي. انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد: ج ٦ ص١٢، الإصابة: ج ٤ ص (٥٦٤-٥٦٩)

(٢) كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وغيرهم.

(٣) الأمويون: بيت عربي من الخلفاء والحكام الذين أسسوا الدولة الأموية في المشرق، والدولة الأموية في الأندلس، ينتسبون إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسس الدولة الأموية في المشرق: معاوية بن أبي سفيان سنة (٤٠هـ)، واتخذ دمشق عاصمة لخلافته، واستمرت الدولة الأموية في المشرق حتى سنة (١٣٢هـ)، حيث سقطت الدولة الأموية إثر نجاح الدعوة العباسية في الاستيلاء على خراسان، وهزمت جيوش العباسيين مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين في المشرق، أما الدولة الأموية في الأندلس فقد أسسها: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام سنة (١٣٨هـ)، وحكمت في الأندلس حتى سنة (٤٢٣هـ)، حيث شهدت الأندلس في ظل الدولة الأموية أرقى مظاهر الحضارة. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٢ ص (٤٤٣-٤٤٥)

وإذا ما نظرنا في كمِّ المرويَّات عن سيدنا عليٍّ، وسيدنا عبد الله بن عباس – رضي الله عنهم أجمعين – وجدنا أنها كثيرة جداً بالمقارنة مع المرويَّات عن غيرهما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك نستطيع أن نقول بأنه قد وُضع عليهما في التفسير أكثر مما وُضِع على غيرهما؛ لأنهما – رضي الله عنهما – كانا من بيت النبوة، فالوضع عليهما يُكسب الموضوع ثقة وقبولاً، وتقديساً ورواجاً، أكثر من الوضع على غيرهما، وفوق هذا فقد نسبت الشيعة لسيدنا عليٍّ رضي الله عنه أقوالاً في التفسير ظنَّاً منهم أنَّ هذا يُعلي من قدره، ويرفع من شأنه، أما عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فقد كان من نسله الخلفاء العباسيون، فوُجِد من الناس مَنْ تزَّلف إليهم بكثرة ما يرويه لهم عن جدِّهم عبد الله بن عباس، وهذا يشير إلى أنَّ الطابع السياسي كان له أثر ظاهر في الوضع في التفسير.

٢- التعصُّب المذهبي:

فبعد أنَّ افترقت الأمة الإسلامية سياسيَّاً إلى شيعة غالوا في حُبِّ سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، وخوارج انصرفوا عنه وناصبوه العداء، وجمهور المسلمين الذين توسطوا بين هاتين الطائفتين فلا إفراط ولا تفريط في حق ومكانة أمير المؤمنين سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، بعد ذلك بدأت كلُّ طائفة تؤيد مذهبها بشيء من القرآن، فنسب الشيعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى عليٍّ وغيره من أهل البيت – رضي الله عنهم – أقوالاً كثيرة من التفسير تشهد لمذهبهم، وكذلك فعل الخوارج، وغيرهم من الفرق المنحرفة، فنسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أحد أصحابه أقوالاً من التفسير تشهد لمذهبهم أيضاً، وكان قصد كل فريق من نسبة هذه الموضوعات إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى أحد أصحابه، الترويج للمرويِّ، والإمعان في التدليس، وإعطاء المرويِّ ثقة وقبولاً بين الناس.

٣- الكيد للإسلام من قبل أعدائه:

فقد دخل في الإسلام – من الزنادقة[١] – مَن أضمر الكفر، وأظهر الإيمان؛ بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فبعد أن عجز هؤلاء عن أن ينالوا من هذا الدِّين عن طريق الحرب والقوة، أو عن طريق البرهان والحُجَّة، عمدوا إلى الدسِّ والوضع في التفسير، فوضعوا روايات باطلة ومكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو على الصحابة، والتابعين، وفسَّروا بها بعض الآيات القرآنية؛ ليصلوا بها إلى أغراضهم الخبيثة، فجاء من لا يعلم الحقيقة، فطعن في الإسلام بسبب هذه المرويات الباطلة[٢].

٤- القُصَّاص:

وهي فئة من الناس تجلس في المساجد، وتقصُّ القصص، وتُذكِّر الناس، وترغِّبهم، وترهِّبهم، ولما كان هؤلاء ليسوا من أهل العلم بالحديث، وكان غرضهم من ذكر القصص استمالةَ العوام، فقد اختلقوا بعض القصص الباطل، وروَّجوا البعض الآخر بذكرهم له، وفي هذا الكثير من الإسرائيليات والخرافات والأباطيل، وقد تلقَّفها الناس منهم؛ لأنَّ من طبيعة العوام الميل إلى العجائب والغرائب.

ومن هؤلاء القُصَّاص من كان يبتغي الشهرة والجاه بين الناس، ومنهم من كان يقصد التعيش والارتزاق، ومنهم من كان سيء النية خبيث الطوية، يقصد الإفساد في الدين، وحجب جمال القرآن بما يفسره به من أباطيل وخرافات.

---

(١) قال ابن منظور في "لسان العرب": ((الزِنْدِيق: القائل ببقاء الدهر، فارسيٌّ مُعرَّب ... الزنديق معروفٌ، وزندقته: أنه لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق .... الزنديق: من الثنوية، وهو مُعرَّب، والجمع: الزنادقة، وقد تزندق، والاسم: الزندقة)). ج ١٠ ص ١٤٧، وجاء في "الموسوعة العربية الميسرة": المجلد ٤ ص ١٧٤٥: ((الزنديق: معرَّب عن الفارسية... استعمله المسلمون أولاً في الدلالة على القائلين بالأصلين: النور والظلمة على مذهب المانوية وغيرهم من الثنوية، ثم اتسع معناه فشمل الدهريين والملحدين، وسائر أصحاب المعتقدات الضالة، بل أُطلق على المتشككين، وكلِ متحرر عن أحكام الدين فكراً وعملاً)).

(٢) انظر هذه الأسباب في: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٥٨-١٥٩)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (٨٦-٩١)

وقد حدثت بدعة القصِّ في آخر عهد سيدنا عمر رضي الله عنه[1]، وقد كان مُلهماً حقاً، حينما أبى أن يَقُصَّ قاصٌّ في المسجد، وفيما بعد صار حرفة، ودخل فيه من لا خلاق له في العلم، وقد ساعدهم على الاختلاق: أنهم لم يكونوا من أهل الحديث والحفظ، وغالب من يحضرهم جُهَّال، فجالوا وصالوا في هذا الميدان، وأتَوا بما لا يقضى منه العجب، وهكذا كان القُصَّاص مصدر شر وبلاء على الإسلام والمسلمين.

٥- بعض الزُّهاد والمتصوِّفة[2]:

فقد استباح هؤلاء لأنفسهم وضع الأحاديث والقصص في الترغيب والترهيب، ونحوهما، وتأوَّلوا الحديث المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار »[3]، وقالوا: نحن نكذب لرسول الله صلى الله عليه

---

(١) روى ابن شبة النميري البصري بسنده عن ابن شهاب قال: ((أول من قصَّ في مسجد رسول الله تميم الدَّاري، استأذن عمر رضي الله عنه أن يذكر الله مرة، فأبى عليه، ثم استأذن أخرى، فأبى عليه حتى كان آخر ولايته، فأذن له أن يُذَكِّر يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر رضى الله عنه، فاستأذن تميم رضي الله عنه في ذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه، فأذن له أن يُذَكِّر يومين من الجمعة، فكان تميم يفعل ذلك)). تاريخ المدينة لابن شبة: ج ١ ص ١١

(٢) المتصوِّفة أو الصوفيَّة: هم قوم عكفوا على عبادة الله، وزهدوا في هذه الدنيا، وكان ذلك حال الصحابة والسلف، فلما أقبل الناس على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفيّة والمتصوِّفية، واختُلف في سبب تسميتهم بذلك، فقيل: نسبة للصُّفة التي كانت بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفقراء المهاجرين، وقيل: نسبة إلى الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم، وإقبالهم على الله بقلوبهم، وقيل: نسبة إلى الصوف؛ لأنه لباسهم غالباً لكونه أقرب إلى الخمول والتواضع والزهد، ولكونه لباس الأنبياء، ومنهم من قال: من الصفا، ومنهم من قال: من بني صوفة، وهم جماعة من العرب كانوا يتزهدون ويتقللون من الدنيا، فنسبت هذه الطائفة إليهم، وقال القشيري: ((وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والأظهر فيه: أنه كاللقب..))، ولكن إن قيل بالاشتقاق فالأظهر أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه؛ لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف. انظر: الرسالة القشيرية للإمام القشيري: ص ٣١٢، الأنساب للسمعاني: ج ٣ ص ٥٦٦، مقدمة ابن خلدون: ص ٤٦٧، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص ٢٧٩

(٣) سبق تخريجه في الصفحة ٢٤

وسلم ولا نكذب عليه، ولم يعلم هؤلاء الجُهَّال أنه من قال على النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يَقُل، فقد كذب عليه، واستحق الوعيد الشديد[١][٢].

وهذا جهلٌ منهم باللغة العربية والشرع، فكلُّ ذلك كذبٌ على المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الكذب هو عدم مطابقة الخبر للواقع[٣]، فكلُّ من ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو إلى الصحابة، أو إلى التابعين ما لم يقولوه، فقد كذب عليهم، وعن طريق هؤلاء دخل في التفسير شيءٌ كثير[٤].

ثالثاً: أثر الوضع في التفسير:

كان من وراء الدسِّ والوضع في التفسير المأثور، أن ضاع كثير من هذا التراث العظيم الذي خلَّفه لنا أعلام المفسِّرين من السَلَف؛ لأنَّ ما أحاط به من شكوك، أفقدنا الثقة به، وجعلنا نردُّ كل رواية تطرَّق إليها شيء من الضعف، وربما كانت صحيحة في ذاتها.

كما أن اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها، جعل بعض مَنْ ينظر فيها – وهو ليس من أهل التمييز بين الصحيح والعليل – جعله ينظر إلى جميع ما رُويَ بعين واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وَجَد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسِّر واحد

---

(١) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدمشقي: ص ١١٤

(٢) قال الحافظ ابن حجر: ((وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فَحَكَمَ بكفر من وقع منه ذلك، وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه، وجَهِلَ من قال من الكرَّامية، وبعض المتزهِّدة: إنَّ الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم يجوز فيما يتعلق بتقوية أمر الدين، وطريقة أهل السنة، والترغيب والترهيب، واعتلوا بأنّ الوعيد ورد في حق من كذب عليه لا في الكذب له، وهو اعتلال باطل؛ لأنّ المراد بالوعيد: من نقل عنه الكذب سواء كان له أو عليه، والدِّين – بحمد الله – كاملٌ غير محتاج إلى تقويته)). فتح الباري: ج ٦ ص ٤٩٩

(٣) قواعد الفقه للبركتي: ص ٤٤٠

(٤) انظر السببين الأخيرين في: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (٨٦-٩١)

فيتهمه بالتناقض في قوله، ويُتهم المسلمون – بعد ذلك – بقبول هذه الروايات المتناقضة المتضاربة! [1].

المطلب الثالث: حذف الأسانيد[2][3]:

كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم من أشدِّ الناس حرصاً على صيانة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أدائه وفق ما سمعوه كما أمرهم بذلك القرآن، وربَّاهم عليه النبي العدنان – عليه أفضل الصلاة وأتم السلام – من الصدق والتثبت في كل شيءٍ عامَّة، وفي الحديث النبوي خاصَّة، فكانوا – رضوان الله عليهم – يتثبَّتون من صحة الرواية عند تحمُّلها وعند أدائها؛ لأنَّ الله تعالى زجر عن الكذب زجراً شديداً، فقال عزَّ من قائل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النحل:١٠٥]، ولما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار »[4]، وكانوا – رضوان الله عليهم – يتلقَّون

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٥٩-١٦٠)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٧

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٢٠١-٢٠٢)، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص (٩٣)، السنة قبل التدوين للدكتور محمد عجاج الخطيب: ص (٢٢٠-٢٢٣)، السنة المطهرة والتحديات للدكتور نور الدين عتر: ص (١٤١-١٤٦)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٧٧

(٣) الأسانيد جمع إسناد، والإسناد في اصطلاح المحدثين: هو رفع الحديث إلى قائله، وأما السَّند: فهو الإخبار عن طريق المتن، أي: هو رواة الحديث الذين وصلنا متن الحديث عن طريقهم، وقال ابن جماعة: ((وأخْذه إما من السَّند، وهو: ما ارتفع وعلا من سفح الجبل؛ لأنّ المسنِدَ يرفعه إلى قائله، أو من قولهم: فلان سَنَدٌ، أي: معتمد، فسمّى الإخبار عن طريق المتن سنداً؛ لاعتماد الحفّاظ في صحة الحديث وضعفه عليه)). وقال الطِّيبي: ((وهما – أي: الإسناد والسَّند – متقاربان في معنى اعتماد الحفّاظ في صحة الحديث وضعفه عليهما)). وقال ابن جماعة: ((المحدِّثون يستعملون السَّند والإسناد لشيء واحد)). انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للإمام السيوطي: ج ١ ص (٢٧-٢٨). ولكنَّ الإسناد أعمُّ من السَّند؛ فالإسناد يُطلق على سلسلة الرواة الموصلة الى المتن، فيكون بذلك مرادفاً للسَّند، ويكون بمعنى عزو الحديث الى قائله فهو أعمُّ. أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء للباحث ماهر ياسين الفحل: ص ٥٠

(٤) سبق تخريجه في الصفحة ٢٤

الحديث عن بعضهم البعض، ويصدِّق بعضهم بعضاً، ولا يَتَّهمون أحداً منهم في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يُعرف عن الصحابة أنهم كانوا يسألون عن الإسناد؛ لما عُرفوا به جميعاً من العدالة في الدِّين، هذه العدالة التي نطق بها كتاب الله تعالى، فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال عزَّ من قائل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، ونطق بهذه العدالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم... »(١)، وقال أيضاً: « لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نَصِيفَه »(٢).

وإذا كان الأمر قد وصل ببعض الصحابة إلى أنَّه كان لا يقبل الحديث إلا بعد أن تَثْبت عنده صحته بالشهادة أو اليمين كما دلَّت على ذلك الآثار الكثيرة؛ فإنَّ الغرض من ذلك هو زيادة التأكد والتثبُّت، لا عدم الثقة بمن يروون، فقد روي أنَّ عمر رضي الله عنه لما ضاق المسجد بالمسلمين، واشترى عمر ما حوله من الدُّور من أجل أن يوسِّع على المسلمين في

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد: رقم الحديث (٢٥٠٩)، ج ٢ ص ٩٣٨، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنهم، ومن صحب النبي صلى الله عليه وسلم، أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه: رقم الحديث (٣٤٥١)، ج ٣ ص ١٣٣٥، وفي كتاب: الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها: رقم الحديث (٦٠٦٥)، ج ٥ ص ٢٣٦٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم: رقم الحديث (٢٥٣٣)، ج ٤ ص ١٩٦٣، والحديث صرَّح بتواتره الحافظ ابن حجر في كتاب "الإصابة في تمييز الصحابة": ج ١ ص ١٣

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت مُتَّخِذاً خليلًا: رقم الحديث (٣٤٧٠)، ج ٣ ص ١٣٤٣، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: رقم الحديث (٢٥٤١)، ج ٤ ص ١٩٦٧، وقد ورد بلفظ: « لا تسبُّوا أحداً من أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم، ولا نصيفه »، وانظر في نفس الباب الحديث رقم (٢٥٤٠)

مسجدهم، ورفض العباس بن عبد المطلب[١] رضي الله عنه أن يبيع داره، فاحتكما إلى أُبيٍّ ابن كعب[٢] رضي الله عنه، فروى لعمر حديث بناء بيت المقدس[٣]، فقال له عمر: لتأتينِّي على ما تقول ببيِّنة، فخرجا فإذا ناس من الأنصار، فذكر لهم، قالوا: قد سمعنا هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أما إني لم أتهمك، ولكن أحببت أن أتثبَّت[٤].

ثم لما وقعت الفتنة التي انتهت بمقتل سيدنا عثمان بن عفَّان[٥] رضي الله عنه، وتكوَّنت الفرق والأحزاب، وبدأ الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يُتَّخَذُ مطية لأهل الأهواء، وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف، وأصبحوا يُشدِّدون في طلب الإسناد من الرواة، والتزموه في الحديث؛ لأنَّ السند للخبر كالنسب للمرء، رُوي عن محمد بن سيرين[٦] أنَّه قال: ((لم يكونوا يسألون عن

---

(١) العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو الفضل، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولد قبل الفيل بثلاث سنين، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم، ثم أسلم وكتم إسلامه، وصار يكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالأخبار، شهد فتح مكة، وثبت يوم حنين، وكان من أعظم الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان الصحابة يعترفون بفضله ويشاورونه ويأخذون برأيه، مات بالمدينة سنة (٣٢هـ). انظر في ترجمته: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤ ص (٥-٣٣)، الإصابة: ج ٣ ص ٦٣١

(٢) أُبيّ بن كعب الأنصاري الخزرجي النجاري، أبو المنذر، ويكنى أبا الطفيل، سيد القراء، من فضلاء الصحابة، كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وهو أول من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم، مناقبه كثيرة، وكان عمر يسمّيه سيد المسلمين، اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً، قيل: سنة (١٩هـ)، وقيل: سنة (٣٠هـ)، وقيل: سنة (٣٢هـ)، وقيل غير ذلك. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ١ ص ٢٧، الاستيعاب: ج ١ ص (٦٥-٧٠)

(٣) والحديث رواه ابن سعد بطوله في "الطبقات الكبرى": ج ٤ ص (٢١-٢٢)

(٤) تذكرة الحفاظ: ج ١ ص ٨

(٥) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، القرشي الأموي، أبو عبد الله، أمير المؤمنين، ذو النورين، أحد السابقين الأولين، وثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، مناقبه عظيمة، وفضائله كثيرة، استشهد سنة (٣٥هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٤ ص (٤٥٦-٤٥٨)، الاستيعاب: ج ٣ ص (١٠٣٧-١٠٥٣)

(٦) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، مولى أنس بن مالك رضي الله عنه، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضي الله عنه، تابعي جليل، كان من أورع أهل البصرة، وكان فقيهاً فاضلاً، حافظاً متقناً، يعبّر=

الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمُّوا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنَّة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)) [1].

وهذا لا يدلُّ على أنَّ الصحابة والتابعين لم يكونوا يُسنِدون الأحاديث قبل الفتنة، بل كان بعضهم يُسند ما يروي تارة، ولا يُسنده أخرى؛ لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والإخلاص[2]، وكذلك فإنَّ الإسناد لم يكن طَارِئاً وجديداً على العرب بعد الإسلام، بل عرفوه قبل الإسلام، وكانوا أحيانًا يسندون القصص والأشعار في الجاهلية، وإنما التُزِمَ هذا التثبت في الإسناد بعد الفتنة في عهد صغار الصحابة[3] وكبار التابعين، فقد ورد أنَّ بُشيراً العدويّ[4] جاء إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – فجعل يُحدِّث ويقول: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس، ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أُحدِّثك عن

=الرؤيا، رأى ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة (١١٠هـ). انظر في ترجمته: البداية والنهاية: ج ٩ ص٢٦٧، الثقات لأبي حاتم البستي: ج ٥ ص (٣٤٨-٣٤٩)، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (٧٧-٧٨)

(١) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: باب بيان أنَّ الإسناد من الدِّين: ج ١ ص ١٥

(٢) وهناك أمثلة واضحة تبيِّن إسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة، فمن ذلك: ما رواه الخطيب البغدادي بسنده عن البراء قال: ((حدثني علي بن أبي طالب أنَّ فاطمة أخبرته أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أنّ تَحِلَّ، فَحَلَّتْ ونضحت البيت بنَضُوح)). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي: ج ٢ ص ٢٦٩، وكان أبو أيوب الأنصاري – رضي الله عنه – يُحدِّث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قيل له: ((تُحدِّث عن أبي هريرة وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنه قد سمع، ولأن أُحدِّث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليّ من أن أُحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [يعني: ما لم أسمعه منه])). موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي: ج ٢ ص ١٣٦، البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٠٩

(٣) أي: الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة.

(٤) بُشير بن كعب، أبو أيوب العدوي البصري العابد، أحد المخضرمين، من الطبقة الثانية، وثّقه النسائي وغيره، وكان أحد القراء والزهاد. انظر: سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص ٣٥١ ، تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٢٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع، فقال ابن عباس: إنَّا كنَّا مرة[١] إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصَّعب والذَّلول[٢]، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف))[٣].

ثم حين فشا الكذب بين الناس، وظهر الوضع في الروايات، أخذ التابعون يطلبون الإسناد عند رواية كل حديث[٤]، وكانوا وأتباعهم يتواصون بطلب الإسناد، قال سفيان الثوري[٥]: ((الإسناد سلاح المؤمن، إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل))[٦]، وقال عبد الله بن بن المبارك[٧]: ((الإسناد عندي من الدِّين، لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، فإذا قيل له:

---

(١) أي: فترة من الزمان، قبل وقوع الفتنة.

(٢) قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: ((وأصل الصعب والذلول في الإبل، فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه، فالمعنى: سلك الناس كل مسلك مما يُحمد ويُذمّ...)). شرح النووي على صحيح مسلم: ج ١ ص ٨٠

(٣) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه: باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، والاحتياط في تحملها: ج ١ ص ١٣

(٤) روى ابن عبد البر بسنده عن الشعبي عن الربيع بن خُثيم قال: ((من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات كان له كعتق رقابٍ أو رقبة. قال الشعبي: فقلت للربيع بن خُثيم: من حدَّثك بهذا الحديث؟ فقال: عمرو بن ميمون الأودي، فلقيت عمرو بن ميمون، فقلت: من حدَّثك بهذا الحديث؟ فقال: عبدالرحمن بن أبي ليلى، فلقيت ابن أبي ليلى، فقلت: من حدَّثك؟ قال: أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم)). قال ابن عبد البر: ((فعلى هذا كان الناس على البحث عن الإسناد)).اهـ. التمهيد لابن عبد البر: ج ١ ص ٥٥، وقال يحيى بن سعيد: ((وهذا أول ما فُتِّش عن الإسناد)). المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي: ص ٢٠٨

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة (٩٧هـ)، كان ثقة حافظاً فقيهاً عابداً حجة، وقال شعبة وغير واحد: ((سفيان أمير المؤمنين في الحديث))، مات بالبصرة سنة (١٦١هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص ٢٤٤، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص (٩٥-٩٦)

(٦) انظر: المدخل إلى كتاب الإكليل لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري: ص ٢٩، شرف أصحاب الحديث للخطيب للخطيب البغدادي: ص ٤٢، أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني: ص ٨

(٧) عبد الله بن المبارك بن واضح، أبو عبد الرحمن المروزي، مولى بني حنظلة، أحد الأئمة الأعلام، ولد سنة (١١٨هـ) (١١٨هـ) أو بعدها، كان ثقة ثبتاً فقيهاً عالماً جواداً مجاهداً، جُمعت فيه خصال الخير، مات منصرفاً من الغزو سنة

له: من حدَّثك؟ بقي[1]))[2]، وكان عبد الله بن المبارك يقول أيضاً: ((بيننا وبين القوم القوائم، يعني: الإسناد))[3][4] ، وقال سفيان بن عيينة: ((حدَّث الزُّهري[5] يوماً بحديث، فقلت: هاته بلا إسناد، فقال الزُّهري: أترقى السطح بلا سلَّم))[6].

لذلك كانوا – رحمهم الله تعالى – لا يقبلون حديثاً إلا إذا جاء بسنده، وثبتت لهم عدالة رواته، أما إن حُذِف السند، أو ذُكِر، وكان في رواته مَنْ لا يُوثق بحديثه، فإنهم كانوا لا يقبلون الحديث الذي هذا شأنه.

وصار الإسناد خصيصةً فاضلةً من خصائص هذه الأمة دون غيرها من الأمم، به حفظ الدِّين من الكذب والدسِّ والتحريف، وهذا لم يكن لغير المسلمين كاليهود والنصارى.

وظلَّ الأمر في عصر التابعين على هذا، فكان ما يروونه من التفسير المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن الصحابة، لا يروونه إلا بإسناده، ثم بعد عصر التابعين أُلِّفت تفاسير تجمع المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير، وكذلك المأثور عن الصحابة

(١٨١هـ).= =انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (٢٧٤-٢٧٩)، تقريب التهذيب: ص ٣٢٠، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص (١٢٣- ١٢٤)

(١) قال أستاذنا الدكتور نور الدين العتر: ((وقوله: (بقي)، أي: بقي حائراً أو ساكناً، وفي بعض نسخ الترمذي: (يقي)، أي: يقي نفسه من الكذب)). منهج النقد في علوم الحديث: ص ٣٤٤

(٢) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: باب بيان أنَّ الإسناد من الدِّين: ج ١ ص ١٥

(٣) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: باب بيان أنَّ الإسناد من الدِّين: ج ١ ص (١٥-١٦)

(٤) قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: ((ومعنى هذا الكلام: إن جاء بإسناد صحيح قَبِلنا حديثه، وإلا تركناه، فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد، كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم)). شرح النووي على صحيح مسلم: ج ١ ص ٨٨

(٥) محمد بن مسلم الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أحفظ أهل زمانه، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، مات سنة (١٢٥هـ)، وقيل: قبل ذلك بسنة أو سنتين. انظر في ترجمته: الثقات لأبي حاتم: ج ٥ ص (٣٤٩ -٣٥٠)، تقريب التهذيب: ص ٥٠٦

(٦) مناقب الشافعي للبيهقي: ج ٢ ص ٣٤، شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي: ج ١ ص ٣٦١، سير أعلام النبلاء: ج ٥ ص ٣٤٧

والتابعين، مع ذكر الأسانيد، كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجَّاج وغير ذلك، وقد جمع هذه الأقوال كلَّها ابن جرير الطبري في تفسيره.

ثم جاء بعد هؤلاء أقوام ألَّفوا في التفسير، فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال غير معزوَّة لقائليها، ولم يتحرَّوا الصحة فيما يروون، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل مَنْ يسنح له قول يورده، ومَنْ يخطر بباله شيء يعتمده، ثم يَنقُل ذلك عنه مَنْ يجيء بعده، ظاناً أنَّ له أصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السَلَف رضوان الله عليهم(١).

لذلك نستطيع أن نقول بأنَّ حذف الإسناد يكاد يكون أخطر الأسباب الثلاثة؛ لأنَّ حذف الأسانيد جعل مَنْ ينظر في هذه التفاسير يظنُّ صحة كلِّ ما جاء فيها، وجعل كثيراً من المفسِّرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص المخترع على أنه صحيح كله، مع أنّ فيها ما يخالف النقل، ولا يتفق مع العقل، ويقدح في عصمة الأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

وإذا كان للوضع والدسِّ خطرُه، ولدخول الإسرائيليات خطرُها، فإنَّ هذا الخطر كان من الممكن تلافيه لو ذُكِرت لنا هذه الأقوال بأسانيدها، فبمعرفة السند يتميز الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وتتميز الرواية المقبولة من الرواية المردودة، ولكنَّ حذفها – وللأسف – عمَّى كلَّ شيء.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص ٥٠٠

المبحث الخامس

التعريف بالإمام النسفي وتفسيره

المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه:

هو الإمام الفقيه الأصولي المفسِّر المتكلم عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، علَّامة الدنيا وأحد الزُّهاد المتأخرين، والأئمَّة المعتبرين، صاحب التصانيف المفيدة والمعتبرة في الفقه والأصول والعربية.

يُكنّى (أبو البركات)، ويُلقّب (حافظ الدين)، وكما قال عبد القادر القرشي[١] في "الجواهر المضية": ((حافظ الدين: لقبٌ لإمامين عظيمين أحدهما: محمد بن محمد بن نصر، أبو الفضل البخاري[٢]... والآخر عبد الله بن أحمد بن محمود، أبو البركات النسفي، صاحب التصانيف في الفقه والأصول...))[٣].

كان النسفي إماماً كاملاً عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه علماً وعملاً[٤] .

---

(١) عبد القادر بن محمد بن سالم بن أبي الوفاء القرشي، محي الدين الحنفي، أبو محمد، كان عالماً فاضلاً جامعاً للعلوم، ومن مصنفاته: العناية في تحرير أحاديث الهداية، شرح معاني الآثار للطحاوي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، وهو أول من صنَّف في طبقاتهم، مات سنة (٧٧٥هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي: ص ٩٩، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٩١

(٢) محمد بن محمد الإمام حافظ الدين البخاري أبو الفضل، كانت ولادته في حدود سنة ٦١٥هـ ببخارى، تفقه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردري، وقرأ عليه الأدب وسائر العلوم، وكان إماماً ربانياً عابداً فقيهاً قاضياً محدِّثاً جامعاً لأنواع العلوم، مات ببخارى سنة ٦٩٣هـ. انظر في ترجمته: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج ٥٢ ص (١٧٨ – ١٧٩)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي: ج٢ ص (١٢١-١٢٢)

(٣) المرجع السابق: ج ٢ ص ٣٦٧

(٤) انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧٠، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، تاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا السودوني: ص ١٧٤، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابن تغري بردي: ج ٧ ص ٧١ وما بعدها، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٦٣، الفوائد البهية: ص (١٠١- ١٠٢)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

والنسفي نسبة إلى نَسَف[١]وهي من بلاد ما وراء النهر.

ذكرها الشاعر أبو تمَّام[٢] في قصيدة يقولها للخليفة المعتصم[٣]:

تهابُ الرُّومُ في معاقِلِها والتُّركُ تخشَاكَ من وراءِ نَسَف[٤][٥]

---

(١) نسف أو نَخْشَب: وهي مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند، وهي على مدرج بخارى وبلخ، ولها أربعة أبواب، وفيها قرى كثيرة ونواح، والغالب عليها الخصب، فُتحت على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي أيام الخليفة الوليد بن عبد الملك. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي: (ج ٥ ص ٢٨٥، ج ٣ ص ٢٤٨)، البلدان لليعقوبي: ج ١ ص ٢٥، وبالعودة إلى "موسوعة المدن العربية والإسلامية" و " أطلس دول العالم الإسلامي" لم أجد هذه المدينة؛ لذلك استقيت هذه المعلومات من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، وفيه: أنها اليوم تُسمى (قرشي – Qarshi) – وهي مدينة في جنوب أوزبكستان – وهي عاصمة ولاية قشقداريا، وتقع على بعد حوالي ٥٢٠ كم جنوب غرب طشقند، وحوالي ٣٣٥ كم شمال حدود أوزبكستان مع أفغانستان، وترجع أهمية المدينة إلى إنتاج الغاز الطبيعي، وتشتهر أيضاً بإنتاج السجاد. مصدر هذه المعلومات موقع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة : **قرشي/https://ar.wikipedia.org/wiki** – آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم ٩ أبريل ٢٠١٦ الساعة ٠٣:٥٩

(٢) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، من حوران من قرية جاسم، كان أبوه نصرانياً فأسلم، جالس الأدباء وأخذ عنهم، ثم سحَّت قريحته بالنظم البديع، سار شعره شرقاً وغرباً، وسمع به المعتصم فطلبه وله فيه قصائد، كان واحد عصره في ديباجة لفظة وفصاحة شعره، له كتاب فحول الشعراء والحماسة الكبرى والحماسة الصغرى، ولي بريد الموصل، ومات فيها سنة (٢٣١هـ)، انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ١١ ص (٦٣– ٦٨)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروز آبادي: ج ١ ص ٧٩، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي: ج ٢ ص ٢٦١

(٣) الخليفة المعتصم أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، بويع بعد المأمون، كان شجاعاً شهماً مهيباً، وكان كثير اللهو مسرفاً على نفسه، وهو الذي افتتح عمورية من أرض الروم عندما استنجدت به أسيرة مسلمة سنة (٢٢٣هـ)، وهو أول من استخدم الأتراك في حماية ملكه من العرب والفرس، وكان يقال له المثمَّن مات سنة (٢٢٨هـ)، وقيل: سنة (٢٢٧هـ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ١٠ ص ٢٩٠ وما بعدها، تحفة الترك: ج ١ ص ٧٤، شذرات الذهب: ج ٢ ص (٦٣– ٦٤)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي لعبد الملك المكي: ج ٣ ص (٤٥٠– ٤٥٨).

(٤) الأنساب: ج ٥ ص ٤٨٦

(٥) بيت الشعر أورده الإمام السمعاني في كتابه "الأنساب" ونسبه للشاعر أبي تمام، وبعد البحث لم أعثر عليه في ديوان أبي تمام.

وقد خرج منها خلقٌ كثير من العلماء في كل فنٍ؛ أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي[١].

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن معقل بن الحجاج بن خداش النسفي[٢].

٣- وابنه أبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن معقل بن الحجاج النسفي[٣].

٤- أبو علي الحسين بن الخضر بن محمد الفَشِيدَيزَجِي النسفي[٤].

٥- أبو العباس جعفر بن محمد بن المعتز بن المستغفر المسْتَغفِري- بضم الميم - النسفي[٥].

النسفي[٥].

---

(١) العلَّامة المحدّث الفقيه الحنفي الأصولي المفسر المتكلم، ولد بنسف عام (٤٦١هـ)، أو (٤٦٢هـ)، وله نحو من مئة مصنف، ومن مؤلفاته: طلبة الطلبة في اللغة على ألفاظ كتب فقه الحنفية، القند في علماء سمرقند، والعقائد النسفية، كتاب تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار، والتيسير في تفسير كتاب الله تعالى، مات بسمرقند سنة (٥٣٧هـ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ٢٠ ص (١٢٦- ١٢٧)، الجواهر المضية: ج ١ ص (٣٩٤- ٣٩٥)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٧٨٣

(٢) قاضي نسف وعالمها، الحافظ العلّامة، مصنّف المسند الكبير والتفسير وغير ذلك، روى الصحيح عن البخاري، وكان فقيهاً حافظاً بصيراً باختلاف العلماء ثقة، مات سنة (٢٩٥هـ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج١٣ ص٤٩٣، طبقات الحفاظ: ج١ ص٣٠٢، طبقات المفسرين: ج١ ص٤٣

(٣) رئيس أصحاب الحديث ببلده، يروي عن أبيه وغيره من أهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان وما وراء النهر جماعة يكثر عددهم، وكان فاضلاً ثقة صاحب أدب وشعر، روى عنه جماعة كثيرة، وكان نقمة على القرامطة، مات سنة (٣٤١ هـ). انظر في ترجمته: الأنساب: ج ٥ ص ٤٨٧، تاريخ الإسلام: ج ٢٥ ص ٢٤٤

(٤) قاضي بخارى، وإمام عصره بلا مدافعة، قدم بغداد، وتفقّه بها، وناظر، وبرع، وحدّث، وظهر له أصحاب وتلامذة، وقد ناظر مرة الشريف المرتضى، شيخ الشيعة في توريث الأنبياء وقطعه، مات سنة (٤٢٤هـ).انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ١٧ ص ٤٢٤ وما بعدها، الجواهر المضية: ج ١ ص ٢١١، الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين الغزي: ج ٣ ص ١٣٠

(٥) خطيب نسف كان فقيهاً فاضلاً، ومحدثاً مكثراً صدوقاً، صنّف التصانيف وأحسن فيها، ومن مؤلفاته: كتاب معرفة الصحابة، دلائل النبوة، فضائل القرآن، وكتاب تاريخ نسف وغير ذلك، وكان محدّث ما وراء النهر في زمانه، مات سنة (٤٣٢هـ). انظر في ترجمته: الأنساب: ج ٥ ص ٢٨٦، سير أعلام النبلاء: ج ١٧ ص(٥٦٤- ٥٦٥)، الجواهر المضية: ج ١ ص(١٨٠- ١٨١)

المطلب الثاني: ولادته ونشأته:

بالعودة إلى كتب التراجم التي ترجمت للإمام النسفي نجد أنها ذكرت اسمه ولقبه وكنيته ونسبته، ولم تذكر تاريخ ولادته؛ ولا مكان ولادته؛ وإنما اكتفت بالقول بأنه من أهل إيذج[(١)(٢)].

وبالنظر إلى تاريخ وفاة شيخه شمس الأئمة الكردري[(٣)] (٦٤٢هـ) – وهو أسبق شيوخه وفاة – أستطيع أن أقول بأنَّ ولادته كانت في العقد الثالث من القرن السابع، والله أعلم .

وكذلك لم تذكر كتب التراجم شيئاً عن نشأته وأسرته، ولكن جاء في مقدمة بعض كتب الإمام النسفي وصفُ آبائه وأجداده بألقاب رفيعةٍ عاليةٍ تدلّ على رفيع مقامهم العلمي وكريم منزلتهم الاجتماعية.

فقد جاء في مقدمة كتابه "كشف الأسرار شرح المصنف على المنار": ((قال مولانا الشيخ الإمام، الصدر القرم[(٤)] الهمام، حافظ الملة والدين، ناصر الإسلام والمسلمين، وارث الأنبياء

---

(١) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧٠، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، تاج التراجم: ص ١٧٤، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧١ وما بعدها، طبقات المفسرين: ج ١ ص ٢٦٣، الفوائد البهية: ص (١٠١– ١٠٢)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، الأعلام: ج ٤ ص ٦٧

(٢) بلد بين خوزستان وأصبهان، تقع وسط الجبال، وهي كثيرة الزلازل، وبها معادن كثيرة، ويُنسب إليها: أبو الحسين محمد بن الحسين الإيذجي المتوفى سنة ٧٨٣هـ، كان قد جَالَسَ أبا القاسم الترمذي الحكيم، وأخذ عنه من كلامه وحكمته. انظر: معجم البلدان: ج ١ ص (٢٨٨– ٢٨٩)، الأنساب : ج ١ ص ٢٣٧، وبالعودة إلى "موسوعة المدن العربية والإسلامية" و " أطلس دول العالم الإسلامي" لم أجد هذه المدينة؛ لذلك استقيت هذه المعلومات من موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، وفيه: هي مدينة إيرانية تقع في محافظة خوزستان، كانت تحمل هذا الاسم قبل الإسلام، وتُعرف اليوم باسم: (**ايذه – Izeh**). مصدر هذه المعلومات موقع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة : **إيذج/https://ar.wikipedia.org/wiki** ، آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم ٩ أبريل ٢٠١٦ الساعة ٠١:٥١

(٣) ستأتي ترجمته لاحقاً عند الكلام عن شيوخه.

(٤) القرم من الرجال: السيد المعظَّم: لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٧٣

والمرسلين، مفتي الشرق والصين، أبو البركات عبد الله بن الإمام الأجلّ الكبير السعيد، حميد الملة والدين، أحمد بن محمود النسفي...))[1].

وجاء على طُرّة[2] كتابه "الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة": ((من تأليف مولانا الشيخ الإمام المعظّم، الصدر القرم النحرير الأعظم.... أبي البركات عبد الله بن الصدر الإمام المرحوم، حميد الملة والدين، أحمد بن الإمام المغفور له، حافظ الدين محمود النسفي))[3].

ومن خلال هذه النصوص يتبيَّن لنا أنَّ الإمام النسفي نشأ في بيت العلم والدين، والإمامة والفضل والصدارة، فأبوه: الصدرُ السعيد، الإمام الأجلُّ الكبير، حميدُ الملة والدين أحمد، وجدُّه: الإمام المغفور له، حافظُ الدين محمود النسفي، وهذه الألقاب الرفيعة العالية لآبائه وأجداده تدلُّ –كما أسلفت – على رفيع مقامهم العلمي، وكريم منزلتهم الاجتماعية.

ونلاحظ ندرة المعلومات عن حياة الإمام النسفي في كتب التراجم؛ ولعلَّ هذا عائدٌ إلى الفترة التي عاش فيها الإمام النسفي، والتي تمثَّلت بغزو التتار لبلاد المسلمين، وإحراق المكتبات وما فيها من كتب في مختلف ميادين العلم.

المطلب الثالث: وفاته:

اختلف أصحاب التراجم في تاريخ وفاة الإمام النسفي؛ فقال بعضهم: توفي ليلة الجمعة، في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وسبعمائة (٧٠١هـ)، ودفن في بلدة إيذج[4]، في موضع يقال له: (الجَلال)؛ كما نقل محقق "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" عن نسخة ثانية من الكتاب عند ترجمة الإمام النسفي، فقال: ((وفي هامش (أ) : وتوفي الشيخ حافظ الدين

---

(١) كشف الأسرار شرح المصنف على المنار مع شرح نور الأنوار على المنار: ج ١ ص (٣-٤)

(٢) الطُّرَّة: طَرَفُ كل شيء وحَرْفه، ومنه طُرَّة الأرض، وهي حاشيتها. انظر: تاج العروس: ج ١٢ ص ٤٢٣

(٣) الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة: ص (٣)، عدد صفحات المخطوط: (٥٠٠) صفحة، رابط تحميل المخطوط: https://archive.org/details/drishinnawy_gmail_٢٠١٤٠٤

(٤) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، الطبقات السنية: ج٤ ص ١٥٥، المنهل الصافي: ج ٧ ص٧٣، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، كشف الظنون: (ج ١ ص ١١٩ ، ج ٢ ص ١٦٤٠)

النسفي في ليلة الجمعة، في شهر ربيع الأول، من سنة إحدى وسبعمائة في بلدة إيدج، ودُفن في موضع يقال له: الجلال....اهـ.))[1].

وقال آخرون: دخل الإمام النسفي بغداد سنة عشر وسبعمائة (٧١٠هـ)، وكانت وفاته في هذه السنة. قال صاحب "الفوائد البهية في تراجم الحنفية": ((ودخل بغداد سنة عشر وسبعمائة، ووفاته في هذه السنة))[2].

وجاء في "تاج التراجم في طبقات الحنفية": ((كان ببغداد سنة عشر وسبعمائة...))[3].

وجاء في "طبقات المفسرين": ((توفي في سنة عشر وسبعمائة في بلدة بغداد))[4].

أما صاحب "كشف الظنون" فقد ذكر وفاة الإمام النسفي – رحمه الله تعالى – سنة عشر وسبعمائة في أكثر من موضع من كتابه عند ذكر مؤلفات الإمام النسفي[5].

وذكر – أيضاً – وفاته سنة إحدى عشرة وسبعمائة (٧١١هـ)[6].

وجاء في رسالة "الأصل في بيان الفصل والوصل": ((وموت النسفي بعد العشر وسبع مئة))[7].

ومما تقدَّم نلاحظ أنَّ أصحاب التراجم اختلفوا في تاريخ وفاة النسفي على ثلاثة أقوال:

١- توفي سنة إحدى وسبعمائة (٧٠١هـ).

٢- توفي سنة عشر وسبعمائة (٧١٠هـ).

٣- توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة (٧١١هـ).

---

(١) الجواهر المضية: ج٢ ص ٢٩٦، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو

(٢) الفوائد البهية: ص ١٠٢

(٣) تاج التراجم: ص ١٧٥

(٤) طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٦٣

(٥) كشف الظنون لحاجي خليفة: ج ٢ ص (١٥١٥-١١٦٨-١٨٤٨-١٢٧٤- ١٨٦٧-١٩٢١-١٩٩٧-٢٠٣٤)

(٦) المرجع السابق: ج ٢ ص ١٦٧٥

(٧) مجموعة رسائل العلّامة قاسم بن قُطلوبغا: رسالة (الأصل في بيان الفصل والوصل): ص ٣٢٨

والمشهور القول الأول والثاني، مع ملاحظة اعتماد معظم من ترجم للإمام النسفي على القول الثاني القائل بأن وفاته كانت سنة (٧١٠هـ)[١].

المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه:

كان الإمام النسفي على نسق غيره من كبار العلماء المسلمين مشهوراً بالزهد والصلاح والتقوى، فضلاً عن تفرغه للعلم والدراسة والبحوث، وقد اشتهر علمه وذاع فضله في عصره وبعد عصره، وبارك الله في مؤلفاته؛ فأصبحت مرجع الباحثين؛ لما فيها من تدقيق وتحقيق، واكتفاء بالإشارة عن التفصيل، وبالإيجاز عن الإطناب[٢].

ولقد نال الإمام النسفي ثناءات عالية من علماء عصره، ومن جاء بعدهم، تدلُّ على رفيع مكانته العلمية، وعلى فضله وزهده وتقواه، وكريم أخلاقه، وإمامته في العلوم كلها.

وقد قدَّره العلماء حقَّ قدره، فقال عنه ابن حجر العسقلاني في "الدرر الكامنة": ((عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، علَّامة الدنيا...))[٣].

ووصفه العلَّامة اللكنوي[٤] بقوله: ((كان إماماً كاملاً عديم النظير في زمانه، رأساً في الفقه والأصول، بارعاً في الحديث ومعانيه...))[٥].

---

(١) انظر مثلاً: هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، معجم المطبوعات العربية والمعربة ليوسف سركيس: ج ٢ ص ١٨٥٣ ، الأعلام: ج ٤ ص ٦٧، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ج ٦ ص٣٢

(٢) مناهج المفسرين لمنيع محمود: ص ٢١٦

(٣) الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧

(٤) محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري اللكنوي الهندي، أبو الحسنات، خاتمة علماء الهند، وأكثرهم تأليفاً، وأتمهم تحريراً واطلاعاً وإنصافاً وتوسطاً، عالم بالحديث والتراجم، من فقهاء الحنفية، ولد سنة (١٢٦٤هـ)، اهتم بتحصيل العلوم، وقرأ جميع الفنون على والده وغيره من العلماء، ثم اشتغل بالتصنيف وزادت مصنفاته على الأربعين مصنفاً في مختلف العلوم، ومنها: الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، التحقيق العجيب، الرفع والتكميل في الجرح والتعديل، مات سنة (١٣٠٤هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص ٢٤٨، الأعلام للزركلي: ج ٦ ص ١٨٧، معجم المؤلفين: ج ١١ ص ٢٣٥، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي الكتاني: ج ٢ ص ٧٢٨

(٥) الفوائد البهية: ص ١٠٢

ووصفه الإمام عبد القادر القرشي في "الجواهر المضية" بقوله: ((أحد الزهاد المتأخرين، صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والأصول...))[1].

ووصفه صاحب "طبقات المفسرين" بقوله: ((كان إماماً في جميع العلوم، ومصنفاته في الفقه والأصول أكثر من أن تحصى...))[2].

جاء في مقدمة تفسيره: ((قال مولانا الشيخ الإمام المعظَّم، والحبْر المقدَّم، أستاذُ أهل الأرض، محيي السُّنَّة والفرض، كشَّافُ حقائق أسرار التنزيل، مفتاحُ دقائق أسرار التأويل، ترجمانُ كلام الرحمن، صاحبُ علمي المعاني والبيان، الجامعُ بين الأصول والفروع، المرجوعُ إليه في المعقول والمسموع، حافظُ الملَّة والدِّين، شيخُ الإسلام والمسلمين، وارثُ علوم الأنبياء والمرسلين، أكملُ فحول المجتهدين، قدوةُ قدوم المحققين، ذو السعادات والكرامات، أبو البركات عبدُ الله بن أحمد بن محمود النسفي، متَّع الله الإسلام بطول بقائه، والمسلمين بيُمن لقائه...))[3].

ووصفه الإمام ابن تَغْري بُرْدي[4] بقوله: ((انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه علماً وعملاً، هذا مع الخلق الحسن، والتواضع الزائد، وفصاحة اللفظ، وطلاقة اللسان، ومحبته للفقراء والطلبة، والإحسان إليهم... وكان إماماً عادلاً، زاهداً خيّراً، ديّناً كريماً متواضعاً، مترفعاً على الملوك، متواضعاً للفقراء، لا يتردد لأرباب الدولة، ولا يجتمع بهم إلا إذا أتوا إلى منزله، أثنى

---

(١) الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧٠

(٢) طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٦٣

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي: ج ١ ص (٢٧-٢٨)

(٤) العلامة المؤرخ الحنفي، جمال الدين، أبو المحاسن، يوسف بن الأمير الكبير سيف الدين تغري بردي، ولد بالقاهرة، تفقه وقرأ الحديث، وأخذ علوم العربية، وقرأ المقامات الحريرية، ثم حُبب إليه علم التاريخ؛ فلازم مؤرخي عصره، واجتهد في ذلك إلى الغاية، وانتهت إليه رياسة هذا الشأن في عصره، ومن مصنفاته: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مورد اللطافة في ذكر من ولي السلطنة والخلافة، مات سنة (٨٧٤هـ)، انظر في ترجمته: شذرات الذهب: ج ٧ ص (٣١٧-٣١٨)، البدر الطالع: ج ٢ ص (٣٥١-٣٥٢)

على علمه ودينه غير واحد من العلماء، ولم يزل على ما هو عليه من العلم والعمل حتى أدركه أجله...))[1].

وجاء على طُرّة كتابه "الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة":

((من تأليف مولانا الشيخِ الإمام المعظَّم، الصدرِ القرم النحرير الأعظم، أستاذِ أجلَّةِ أفاضل كُرَة العالَم، علَّامةِ أعزّةِ عظماء علماء بني آدم، ممهِّد قواعد البراهين الملِّيَّة، مؤكدِ دعائم الحجج الدينيَّة، صاحبِ أزمَّة مشكلات المعقول والمسموع، مالك أعنَّةِ معضلات الأصول والفروع، حافظ الملة والدين، شيخ الإسلام والمسلمين، المتعهّد برضوان الله رب العالمين، أبي البركات، عبدِ الله بن الصدر الإمام المرحوم، حميد الملة والدين، أحمد بن الإمام المغفور له حافظ الدين محمود النسفي))[2].

ومن الثناءات المجمع عليها في وصفه، والمثبتة في مقدمة كتابه "كنز الدقائق" ما يلي:

((قال مولانا الحبْرُ النِّحرير، صاحبُ البيان والبَنَان في التقرير والتحرير، كاشفُ المشكلات والمعضلات، مُبيِّن الكنايات والإشارات، منبعُ العُلا، عَلَمُ الهدى، علَّامة الورى، مالكُ أزمَّة الفُتيا، مُظهرُ كلمة الله العليا، كشّافُ الحقائق، مُبيِّن الدقائق، سلطانُ علماء الشرق والصين، حافظُ الحق والملة والدين، شمسُ الإسلام والمسلمين، وارثُ علوم الأنبياء والمرسلين، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي...))[3].

ووصفه العلامة ابن نجيم الحنفي[4] في مقدمة "النهر الفائق شرح كنز الدقائق" بقوله:

---

(١) المنهل الصافي: ج ٧ ص (٧٢-٧٣)

(٢) الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة: ص (٣)

(٣) كنز الدقائق في الفقه الحنفي للنسفي: ص ١٣٧

(٤) سراج الدين، عمر بن إبراهيم بن محمد، الشهير بابن نجيم الحنفي المصري، فقيه محقق، كان متجراً في العلوم الشرعية، ومن مؤلفاته: النهر الفائق شرح الكنز، ضاهى به كتاب أخيه "البحر الرائق"، لكنه أربى عليه في حسن السبك للعبارات، والتنقيح التام، وكانت وفاته سنة (١٠٠٥هـ)، انظر ترجمته في: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي: ج ٣ ص (٢٠٦- ٢٠٧)

((أفضلِ المتأخرين، وأكملِ المتبحرين، حافظِ الملة والدين، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، عمدةِ المحققين...))[1].

ووصفه العلامة ابن عابدين[2] في كتابه "نسمات الأسحار" بقوله: ((هذه فوائد عظيمة، وفرائد يتيمة، وضعتها على شرح "المنار" للإمام الأوحد، والهمام المفرد، أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي...))[3].

ووصفه تلميذه حسام الدين السغناقي[4] في كتاب "الوافي في أصول الفقه" بقوله:

((الإمامُ الزاهد، مُدرك اللمحة، مُصيب الرِّمْزة، رئيسُ أهل الطريقة، تاجُ أهل الحقيقة، مصنِّفُ آخر الزمان، نقَّاعُ طلبة العلم الذين هجروا الأوطانَ، مولانا حافظُ الدين النسفي))[5].

رحم الله الإمام النسفي رحمة واسعة، وأعلى مقامه في عليين، ونفعنا بعلومه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الخامس: شيوخ الإمام النسفي:

أجمل المترجمون ذكرَ شيوخِ الإمام النسفي، فذكروا ثلاثةً من شيوخه؛ وهذا العدد قليل جداً بالنظر إلى العمر الذي عاشه الإمام النسفي – وهو ما يقارب الثمانين سنة – أمضاها في التعلم والتعليم والتأليف، وهذا مستغرب أيضاً عندما نقف على قول الإمام يوسف بن تَغْري

---

(١) النهر الفائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم: ج ١ ص ١٧

(٢) السيد محمد أمين بن عمر بن عبد الرحيم عابدين الدمشقي، قطب الديار الدمشقية، المفسر المحدِّث الفقيه النحوي الحسيب النسيب، إمام الحنفية في عصره، صاحب التآليف العديدة، والتصانيف المفيدة، منها: رد المحتار على الدر المختار، العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية، حواش على القاضي البيضاوي: (التزم أن لا يذكر فيها شيئا ذكره المفسرون)، نسمات الأسحار على شرح المنار، مات سنة (١٢٥٢هـ)، انظر في ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق البيطار: ج ٢ ص ٢٥ وما بعدها، معجم المؤلفين: ج ٩ ص ٧٧

(٣) نسمات الأسحار على شرح المنار لابن عابدين: ص ٣

(٤) ستأتي ترجمته عند الحديث عن تلاميذ الإمام النسفي رحمه الله تعالى.

(٥) الوافي في أصول الفقه للسغناقي: ج ٥ ص ١٧١٦

بُرْدي – وهو يترجم للإمام النسفي – فيقول: ((نشأ على قدم هائل، وتفقَّه بجماعة من أعيان العلماء، حتى برع في الفقه والأصول والعربية واللغة...))[١].

أما شيوخه الثلاثة الذين ذكرهم أصحاب كتب التراجم[٢]، فهم:

١- شمس الأئمَّة محمد بن عبد الستار الكَرْدَري[٣].

٢- بدر الدِّين خُوَاهَرْ زاده[٤][٥].

٣- علي بن محمد الرَامُشي[٦].

---

(١) المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

(٢) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، الفوائد البهية: ص ١٠٢

(٣) أبو الوجد، شمس الأئمة، محمد بن عبد الستار بن محمد العمادي الكَرْدَري، أستاذ الأئمة على الإطلاق، قرأ وتفقه على كثير من العلماء، وسمع التفسير والحديث، وبرع في معرفة المذهب الحنفي، وأحيا علم الأصول والفقه بعد اندراسه، وفاق على أقرانه، وتفقه عليه خلق كثير، ومن مصنفاته: تأسيس القواعد في عصمة الأنبياء، الرد والانتصار لأبي حنيفة إمام فقهاء الأمصار، الفوائد المنيفة في الذبِّ عن أبي حنيفة، كتاب في حل مشكلات القدوري، مات سنة (٦٤٢هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٢ ص (٨٢- ٨٣)، الفوائد البهية: ص ١٧٦، هدية العارفين: ج ٦ ص ١٢٢، والكردري: نسبة إلى كَرْدَر- بفتح أوله ثم السكون ودال مفتوحة وراء- هي ناحية من نواحي خوارزم، انظر: طبقات الحنفية: ج ٢ ص ٣٤١، معجم البلدان: ج ٤ ص ٤٥٠

(٤) الإمام الفقيه الحنفي، بدر الدين، محمد بن محمود بن عبد الكريم الكَرْدري، ابن أخت الشيخ شمس الدين الكَرْدري، تفقَّه على خاله شمس الأئمة الكَرْدري، ومن تصانيفه: الجواهر المنظومة في أصول الدين، شرح الحيل الشرعية للخصاف، مات سنة (٦٥١هـ)، ودفن عند خاله رحمه الله تعالى. انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٣٦، الفوائد البهية: ص ١٦٤، شذرات الذهب: ج ٥ ص ٢٥٦، هدية العارفين: ج ٦ ص ١٢٥

(٥) خُوَاهَرْ زَاده: هذه اللفظة تُقال لجماعة من العلماء كانوا أولاد أخت عالم، والمشهور بهذه اللفظة عند الإطلاق اثنان: متقدِّم في الزمن، ومتأخر عنه، فالمتقدِّم: أبو بكر محمد بن الحسين البخاري، ابن أخت القاضي أبي ثابت محمد بن حسين البخاري، وقد تكرر ذكره بلقبه هكذا في "الهداية"، وهو مراد صاحب الهداية.... والمتأخر: خواهر زاده الإمام بدر الدين، محمد بن محمود الكردري، ابن أخت الشيخ شمس الدين الكردري.... وإنما ذكرتهما هنا لغلبة اللقب عليهما، واشتهر بها أيضاً جماعة غير هذين؛ لكن لا يذكر اللقب إلا مع الاسم، ضبطها السمعاني بضم الخاء المعجمة، وفتح الواو والهاء، بينهما ألف وبعد الهاء راء ساكنة، وزاي مفتوحة، وبعدها ألف ودال مهملة وهاء. انظر: طبقات الحنفية: ج ١ ص ٢٣٦

(٦) حميد الملة والدين، علي بن محمد بن علي الرَامُشي البخاري الضرير، الإمام العلّامة، الفقيه المحدِّث المفسِّر الأصولي الأصولي المتكلم، انتهت إليه رئاسة العلم، تفقَّه على شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكَرْدري وغيره، ومن مصنفاته: شرح أصول البزدوي، شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع، شرح الفقه النافع للسمرقندي، مات سنة (٦٦٦هـ)،

وجاء في كتب التراجم[١] أنَّ الإمام النسفي روى الزِّيادات[٢] عن أحمد بن محمد العتَّابي[٣]؛ ولكنَّ الإمام اللكنوي في كتابه "الفوائد البهية" ردَّ ذلك بشدة حيث قال نقلاً عن الكفوي[٤]: ((وأنَّى تصحُّ رواية شخصٍ مات سنة عشر وسبعمائة، عن شخص مات سنة ست وثمانين وخمسمائة))[٥].

وصلَّى= =عليه الإمام حافظ الدين النسفي. انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٣٧٣، تاج التراجم: ص ٣٦٩، الفوائد البهية: ص ١٢٥، هدية العارفين : ج ٥ ص ٧١١، والرَامُشي: بفتح الراء، وضم الميم، وفي آخرها الشين المعجمة: نسبة إلى رَامُش: وهي قرية من أعمال بخارى، انظر: طبقات الحنفية: ج ٢ ص ٣١٠، معجم البلدان: ج ٣ ص ١٧

(١) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص٢٧١، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، تاج التراجم: ص ١٧٥

(٢) وهو كتاب الزيادات في فروع الحنفية للإمام محمد بن الحسن بن واقد الشيباني الكوفي، أبي عبد الله، فقيه العراق، صاحب الإمام أبي حنيفة، وناشر علمه، ومن مصنفاته بالإضافة إلى الجامعين: المبسوط والسِّيَر الكبير والصغير والزيادات، وتسمى هذه الكتب كتب ظاهر الرواية، مات سنة (١٨٧هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص ١٦٣، الجواهر المضية: ج ٢ ص (٤٢-٤٤)، وانظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ٩٦٢، هدية العارفين: ج ٦ ص ٨

(٣) أحمد بن محمد بن عمر، أبو نصر العتَّابي البخاري، وقيل: أبو القاسم، زين الدين، الإمام العلّامة الزاهد، كان من كبار الحنفية، ومن تصانيفه: شرح الزيادات، جوامع الفقه، شرح الجامع الكبير، شرح الجامع الصغير، تفسير القرآن الكريم، مات سنة (٥٨٦هـ) ببخارى، ودفن بمقابر الفقهاء السبعة، وقال السمعاني: ((العتَّابي- بفتح العين المهملة، وتشديد التاء المنقوطة من فوقها بنقطتين، والباء المنقوطة بواحدة بعد الألف - نسبة إلى أشياء منها: إلى عتَّاب بن أسيد، ومنها إلى العتَّابيين: محلة غربي بغداد، ومنها إلى محلة يقال لها: دار عتَّاب)). انظر في ترجمته: الطبقات السنية: ج ١ ص ١٤٣، الفوائد البهية: ص ٣٦، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص٢٠٢، الأنساب: ج ٤ ص ١٤٧

(٤) القاضي أبو الفضل، محمود بن الحاجي سليمان بن عبد الله الكفوي، القسطنطيني الرومي الحنفي، من علماء دولة السلطان بالنون بن السلطان سليم بن سليمان، أخذ العلم عن كثير من العلماء، وأول سفره كان من بلدة (كفو) إلى القسطنطينية سنة (٩٤٩هـ)، وكان مدرِّساً في مدرسة الكوراني في القسطنطينية سنة (٩٦١هـ)، ومن مصنفاته: كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار في طبقات الحنفية، مات سنة (٩٩٠هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص (٣-٤)، أسماء الكتب لعبد اللطيف زادة: ص ٢٤٢، هدية العارفين: ج ٦ ص ٤١٣

(٥) الفوائد البهية: ص ١٠٢، ملاحظة: كتاب "الفوائد البهية في تراجم الحنفية" لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي؛ هذا الكتاب تلخيص وتهذيب لـ "كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار " للإمام محمود بن سليمان الكفوي؛ وهو من أحسن ما صُنِّف في هذا الباب -كما قال اللكنوي- حيث ذكر فيه الإمام الكفوي مشاهير الحنفية من عصر الإمام أبي حنيفة إلى عصره. انظر: الفوائد البهية: ص (٣-٤)

المطلب السادس: تلاميذ الإمام النسفي:

عندما نقرأ قول الإمام النسفي في مقدمة كتابه "الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة" أنَّه ((ألَّفه حين توفَّرت الدواعي، وازدحم الطلابُ...))[١] ، وكذلك عندما يتحدث الإمام ابن تَغْري بُرْدي عن الإمام النسفي فيقول: ((وتصدَّر للإفتاء والتدريس سنين عديدة، وانتفع به غالب علماء عصره...))[٢] ، وعندما يصفه تلميذه حسام الدين السِّغْناقي في كتاب "الوافي في أصول الفقه" فيقول: ((الإمامُ الزاهد، مُدرك اللمحة، مُصيب الرِّمْزة، رئيسُ أهل الطريقة، تاجُ أهل الحقيقة، مصنِّفُ آخر الزمان، نفَّاعُ طلبة العلم الذين هجروا الأوطانَ، مولانا حافظُ الدين النسفي))[٣]، عند ذلك كلِّه ندرك أنَّ التلاميذ قد ازدحموا على الإمام النسفي لينهلوا من علمه الغزير، وندرك أنَّه – رحمه الله تعالى – كان نفَّاع طلبة العلم الذين هجروا الأوطانَ في سبيل تحصيل العلم، وأخيراً ندرك أنَّ التلاميذ الذين انتفعوا بالإمام النسفي كثرٌ؛ ولكن بالعودة إلى كتب التراجم نجد أنَّ المترجمين ذكروا واحداً أو اثنين من تلاميذ الإمام النسفي، الذي أمضى ثمانين سنة من عمره في التعلم والتعليم والتأليف[٤].

أما تلاميذه الذين وقفت عليهم، فهم:

١- حسام الدين السِّغْناقي[٥].

---

(١) الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة: ص (٥)

(٢) المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

(٣) الوافي في أصول الفقه: ج ٥ ص ١٧١٦

(٤) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص٢٧١، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، تاج التراجم: ص ١٧٥

(٥) الحسين أو الحسن بن علي بن حجاج، حسام الدين الصِّغْناقي أو السِّغْناقي كان إماماً عالماً فقيهاً نحوياً جدليًّاً، تفقَّه على الإمام حافظ الدين الكبير محمد بن محمد بن نصر البخاري، وفوّض إليه الفتوى وهو شاب، وعلى الإمام فخر الدين محمد بن محمد بن إلياس المايمرغي، وروى عنهما " الهداية " بسماعهما من شمس الأئمة الكردري، عن المصنِّف، دخل بغداد، ودرّس بمشهد أبي حنيفة، ثم توجّه إلى دمشق حاجّاً، فدخلها في سنة (٧١٠هـ)، ومن مصنفاته: الكافي شرح أصول البزدوي، النجاح في التصريف، النهاية في شرح الهداية للمرغيناني، الوافي شرح المنتخب في أصول المذهب للأخسيكثي، مات سنة (٧١١هـ) أو (٧١٤هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢١٢ وما بعدها، هدية العارفين: ج ٥ ص ٣١٤، الطبقات السنية: ج ١ ص ٢٥٤، الفوائد البهية: ص ٦٢، والسغناقي=

٢- مظفَّر الدين المعروف بابن الساعاتي[١]: وقد ذكره العلَّامة اللكنوي في تلاميذ الإمام النسفي، وذلك في كتابه "النافع الكبير" حيث قال: ((ومن تلامذته: ابن الساعاتي، صاحب "مجمع البحرين"، والسِّغناقي صاحب "النهاية شرح الهداية"، وغيرهما))[٢].

٣- محمد بن محمد الجبلي: وقد ذكره صاحب "مفتاح السعادة ومصباح الريادة" في تلاميذ الإمام النسفي حين ذكر كتاب "المنار" للإمام النسفي، فقال: ((ومن شروح "المنار": "جامع الأسرار"، وهو شرحٌ نفيسٌ إلَّا أنَّا لم نعرِف مصنِّفه، غير أنِّي رأيتُ في ذيل بعض نسخ هذا الشرح أنَّ اسمه محمد بن محمد الجبلي؛ وأنَّه من تلامذة عبد العزيز البخاري صاحب "الكشف في شرح أصول فخر الإسلام"، ومن تلامذة حافظ الدين النسفي، وقد مرَّ ذكرهما))[٣].

ولقد بحثت عن ترجمة (محمد بن محمد الجبلي)، فلم أجده، وصاحب "مفتاح السعادة" ذكر أنَّ "جامع الأسرار" هو شرحٌ نفيسٌ من شروح "المنار"، ولكنَّه قال: ((إلَّا أنَّا لم نعرف مصنِّفه...))؛ ولكن صاحب "كشف الظنون" عند حديثه عن كتاب " المنار" للإمام النسفي ذكر أنَّ من شروحه: "جامع الأسرار"، ونَسَبَه لقِوام الدِّين محمد بن محمد بن أحمد

=نسبة إلى سِغْناق- بكسر السين وسكون الغين- بلدة في تركستان، انظر: الفوائد البهية: ص ٦٢، وجاء في "تاج العروس": ((سُغْناق، بالضم: قرية من أعمال بخارى))، تاج العروس: ج ٢٥ ص ٤٥٠

(١) أحمد بن علي بن تغلب، البغدادي المولد والمنشأ، البعلبكي الأصل، مظفر الدين، أبو العباس، المعروف بابن الساعاتي، إمام كبير جليل، وعالم علَّامة، سكن بغداد، ونشأ بها، وبرع في الفقه، وكان ممن يضرب به المثل في الذكاء والفصاحة وحسن الخط، وكان مدرِّساً لطائفة الحنفية بالمستنصرية في بغداد، وأبوه هو الذي عمل الساعات المشهورة على باب المستنصرية ببغداد، ومن تصانيفه: مجمع البحرين وملتقى النهرين في الفروع، بديع النظام الجامع بين كتابي البزدوي والأحكام، الدر المنضود في الرد على فيلسوف اليهود، مات سنة (٦٩٤هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص (٨٠- ٨١)، تاج التراجم: ص ٩٥، مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي: ج ٤ ص ٢٢٧، هدية العارفين: ج ٥ ص (١٠٠-١٠١)، المنهل الصافي: ج ١ ص ٤٢٠ وما بعدها

(٢) النافع الكبير شرح الجامع الصغير للكنوي: ص ٢٥

(٣) مفتاح السعادة ومصباح الريادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده: ج ٢ ص ١٦٨، وانظر: أسماء الكتب: ص ١١٨

الكاكي[1]، فقال: ((... وشَرَحَه قِوام الدِّين محمد بن محمد بن أحمد الكاكي المتوفى سنة (٧٤٩هـ)، وسمَّاه: "جامع الأسرار"، أوله: الحمد لله الذي أيَّد بالعلماء معالم الدين... الخ، وهو شرحٌ بالقول، قال في آخره: هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، ومن فوائد حافظ الدين النسفي...))[2].

إذاً فكتاب "جامع الأسرار في شرح المنار" ثبتت نسبته لقوام الدين الكاكي[3]، ولعلَّه كان تلميذَ الإمام النسفي، وخاصة أنه قال- كما نقل صاحب "كشف الظنون"- في آخر كتابه "جامع الأسرار": هذه فوائد التقطتها من فوائد شيخنا علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، ومن فوائد حافظ الدين النسفي...)).

٤- عبد العزيز البخاري[4][5].

---

(١) محمد بن محمد السنجاري، قوام الدين، الفقيه الحنفي، المعروف بالكاكي، قدم القاهرة، وأقام بجامع ماردين يفتي ويدرس إلى أن مات، ومن تصانيفه: جامع الأسرار في شرح المنار، عيون المذاهب الأربعة، معراج الدراية في شرح الهداية للمرغيناني، وغير ذلك، قال صاحب المفتاح: ((و(كاك)- قيل: إنه بلغتهم- بائع الكعك))، مات سنة (٧٤٩هـ)، انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٢ ص ٣٤٠، هدية العارفين: ج ٦ ص ١٥٥، أسماء الكتب: ص ٢٨٢، الفوائد البهية: ص ١٨٦

(٢) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٢٤

(٣) انظر: هدية العارفين: ج ٦ ص ١٥٥، وقد ورد ذكره في كتب الفقه والأصول عند السادة الحنفية، انظر مثلاً: شرح فتح القدير للكمال بن الهمام: ج ١ ص ٤١٦، حاشية ابن عابدين: ج ٥ ص ٢٧٤، التقرير والتحبير في علم الأصول لابن أمير الحاج: ج ٢ ص ٣٦٧

(٤) وقد ذكره الإمام الكمال بن الهمام في تلاميذ الإمام النسفي، وذلك حين ذكر سنده في كتاب "الهداية "، فقال: ((وإني كنت قرأت تمام الكتاب سنة ثمان عشرة أو تسع عشرة على وجه الإتقان والتحقيق على سيدي الشيخ الإمام، بقية المجتهدين، وخلف الحفّاظ المتقنين، سراج الدين عمر بن علي الكناني، الشهير بقارىء الهداية ... وهو قرأه على مشايخ عظام من جملتهم: الشيخ الإمام شيخ الإسلام، علاء الدين السيرامي، وهو عن شيخه السيد الإمام جلال الدين، شارح الكتاب، وهو عن شيخه قدوة الأنام، بقية المجتهدين، علاء الدين عبد العزيز البخاري صاحب "الكشف" و"التحقيق"، وهو عن الشيخ الكبير أستاذ العلماء حافظ الدين النسفي...)) اهـ. شرح فتح القدير: ج ١ ص (٩-١٠)، وانظر: حاشية ابن عابدين: ج ١ ص ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي: ج ١ ص ٤٤٧

(٥) عبد العزيز بن أحمد بن محمد البخاري، الإمام البحر في الفقه والأصول، تفقَّه على عمه الإمام محمد المايمرغي، تلميذ شمس الأئمة الكردري، ومن مصنفاته: كشف الأسرار في شرح أصول فخر الإسلام، شرح المنتخب الحسامي=

المطلب السابع: عقيدة الإمام النسفي:

إنَّ النَّاظر في مؤلفات الإمام النسفي في مجال العقيدة، وعلم الكلام، يتبيَّن له بأنَّه إمامٌ من أئمَّة أهل السُّنة والجماعة، متكلِّمٌ، ماتُريدي العقيدة، وقد تجلَّى ذلك بشكل واضح في تفسيره للقرآن الكريم، حيث جاء تفسيره مُحلَّى بأقاويل أهل السنَّة والجماعة، خالياً من أباطيل أهل البدع والضَّلالة، وكثيراً ما كان يستشهد في تفسيره بأقوال الإمام أبي منصور الماتُريدي[1]، مؤسِّس المدرسة الماتُريدية في علم الكلام، فكان بحقٍّ مُقرِّراً لعقيدة أهل السُّنة والجماعة، مدافعاً عنها، واقفاً كالسدِّ في وجه الفِرَق المخالفة لهم، رادَّاً عليهم، مُفنِّداً أقوالهم، داحِضاً حججهم، وهذه نماذج من تفسيره في الردِّ على الفرق المخالفة:

ردُّه على المعتزلة[2]:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [النساء:١٥٢]

=واسمه: غاية التحقيق، كتاب الأفنية، وضع كتاباً على " الهداية " بسؤال قوام الدين الكاكي وصل فيه إلى النكاح، واخترمته المنية، وله تخريج أحاديث الكشاف، مات سنة (٧٣٠هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص (٣١٧-٣١٨)، الفوائد البهية: ص (٩٤-٩٥)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٥٨١، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٧٠

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتُريديّ، إمام المتكلمين، ومصحح عقائد المسلمين، من كبار العلماء، كان يقال له إمام الهدى، له كتب شتى منها: كتاب التوحيد، كتاب المقالات، كتاب بيان وهم المعتزلة، كتاب تأويلات القرآن، مات سنة (٣٣٣هـ) بعد وفاة الإمام أبي الحسن الأشعري بقليل، وقبره بسمرقند. انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٣ ص (٣٦٠-٣٦١)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص(٦٩-٧٠)

(٢) فرقة كلامية، نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية؛ لتأثرها ببعض الفلسفات المستوردة مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. يرجع اسمها في كثير من الآراء إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري؛ لقول واصل: إنَّ مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر؛ وإنما هو في منزلة بين المنزلتين، ولهذه الفرقة مدرستان: الأولى: بالبصرة، ومن أشهر رجالها: واصل بن عطاء. والثانية: ببغداد، ومن أشهر رجالها: بشر بن المعتمر، وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوعد والوعيد. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد السادس ص (٣١٦٤-٣١٦٥)، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٣٥٨- ٣٦٦)

يقول الإمام النسفي: ((...والآية تدلُّ على بطلان قول المعتزلة في تخليد المرتكب الكبيرة[١]؛ لأنَّه أخبر أنَّ من آمن بالله ورسله، ولم يُفرِّق بين أحدٍ منهم، يؤتيه أجرَه، ومرتكبُ الكبيرة ممَّن آمن بالله ورسله، ولم يُفرِّق بين أحدٍ، فيدخل تحت الوعد...))[٢].

ردُّه على الكرَّاميَّة[٣]:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة:٨]

يقول الإمام النسفي: ((... والآية تنفي قول الكرَّاميَّة: إنَّ الإيمان هو الإقرارُ باللسان لا غير؛ لأنَّه نفى عنهم اسم الإيمان مع وجود الإقرار منهم. وتؤيِّد قول أهل السُّنة إنَّه إقرار باللسان، وتصديق بالجنان...))[٤].

ردُّه على الباطنية[٥]:

---

(١) انظر قول المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار: ص ٦٦٦

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٧٨، وانظر مثلاً بيان بطلان أقوال المعتزلة: ج ١ ص (٥٠، ٨٢، ٨٨، ٩١، ١٠٤، ١٢٤، ١٩٧، ٢٦١، ٣٢٦، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٨٣)، ج ٢ ص (١٨، ٣٣،٤٠، ٤٨، ٥٨، ١٠٩، ١١٠، ١٢٥، ١٧٢، ٢٥٤، ٣٧٣)، ج ٣ ص (١٤٧، ١٨٢، ٢٣٨، ٢٨٨، ٣٢٨ ، ٣٤٨، ٤١٩)، ج ٤ ص (٣٩، ٩٦، ١٦٩، ٣٨٢، ٤٠٤، ٤٦٢، ٤٧٠، ٥٧٤)

(٣) فرقة كلامية تُنسب إلى محمد بن كرَّام الذي نشأ في سجستان، وتوفي ببيت المقدس، وهم عدة فرق، قيل: اثنتي عشرة فرقة، ولكل فرقة رأي، وقد يختلفون، إلا أنه جرى العمل على اعتبارهم فرقة واحدة؛ لأنهم لم يُكفِّروا بعضهم بعضاً. والكرَّامية مجسِّمون يذهبون إلى أنَّ الله محدودٌ من جهة العرش، وأنَّ شيئاً لا يحدث في العالم قبل حدوث أعراض في ذاته. عُرفوا بالزهد، والتقوى، والعمل على نشر الإسلام، وكثر أتباعهم في خراسان، وما وراء النهر، وبيت المقدس حتى أوائل القرن الثالث عشر. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد الخامس: ص ٢٦٧١، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٣٢٧-٣٢٨)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٥١، وانظر أيضاً مثلاً: ج ١ ص (٣٣٨، ٤٣٠)، ج ٤ ص ٢٥٤

(٥) هم الذين يجعلون لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، وسمّوا بالباطنية؛ لاستخفائهم عن الناس خوف الاضطهاد، وقولهم بستر الإمام وغيبته، وأنَّ للشريعة علماً يعلمه الناس، وباطناً لا يعلمه إلا الإمام، ويطلق اسم الباطنية على فرق عدة، والذين أسسوا للدعوة الباطنية جماعة منهم: ميمون القداح، ومحمد بن الحسين المعروف بدندان، وقيل: أول ظهور دعوتهم في زمن المأمون، ثم انتشرت زمن المعتصم. وأساس دعوتهم تأويل القرآن، وصرفُه عن ظاهره. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد الثاني ص (٦٠٧-٦٠٨)، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٩٦-١٠٠)

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران:١٧٩]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ﴾ أي ولكنَّ الله يرسل الرسول فيوحي إليه، ويخبره بأنَّ في الغيب كذا، وأنَّ فلاناً في قلبه النفاق، وفلاناً في قلبه الإخلاص، فيَعلم ذلك من جهة إخبار الله، لا من جهة نفسه. والآية حُجَّة على الباطنية؛ فإنَّهم يَدَّعون ذلك العلم لإمامهم فإن لم يثبتوا النُّبوة له صاروا مخالفين للنص؛ حيث أثبتوا علم الغيب لغير الرسل، وإن أثبتوا النُّبوة له صاروا مخالفين لنص آخر وهو قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب:٤٠]...)) (١).

ردُّه على الثَّنوية(٢):

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿جَعَلَ﴾ يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى: أحدث، وأنشأ، كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾، وإلى مفعولين إن كان بمعنى: صيَّر، كقوله: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزُّخرُف:١٩]، وفيه: ردُّ قول الثَّنوية بقِدَمِ النُّور والظُّلمة...)) (٣).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٩٤، وانظر مثلاً: ج ٣ ص ١٣٩

(٢) هؤلاء هم أصحاب الإثنين الأزليّين، يزعمون أنَّ النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويها في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والحيِّز، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح. الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٢٤٤

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٥، وانظر أيضاً مثلاً: ج ٣ ص ٢٣٣، ج ٤ ص ٩٦

ردُّه على الجهْمية[1]:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الخلدُ: البقاء الدائم الذي لا ينقطع، وفيه بطلان قول الجَهْمية؛ فإنَّهم يقولون بفناء الجنَّة وأهلِها؛ لأنَّه تعالى وُصِفَ بأنَّه الأولُ الآخرُ، وتحقيق وصف الأوَّلية بسبْقِه على الخلق أجمع، فيجب تحقيق وصف الآخريَّة بالتأخر عن سائر المخلوقات، وذا إنَّما يتحقق بعد فناء الكلِّ، فوجب القول به ضرورةً؛ ولأنَّه تعالى باقٍ، وأوصافُهُ باقيةٌ، فلو كانت الجنَّة باقيةً مع أهلِها لوقع التشابه بين الخالق والمخلوق، وذا محال. قلنا: الأوَّل في حقِّه: هو الذي لا ابتداء لوجوده، والآخِر: هو الذي لا انتهاء له. وفي حقِّنا: الأوَّل: هو الفردُ السابقُ، والآخِر: هو الفردُ اللاحقُ، واتصافُه بهما؛ لبيان صفة الكمال، ونفي النقيصة والزوال، وذا في تنزيهه عن احتمال الحدوث والفناء لا فيما قالوه، وأنَّ يقع التشابه في البقاء، وهو تعالى باقٍ لذاته، وبقاؤه واجب الوجود، وبقاء الخلق به، وهو جائز الوجود...))[2].

---

(١) فرقة كلامية تُنسب إلى جَهْم بن صفوان الراسبي – وهو تلميذ الجعد بن درهم الذي كان أول من ابتدع القول بخلق القرآن والتعطيل – كانوا يقولون: إنَّ الإنسان لا إرادة له، ولا اختيار، ولا استطاعة، وإنما هو مجبورٌ في كل أفعاله التي يخلقها الله تعالى فيه، كما يخلقها في سائر الجمادات، وكما أنَّ الأفعال كلَّها جبرٌ، فالثواب والعقاب – أيضاً – جبرٌ، وكذلك التكليف، فهؤلاء هم الجبْرية الخالصة. انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (١٦٧-١٦٨)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٧٢-٧٣)، وانظر مثلاً: ج ٢ ص ٢٩٥، ج ٣ ص ٤٥٧

ردُّه على المرجئة[1]:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران:١٣٢]

يقول الإمام النسفي: ((وفيه ردٌّ على المرجئة في قولهم: لا يضرُّ مع الإيمان ذنب، ولا يعذب بالنار أصلاً. وعندنا غيرُ الكافرين من العصاة قد يدخلها، ولكنَّ عاقبة أمره الجنَّة...))[2].

ردُّه على الروافض[3]:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء:٨٢]

يقول الإمام النسفي: ((﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أفلا يتأمَّلون معانيه، ومبانيه، والتَّدبر: التأمُّل، والنَّظر في أدبار الأمر، وما يؤول إليه في عاقبته، ثمَّ استُعمل في كل تأمُّلٍ. والتفكُّر:

---

(١) فرقة كلامية سُمي رجالها بهذا الاسم؛ لأنهم قالوا بإرجاء أمر المختلِفين – الذين سفكوا الدماء، واختلفوا حول الخلافة – إلى الله، وإلى يوم القيامة، وهم عدة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة الجبْرية، ومرجئة القَدَرية، والمرجئة الخالصة، والإرجاء يأتي على معنيين: الأول: هو التأخير، والثاني: إعطاء الرجاء، وربما كانت تسمية هذه الفرق بالمرجئة مأخوذة من المعنى الأول؛ لأنهم كانوا يؤخِّرون العمل عن النية وعقْد القلب، ويجوز أن تكون مأخوذة من المعنى الثاني؛ لأنهم كانوا يقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، وقد يكون الإرجاء: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يُقضى عليه في الدنيا بحكم ما، وقد يكون الإرجاء: تأخير عليٍّ بن أبي طالب عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة...ولكن الذين يستحقون مقالة السوء من الجميع، وهم الذين اختُصوا باسم الإرجاء عند الأكثرين: هم مرجئة البدعة الذين يقولون: لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد السادس ص (٣٠٩٠-٣٠٩١)، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٣٥١ -٣٥٥)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٧٢، وانظر مثلاً: ج ٣ ص ٦٨، ج ٤ ص ٥٣١

(٣) هم الشيعة الرافضون لإمامة أبي بكر وعمر، وقيل: إنهم الرافضة؛ لأنهم رفضوا الدين بالكلية، فقد كفَّروا الصحابة، وأبطلوا الاجتهاد، واتهموا القرآن بالتحريف وغير ذلك، وقالوا: الإمامة لا تكون إلا بالنص والتوقيف، والنبي صلى الله عليه وسلم قد نصَّ على استخلاف عليٍّ بن أبي طالب، وقالوا: الإمامة لا تكون إلا لأفضل الناس؛ وأنَّ علياً كان مصيباً في كل أحواله، ولم يخطئ في أمور الدين، وقالوا بالتقية، وهي: أن يقول الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه، وقيل انقسموا إلى أربع وعشرين فرقة. انظر: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: ص (٢٢٨- ٢٣٠)

تصرُّف القلب بالنظر في الدلائل، وهذا يردُّ قول من زعم من الروافض أنَّ القرآن لا يُفهم معناه إلا بتفسير الرسولِ صلى الله عليه وسلم، والإمامِ المعصوم...)) [(١)].

ردُّه على الخوارج:

فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨١]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ وسُدَّت عليه مسالك النجاة؛ بأن مات على شِركِه، فأمَّا إذا مات مؤمناً، فأعظم الطاعات – وهو الإيمان – معه، فلا يكون الذنب محيطاً به، فلا يتناوله النص. وبهذا التأويل يبطل تشبُّث المعتزلة والخوارج...)) [(٢)].

المطلب الثامن: مذهبه الفقهي:

إنَّ النَّاظر في الكتب التي ترجمت للإمام النسفي، وكذلك في مؤلفاته في مجال الفقه والأصول، يتبيَّن له بأنَّه إمامٌ من أئمَّة المذهب الحنفي، لذلك نجده في تفسيره للقرآن الكريم – وخاصَّة عند تفسير آيات الأحكام – نجده يعرض مذهبه الحنفي، وينتصر له أحياناً، ويردُّ على من خالفه أحياناً أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة، أذكر منها مثلاً:

١– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة: ١٩٦]

يقول الإمام النسفي: ((الخطاب للمُحصَرين، أي: لا تحلُّوا بحلق الرأس حتى تعلموا أنَّ الهدْيَ الذي بعثتموه إلى الحَرَم بلغ محِلَّه، أي: مكانه الذي يجب نحرُه فيه، وهو الحَرَم[(٣)]. وهو حُجَّةٌ لنا – في أنَّ دم الإحصار لا يُذبح إلَّا في الحَرَم – على الشافعي رحمه الله إذ عنده يجوز في غير الحرم[(٤)]...)) [(٥)].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٤٨، وانظر مثلاً: ج ٢ ص ٤٢١، ج ٣ ص ٤٥٤

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ١٠٤، وانظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ٨٢، ج ٣ ص ٢٣٨

(٣) انظر في مذهب السادة الحنفية: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني: ج ٢ ص (١٧٩–١٨٠)

(٤) انظر في مذهب السادة الشافعية: المجموع شرح المهذب للنووي: ج ٨ ص (٢٢٥– ٢٢٩)

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٦٠–١٦١)

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ...﴾ [التوبة:٢٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ فلا يحجُّوا ولا يعتمِروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو عام تسع من الهجرة... وهو مذهبنا، ولا يُمنعون من دخول الحَرَم، والمسجدِ الحرام، وسائرِ المساجد عندنا[١]. وعند الشافعي رحمه الله يُمنعون عن المسجد الحرام خاصَّة[٢]. وعند مالك[٣] يُمنعون منه، ومن غيره[٤]...)) [٥].

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمْ ...﴾ [النور:٣٣]

يقول الإمام النسفي: ((... أمرٌ للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتَبين، وإعطائِهم سهمَهم من الزكاة؛ لقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة:٦٠] وعند الشافعي رحمه الله معناه: حُطُّوا من بدل الكتابة رُبُعاً، وهذا عندنا على وجه الندب، والأوَّل الوجه؛ لأنَّ الإيتاء هو التمليك فلا يقع على الحطِّ[٦]...)) [٧].

---

(١) انظر في مذهب السادة الحنفية: بدائع الصنائع: ج ٥ ص ١٢٨

(٢) انظر قول الإمام الشافعي في كتاب الأم: ج ١ ص ٥٤

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر، الإمام الحافظ، فقيه الأمة، أبو عبد الله الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة، أحد الأئمة الأربعة، صاحب المذهب، وإليه تُنسب المالكية، أخباره كثيرة وعظيمة، له من التصانيف: الموطأ في الحديث، رسالة إلى هارون الرشيد، مات سنة (١٧٩هـ). انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٤ ص (١٣٧-١٣٩)، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (٢٠٧-٢١٣)، صفة الصفوة لابن الجوزي: ج ٢ ص (١٧٧-١٨٠)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٢٣- ٢٤)، هدية العارفين: ج ٦ ص ١

(٤) انظر في مذهب السادة المالكية: الذخيرة لشهاب الدين القرافي: ج ١ ص ٣١٥

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٧٧

(٦) انظر في مذهب السادة الحنفية: المبسوط للسرخسي: ج ٣ ص ٩، ج ٧ ص (٢٠٦-٢٠٧)، وفي مذهب السادة الشافعية: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني: ج ٤ ص (٥٢١-٥٢٢)

(٧) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٢١١-٢١٢)، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٢٩، ٣٠، ١٤٠، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٨، ٢١٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣٣٣، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٩٥)، ج ٢=

المطلب التاسع: مصنفات الإمام النسفي:

كان الإمام النسفي- كما ذكرتُ في ترجمته - رأسَ الحنفية في زمانه علماً وعملاً، تصدَّر للإفتاء والتدريس سنين عديدة، وأكبَّ على التصنيف والتأليف، فأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات عديدة في فنونٍ شتى من العلوم، في الفقه والأصول والعربية واللغة [١].

وغالب مصنفاته كانت في علم الفقه والأصول، منها المتون والمختصرات، ومنها الشروح التي اعتنى فيها بذكر الأدلة والتعليلات والمناقشات، كما كتب في تفسير القرآن الكريم، وفي العقائد، وكتب أيضاً في الحديث النبوي، وفي علوم الآخرة، وتنوَّعت مصنفاته ما بين مختصرات ضمَّت فروع علوم عديدة، وما بين شروحٍ لكتب ألَّفها هو، أو سبقه بها غيره من الأئمة، وكلُّ تصانيفه نافعة معتبرة عند الفقهاء، مطروحة لأنظار العلماء[٢]، تشهد بإمامته، وسعة علمه، وتقدمه واجتهاده[٣].

وسأبدأ - بعون الله تعالى - بذكر مصنَّفاته التي ذكرها العلماء في كتبهم، مُقدِّماً ذكرَ ما يتعلق بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وهو تفسيره للقرآن الكريم المسمَّى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، ثم ما كتبه في السنَّة النبوية، ثم ما كتبه في العقائد، ثم ما كتبه في الفقه وأصوله.

أولاً: في التفسير:

- تفسيره للقرآن الكريم المسمَّى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" [٤]:

وهذا التفسير اختصره الإمام النسفي من تفسيريِّ الزمخشري والبيضاوي غير أنَّه ترك ما في "الكشاف" من الاعتزاليات، وجرى فيه على مذهب أهل السنَّة والجماعة[١]، والكتاب

= ص (١٤٩، ٣٥٠، ٤٢٠، ٤٥٣)، ج ٣ ص (١٥١، ١٥٢، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩)، ج ٤ ص (٢٢٠، ٢٢١، ٣٦٥، ٣٧٦، ٣٩٠، ٣٩١)

(١) انظر: المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

(٢) انظر: الفوائد البهية: ص ١٠٢

(٣) انظر: كنز الدقائق في الفقه الحنفي: ص ٢٨

(٤) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٦٤٠، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٦٣، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

متوسط الحجم، سهل التناول، كثير التداول[٢]، مشهور بين الناس، وحاز القبول بين العلماء، ومنهج النسفي في الترجيح بالمأثور هو موضوع هذه الرسالة، وبعون الله تعالى سأتكلم لاحقاً بشيءٍ من التفصيل عن هذا الكتاب.

ثانياً: في السنة النبوية:

- فضائل الأعمال [٣]:

وقد ذكره صاحب "كشف الظنون"[٤]، وصاحب "هدية العارفين"[٥].

ثالثاً: في العقائد:

١- عمدة العقائد [٦]:

وقد ذكره صاحب "كشف الظنون"[٧]، وهو مختصر يحتوي على أهم قواعد علم الكلام، يكفي لتصفية العقائد الإيمانية في قلوب الأنام، ويسمَّى "العمدة في أصول الدين"[٨]، كما يسمَّى "عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة"، ولقد شرحه الإمام النسفي وسمَّاه: "الاعتماد

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٥

(٢) وكانت طبعته الأولى سنة ١٢٧٩هـ في بومباي ، ثم طبع في مصر سنة ١٣٠٦هـ، وهكذا تعددت طبعاته هنا وهناك، انظر كلام محقق "كنز الدقائق في الفقه الحنفي": ص ٣٠

(٣) وهو مخطوط، وتُوجد منه نسخة في مكتبة برنستون، في مدينة برنستون، في الولايات المتحدة الأمريكية، رقم الحفظ: (٩٢٢)، انظر: خزانة التراث، فهرس مخطوطات، الرقم التسلسلي: (٤٧٧١١)، ج ٤٨ ص ٧١٤، قام بإصداره مركز الملك فيصل.

(٤) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٢٧٤

(٥) انظر: هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

(٦) وقد طُبع بعنوان: "عمدة عقيدة أهل السنة والجماعة" في ليدن، باعتناء الأستاذ كيورتن، عام ١٨٤٣م، انظر: معجم المطبوعات: ج ٢ ص ١٨٥٣، كما طُبع بعنوان: "عمدة العقائد لأبي البركات النسفي"، دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الله محمد عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر عام ٢٠١٣م.

(٧) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١١٦٨

(٨) انظر: تاج التراجم: ص ١٧٥، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، أسماء الكتب: ص (٢٠٧، ٢٣٧)، أبجد العلوم لصديق القنوجي: ج ٣ ص ١١٩

شرح العمدة"، ويسمَّى اختصاراً "اعتماد الاعتقاد"[١] ، وكان للعلماء عناية خاصة به، وشرحه عدد منهم[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب – "عمدة العقائد" – يختلف تماماً عن كتاب "عقائد النسفي" أو "العقائد النسفية"، فهو لمؤلف آخر، واسمه: نجم الدين أبو حفص عمر بن محمد النسفي[٣]، وهو كتاب عظيم في بابه، وكان للعلماء عناية خاصة به، وشرحه عدد كبير منهم[٤].

٢- الاعتماد شرح عمدة العقائد [٥]:

وهذا الكتاب هو شرح للكتاب السابق الذكر، ولقد شرحه الإمام النسفي وسمَّاه: "الاعتماد شرح العمدة"[٦]، ويسمَّى اختصاراً "اعتماد الاعتقاد"[٧].

٣- اللآلئ الفاخرة في علوم الآخرة [٨]:

وقد ذكره صاحب "هدية العارفين"[٩].

٤- المنار في أصول الدين [١٠]:

---

(١) انظر: كشف الظنون: ج ١ ص ١١٩، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

(٢) انظر: المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، كشف الظنون: ج ٢ ص ١١٦٨

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة: ٤٩

(٤) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١١٤٥ وما بعدها.

(٥) وقد طُبع الكتاب بعنوان: "شرح العمدة في عقيدة أهل السنة والجماعة المسمى بالاعتماد في الاعتقاد"، لأبي البركات النسفي، دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الله محمد عبد الله إسماعيل، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، عام ٢٠١٢

(٦) انظر: تاج التراجم: ص ١٧٥، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، أسماء الكتب: ص(٢٣٧، ٢٧٣)، كشف الظنون: ج ٢ ص ١١٦٨

(٧) انظر: كشف الظنون: ج ١ ص ١١٩، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

(٨) وهو مخطوط، وتُوجد منه نسخة في مكتبة الدولة، في مدينة برلين، في ألمانيا، رقم الحفظ: (٢٧٥٠)، انظر: خزانة التراث، فهرس مخطوطات، الرقم التسلسلي: (٤٧٧١٢)، ج ٤٨ ص ٧١٥، قام بإصداره مركز الملك فيصل.

(٩) انظر: هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

(١٠) والكتاب لم أقف عليه مخطوطاً أو مطبوعاً.

نقل محقق "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" عن نسخة ثانية من الكتاب عند ترجمة الإمام النسفي، فقال: ((في (أ): وله المنار في أصول الدين، وله العمدة))[1].

ثم يذكر المحقق بأنَّ "منار الأنوار في أصول الفقه" – وهو الكتاب الذي سأتكلم عنه لاحقاً – هو المثبت في سائر النسخ، وفي "الدرر الكامنة" لابن حجر العسقلاني الذي ينقل الترجمة عن عبد القادر القرشي صاحب "الجواهر المضية".

ثمَّ يقول المحقق: ((ويعضد هذا ما في المصادر – عدا "الطبقات السنية" – فقد قال التميمي[2]: والمنار في أصول الفقه، ومنار آخر في أصول الدين، والعمدة))، ولعلَّه كان ينقل من النسخة (أ)))[3].

وقد ورد ذكر "المنار في أصول الدين" للإمام النسفي في بعض الكتب[4].

وفي معرض حديثنا عن مؤلفاته في العقائد وعلم الكلام يحيلنا الإمام النسفي إلى كتاب أصول الكلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢]، فيقول في تفسيره للآية الكريمة: ((... والمعنى: لو كان يُدبِّرُ أمرَ السموات والأرض آلهةٌ شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما ﴿لَفَسَدَتَا ۚ﴾ لخربتا؛ لوجود التمانع، وقد قرَّرناه في أصول الكلام، ثمَّ نزَّه ذاته، فقال: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من الولد والشريك))[5].

---

(١) الجواهر المضية: ج٢ ص ٢٩٥، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو

(٢) القاضي تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي المصري الحنفي، العالم العلم، الفاضل الأديب، أخذ عن علماء علماء كثيرين، وجال في البلاد، ومن مصنفاته: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، السيف البراق في عنق الولد العاق، حاشية على شرح الألفية لابن مالك، مختصر يتيمة الدهر للثعالبي، مات سنة (١٠١٠هـ)، انظر في ترجمته: خلاصة الأثر: ج ١ ص ٤٧٩، هدية العارفين: ج ٥ ص ٢٤٥

(٣) الجواهر المضية: ج٢ ص ٢٩٥، تحقيق: د. عبد الفتاح الحلو

(٤) انظر: الطبقات السنية: ج٤ ص ١٥٥، أسماء الكتب: ص ٢٧٢، الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، طبعة كراتشي، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١١٦

فربَّما كان كتاباً له ويُسمَّى "أصول الكلام"- ولكن من خلال استقراء مؤلفاته في العقائد ما وجدت كتاباً له بهذا الاسم – وربَّما يشير بهذا الكلام إلى أحد كتبه المؤلفة في أصول الكلام، والله أعلم.

رابعاً: في أصول الفقه:

١- منار الأنوار في أصول الفقه [١]:

وهو متن جامع، مختصر نافع[٢]، اعتنى العلماء بهذا الكتاب عناية كبيرة، وكان لهم عليه شروح وحواش كثيرة[٣].

٢- كشف الأسرار شرح منار الأنوار [٤]:

وهو شرح للمختصر السابق الذكر، ذكره صاحب "كشف الظنون"[٥]، والكتاب مطبوع ومتداول مع شروحه[٦].

٣- العطف من الكشف [٧]:

وهو شرح آخر لمتن "المنار"، مختصر، وأصغر من شرحه "كشف الأسرار"، وقد ذكره التميمي في "الطبقات السنية"[١]، وقد ذكره ابن تغري بردي، ولكنه لم يذكر اسمه، فقال: ((وله

---

(١) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، تاج التراجم: ص ١٧٥، الفوائد البهية: ص ١٠٢،كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٢٣، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، أسماء الكتب: ص (٢٣٧، ٢٧٢)، والكتاب مطبوع ومتداول جداً مع شروحٍ وحواشٍ عديدة، وهناك رسالة دكتوراه في أصول فقه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، في تحقيق متن "المنار"، مقدمة من الباحث: أحمد عبد الملك السعدي، بإشراف: د. محمود رجب محمد، في عام ١٩٩٩

(٢) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٢٣

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص (١٨٢٣- ١٨٢٧)

(٤) انظر: تاج التراجم: ص ١٧٥، كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٢٣، أسماء الكتب: ص (٢٣٧، ٢٧٣)

(٥) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٢٣

(٦) انظر مثلاً: كشف الأسرار شرح المصنف على المنار، مع شرح نور الأنوار على المنار، لمولانا حافظ شيخ أحمد المعروف بمنلا جيون بن أبي سعيد بن عبيد الله الحنفي الصدّيقي الميهَوي، صاحب الشمس البازغة، المتوفى سنة (١١٣٠هـ)، دار الكتب العلمية ،بيروت

(٧) والكتاب لم أقف عليه مخطوطاً أو مطبوعاً.

شرحان على "المنار في أصول الفقه" اسم أحدهما "الكشف"، وهو الأكبر، والآخر ألطف منه...))[٢].

٤- شرح المنتخب في أصول المذهب [٣]:

وكتاب" المنتخب في أصول المذهب " لحسام الدين الأخسيكثي[٤] ، وقد قال صاحب "كشف الظنون" عند حديثه عن هذا الكتاب: ((وشَرَحَه الإمام حافظ الدين عبد الله بن أحمد النسفي... وهو شرح مختصر نافع، وله شرح آخر مطوّل، أوله: الحمد لله رب العالمين...))[٥].

وهذا يعني أنَّ الإمام النسفي له شرحان على كتاب "المنتخب في أصول المذهب" للأخسيكثي، الأول: شرحٌ مختصر نافع، والثاني: شرحٌ مطوَّل، وقد ذكر ذلك أيضاً صاحب "هدية العارفين" عندما ذكر مصنفات الإمام النسفي، فعدَّ منها: ((شرح المنتخب في أصول المذهب للأخسيكثي، شرح آخر مطوَّل...))[٦]، وكذلك ابن تغري بردي – عند ترجمته للإمام النسفي – قال: ((وله شرحان على الأخسيكثي: المنتخب وآخر...))[٧].

---

(١) انظر: الطبقات السنية: ج٤ ص ١٥٥

(٢) المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢

(٣) والكتاب مطبوع ومحقق، حققه الباحث سالم أوغوت في مرحلة الدكتوراه، جامعة أم القرى، عام ١٤٠٨هـ، والمحقَّق هو الشرح المطول على المنتخب.

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عمر، حسام الدين الأخسيكثي، الفقيه الحنفي، كان إماماً في الأصول والفروع، ومن تصانيفه: المنتخب في أصول المذهب، ويعرف بالمنتخب الحسامي، وهو مختصر معتبر عند الأصوليين، وقد شرحه جمع غفير من الفقهاء الكاملين، مات سنة (٦٤٤هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص ١٨٨، مفتاح السعادة: ج ٢ ص ١٧٠، هدية العارفين: ج ٦ ص ١٢٣، الأنساب: ج ١ ص ٩٥، والأخسيكثي: بفتح الهمزة، وسكون الخاء، وكسر السين، وفتح الكاف، والثاء المثلثة، وهذه النسبة إلى أخسيكث، وهي قرية من بلاد فرغانة،أو يقال: أخسيكت بـ (التاء)، وهو الأولى؛ لأنَّ المثلثة ليست من حروف العجم، انظر: معجم البلدان: ج ١ ص ١٢١

(٥) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٤٨

(٦) هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

(٧) المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٣

وفي معرض حديثنا عن مؤلفاته في أصول الفقه يحيلنا الإمام النسفي إلى كتاب أصول الفقه عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر:٢٠]

فبعد أن فسَّر الآية الكريمة قال: ((وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على أنَّ المسلمَ لا يُقتل بالكافر، وأنَّ الكافرَ لا يملكُ مالَ المسلم بالاستيلاء، وقد أجبنا عن مثل هذا في أصول الفقه والكافي))[1].

فربَّما كان كتاباً له ويُسمَّى "أصول الفقه"- ولكن من خلال استقراء مؤلفاته في أصول الفقه ما وجدت كتاباً له بهذا الاسم - وربَّما يشير بهذا الكلام إلى أحد كتبه المؤلفة في أصول الفقه، والله أعلم.

خامساً: في الفقه:

١- الوافي في الفروع [2]:

وكان قد ألّفه أولاً، ثم اختصره في كتابه "كنز الدقائق" اللاحق الذكر.

قال صاحب "كشف الظنون": ((الوافي في الفروع للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد، حافظ الدين النسفي... وهو كتابٌ مقبول معتبر، أوله: الحمد لمن منَّ على عباده بإرسال رسله.... كان يخطر ببالي إبَّان فراغي أن أؤلف كتاباً جامعاً لمسائل الجامعَيْن[3]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٣٥٨

(٢) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، تاج التراجم: ص ١٧٥، أسماء الكتب: ص ٢٧٢، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، والكتاب حُقق في عدة رسائل جامعية، فهناك رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث عبد الستار محمد كاظم، كلية الإمام الأعظم، في قسم الفقه، بعنوان: دراسة وتحقيق لمتن الوافي للنسفي من كتاب الطهارة إلى كتاب الإيمان، إشراف: د. محي هلال السرحان، عام ٢٠٠٩، وهناك خمس رسائل ماجستير في جامعة دمشق، كلية الشريعة، قسم الفقه وأصوله، مقدَّمة من خمس باحثات تناولت هذه الرسائل متن الوافي دراسة وتحقيقاً، والباحثات هن: رشا العر- عبير حامد- خولة المرعب- نور الهدى التكلة - نور فوراني

(٣) أي: الجامع الكبير والجامع الصغير في فروع الحنيفة، وكلاهما للإمام محمد بن الحسن الشيباني، انظر: كشف الظنون: ج ١ ص (٥٦١-٥٦٧)، هدية العارفين: ج ٦ ص ٨

والزيادات[١]، حاوياً لما في المختصر[٢] ونظم الخلافيات[٣]، مشتملاً على بعض مسائل الفتاوى والواقعات[٤]، فألّفته وأتممته في أسرع وقت، وسميته بـ "الوافي" ولو وفقت لشرحه لأرسمه بـ "الكافي"....))[٥].

٢- الكافي شرح الوافي [٦]:

وهو الكتاب الذي شرح فيه كتابه "الوافي" السابق الذكر، ولقد ذكر صاحب "كشف الظنون" كلام الإمام النسفي عن كتابه "الوافي" حيث قال: ((... فألّفته وأتممته في أسرع وقت، وسميته بـ "الوافي"، ولو وُفقت لشرحه لأرسمه بـ "الكافي"....))[٧]، ثم يقول صاحب "كشف الظنون": ((ثم شرحه، وسمَّاه "الكافي"، وذكر الإتقاني[٨] في "غاية البيان" أنَّه لما

---

(١) أي: كتاب الزيادات في فروع الحنيفة، وهو أيضاً للإمام محمد بن الحسن الشيباني، كما في الحاشية السابقة، انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ٩٦٢، هدية العارفين: ج ٦ ص ٨

(٢) أي: مختصر القدوري في فروع الحنفية – وهو الذي يطلق عليه لفظ الكتاب في المذهب – للإمام أبي الحسين أحمد بن محمد القُدُوري البغدادي الحنفي، صاحب المختصر المبارك، من انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، ومن مصنفاته: شرح مختصر الكرخي، كتاب التجريد، مات سنة (٤٢٨هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص ٣٠، الجواهر المضية: ج ١ ص ٩٣،كشف الظنون: ج ٢ ص ١٦٣١، هدية العارفين: ج ٥ ص ٧٤

(٣) أي: منظومة أبي حفص النسفي التي شرحها أبو البركات النسفي كما سيأتي معنا.

(٤) وهي مسائل استنبطها المجتهدون المتأخرون لما سُئل منهم ولم يجدوا فيها رواية عن أصحاب المذهب، وهم أصحاب أبي يوسف ومحمد، وأصحاب أصحابهما، وهلم جرا، وهم كثيرون، وقد يتفق لهؤلاء العلماء أن يخالفوا أصحاب المذاهب، لدلائل وأسباب ظهرت لهم بعدهم، انظر الطبقات السنية تحقيق: عبد الفتاح الحلو: ج ١ ص ٤٤

(٥) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٩٧

(٦) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، تاج التراجم: ص ١٧٥، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، أسماء الكتب: ص (٢٣٧،٢٧٢)، والكتاب حُقق كاملاً من قبل طلاب المعهد العالي للقضاء بالرياض كما ذكر الدكتور سائد بكداش محقق كتاب "كنز الدقائق للنسفي "في الصفحة (٣٥)، ووجدت في فهرس مكتبة المعهد العالي للقضاء ثلاث رسائل دكتوراه تناولت كتاب " الكافي شرح الوافي " للإمام النسفي بالدراسة والتحقيق، وكانت الرسائل لثلاثة باحثين وهم: عبد العزيز بن عبد الرحمن العبد الليف، إبراهيم بن عبد الله علي الزهراني، فيصل بن عبد العزيز صالح اليوسف.

(٧) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٩٧

(٨) أمير كاتب بن أمير عمر بن العميد أمير غازي، قوام الدين، أبو حنيفة الإتقاني الحنفي، ولد بإتقان سنة (٦٨٥هـ)، كان رأساً في مذهب أبي حنيفة، بارعاً في اللغة والعربية، كثير الإعجاب بنفسه شديد التعصب على من=

نوى أن يشرح "الهداية" [1]، سمع به تاج الشريعة[2] – وهو من أكابر عصره – فقال: لا يليق بشأنه، فرجع عما نواه، وشرع في أن يصنِّف كتاباً مثل "الهداية"، فألّف "الوافي" على أسلوب "الهداية"، ثم شرحه وسمّاه بـ "الكافي"، فكأنه شرح "الهداية"))[3].

٣- كنز الدقائق [4]:

اختصر فيه الإمام النسفي كتابه "الوافي في الفروع"، كما ذكر صاحب "كشف الظنون"[5]، وهو من المتون المعتبرة في مذهب الحنفية، والموضوعة لنقل المذهب، قال اللكنوي: ((واعلم أنَّ المتأخرين قد اعتمدوا على المتون الثلاثة: الوقاية[6]، ومختصر القُدُوري، والكنز، ومنهم من

=خالفه، ومن مصنفاته: التبيين شرح المنتخب الحسامي، غاية البيان ونادرة الأقران شرح الهداية، مات سنة (٧٥٨هـ)، انظر في ترجمته: الدرر الكامنة: ج ١ ص ٤٩٣، الفوائد البهية: ص ٥٠

(١) وهو كتاب الهداية شرح بداية المبتدي في الفقه الحنفي للإمام المرغيناني، انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ٢٠٣١، والمرغيناني هو: علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفَرَغاني، شيخ الإسلام، برهان الدين المرغيناني، كان إماماً فقيهاً حافظاً محدثاً مفسراً جامعاً للعلوم ضابطاً للفنون، ومن مصنفاته: بداية المبتدي، الهداية شرح البداية، والتجنيس والمزيد ومناسك الحج والمختار ومجموع النوازل والفرائض وغير ذلك، مات في سنة (٥٩٣هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٣٨٣، الفوائد البهية: ص ١٤١، أسماء الكتب: ص ٦٨، والمرغيناني – بفتح الميم وسكون الراء، وكسر الغين، وسكون الياء، وفتح النون – هذه النسبة إلى (مرغينان) وهي بلدة من بلاد فرغانة، انظر: الأنساب: ج ٥ ص ٢٥٩، معجم البلدان: ج ٥ ص ١٠٨

(٢) محمود بن أحمد بن عبيد الله، تاج الشريعة المحبوبي، عالم كامل، حبر فاضل، صاحب التصانيف الجليلة، ومن مصنفاته: شرح الهداية المسمى بالكفاية، ومختصر الهداية المسمى بالوقاية – وقد صنّفها لأجل حفظ ابن ابنه صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود بن محمود – وله الفتاوى والواقعات. انظر في ترجمته: تاج التراجم: ص ٢٩١، الفوائد البهية: ص ٢٠٧، وقد ذكر البغدادي في "هدية العارفين" أنَّ وفاته كانت في حدود سنة (٦٧٣هـ)، انظر: هدية العارفين: ج ٦ ص ٤٠٦

(٣) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٩٧

(٤) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، تاج التراجم: ص ١٧٥، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، أسماء الكتب: ص (٢٣٧،٢٧٢)، والكتاب مطبوع طبعات كثيرة، ومحقق أيضاً، حققه الدكتور سائد بكداش تحقيقاً وافياً، وكانت الطبعة الأولى عام ٢٠١١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، وذكر الدكتور سائد بكداش في تحقيقه لكتاب " الكنز " في الصفحة (٦٦): أن كتاب " الكنز " حُقق في رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية ببغداد، عام ٢٠٠٨، من قبل الباحث: بكر غازي آل قدوري

(٥) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٥١٥

(٦) وهو منتخب من كتاب "الهداية"، انتخبه تاج الشريعة محمود بن أحمد بن عبيد الله المحبوبي.

اعتمد على الأربعة: الوقاية، والكنز، والمختار[١]، ومجمع البحرين[٢]، وقالوا: العبرة لما فيها عند تعارض مافيها وما في غيرها؛ لما عرفوا من جلالة قدر مؤلفيها، والتزامهم إيراد مسائل ظاهر الرواية، والمسائل التي اعتمد عليها المشايخ))[٣].

ولقد اعتنى العلماء بهذا الكتاب عناية كبيرة، وكان لهم عليه شروح وحواش كثيرة، وتمَّ نظمه في منظومات عديدة[٤].

٤- المصفَّى شرح المنظومة النسفية [٥]:

"المنظومة النسفية في الخلاف"، وهي لأبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، وأولها:

باسم الإله رب كل عبد والحمد لله ولي الحمد

رتبها على عشرة أبواب، وأتمّها في يوم السبت، في صفر سنة (٥٠٤هـ)، وعدد أبياتها: (٢٦٦٩)، وآخرها:

وجملة الأبيات يا صدر الفئة الفان والستون والستمائة

وتسعةٌ والله يجزي ناظمَه جنان عدن وقصوراً ناعمة[١]

---

(١) المختار: وهو لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، كان فقيهاً عالماً فاضلاً مدرِّساً عارفاً بالمذهب، من أفراد الدهر في الأصول والفروع، ومن تصانيفه: المختار للفتوى، كتاب الاختيار لتعليل المختار، كتاب المشتمل على مسائل المختصر، مات ببغداد سنة (٦٨٣هـ)، انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٩١، الفوائد البهية: ص ١٠٦

(٢) مجمع البحرين وهو لمظفر الدين، أبي العباس، المعروف بابن الساعاتي أحمد بن علي، وقد سبقت ترجمته في تلاميذ الإمام النسفي.

(٣) النافع الكبير شرح الجامع الصغير: ص ٢٣

(٤) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٥١٥

(٥) انظر: تاج التراجم: ص ١٧٥، الفوائد البهية: ص ١٠٢، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٢، أسماء الكتب: ص ٢٣٧، وهناك رسالة دكتوراه في الفقه، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، في تحقيق كتاب: "المصفّى في شرح منظومة الخلاف لأبي حفص النسفي"، مقدمة من الباحث: حازم محمد ثميل، وإشراف: د. حقي إسماعيل عبد الإله، عام ٢٠١٣، ورسالة دكتوراه – أخرى – في الفقه، في نفس الكلية والجامعة أيضاً في تحقيق كتاب: "المصفّى في شرح نظم الخلافيات لأبي حفص النسفي"، مقدمة من الباحث صالح ابراهيم صالح، وإشراف: د. محمد عبيد الكبيسي، عام ٢٠١٣

ولقد شرح هذه المنظومة الإمام النسفي، وسمَّى شرحه "المصفَّى"، كما جاء في آخر شرحه حيث قال: ((لما فرغت من جمع شرح "النافع"، وإملائه، وهو "المستصفى من المستوفى"، سألني بعض إخواني أن أجمع للمنظومة شرحاً مشتملاً على الدقائق، فشرحتها، وسمّيته "المصفَّى"...))[٢].

٥- المستصفى شرح الفقه النافع [٣]:

وهو شرح مختصر من شرحه الآخر المطوَّل لكتاب "الفقه النافع" لناصر الدين السمرقندي[٤]، والذي سمَّاه بـ "المستوفى"، وسيأتي الكلام عنه لاحقاً.

فالإمام النسفي شرح "الفقه النافع" أولاً بـ "المستوفى"، ثم اختصره بـ "المستصفى".

وقد تقدَّم كلام الإمام النسفي أنَّه شرح "النافع"، وأملاه على طلابه، وسمَّاه "المستصفى من المستوفى"[٥].

---

(١) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٨٦٧

(٢) المرجع السابق، والموضع ذاته.

(٣) انظر: الفوائد البهية: ص ١٠٢، المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٣، أسماء الكتب: ص ٢٧٢، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، ووجدت رسالة دكتوراه في الفقه مقدمة من الباحث: أحمد بن محمد بن سعد آل سعد الغامدي، بإشراف: أ.د: عبد الله بن مصلح الثمالي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، وهي دراسة وتحقيق لكتاب "المستصفى"، قسم العبادات، وأشار الباحث بأنَّ الكتاب مقسَّم بينه وبين باحثَين من أجل دراسته وتحقيقه كاملاً.

(٤) محمد بن يوسف بن محمد العلوي الحسني أبو القاسم، من أهل سمرقند، إمام فاضل عالم بالتفسير والحديث والفقه والوعظ، وكان يبسط لسانه في حق الأئمة والعلماء رحمهم الله تعالى، ومن مصنفاته: بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب، جامع الفتاوي، خلاصة المفتي في الفروع، رياض الأخلاق، فتح الغلق في التوحيد، الفقه النافع في الفروع، مات سنة (٥٥٦هـ)، انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٢ ص ١٤٧، هدية العارفين: ج ٦ ص ٩٤

(٥) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٢١

٦- المستوفى شرح الفقه النافع [١]:

وهو الشرح المطوَّل الذي شرحه الإمام النسفي لكتاب "الفقه النافع" لناصر الدين السمرقندي، ثم اختصره – كما أشرت سابقاً – في كتاب "المستصفى من المستوفى".

وبعض كتب التراجم[٢] ذكرت أنَّ له كتاب "المنافع شرح النافع"، ولم تذكر "المستصفى شرح النافع"، أو "المستوفى شرح النافع"، فربما كان – "المنافع شرح النافع" – هو أحد الكتابين؛ ولكن له اسم آخر، وربما كان كتاباً آخر؛ فقد ذكره الإمام ابن تغري بردي، فقال: ((وشَرَحَ "النافع" وسمّاه "المنافع"... وله "المستصفى شرح النافع" أيضاً، وله "المستوفى"...))[٣]، والله أعلم.

٧- الشافي في فروع فقه الحنفية:

وهذا الكتاب ذكره محقق "تاج التراجم" [٤] نقلاً عن حاشية موجودة في النسخة (ب) من كتاب "تاج التراجم"، وفيها: ((... وله شرح على الأخسيكثي، و كتاب في الفقه سمَّاه "الشافي"...)).

هل للإمام النسفي شرح على كتاب " الهداية " ؟

ورد في بعض الكتب[٥] أنَّ للإمام النسفي شرحاً على "الهداية"، وقال صاحب "كشف الظنون": ((وشَرَحَ "الهداية" الشيخ الإمام حافظ الدين أبو البركات عبد الله بن أحمد

---

(١) انظر: المنهل الصافي: ج ٧ ص ٧٣، كشف الظنون: ج ٢ ص ١٦٧٥، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤، والكتاب مخطوط، وتوجد نسخة منه في اسطنبول، انظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي والمخطوط، الفقه وأصوله: ج ٩ ص ٦١٨

(٢) انظر: الجواهر المضية: ج ١ ص ٢٧١، تاج التراجم : ص ١٧٥، الدرر الكامنة: ج ٣ ص ١٧، الطبقات السنية: ج٤ ص ١٥٤، أسماء الكتب: ص (٢٣٧،٢٧٢)

(٣) المنهل الصافي: ج ٧ ص (٧٢-٧٣)

(٤) تاج التراجم: ص ١٧٥، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف

(٥) انظر: تاج التراجم: ص ١٧٥، أسماء الكتب: ص (٢٣٧، ٢٧٣)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٦٤

النسفي... وفي طبقات تقي الدين[١] من خط ابن الشحنة [٢] أنَّه لا يُعرف له شرح على "الهداية"، وفي هوامش "الجواهر" أنَّه دخل بغداد، وشرح "الهداية" سنة (٧٠٠هـ)، والله سبحانه وتعالى أعلم))[٣].

وفي "تاج التراجم": ((ولا يعرف له شرح على "الهداية"))[٤].

ويقول صاحب "كشف الظنون": ((... وذكر الإتقاني في "غاية البيان" أنَّه لما نوى أن يشرح "الهداية"، سمع به تاج الشريعة – وهو من أكابر عصره – فقال: لا يليق بشأنه، فرجع عما نواه، وشرع في أن يصنَّف كتاباً مثل "الهداية"، فألّف "الوافي" على أسلوب "الهداية"، ثم شرحه وسمَّاه بـ "الكافي"، فكأنَّه شرح "الهداية"))[٥][٦].

وبعد تعداد مؤلفات إمامنا النسفي، ومن خلال بعض مقدِّمات كتبه نستطيع أن نقول بأنَّ الدافع الرئيس لتأليف كتبه كان إمَّا تلبية لحاجات طلابه، أو استجابة لإشارة أساتذته، أو إخوانه وأعيان عصره الذين طلبوا منه ذلك، فقد أشار إلى ذلك – مثلاً – في مقدمة تفسيره،

---

(١) أي: الطبقات السنية في تراجم الحنفية لتقي الدين بن عبد القادر التميمي المتوفى سنة (١٠١٠هـ)، انظر: ج ٤ ص ١٥٥

(٢) محمد بن محمد بن غازي الثقفي الحلبي، قاضي القضاة، محب الدين، أبو الفضل المعروف بابن الشحنة، مؤرخ وفقيه حنفي، ولد سنة (٨٠٤هـ) بحلب، وله تصانيف منها: شرح الهداية (كتب منه إلى آخر الغسل)، اختصار المنار، اختصار النشر، ترتيب مبهمات ابن بشكوال، طبقات الحنفية، مات سنة (٨٩٠هـ). انظر في ترجمته: نظم العقيان للسيوطي: ج ١ ص ١٧١، البدر الطالع: ج ٢ ص ٢٦٣

(٣) كشف الظنون: ج ٢ ص ٢٠٣٤

(٤) تاج التراجم: ص ١٧٥، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف

(٥) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٩٧

(٦) يقول الدكتور سائد بكداش محقق كتاب "كنز الدقائق" للإمام النسفي في الصفحة (٤٣): ((من طالع في "الوافي" وجد بوناً واسعاً بينه وبين "الهداية"، لكنَّ النسفي صرَّح في مقدمة "الكافي شرح الوافي"، كما تقدم، أنه جعله مشتملاً على مسائل "الهداية" وتعليلاتها وتفريعاتها، موضّحاً لمعضلاتها، مبيّناً لعويصاتها، فمن هنا جاءت كلمة الإتقاني، والله أعلم)).

فقال: ((قد سألني من تتعيَّن[1] إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمِّناً لدقائق علمي البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، وكنت أقدِّم فيه رجلاً وأؤخر أخرى؛ استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذاً لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة، وسميته بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"...))[2].

وكذلك قال في مقدمة كتابه "كنز الدقائق": ((لمَّا رأيت الهمم مائلةً إلى المختصرات، والطِّباع راغبةً عن المطوَّلات، أردتُ أن أُلخِّص "الوافي" بذكر ما عمَّ وقوعه، وكثر وجوده؛ لتكثرَ فائدته، وتتوفر عائدته، فشرعت فيه بعد التماس طائفةٍ من أعيان الأفاضل، وأفاضل الأعيان، الذين هم بمنزلة الإنسان للعين، والعين للإنسان، مع ما بي من العوائق، وسمَّيته بـ: "كنز الدقائق"))[3].

كذلك ألَّف كتابه "المستصفى من المستوفى" بإشارة من أستاذه حميد الدين حيث قال صاحب "كشف الظنون" بعد أن تحدَّث عن كتاب "الفقه النافع" لناصر الدين السمرقندي: ((...شَرَحَه الشيخ الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، وسمَّاه: "المستصفى"... قال: قد رفع حجابَه شيخُنا العلَّامة حميد الدِّين، فأشار إليَّ أن أُرتِّب ما علَّقتُ من فوائده، فأجبته ضامَّاً إلى ذلك ما يليق بذكره من الكتب المبسوطة تتميماً للفائدة...))[4].

---

(١) يقول الشيخ مروان محمد الشعَّار محقق تفسير النسفي الذي اعتمدتُ طبعته في رسالتي: ((والسائل إمَّا طلبة العلم، أو أمير البلاد، والأول أرجح؛ لوقوع بلاده تحت حكم التتار)). مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٨

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٨

(٣) كنز الدقائق: ص ١٣٨، تحقيق الدكتور سائد بكداش

(٤) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٩٢١

وربَّما كان الدافعُ لتأليف كتبه إحساسَه أنَّها بحاجة إلى شرح وتوضيح، لذلك نجده في العقائد ألّف كتاب "عمدة العقائد"، ثم شَرَحَه وسمّاه: "الاعتماد شرح العمدة"، وفي علم أصول الفقه ألّف كتاب "منار الأنوار"، ثم شرحه وسمّاه: "كشف الأسرار"، وفي الفقه ألّف كتاب "الوافي في الفروع" ثم شرحه وسمّاه بـ"الكافي".

وربَّما شَرَحَ كتب غيره من العلماء التي هي بحاجة إلى تبسيط وتوضيح، لذلك نجده شرح كتاب"الفقه النافع" لناصر الدين السمرقندي، وسمّاه بـ"المستوفى شرح الفقه النافع"، كذلك شرح "المنظومة النسفية في الخلاف"، وسمّى شرحه بـ "المصفّى شرح المنظومة النسفية"، كذلك شرح كتاب"المنتخب في أصول المذهب" لحسام الدين الأخسيكثي، شَرَحَه شرحاً مختصراً نافعاً، وشرحاً آخر مطوّلاً.

وربما اختصر بعض كتبه التي شرحها بنفسه، فقد اختصر كتابه "الوافي" في كتاب سمّاه بـ "كنز الدقائق"، واختصر كتابه "المستوفى شرح الفقه النافع" في كتاب "المستصفى من المستوفى".... وهكذا تتالت مؤلفات إمامنا النسفي التي تشهد بمكانته العلمية، وعلوِّ كعبه في مختلف العلوم، وسَبْقه بين أبناء عصره، كما تشير مؤلفاته إلى اشتغاله بالتدريس والتأليف والتفرغ لهما، وإلى البذل من أجل طلابه، وأبناء عصره حتى بدا دائماً ملبِّياً لرغباتهم، مجيباً عن أسئلتهم، كاشفاً لهم ما غمض، ومختصراً ما وجده مسهباً، فأثرى المكتبة الإسلامية في مختلف أبواب العلم بمؤلفاته المفيدة، التي كانت وما زالت مرجع العلماء، فرحم الله إمامنا النسفي وأعلى مقامه.

المطلب العاشر: التعريف بتفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل":

سأتكلم بعون الله تعالى في هذا المطلب عن مقدمة تفسيره، وعن مصادره في تفسيره، وعن منزلة تفسيره وآراء العلماء فيه، ونبذة عن منهجه في تفسيره.

أولاً: مقدمة الإمام النسفي في تفسيره:

جعل الإمام النسفي لتفسيره مقدِّمةً مختصرةً بيَّن فيها أنَّ الدافع إلى تأليف تفسيره هو الاستجابة لسؤال من تتعين إجابته من طلبة العلم، أو إخوانه وأعيان عصره الذين طلبوا منه ذلك، كما بيَّن في هذه المقدِّمة ملامح تفسيره فهو وسطٌ في التأويلات، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ ، جَمَعَ فيه وجوه الإعراب والقراءات، وضمَّنه دقائق عِلْميِّ البديع والإشارات، وحلَّاه بأقاويل أهل السُّنة والجماعة، وجنَّبه أباطيل أهل البدع والضَّلالة، كما بيَّن في هذه المقدِّمة تردُّده الكثير قبل الشروع في كتابة هذا التفسير؛ استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر، كما بيَّن أنَّ تأليف هذا التفسير كان مع العوائق الكثيرة؛ ولكنَّه أتمَّه في مدة يسيرة بتوفيق الله عزَّ وجلَّ، ونظراً لقِصَر مقدمته سأنقلها بتمامها؛ لتأكيد الكلام السابق. قال الإمام النسفي في مقدمته: ((قد سألني من تتعين إجابته كتاباً وسطاً في التأويلات، جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، متضمِّناً لدقائق علْميِّ البديع والإشارات، حالياً بأقاويل أهل السنة والجماعة، خالياً عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل المملّ، ولا بالقصير المخلّ، وكنت أقدّم فيه رجلاً وأؤخر أخرى؛ استقصاراً لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذاً لسبيل الحذر عن ركوب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله، والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة، وسمَّيته بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، وهو الميسِّر لكلِّ عسير، وهو على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير))[1].

ثانياً: مصادر الإمام النسفي في تفسيره:

يعد تفسير "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" ممثلاً لمرحلة النضج العلمي التي وصل إليها الإمام النسفي، حيث تجلَّى الإمام النسفي في تفسيره مُلمَّاً بالتفسير بالمأثور من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة، والتابعين، عالماً بالقراءات، وتوجيهها ومعانيها، محيطاً بالمسائل الفقهية، وما فيها من خلاف بين علماء المذاهب، مُلمَّاً باللغة العربية، ونحوها،

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٨

وصرفها، متكلِّماً مدافعاً عن عقيدة أهل السنَّة والجماعة، ومقرِّراً لها، وداحضاً لآراء الفرق المخالفة لعقيدة أهل السنَّة والجماعة، كما بدا مُهتمَّاً بالبلاغة القرآنية، ومُتتبِّعاً لها، ومعجباً بها عند كل من عني بها؛ ولو كان من مخالفيه في الفكر والاعتقاد، فهو يأخذ عن مخالفيه كما يأخذ عن مؤيِّديه، ما دام الأخذ يُبيِّن معنى النص القرآني، ويُظهر جماله، وبلاغته، وإعجازه، ويتفق مع عقيدة أهل السنَّة والجماعة، لذلك تعدَّدت المصادر التي أخذ منها الإمام النسفي في تفسيره، فهناك مصادر في التفسير وعلوم القرآن، وفي الحديث الشريف، وفي الفقه والأصول، وفي اللغة العربية، ومن هذه المصادر ما ذكره صراحة في تفسيره، حيث ذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه، وكثيرٌ منها لم يذكر مؤلفها؛ واكتفى بذكر اسمها، وقد تتبَّعت هذه المصادر، وجمعت ما استطعت الوقوف عليه منها، وهي على النحو الآتي:

١- مصادره في التفسير وعلوم القرآن:

أ- مصادره في التفسير:

اختصر الإمام النسفي تفسيره من تفسيرَين:

- تفسير الزمخشري المسمّى بـ "الكشَّاف عن حقائق التنزيل".
- تفسير البيضاوي المسمّى بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل".

لذلك اعتمد بنحوٍ أساسيٍّ على هذين التفسيرَين العظيمين، وأكثرَ من الأخذ عنهما، مع ملاحظة أنَّه ذكر اسم الزمخشري صراحةً في موضعين من تفسيره[1]، وأحياناً يقول:

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٢٩٧، ج ٤ ص ١٠٦

((صاحب الكشَّاف))[١]، أو: ((قال في الكشَّاف))[٢]، أو: ((ذكر في الكشَّاف))[٣]، وأحياناً يحيلنا إلى الكشَّاف بقوله: ((كذا في الكشَّاف))[٤].

أمَّا تفسير البيضاوي المسمّى بـ "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، وهو المصدر الثاني لتفسير الإمام النسفي، فقد أغفل الإشارة عنه تماماً، فلم يرد ذكر البيضاوي؛ ولا اسم تفسيره في تفسير الإمام النسفي؛ ولكن بمقارنة تفسير الإمام النسفي بتفسير الإمام البيضاوي نجد تأثيراً كبيراً لتفسير الإمام البيضاوي في أسلوب الإمام النسفي وطريقته، حتى إنَّه ليأخذ عبارتَه بنصِّها، أو قريباً منه، ويُضمِّنها تفسيره[٥][٦].

- **كتاب التأويلات لأبي منصور الماتريدي:** وهو تفسير للقرآن العظيم، ويسمَّى بـ "تأويلات القرآن"، أو "تأويلات أهل السنة" [٧]، وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب، بل لا يدانيه شيءٌ من تصانيف من سبقه في ذلك الفنِّ[٨]، وقد أشار الإمام النسفي إلى كتاب "التأويلات" صراحة في موضعين[٩]، ونقل أيضاً في مواضع من تفسيره عن الإمام أبي منصور الماتريدي[١٠].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٢١٧، ٢١٨، ٣٢١)، ج ٢ ص ٢٣١، ج ٣ ص (٢٦٤، ٣٢٩)، ج ٤ ص ١٣٤

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٣٩١

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٦٧

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٥٤

(٥) انظر: تفسير البيضاوي وتفسير النسفي لسورة النجم – مثلاً – لترى مبلغ التوافق أو التقارب بين عبارتيهما.

(٦) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٦

(٧) انظر: كشف الظنون: ج ١ ص ٣٣٥، أسماء الكتب: ص ٧٦، والكتاب مطبوع، ومتداول، حقَّقه الدكتور: مجدي باسلوم، وطبعته دار الكتب العلمية في بيروت، لبنان، وجاءت طبعته في ١٠ أجزاء.

(٨) الجواهر المضية: ج ٣ ص ٣٦٠

(٩) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٠٩، ج ٤ ص ٤٤٣

(١٠) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٠٠، ١١٤، ٣٦٢)، ج ٢ ص (٣١١، ٢٤٩، ١٥١، ٧٩، ٣٤٥)، ج ٤ ص (٩٩، ١٣٤)

- كتاب شرح التأويلات[1] لعلاء الدين السمرقندي[2]: وقد أشار الإمام النسفي النسفي إلى النقل منه في مواضع من تفسيره[3]، دون أن يشير إلى اسم مؤلفه.

- كتاب الإيجاز لأبي القاسم النيسابوري[4]: وهو تفسير للقرآن العظيم، واسمه: "إيجاز البيان عن معاني القرآن"، وقد أشار إليه الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره[5].

---

(١) ويُسمَّى الكتاب أيضاً: "التأويلات الماتريدية في بيان أصول أهل السنة وأصول التوحيد"، قال صاحب كشف الظنون: ((...جمعه الشيخ الإمام علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السَّمرقندي في ثمان مجلدات...)).اهـ. كشف الظنون: ج ١ ص ٣٣٦، وهذا الكتاب – أي: التأويلات الماتريدية في بيان أصول أهل السنة وأصول التوحيد – موجود منه الجزء الأول فقط في مكتبة خدابخش، برقم (٢٩٤)، وقد رجع إليه الدكتور: أيوب علي، وذكر أنَّ الكتاب ما هو إلا شرح لتفسير الماتريدي، والشارح هو: علاء الدين أبو بكر السمرقندي. انظر: موقع الدرر السنية/ موسوعة الفرق/ مصنفات الإمام الماتريدي، وهذا عنوان الموقع على الشبكة: https://dorar.net/firq/٤٥٥

(٢) محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو منصور، علاء الدين السَّمرقندي، من كبار فقهاء الحنفية، صاحب "تحفة الفقهاء"، وأستاذ الكاساني صاحب "البدائع" الذي شرح تحفته، وتزوَّج ابنته فاطمة، له تصانيف كثيرة، منها: تحفة الفقهاء في الفروع، تفسير القرآن، شرح التأويلات للماتريدي في أربع مجلدات، شرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع واللباب في الأصول وغير ذلك، مات سنة (٥٥٢هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٣ ص ١٨، ج ٤ ص ٢٥، تاج التراجم: ص ٢٥٢، الفوائد البهية: ص ١٥٨، هدية العارفين: ج ٦ ص ٩٢

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٥٨، ٢٠١، ٢١٨، ٢٤١، ٢٩٧، ٣٩٢)، ج ٢ ص ٣٠٠، ج ٣ ص ٢٩٩، ج ٤ ص (٢٢٤، ٤٣٢، ٥٣٧)

(٤) نجم الدين، أبو القاسم، محمود بن أبي الحسن علي بن الحسين النيسابوري القزويني، الشهير ببيان الحق، المفسِّر الفقيه اللغوي، ومن تصانيفه: إيجاز البيان عن معاني القرآن، باهر البرهان في مشكلات معاني القرآن، والتذكرة والتبصرة في مسائل الفقه، جمل الغرائب في تفسير الحديث، وغيرها، ولم يذكر تاريخ وفاته في كتب التراجم، ولكنه فرغ من تصنيف "الإيجاز" بالخجند سنة (٥٥٣هـ)، فتكون وفاته بعد ذلك. انظر في ترجمته: معجم الأدباء: ج ٥ ص ٤٨٨، بغية الوعاة: ج ٢ ص ٢٧٧، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٤٢٤-٤٢٥)، كشف الظنون: ج ١ ص ٢٠٥، هدية العارفين: ج ٦ ص ٤٠٣، والكتاب مطبوع، حقَّقه الدكتور حنيف بن حسن القاسمي.

(٥) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢٩٦

- كتاب اللباب[1] للكرماني[2]: وهو تفسير للقرآن العظيم، واسمه: "لباب التفسير"، وقد أشار إليه الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره[3]، دون أن يشير إلى اسم مؤلفه.

ب - مصادره في علوم القرآن:

- كتاب الوقوف[4] لأبي عبد الله السِّجاوَندي[5]: وقد أشار إليه الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره[6].

- كتابا الإشارة والبشارة: وهما كتابان في القراءات:

الأول: "الإشارة في القراءات العشر" [7] لأبي نصر العراقي[8].

---

(١) وقد أشار الزركلي إلى أنه مخطوط في شستربتي برقم: (٤١٤٧)، انظر: الأعلام: ج ٧ ص ١٦٨

(٢) محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي، تاج القراء، وأحد العلماء الفهماء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، ومن مصنفاته: لباب التفسير، الإيجاز في النحو، النظامي في النحو، الإفادة في النحو، العنوان، وغير ذلك، كان في حدود الخمسمائة، وتوفي بعدها. انظر في ترجمته: معجم الأدباء: ج ٥ ص ٤٨٨، بغية الوعاة: ج ٢ ص ٢٧٧، هدية العارفين: ج ٦ ص ٤٠٢

(٣) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٥٣

(٤) ذكر محقق الكتاب الدكتور: محمد بن عبد الله بن محمد العيدي أنَّه وردت عدة أسماء للكتاب في النسخ التي اعتمدها في التحقيق، وبينها اختلاف، فنسخة وردت بعنوان: "علل الوقوف" ،ونسخة بعنوان: "كتاب الوقف"، ونسخة بعنوان: "كتاب الوقف والابتداء"، ونسخة بعنوان: "كتاب الوقوف". وأشار أيضاً إلى اختلاف كتب التراجم والفنون في اسم الكتاب. انظر: كتاب علل الوقوف للإمام أبي عبد الله السجاوندي: ج ١ ص ٥٥

(٥) محمد بن طيفور الغزنوي، أبو عبد الله السِّجاوَندي، إمام كبير محقق مقرئ نحوي مفسر، كان في وسط المائة السادسة، وله تفسير حسن يُسمَّى بعين المعاني في تفسير السبع المثاني، وكتاب علل القراءات، وكتاب الوقف والابتداء الكبير، وآخر صغير، مات سنة (٥٦٠هـ). انظر في ترجمته: الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٣ ص ١٤٧، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: ص ٣٤٦، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ٢٧٤، كشف الظنون: ج ٢ ص ١٤٧٠

(٦) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٥٢

(٧) انظر: كشف الظنون: ج ١ ص ٩٨، والكتاب مطبوع ومحقق في رسائل جامعية.

(٨) منصور بن أحمد بن إبراهيم، أبو نصر العراقي، أستاذ كبير، محقق مؤلف، شيخ خراسان، كان من القراء المجوِّدين، ومن مصنفاته: كتاب الإشارة، والموجز في القراءات، وغير ذلك، مات سنة (٤٥٠هـ). انظر في ترجمته: الأنساب: ج ٤ ص (١٧٥-١٧٦)، غاية النهاية في طبقات القراء: ص ٤١٤

الثاني: "البشارة" اختصره ابنه عبد الحميد بن منصور[١]، واسم الكتاب: "البشارة من الإشارة في القراءات العشر واختيار أبي حاتم"، وقد أشار إليهما الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره[٢].

- **التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري**[٣]: وقد أشار إليه الإمام النسفي النسفي مرة واحدة في تفسيره[٤].

- **الكشف لأبي الحسن الباقولي**[٥]: وهو: "الكشف في نكت المعاني والإعراب وعلل القراءات المروية عن الأئمة السبعة" [٦]، واسم الكتاب بعد التحقيق: "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات" [٧].

وبالعودة إلى تفسير الإمام النسفي نجده تارة يُحيلنا إلى "جامع العلوم" [١]، وتارة يُحيلنا إلى إلى

---

(١) عبد الحميد بن منصور بن أحمد، أبو محمد، فخر الإسلام، ابن الشيخ منصور العراقي، رأس القرَّاء بما وراء النهر، مقرىء حاذق متصدِّر، تلا بالروايات على أبيه، واختصر كتابه: الإشارة، وسمَّاه: البشارة من الإشارة في القراءات العشر واختيار أبي حاتم، مات بسمرقند سنة (٤٨٦هـ). انظر في ترجمته: الأنساب: ج ٤ ص ١٧٦، غاية النهاية في طبقات القراء: ص ١٥٩

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢١٧

(٣) الإمام محب الدين، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين العكبري، البغدادي الضرير، النحوي الحنبلي، صاحب الإعراب، مصنفاته كثيرة، ومنها: كتاب إعراب القرآن الكريم، واسمه: "التبيان"، كتاب إعراب الحديث، كتاب شرح اللمع لابن جني، كتاب اللباب في علل النحو، شرح كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، كتاب إعراب شعر الحماسة، وغيرها. مات سنة (٦١٦هـ) ببغداد. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٣ ص (١٠٠-١٠١)، بغية الوعاة: ج ٢ ص (٣٨-٣٩)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (٢١٩-٢٢٠)،كشف الظنون: ج ١ ص ٣٤١

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٥٦

(٥) علي بن الحسين بن علي الضرير البغدادي، أبو الحسن الباقولي، الفقيه النحوي، المعروف بجامع العلوم، من تصانيفه: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القرآن، الإستدراك على أبي علي الفارسي، البيان في شواهد القرآن، شرح اللمع لابن جني، مات سنة (٥٤٣هـ). انظر في ترجمته: معجم الأدباء: ج ٤ ص (٨٦-٨٧)، بغية الوعاة: ج ٢ ص ١٦٠، ، هدية العارفين: ج ٥ ص ٦٩٧

(٦) انظر: كشف الظنون: ج ٢ ص ١٤٩٣

(٧) والكتاب مطبوع، حقَّقه الدكتور: محمد أحمد الدالي.

"الكشف" [٢] حتى إنَّ القارئ يظنُّ عودته إلى كتابين؛ ولكن بالعودة إلى كتاب "كشف المشكلات" للباقولي الملقب بـ: (جامع العلوم) تبيَّن أنَّه يُحيل إلى كتاب واحد، ألا وهو: "كشف المشكلات وإيضاح المعضلات".

٢- مصادره في الحديث النبوي الشريف:

- صحيحا الإمامين البخاري[٣] ومسلم[٤]:

وقد أشار إليهما صراحة الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره [٥].

- صحاح المصابيح للبغوي[٦]:

وقد أشار إليه الإمام النسفي مرتين في تفسيره:

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١١١، ١٧٥، ٣٩٦)، ج ٤ ص (١٠٦، ١٧٩)

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٠٢، ج ٤ ص (٣٧١، ٥٢٢)

(٣) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، أبو عبد الله البخاري، شيخ الإسلام، وإمام الحفَّاظ، طاف البلاد طلباً للحديث، وكتب عن أكثر من ألف رجل، وكان يحفظ مئة ألف حديث صحيح، ومئتي ألف حديث غير صحيح، وكان أعلم أهل زمانه بالحديث، ومن مصنفاته: الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، الأدب المفرد، التاريخ الصغير، التاريخ الكبير، كتاب الضعفاء، مات سنة (٢٥٦هـ). انظر في ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي الحسين بن أبي يعلى: ج ١ ص (٢٧١-٢٧٩)، طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي: ج ٢ ص (٢١٢-٢٣٤)، هدية العارفين: ج ٦ ص ١٦

(٤) الإمام الحافظ، صاحب الصحيح، أبو الحسين، مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ولد سنة (٢٠٤هـ)، مصنفاته كثيرة منها: الجامع الصحيح (صحيح مسلم)، أوهام المحدثين، أفراد الشاميين، أولاد الصحابة، كتاب التاريخ، كتاب السؤالات عن أحمد بن حنبل، كتاب العلل، المسند الكبير على الرجال، وغيرها، مات سنة (٢٦١هـ). انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ: ج ٢ ص (٥٨٨-٥٩٠)، طبقات الحفاظ للسيوطي: ص (٢٦٤-٢٦٥)، هدية العارفين: ج ٦ ص (٤٣١-٤٣٢)

(٥) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٢٩٦

(٦) محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي، الفقيه الشافعي، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، وله من التصانيف: معالم التنزيل في التفسير، شرح السنة، وكتاب المصابيح، الجمع بين الصحيحين، التهذيب في الفقه... وغيرها، مات سنة (٥١٦هـ)، وفي وفيات ابن خلكان سنة (٥١٠هـ)، انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٢ ص ١٣٦، تذكرة الحفاظ: ج ٤ ص (١٢٥٧-١٢٥٨)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (١٥٨ – ١٦٠)

الأولى: عند حديثه عن البسملة، وهو يفسِّر فاتحة الكتاب[١]، والثانية: عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يونس:٢٦] [٢].

- **بعض المسانيد**[٣]: وهو ليس اسم كتاب؛ وإنما إشارة إلى رجوعه إلى بعض كتب السنَّة، وقد ورد ذلك مرة واحدة في تفسيره[٤].

٣- مصادره في الفقه والأصول:

أشار الإمام النسفي في تفسيره إلى عدد من كتب الفقه والأصول، وهي:

- **المبسوط**[٥] **لفخر الإسلام البزدوي**[٦]: وقد أشار الإمام النسفي إلى النقل عنه عند عند حديثه عن البسملة، وهو يفسِّر فاتحة الكتاب[٧].

- **الكافي**[٨]: وقد أشار إليه الإمام النسفي مرتين في تفسيره[٩].

- **شرح المنار**[١٠]: وقد أشار إليه الإمام النسفي- أيضاً - مرتين في تفسيره[١١].

٤- مصادره في اللغة:

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٠

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٣١

(٣) المسانيد: جمع مُسنَد، والمسند: هو الكتاب الذي تُذكر فيه الأحاديث على ترتيب الصحابة رضي الله عنهم، بحيث يوافق حروف الهجاء، أو يوافق السوابق الإسلامية، أو شرافة النسب. منهج النقد في علوم الحديث: ص (٢٠١)، وانظر: التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث للنووي: ص ١٨

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٠٨

(٥) وقد أشار الزركلي إلى أنه مخطوط. انظر: الأعلام: ج ٤ ص ٣٢٨

(٦) علي بن محمد بن الحسين، أبو الحسن، المعروف بفخر الإسلام البزدوي، الفقيه الحنفي، الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، تصانيفه كثيرة ومعتبرة، ومنها: المبسوط، شرح الجامع الكبير، وكتاب كبير في أصول الفقه مشهور بأصول البزدوي، وله كتاب كبير في تفسير القرآن. مات سنة (٤٨٢هـ). انظر في ترجمته: الجواهر المضية: ج ٢ ص (٥٩٤-٥٩٥)، تاج التراجم: ص (٢٠٥-٢٠٦)، الفوائد البهية: ص ١٢٤

(٧) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٠

(٨) وهو من تأليفه حيث شرح فيه كتابه: "الوافي في الفروع".

(٩) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٠، ج ٤ ص ٣٥٨

(١٠) وهو من تأليفه حيث شرح فيه كتابه: "منار الأنوار في أصول الفقه"، واسمه: "كشف الأسرار".

(١١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٥٠، ٣٢١)

- **كتاب سيبويه**[1]: على الرغم من ذكر الإمام النسفي لاسم سيبويه كثيراً في تفسيره، واستشهاده بآرائه إلا أنَّه لم يذكر اسم كتابه صراحة إلا في موضعين من تفسيره[2].

- **الصِّحاح للجوهريِّ**[3]: ذكر الإمامُ النسفي الجوهريَّ مرتين صراحة في تفسيره[4]، في في حين لم يُصرِّح باسم كتابه "الصِّحاح"؛ إلا أنَّ المادة اللغوية التي أخذها عن الجوهريِّ تشير إلى أخذه عن الصِّحاح.

- **الديوان**[5]: وقد أشار إليه الإمام النسفي مرة واحدة في تفسيره[6]، دون أن يشير إلى اسم مؤلفه.

---

(١) أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب: سيبويه، مولى بني الحارث بن كعب، كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو، ولم يوضع فيه مثل كتابه، ورد إلى بغداد من البصرة، وناظر الكسائي، ثم خرج من بغداد، وقصد بلاد فارس فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها: البيضاء، وقيل: توفي في البصرة، وقيل غير ذلك، ومن تصانيفه: الكتاب ويُسمَّى: كتاب سيبويه، وكتاب الخيل، واختلف في وفاته، والصحيح أنه مات سنة (١٨٠هـ)، وسِيبَوَيه: لقب فارسي معناه بالعربية: رائحة التفاح. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٣ ص (٤٦٣-٤٦٥)، بغية الوعاة: ج ٢ ص (٢٢٩-٢٣٠)،كشف الظنون: ج ٢ ص ١٤٢٦، أسماء الكتب: ج ١ ص ٢٤١

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٧٦، ج ٤ ص ٢٩٧

(٣) الإمام أبو نصر إسماعيل بن حمَّاد الجوهري الفارابي، صاحب الصِّحاح، كان إماماً في اللغة والأدب، وخطُّه يُضرب به المثل، طوَّف البلاد، ثم أقام بنيسابور ملازماً للتدريس والتأليف، ومن مصنفاته: الصِّحاح في اللغة، شرح أدب الكاتب، كتاب العروض، مقدمة في النحو، مات سنة (٣٩٣هـ) متردياً من سطح بيته بنيسابور وهو يحاول الطيران. انظر في ترجمته: معجم الأدباء: ج ٢ ص (٢٠٥-٢٠٩)، بغية الوعاة: ج ١ ص (٤٤٦-٤٤٧)،كشف الظنون: ج ٢ ص ١٠٧١، هدية العارفين: ج ٥ ص ٢٠٩

(٤) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤١٧، ج ٤ ص ٢١٩

(٥) بعد البحث فيما بين يديَّ من المصادر لم أقف على كتاب "الديوان" الذي نقل عنه الإمام النسفي، ولقد ذكرته بين كتب اللغة اعتماداً على النقل الذي أورده الإمام النسفي، قال الشيخ مروان الشعار محقق تفسير النسفي الذي اعتمدت طبعته: ((وهو كتاب "التبيان في شرح ديوان أبي الطيب المتنبي" لأبي البقاء العكبري)). مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٧

(٦) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٢٩٩

ثالثاً: منزلة تفسيره وآراء العلماء فيه:

لم يتناول أحدٌ من العلماء المتقدمين – قبل حاجي خليفة[1] – تفسيرَ الإمام النسفي بالدراسة والتحليل والنقد، حتى جاء حاجي خليفة فوَصَفَه في كتابه "كشف الظنون" بقوله: ((وهو كتابٌ وسطٌ في التأويلات، جامعٌ لوجوه الإعراب والقراءات، متضمِّنٌ لدقائق علم البديع والإشارات، حالٍ بأقاويل أهل السُّنة والجماعة، خالٍ عن أباطيل أهل البدع والضلالة، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ، اختصره الشيخ زين الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أبي بكر بن العيني[2]، وزاد فيه...))[3].

ثمَّ جاء العلماء المتأخرون في العصر الحديث، وتناولوا هذا التفسير بالدراسة والتحليل والنقد، ومعظم من كَتَبَ حول تاريخ التفسير ورجاله تطرق للحديث عن الإمام النسفي وتفسيره، وقد اتفقت كلمتهم على أنَّ هذا التفسير جاء جامعاً لوجوه الإعراب والقراءات، اختصره الإمام النسفي من تفسيريِّ الزمخشري والبيضاوي، حيث أخذ عن كلٍ منهما ما وجد في تفسيره من محاسن وميزات، فأخذ من البيضاوي معناه الدقيق، وفهمه الواعي، وتوجيهه السديد، وإيجازه المركَّز، وأخذ عن الزمخشري النُّكت البلاغية، والمحسِّنات البديعية، والكشف عن المعاني الدقيقة الخفية، وأورد فيه ما أورده الزمخشري في تفسيره من الأسئلة والأجوبة؛ لكن

---

(١) مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، أو كاتب جلبي، مؤرخ وبحَّاث تركي، ولد في استانبول سنة (١٦٠٩م)، واشترك في عدة حملات عسكرية، ثم عكف على الدرس والكتابة التاريخية، بلغت كتبه ٢٢ كتاباً، أشهرها: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، جامع المتون من جل الفنون، وغيرها. مات سنة ١٦٥٧م. انظر في ترجمته: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٣ ص ١٣٠١، وهناك ترجمة مطولة عنه أعدت في مقدمة كتابه: "سلم الوصول إلى طبقات الفحول" بتحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، وإشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، من الصفحة (٩) حتى الصفحة (٢٨)

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، زين الدين المعروف بابن العيني، ولد بدمشق سنة (٨٣٧هـ)، واشتغل بالفقه والأصول والأدب والنحو، وصنّف في العربية والعروض، وكتب في تفسير اللغة التركية، ومن مصنفاته: شرح الألفية لابن مالك، وحلّ الشاطبية في القراءات، وله شرح المنار في الأصول، مات سنة (٨٩٣هـ)، انظر في ترجمته: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي: ج ٤ ص٧١، الأعلام: ج ٣ ص ٣٠٠

(٣) كشف الظنون: ج ٢ ص ١٦٤٠

لا على طريقته، من قوله: ((فإن قيل ... قلت))؛ بل جعل ذلك في الغالب كلاماً مدرجاً في ضمن شرحه للآية، كما أخذ من الزمخشري خبرته الواسعة باللغة، ومناقشته للآراء المتعددة، واختيار ما يراه؛ على أنَّه لم يقع فيما وقع فيه الزمخشري في "كشَّافه" من التعصب لمذهب الاعتزال، وحملِ الآيات في تعسفٍ على تأييد أصوله وقواعده، إنَّه على العكس من ذلك اتخذ موقفاً مضاداً، فحارب ما يخالف مذهب أهل السُّنَّة والجماعة مستفيداً من طريقة الزمخشري، رادّاً عليه، منتقداً طريقته وحُججه، فالإمام النسفي يعنيه بالدرجة الأولى الدفاعُ عن وجهة نظر أهل السُّنة والجماعة، والرَّدُّ على أهل البدع والأهواء، كما أنَّه لم يقع فيما وقع فيه الزمخشري من ذكره للأحاديث الموضوعة في فضائل السور[١].

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: ((قرأت في هذا التفسير فوجدته... موجز العبارة، سهل المأخذ، مختصراً من تفسير الكشَّاف – جامعاً لمحاسنه، متحاشياً لمساوئه – ومن تفسير البيضاوي أيضاً حتى إنَّه ليأخذ عبارتَه بنصِّها، أو قريباً منه، ويُضمِّنها تفسيره))[٢].

ويقول الدكتور منيع عبد الحليم محمود[٣]: ((ويعتبر هذا التفسير من التفاسير العلمية المحرَّرة، ليس بالطويل المملِّ، ولا بالقصير المخلِّ...والناظر في هذا التفسير يجد فيه فهماً واعياً، وخبرةً

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٥، مناهج المفسرين للدكتور منيع محمود: ص (٢١٧– ٢١٨)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٩١، مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح: ص ٢٩٣

(٢) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٦

(٣) هو ابن شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد الحليم محمود، ولد في القاهرة سنة (١٩٤٥مـ)، وتخرج في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، وعُيِّن معيداً بها، ثم ترقى علمياً حتى حصل على درجة الأستاذية في التفسير وعلوم القرآن الكريم، ومن مؤلفاته: مناهج المفسرين، أبو الأنبياء: دراسة من القرآن الكريم (رسالته للدكتوراة)، دستور الحرب في الإسلام، وكان خلقه القرآن... وله الكثير من البحوث والمقالات، هذا غير الأحاديث الإذاعية. مات بالقاهرة سنة (٢٠٠٩م) انظر في ترجمته: موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة: منيع-عبد-الحليم-محمود/https://ar.wikipedia.org/wiki آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم ٢٦ فبراير ٢٠١٨، الساعة ١١:١٥

دقيقة، واطلاعاً واسعاً، وحسن استفادة من هذا الاطلاع...وقد استفاد من تفسيريِّ البيضاوي والكشَّاف أيَّما استفادة...))[1].

وبالجملة فهو تفسيرٌ قيِّم، موجزُ العبارة، سهلُ المأخذ، غزيرُ الفائدة، مما جعله مرجعاً مهماً في التفسير للدَّارسين متداولاً بين أهل العلم[2]، ولفوائده العظيمة، ومزاياه الجليلة؛ فقد قُرِّر تدريسه في الأزهر في مصر، وعليه المعوَّل في الدراسة في كثير من المعاهد الشرعية، والجامعات في كثير من البلاد العربية والإسلامية[3].

وأخيراً: يقول الدكتور منيع عبد الحليم محمود منصفاً تفسير الإمام النسفي: ((والواقع أنَّه على الرغم من منزلة الإمام النسفي الكبرى؛ فإنَّ مكانته في علم الكلام هي مناط شهرته، ومصدر ذيوع صيته، أمَّا تفسيره – على ما له من مكانةٍ كبيرةٍ لا تُنكر، ومن منزلة سامية لا يُشكُّ فيها – فإنَّه كان فيه عالةً على تفسير الإمام البيضاوي، وعلى تفسير الإمام الزمخشري، في مجال معين هو مجال الجوانب البلاغية التي برع فيها جار الله الزمخشري، ولم يجاره فيها مجارٍ، والإمام النسفي وإن كان عَنِيَ عناية بالغة بالردِّ على الإمام الزمخشري؛ فإنَّه تبنَّى كل ما كتبه الإمام الزمخشري تقريباً في البلاغة القرآنية))[4].

رابعاً: نبذة عن منهج الإمام النسفي في تفسيره:

يبدأ الإمام النسفي تفسيره للسورة غالباً بذكر اسمها، ومكيِّها ومدنيِّها، وعدد آياتها، والاختلاف في ذلك، ثم يبدأ بتفسيرها آيةً آيةً، ذاكراً أقوال العلماء في تفسيرها، مُرجِّحاً في بعض الأحيان.

---

(١) مناهج المفسرين للدكتور منيع محمود: ص (٢١٧- ٢١٨)

(٢) انظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٩١

(٣) وهو كلام الدكتور سائد بكداش محقق كتاب "كنز الدقائق في الفقه الحنفي". انظر: ص ٣٠

(٤) مناهج المفسرين للدكتور منيع محمود: ص (٢٢٠)

وتفسيره يُصنَّف ضمن كتب التفسير بالرأي المحمود[١]، فنجده يُفسِّر القرآن بالقرآن[٢]، وبأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم[٣]، وبأقوال الصَّحابة[٤]، والتابعين[٥]، ممَّا يُوضِّح معاني الآيات، ويُبيِّن الأحكام المتعلقة بالآية.

وهو إذ يذكر أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم فإنَّه يذكرها دون إسناد، ودون تخريج، ودون ذكر اسم الصحابي راوي الحديث في الغالب؛ وإنما يقتصر على قوله: (وروي)[٦]، أو

---

(١) المراد بالرأي هنا: الاجتهاد، فإن كان الاجتهاد مستنداً إلى أمور أربعة، بعيداً عن الجهالة والضلالة فالتفسير به محمود، وإلا فمذموم. والأمور التي يجب استناد الاجتهاد إليها في التفسير هي:

أولاً: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع التحرُّز عن الضعيف والموضوع، ثانياً: الأخذ بقول الصحابي، فقد قيل: إنه في حكم المرفوع مطلقاً، وخصَّه بعضهم بأسباب النزول، ونحوِها ممّا لا مجال للرأي فيه، ثالثاً: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدلُّ عليه الكثير من كلام العرب، رابعاً: الأخذ بما يقتضيه الكلام، ويدلُّ عليه قانون الشرع، وهذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ((اللهم فقِّهه في الدِّين، وعلِّمه التأويل)).

فالتفسير بالرأي المحمود يجب أن يُلاحظ فيه الاعتماد على ما نُقل عن الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وأصحابِه مما ينير السبيل للمفسِّر برأيه، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة، خبيراً بأساليبها، وأن يكون بصيراً بقانون الشريعة؛ حتى يُنزل كلام الله على المعروف من تشريعه.

– أما الأمور التي يجب البعد عنها في التفسير بالرأي فهي:

أولاً: التهجم على تبيين مراد الله من كلامه على جهالة بقوانين اللغة أو الشريعة، ثانياً: حمل كلام الله على المذاهب الفاسدة، ثالثاً: الخوض فيما استأثر الله بعلمه، رابعاً: القطع بأنَّ مراد الله كذا من غير دليل، خامساً: السير مع الهوى والاستحسان. ويمكن تلخيص هذه الأمور الخمسة في كلمتين هما: الجهالة والضلالة. انظر: مناهل العرفان: ج ٢ ص (٣٦-٣٧)، من روائع القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ص (٧٧-٨٠)

(٢) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٠٦، ٢٣٨)، ج ٢ ص (٩٦، ٣٧٤)، ج ٣ ص (١٥٥، ٤٠٧)، ج ٤ ص (٩٩، ٢٧٣)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٨٩، ٣٦٠)، ج ٢ ص ٣٧٦، ج ٣ ص (٥٣، ٢٨٤)، ج ٤ ص (٤٧، ٢٠٩)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٥٠، ٣٣٣)، ج ٢ ص ٣٢، ج ٣ ص (١٤٨، ٢٠٧)، ج ٤ ص (٢٨٦، ٤٧٠)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ١٠٤، ج ٢ ص (١٢، ٤٦٧)، ج ٣ ص (١٤٨، ٣٠٥)، ج ٤ ص (١٥٥، ٢١٢)

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٦٥، ٢٤٣)، ج ٢ ص (٢٢٨، ٣٣٨)، ج ٣ ص (٢٤١، ٣٧٤)، ج ٤ ص (٦٣، ٢٩٢)

قوله: (في الحديث) [1]، أو قوله: (جاء في الحديث) [2]، كما أنَّه لا يحكم على الأحاديث التي يوردها بصحةٍ أو ضعفٍ، ويذكر الأحاديث غالباً بالمعنى[3]، ويمتاز بإقلاله من الإسرائيليات، وما يذكره من روايات إسرائيلية – أحياناً – يمرُّ عليها دون أن يتعقَّبَها[4]، وأحياناً أخرى يتعمَّد ذكر بعض الروايات؛ ليُبيِّن أنَّها خرافات وإسرائيليات يهدف أصحابها من وضعها إلى تشكيكِ المسلمين في أمر دينهم، خصوصاً تلك التي تمسُّ العقيدة، وتتنافى مع عصمة الأنبياء؛ لذلك يتعقَّبُها بردِّه، ولا يرتضيها[5]، فالإمام النسفي يتصدَّى للتنبيه والردِّ

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٠٣، ١٩٨)، ج ٢ ص (١١، ٣٥٦)، ج ٣ ص (١٣٣، ٣٢٣)، ج ٤ ص (٢٨٠، ٤٥٨)

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٦٠، ٢٩٤)، ج ٤ ص ٢٦٣

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٨٧، ج ٣ ص ٣٠٢، ج ٤ ص ٣٨٤

(٤) فمثلاً: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ [النمل:١٦] يقول الإمام النسفي: ج ٣ ص ٣٠٠ : ((روي أنه صاحت فاختة، فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاووس، فقال: يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد، فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبون...))، ثمَّ ذكر أصنافاً من الطير دون أن يُعقِّب على ذلك بشيء، كذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل:٣٥] يقول الدكتور الذهبي: ((نراه يذكر خبر هدية بلقيس لسليمان، وما كان من امتحانها له، وهو خبرٌ أشبه ما يكون بقصة نسجها خيال شخص مسرف في تخيُّله، ومع ذلك فلا يُعقِّب عليها الإمام النسفي بكلمة واحدة)). التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٨، وانظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٠٨

(٥) فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ [ص:٢١-٢٢] نلاحظ أنَّ الإمام النسفي – بعد أن يذكر من الروايات ما لا يتنافى مع عصمة نبي الله داود عليه الصلاة والسلام – يقول: ((وما يُحكى أنه بعث مرةً بعد مرةٍ أوريا إلى غزوة البلقاء، وأحبَّ أن يُقتل ليتزوجها، فلا يليق من المتَّسِمين بالصلاح من أفنان المسلمين، فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء. وقال عليّ رضي الله عنه: مَن حدَّثكم بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القُصَّاص جلدته مائة وستين هو حد الفِرية على الأنبياء)). انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٨، كذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ

والردِّ على القَصص المكذوب الذي يتنافى مع عصمة الأنبياء، ولا يتساهل في ذلك تساهُلَه في الروايات الإسرائيلية التي تجوز روايتها، ولا تمسُّ العقيدة، ولعلَّه يرى أنَّ كل ما يمسُّ العقيدة من هذه القصص يجب التنبيه على عدم صحته، وما لا يمسُّ العقيدة فلا مانع من روايته بدون تعقيب عليه، ما دام يحتمل الصِّدق والكذب في ذاته، ولا يتنافى مع العقل، أو يتصادم مع الشرع(١).

وفي جانب اللغة يذكر معنى الكلمة(٢)، مع الاشتقاق(٣) والتصريف أحياناً(٤)، ويعتمد على أبيات الشعر في بيان معاني الكلمات(٥)، وتأكيدِ المعنى الذي فسَّر به(٦)، وتوجيهِ الأعاريب(٧)، وتأكيدِ الصور البلاغية(٨).

جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ [ص:٣٤] نلاحظ أنَّ الإمام النسفي – بعد أن يذكر من الروايات ما لا يتنافى مع عصمة نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام – يقول: ((وأمَّا ما يُروى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام، فمن أباطيل اليهود)). انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٦٣، وانظر – مثلاً – في: ج ٢ ص (٣١١-٣١٢) كلام الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف:٢٤]

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٣٠٨-٣٠٩)، علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ٩١

(٢) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٣٦،٤٩، ١٤٤)، ج ٢ ص (٣٦، ١١٥، ٤٧٧)، ج ٣ ص (٤٠، ١١٣، ٤٨١)، ج ٤ ص (٤٧، ٣١٥، ٣٧٦)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٥٨، ٣٣٩، ٣٩٣)، ج ٢ ص (٨٤، ١٤١، ١٩٤، ٣٠٣)، ج ٣ ص ١٩٥، ج ٤ ص (٢٨٧، ٥٤٦)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٠١، ٢٩٥، ٣١٨)، ج ٢ ص (٧٧، ٢٦٧، ٣٢١-٣٢٢)، ج ٣ ص (٥٢، ١٨٠، ٣٨١)، ج ٤ ص (٢٩٩، ٤٨٦، ٥٦٩)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٠٣، ٢١٤)، ج ٢ ص ٣٦، ج ٣ ص (٩٣، ١٢٠، ١٦١)، ج ٤ ص (١٣٢، ٣١٣)

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٤٩، ١٤٦، ٢١٠)، ج ٢ ص (٨١، ١٤٤، ٣٥١)، ج ٣ ص (٥٥، ١٧٥، ٤٠٨)، ج ٤ ص (٣٣، ٢٥٠، ٣٦٩)

(٧) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٦٣، ٣٥٩، ٤٢٤)، ج ٢ ص (١٨٠، ٢٨١، ٤٠١)، ج ٣ ص (١٦٩، ١٧٨، ٢٥٦)، ج ٤ ص (١٧٤، ٣٧٤، ٤٥٩)

(٨) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٥، ٥٧، ١٧١)، ج ٢ ص ٢٧٥، ج ٣ ص ٢٣٨، ج ٤ ص ٣١

ومن ناحية الإعراب نجد أنَّه لم يتوسع في الإعراب[١]، ولم يدخل في تفصيلات فرعية، تُشتِّت الذهن، وتبتعد بالقارئ عن الجو القرآني[٢]، مع الترجيح بين أوجه الإعراب أحياناً[٣]، وبيان وبيان اختلاف المعنى المترتب على اختلافها[٤].

وبالنسبة لعلوم القرآن، فهو يذكر اسم السورة، ويذكر سبب تسميتها أحياناً[٥]، ويذكر المكيَّ المكيَّ والمدنيَّ، ويهتم بالمناسبات حيث يذكر المناسبات بين الآيات[٦]، ويذكر أسباب النزول النزول دون التزام بالصحيح منها أحياناً [٧]، وإذا تعدَّدت الروايات ذكرها دون ترجيح[٨]، وأحياناً يرجِّح[٩]، ويتطرق أحياناً للوقف والابتداء[١٠].

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٩٦، ٢٣٢)، ج ٢ ص (١٢٢، ٣٥٧)، ج ٣ ص (٥٦، ١٢٤)، ج ٤ ص (٦٧، ١٢٨)

(٢) مناهج المفسرين للدكتور منيع محمود: ص ٢١٨، وانظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٠٦

(٣) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٩، ١١، ١٨٢، ٣٥٦، ٣٥٨)، ج ٣ ص (١٠٤، ١٨٣، ٢٨٧، ٣٠٢، ٤٣٦)، ج ٤ ص (٦، ٨٦، ١٢٨، ٣١٨، ٥٢٨)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٥٢، ٤١٢، ٤١٧)، ج ٢ ص (٦، ٥٠-٥١، ١٩٩)، ج ٣ ص (١٥، ٣٢، ٦٩)، ج ٤ ص (١٢٨، ١٥٤، ٤٧٨)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٩، ج ٢ ص ١٦٥، ج ٤ ص ٤٠٠

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٦، ٦٤، ٢٠٠)، ج ٢ ص (٢٣، ١٤٦، ٢٦١)، ج ٣ ص (٨٨، ١٥٣، ٣٨٨)، ج ٤ ص (٧٦، ١٠٣، ٤٣٤)

(٧) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٤٠، ج ٢ ص (١٩٦-١٩٧)، ج ٤ ص ٢٤٧

(٨) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢١٠،٢٧٥، ٣٠٣)، ج ٢ ص ١٧٤، ج ٣ ص (٢٢٩، ٣٥٠، ٣٦٠)، ج ٤ ص (٢٤٤، ٢٥٠)

(٩) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٣ ص ٧٠

(١٠) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٧٤، ١٣٥، ٤٠٤)، ج ٢ ص (٢٨، ١٧٩، ٢٤٥)، ج ٣ ص (١٤٢، ٣٧٨، ٤٠١)، ج ٤ ص (٤٣، ١٠٤، ٤٧٩)

أمَّا بالنسبة للقراءات فقد استعرض الإمام النسفي كثيراً من القراءات القرآنية مع التوجيه لها[١]، والاختيار فيما بينها[٢]، وبيان ما إذا كان المعنى يختلف باختلافها[٣]، كما نجده يوفق يوفق بين الآيات التي يُوهم ظاهرها التعارض[٤]، ويتعرض للناسخ والمنسوخ[٥].

كذلك عند تفسيره لآيةٍ من آيات الأحكام يذكر آراء الفقهاء في المسألة الواحدة، وأحياناً يُرجِّح [٦]، وأحياناً أخرى يستعرض الآراء دون ترجيحٍ [٧]، وينتصر لمذهبه الحنفي، ويردُّ على على من خالفه في كثير من الأحيان[٨].

وكذلك يتعرض للكلام في أصول الفقه، فهو يرى أنَّ الإجماع حجةٌ لايجوز مخالفتها [٩]، ويرى جواز القياس، وأنَّه حجةٌ أيضاً[١٠]، كما كان يقول بجواز الاجتهاد، ويدعو لذلك[١١].

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٢١، ١٧٠)، ج ٢ ص (١٤، ٨٥)، ج ٣ ص (٩٠، ٩٠، ٣٢٣)، ج ٤ ص (٢٧، ٤٧٩)

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٤ ص (١١١، ١١٣-١١٤، ٤٨٢، ٥٦٨)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٣٦، ٢٨٧)، ج ٢ ص (٣٦، ١٣٩)، ج ٣ ص (١٣١، ٢١٤)، ج ج ٤ ص (٢٦٤، ٣١٩)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٢ ص (٨٢، ١٠٠)، ج ٣ ص (١٩١، ٤١٨، ٤٩١)، ج ٤ ص (١٩٢، ٣١٣، ٥١٥)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٥٠، ٢١٧)، ج ٢ ص ٣٩٩، ج ٣ ص (١٩٦، ٤٥١)، ج ٤ ص ص (٢٢١، ٣٦٥)

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٦٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٨، ٣٥٩، ٣٦٠)، ج ٣ ص (١٥١، ١٥٢، ١٥٢، ٢١١-٢١٢)، ج ٤ ص (٢٢٠، ٢٢١)

(٧) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٦١، ٣٣٣)، ج ٢ ص (١٧٧، ٣٥٠)، ج ٣ ص (١٩٨، ١٩٩)

(٨) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٩، ٣٠، ١٤٨، ١٦٠، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٩-١٨١، ١٨٨، ٢١٦، ٣٥٩)، ج ٤ ص (٣٩٠، ٣٩١)

(٩) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٣٢-١٣٣، ٣٦٥)، ج ٢ ص ٢١٤

(١٠) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٨٦، ٣٤٨)، ج ٤ ص (٣٢٣، ٣٥٢)

(١١) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٠٢، ٢٨٦، ٣٦٢)، ج ٢ ص (١٦١، ١٨٥)، ج ٣ ص (١٧، ٩٥، ٩٨)

ويتطرَّق أحياناً للمباحث الكونية[١]، ومباحث الطبِّ[٢]، ويتعرَّض في بعض المواطن للتفسير للتفسير الإشاري[٣] بعد الفراغ من التفسير الظاهر[٤].

أما في جانب العقيدة فالإمام النسفي إمام من أئمَّة أهل السنَّة والجماعة، فهو يعتمدُ منهج التأويل في الآيات المتشابهات[٥]، ويُقرِّرُ مذهب أهل السنَّة والجماعة، ويعرِضُ مذاهب مَنْ خالفهم من الفِرَق الضَّالة، ويردُّ عليها، كما سبق عند الكلام عن عقيدة الإمام النسفي.

المطلب الحادي عشر: عصر الإمام النسفي:

أولاً: الحالة السياسية [٦]:

عاش الإمام النسفي في القرن السابع الهجري ومطلع القرن الثامن الهجري، وهو عصرٌ حافل بالأحداث والحروب والصراعات، فلقد كان القرن السابع الهجري من أسوأ القرون التي مرَّت على الأمَّة الإسلامية؛ وذلك لكثرة ما وقع فيه من الأحداث الجسيمة، والحروب الطاحنة، وما تعرَّضت له الأمَّة الإسلامية من الهجمات والنكبات على أيدي الأعداء.

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٦١-١٤١،٦٢-١٤٢، ٢٠٤، ٢٠٦،)، ج ٢ ص (٣٤٨، ٣٥٤-٣٥٥، ٣٧٧، ٣٨٩)، ج ٣ ص (٢١٤-٢١٥، ٢١٩-٢٢٠، ٢٥٣)، ج ٤ ص (١٤-١٥، ٢٦-٢٧، ٢٦٨-٢٦٩، ٤٠٢، ٤٩٢)

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٢ ص (٧٥، ٤٢١)، ج ٣ ص ٥٤

(٣) التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره؛ لإشارةٍ خفيةٍ تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها بينها وبين الظاهر المراد أيضاً. مناهل العرفان: ج ٢ ص ٥٦

(٤) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٨٥، ٣٠٣)، ج ٢ ص ٣٤٢، ج ٣ ص (١٣٧، ٢٧٣، ٣٣٦، ٣٤٣، ٣٧٥، ٣٨٢-٣٨٣، ٤٢٠)، ج ٤ ص (١٥٢، ٤٩٣)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٧٨، ١٦٧، ٤٠٣-٤٠٤، ٤٢٠-٤٢١)، ج ٢ ص (٦، ٦٢، ١٤٢، ١٤٢، ٢٦٩)، ج ٣ ص (٧٧، ٨٤)، ج ٤ ص (٧٢، ٩٤، ٢٣٢-٢٣٣، ٢٨٤، ٣١٠، ٥٢٢)

(٦) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي للدكتور حسن ابراهيم حسن: ج ٤ ص (١٣٤-١٤٠)

ففي أوائل القرن السابع الهجري كانت الدولة العباسية قائمةً في بغداد[١]، وتحت سيادتها جزءٌ من بلاد العراق، واقتصرت سلطة الخليفة خارج رقعة بلاده الضيقة على المظهر الديني.

وكان العالم الإسلامي منقسماً إلى دويلات كثيرة انشغل حُكَّامها بالتوسع كلٌّ على حساب الآخر.

كما قامت في الشرق إمبراطورية خوارزم[٢] العظيمة التي كانت في أول الأمر تحمي الخلافة العباسية من الشرق والشمال الشرقي بقوة جيوشها وضخامة أموالها، ولكنَّ علاء الدين محمد خوارزم شاه[٣] طمع في الاستيلاء على بغداد، وانتزاع السلطة من الخليفة العباسي؛ إلا أنَّه اضطر إلى التراجع بسبب هبوب عاصفة ثلجية، وبسبب تقدُّم التتار[٤] نحو بلاده، وإحلالهم وإحلالهم الهزيمة بجيوشه، حتى إنَّه اضطر إلى الهرب ومات سنة (٦١٧هـ)[٥].

---

(١) من أكبر مدن العراق، بناها الخليفة أبو جعفر المنصور سنة (١٤٥هـ) على ضفتي نهر دجلة، وسمّاها مدينة المنصور، وكانت مركز الخلافة، ولؤلؤة الشرق، واليوم هي عاصمة جمهورية العراق وأكبر مدنها، تشتهر بالصناعات الإلكترونية والكهربائية، وصناعة الحديد والصلب، وفيها الكثير من المعالم التاريخية والحضارية والعلمية، انظر: معجم البلدان: ج ١ ص ٤٥٦، موسوعة المدن العربية والإسلامية: ص ٧١

(٢) إمبراطورية من العصور الوسطى كانت في وسط آسيا، عاصمتها أورجينتش، دخلت الإسلام في القرن الثامن، ضمت بخارى وسمرقند ومعظم بلاد فارس في زمن السلاجقة الأتراك في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وغزاها التتار بقيادة جنكز خان وقضوا عليها (١٢١٨م – ١٢٢٤م)، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٣ ص ١٤٥٨

(٣) علاء الدين محمد بن السلطان علاء الدين تكش، كان ملكاً جليلاً، واسع الممالك، كثير الحروب، ذا ظلم وجبروت ودهاء، تسلطن بعد والده علاء الدين تكش، فدانت له الملوك، وذلَّت له الأمم، إلى أن قُهر بخروج التتار، كما كان عالماً بالفقه والأصول وغيرهما، وكان مكرِّماً للعلماء، محباً لهم محسناً إليهم، مات سنة (٦١٧هـ)، انظر في ترجمته: الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ١٠ ص ٤٠٧، شذرات الذهب: ج ٥ ص ٧٦، و(خوارزم شاه) هو لقب حكّام خوارزم قبل الفتح العربي وما بعده، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٣ ص ١٤٥٨

(٤) وهم نوع من الترك، ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين، وبينها وبين بلاد الإسلام ما يزيد على ستة أشهر، ملكوا الدنيا في سنة واحدة، وملكهم هو جنكز خان، وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرّمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد لا يعرف أباه. انظر: الكامل في التاريخ: ج ١٠ ص ٤٠٠، البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٨٨

(٥) انظر: البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٨٨

هذا في المشرق الإسلامي، أمَّا في الولايات الإسلامية الأخرى فقد كانت الجزيرة ومصر ومعظم بلاد الشام[١] تحت سلطان خلفاء صلاح الدين الأيوبي[٢]، ولكنَّ انقسام الدولة الأيوبية[٣] بعد وفاة الملك العادل[٤] سنة (٦١٥هـ) بين أولاده الذين انشغلوا بالمنازعات

---

(١) قال الأصطخري في: "المسالك والممالك" ص (٢٣): ((وأما الشام: فإنَّ غربيَّها بحر الروم، وشرقيَّها البادية من أيلة إلى الفرات، ثم من الفرات إلى حد الروم، وشماليَّها بلاد الروم، وجنوبيَّها حد مصر وتيه بني إسرائيل، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح، ومما يلي الروم الثغور...)).اهـ. فهي المنطقة الممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتمتد شرقاً إلى منطقة الجزيرة السورية شرق نهر الفرات، وتمتد شمالاً إلى تركيا حالياً، وإلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً، وفي الوقت الحاضر تشتمل على سورية وفلسطين والأردن ولبنان، انظر: معجم البلدان: ج ٣ ص (٣١٢-٣١٥)، آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني: ص (٨١-٨٢)، المسالك والممالك للأصطخري: ص (٢٣-٢٧)

(٢) السلطان صلاح الدين، الملك الناصر، أبو المظفر، يوسف بن أيوب بن شادي، اتفق أهل التاريخ على أن أباه وأهله من دُوِين ، وأنهم أكراد رَوَادية، مَلَكَ البلاد، ودانت له العباد، وأكثر من الغزو وأطاب، ويقال إنه فتح ستين حصناً؛ ولم يبلغ ستين سنة، وكسر الفرنج مرات، وأعظم انتصاراته كانت في حطين سنة (٥٨٣هـ)، وكان خليقاً بالملك، شديد الهيبة، محبباً إلى الأمة، عالي الهمة، جم المناقب، شديد الرغبة في سماع الحديث، توفي بقلعة دمشق، ودُفن تحت قبة شمالي الجامع الأموي سنة (٥٨٩هـ)، انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٧ ص ١٣٩، البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٢، شذرات الذهب: ج ٤ ص (٢٩٨-٣٠٠)

(٣) وهي دولة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وأولاده، ودولة أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد وأولاده، حكمت مصر والشام واليمن من سنة (١١٦٩م - ١٢٥٠م)، ويرجع نسب الأيوبيين إلى نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان المتوفى سنة (٥٦٨هـ)، كانت من الدول المستقلة التابعة للخلافة العباسية، وزالت هذه الدولة بقتل المعظَّم توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب على يد المماليك، وبقتله أُسدل الستار عن الدولة الأيوبية، وقامت دولة المماليك البحرية، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ١ ص (٥٧٠-٥٧٣)، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري: ج ٢٨ ص ٢٣٢، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ج ٤ ص (١٠٤-١١٥)

(٤) السلطان سيف الدين أبو بكر محمد بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادي، كان أخوه صلاح الدين يستشيره ويعتمد على رأيه وعقله، استنابه بمصر مدة، ثم أعطاه حلب، ثم الكرك عوضها، ثم حرَّان، وآخر الأمر استقل بمملكة الديار المصرية سنة (٥٩٦هـ)، واستقرت له القواعد، وملك معها البلاد الشامية والشرقية، ثم ملك اليمن سنة (٦١٢هـ)، ولما تمهدت له البلاد، قسّمها بين أولاده، وكان ملكاً عظيماً، حسن السيرة، حازماً في الأمور صالحاً، متبعاً لأرباب السنة، مائلاً إلى العلماء، خلّف أولاداً لم يخلف أحد من الملوك أمثالهم، مات سنة (٦١٥هـ) بعالقين، ونقل إلى دمشق، ودفن في مدرسته المعروفة بالعادلية، انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: ج ٥ ص (٧٤-٧٨)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج ٤٤ ص (٢٦٨-٢٧١)، شذرات الذهب: ج ٥ ص ٦٥

والحروب، وحروب الصليبيين[١] وتهديداتهم لكل من سوريا ومصر؛ كلُّ ذلك حال دون إقامة تحالف إسلامي يستطيع الوقوف في وجه التتار، لذلك لم يكن سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) حدثاً مفاجئاً؛ وإنما كان نتيجة حتمية لضعف العالم الإسلامي، وإتاحة الفرصة للتتار لشن غاراتهم على البلاد الإسلامية التي بدأت في سنة (٦١٧هـ).

فعندما قتلَ خوارزم شاه تجاراً من التتار كانوا قد نزلوا ببلاده؛ وقعت الطامَّة الكبرى، واتجهت جيوش التتار شطر بلاد خوارزم شاه؛ انتقاماً لمقتل أولئك التجار، وانساب فرسانهم مزودين بأحسن أنواع السلاح انسياب الثلوج من قمم الجبال، واكتسحوا في طريقهم الحواضر الإسلامية، وخرَّبوا ما فيها من ثقافة ومدنيَّة.

ففي مدينة بخارى[٢] التي اشتهرت برجال العلم والورع – وهي بلاد إمامنا النسفي – أهان التتار الدينَ الإسلامي، فقاموا بإلقاء منابر المساجد والمصاحف في خندق، كما قاموا بإحضار قُرَب الخمر إلى المسجد، وأحضروا المغنيين من المدن المختلفة، وأخذوا يشربون ويطربون، وأعيانُ البلد، وكبار الأئمَّة يقومون بخدمة الجند في مجالس الشراب، أو يؤدُّون لهم

---

(١) وهي سلسلة حروب شنَّها المسيحيون الأوربيون بين القرنين الحادي عشر والرابع عشر؛ لاستعادة الأراضي المقدسة، وبخاصة بيت المقدس (القدس) من المسلمين، وكان ذلك بعد هزيمة البيزنطيين أمام السلاجقة في معركة ملاذكرد، حيث حثَّ البابا سنة (١٠٩٥م) العالم المسيحي على الحرب؛ لتخليص القبر المقدس من المسلمين، ووعد المحاربين أن تكون رحلتهم إلى الشرق بمثابة غفران لذنوبهم، وقد أخذ الصليبيون اسمهم من الصلبان التي وُزعت عليهم خلال الاجتماع مع البابا، وبالإضافة إلى الدافع الديني لهذه الحروب إلا أنه كانت لها أهداف أخرى: كالمغانم وتأسيس الإمارات، وتوسيع التجارة في الشرق، وغير ذلك، واستمرت الحملات من سنة (١٠٩٥م) حتى سنة (١٢٧٢م)، وقد أُطلق اصطلاح الحملات الصليبية على حملات أخرى باركها البابا واستهدفت الهراطقة والوثنيين، كما أُطلق الاصطلاح نفسه على حملات وُجّهت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ضد الأتراك، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٣ ص (١٣٤٨-١٣٥٠)

(٢) بخارى (بضم الباء) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلِّها بإجماع المؤرخين، كانت قاعدة ملك السامانية، فيها البساتين الكثيرة، والفواكه الطيبة، فتحها المسلمون سنة (٥٣هـ)، واليوم هي من أعظم مدن جمهورية أوزبكستان، تشتهر بموقعها الطبيعي الجميل، ووفرة غلالها وزروعها، وتشتهر بصناعتها التقليدية اليدوية كالأواني النحاسية والسجاد الفاخر، وفيها العديد من المعالم التاريخية الأثرية الإسلامية، انظر: معجم البلدان: ج ١ ص(٣٥٣-٣٥٦)، موسوعة المدن العربية والإسلامية: ص (٤٠٩-٤١١)

الرقصات على إيقاع الآلات الموسيقية، وكان من هؤلاء الفقهاء الأجلاء من دُفع به كذلك ليسوس البغال[1][2]، وهكذا فعلوا بكل مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر التي كانت من قبل فخرَ الحضارة الإسلامية، وموطن الأولياء، وكعبة العلوم.

ثم توجهوا غرباً حتى وصلوا إلى حدود العراق، وبذلك ملكوا في سنة واحدة سائر الممالك إلا العراق والجزيرة والشام ومصر، وقهروا جميع الطوائف، وقتلوا في هذه السنة من طوائف المسلمين وغيرهم في بلدان متعددة كبار مالا يحدُّ ولا يوصف.

وفي سنة (٦٥٦هـ)، وبخديعة من الوزير ابن العلقمي[3] الحاقد على الخليفة المستعصم[4] وأتباعه، سقطت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في يد التتار بقيادة هولاكو[5]، وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلِّها كأنَّها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوفٍ وجوعٍ وذلَّة وقلة، وهدَّموا مساجدها؛ ليحصلوا على ذهب قبابها، وجرَّدوا القصور مما

---

(١) انظر: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار للدكتور محمد علي الصلابي: ص ١١٥

(٢) انظر: البداية والنهاية: ج ١٣ ص ٨٣

(٣) محمد بن أحمد، مؤيد الدين، أبو طالب ابن العلقمي، وزير المستعصم البغدادي، ولي وزارة العراق أربع عشرة سنة، كان رافضيّاً خبيث الطوية على الإسلام وأهله، قرر مع التتار أموراً كانت سبب دخولهم بغداد، ثم انعكس حاله، وبقي بعد تلك الرتبة الرفيعة في حالة وضيعة، وقد سمع بأذنيه ورأى بعينيه من الإهانة من التتار والمسلمين مالا يُحسد ولا يُوصف، ثم انقطع في داره إلى أن مات كمداً وغمّاً في ضيق وقلة وذلة، ودفن في قبور الروافض سنة (٦٥٦هـ). انظر: البداية والنهاية: ج ١٣ ص (٢١٢-٢١٣)، فوات الوفيات: ج ٢ ص (٢٥٦-٢٥٨)، مرآة الجنان: ج ٤ ص ١٤٧

(٤) آخر خلفاء بني العباس بالعراق، أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر محمد بن الناصر العباسي، بويع له بالخلافة سنة (٦٤٠هـ)، وقد كان جيد السريرة، صحيح العقيدة، مقتدياً بأبيه المستنصر في العدل والصدقة، وإكرام العلماء والعباد، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ، ومحبة للمال وجمعه، قتلته التتار مظلوماً مضطهداً سنة (٦٥٦هـ)، فكان آخر الخلفاء من بني العباس، انظر: البداية والنهاية: ج ١٣ ص (٢٠٤-٢٠٥)، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة لابن تغري بردي: ج ١ ص (٢٣٢-٢٣٥)

(٥) هولاكو بن تولى خان بن جنكز خان، كان طاغية من أعظم ملوك التتار، كان شجاعاً ذا همة عالية، وخبرة بالحروب، ومحبة في العلوم العقلية من غير أن يتعقل منها شيئاً، ملك مكان أبيه بعد موته، استولى على الممالك والأقاليم في أيسر مدة، وقتل الخليفة المستعصم، وأمراء العراق، وصاحب الشام، وكانت وفاته بعلة الصرع سنة (٦٦٤هـ)، انظر: النجوم الزاهرة: ج ٧ ص (٢٢٠-٢٢١)، فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي: ج ٢ ص (٥٨٠-٥٨١)

بها من التحف النادرة، وأتلفوا عدداً كبيراً من الكتب القيمة في مكتباتها، وأهلكوا كثيراً من رجال العلم فيها، وضاعت الثروة الأدبية والفنية التي عُني الخلفاء العباسيون بجمعها منذ أُتخذت بغداد حاضرة الدولة، واستمر القتل والسبي أربعين يوماً، وتعطَّلت المساجد والمدارس والربط، وأصبحت المدينة قاعاً صفصفاً، وبسقوط بغداد زالت الدولة العباسية، وزالت الخلافة التي عاش في ظلِّها العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون(١).

أمَّا بلاد الشام فقد كانت في هذه الفترة تخضع لحكم الأيوبيين، وكذلك فإنَّ بقايا الصليبين الغزاة كانت ما تزال تسيطر على بعض سواحل بلاد الشام.

لذلك في سنة (٦٥٧هـ)، وبعد أن انتهى التتار من تحطيم صرح الخلافة العباسية في بغداد، بادر التتار إلى إرسال جيوشهم إلى بلاد الشام، فاستولوا على أغلب بلادها، وقتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلَّ، ونهبوا الأموال، وسبوا النساء والأطفال، وجرى عليهم قريبٌ مما جرى على أهل بغداد، فجاسوا خلال الديار، وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

وفي هذه الفترة انقضى حكم الأيوبيين، وبدأ عهد دولة المماليك(٢)، واستطاع المماليك أن يصدوا التتار عن بلاد الشام ومصر التي كانوا يحلمون بغزوها، ففي سنة (٦٥٨هـ) هاجم

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن: ج ٤ ص (١٥٤- ١٦٢)، البداية والنهاية: ج ١٣ ص (٢٠٠-٢٠٣)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ج ٤٨ ص (٣٣-٣٩)

(٢) قامت بعد الدولة الأيوبية التي انتهت بمقتل الملك المعظَّم توران شاه، قامت دولة المماليك ما بين عامي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، وتقسم إلى دولتين: دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ)، وكان أول سلاطينهم على مصر السلطان عز الدين أيبك زوج شجرة الدر، وسُمّوا بحرية؛ لأنَّ ثكناتهم كانت في جزيرة الروضة في النيل، وأكثرهم من الترك والمغول، و دولة المماليك البرجية أو الشراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ)، وكان أول سلاطينهم السلطان الظاهر سيف الدين برقوق، وسُمّوا برجية؛ نسبة لأبراج القلعة التي كانوا يقيمون فيها، وأكثرهم من الشراكسة، والمماليك في الأصل أرقاء جلبهم ولاة مصر من أقطار مختلفة ابتداء من القرن العاشر الميلادي، وكان غالبيتهم خليطاً من الأتراك والروس والروم والشراكسة والأكراد، تدرب المماليك على الجندية وخدمة السلطان، وكان يُعتق كثير منهم، وارتقى بعضهم إلى مناصب رفيعة في الدولة، واستطاعوا فيما بعد أن يسيطروا على الحكم، على أية حال تمكن المماليك من القضاء على الصليبيين وإجلائهم عن الشام، كما وقفوا في وجه التتار وهزموهم هزيمة منكرة، وبسطوا نفوذهم على أرمينيا واليمن والحجاز، وتمتعت مصر في عهدهم بمركز ممتاز بين الدول، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٦ ص (٣٢١٤-٣٢١٥)

التتار الشام، فتصدى لهم السلطان المملوكي قطز[١] حيث أعدَّ جيشاً كبيراً، وتوجَّه به إلى الشام فالتقى مع التتار في "عين جالوت" [٢]، وهزمهم هزيمة منكرة، وقتل قائدهم، وهكذا أوقف زحفَ التتار في بلاد المسلمين، ثم تواصلت مسيرة الجهاد في عهد المماليك على أيدي الملوك، فانطلقوا يحرِّرون البلاد، ويوقفون زحف التتار، وعدوان الصليبيين[٣].

فلما فرغ السلطان المظفَّر قطز من الشام عزم على الرجوع إلى مصر، ولكنَّه قُتل، وتولَّى السلطة بالقاهرة الظاهر بيبرس[٤]، واستدعى إلى القاهرة أبا القاسم[٥]، وهو أحد أبناء البيت العباسي، وتمَّت له البيعة بالخلافة بعد المستعصم ولُقِّب بالمستنصر، ولما توجه المستنصر إلى

---

(١) السلطان الشهيد، سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي، ويقال إنه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدين؛ وإنه حرٌّ واسمه محمود بن ممدود، كان أنبل مماليك المعز أيبك التركماني، وكان مدبر دولة ابن أستاذه المنصور علي بن المعز أيبك، فلما دهم التتار الشام رأى أنَّ الوقت يحتاج إلى سلطان مهيب، عزل الصبي وتسلطن، وتمَّ له ذلك في أواخر سنة (٦٥٧هـ)، كان فارساً حازماً حسن التدبير ديّناً محباً إلى الرعية، هزم التتار وطهر الشام منهم يوم "عين جالوت"، قتله الظاهر بيبرس وهو راجع إلى مصر سنة (٦٥٨هـ) بمساعدة جماعة من الأمراء، ولم يكمل سنة في السلطنة، انظر: سير أعلام النبلاء: ج ٢٣ ص (٢٠٠-٢٠١)، فوات الوفيات: ج ٢ ص (٢٢٣-٢٢٤)

(٢) وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. معجم البلدان: ج ٤ ص ١٧٧

(٣) البداية والنهاية: ج ١٣ ص (٢١٨-٢٢٢)، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٤٨ ص (٤٦-٦٢)

(٤) الملك الظَّاهر، ركن الدين، بيبرس بن عبد الله، أبو الفتح البندقداري الصَّالحي، صاحب مصر والشام، كان مملوكاً ثم أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم صار من جملة البحرية، وصار أميراً في الدولة المعزية، قاتل التتار في "عين جالوت" مع الملك المظفر قطز، ثم اتفق مع بعض الأمراء على قتل قطز فقتلوه، واستولى على سلطنة مصر والشام سنة (٦٥٨هـ)، كان ملكاً غازياً مجاهداً، مؤيداً عظيم الهيبة خليقاً للملك، يُضرب بشجاعته المثل، له الوقائع الهائلة مع التتار والصليبيين، وله الفتوحات العظيمة، توفي في دمشق سنة (٦٧٦هـ)، انظر: تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥٠ ص ٢١٧، شذرات الذهب: ج ٥ ص ٣٥٠

(٥) وهو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأسمر بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد، والمستنصر هذا هو الثامن والثلاثون من خلفاء بني العباس، وهو أخو الخليفة المستنصر ولقب بلقبه، وأبو القاسم أحمد كان محبوساً ببغداد مع جماعة من بني العباس في حبس الخليفة المستعصم، فلما ملكت التتار بغداد أطلقوهم، فخرج المستنصر هذا إلى عرب العراق، واختلط بهم إلى أن سمع بسلطنة الملك الظاهر بيبرس، فوفد عليه مع جماعة من بني مهارش، وبعد التأكد من نسبه بويع بالخلافة سنة (٦٥٩هـ)، بعد أن كان الناس بلا خليفة ثلاث سنين ونصفاً، ثم سار إلى بغداد لاستردادها من التتار سنة (٦٦٠هـ)، فحارب التتار، وانهزم جيشه، ولم يوقع للخليفة المستنصر على خبر، فقيل: إنه قتل في الوقعة وعفي أثره، وقيل: إنه نجا مجروحاً في طائفة من العرب فمات عندهم، وقيل: سلم وأضمرته البلاد، انظر: النجوم الزاهرة: ج ٧ ص (١٠٩-١١٧)، مورد اللطافة: ج ١ ص (٢٣٦-٢٣٩)

التتار لاسترجاع بغداد، قتله التتار قبل أن يصل إليها سنة (٦٦٠هـ)، وتمَّت البيعة بعده بالخلافة للحاكم بأمر الله[١]، واستمرت خلافته من سنة (٦٦٠هـ) حتى سنة (٧٠١هـ)[٢].

وبذلك صار الجزء الشرقي من بلاد المسلمين – ويشمل العراق وما بعدها إلى بلاد ما وراء النهر – تحت سلطان التتار، والجزء الأوسط والغربي من بلاد المسلمين – ويشمل مصر وبلاد الشام والحجاز[٣] – تحت سلطان المماليك.

أما بالنسبة للتتار فقد أعادوا الكرَّة، ووجَّهوا عدة غزوات إلى بلاد الشام، ففي سنة (٧٠٢هـ) هاجم التتار بلاد الشام بجموع عظيمة، ووصلوا إلى حماة[٤]، ثم تصدى لهم السلطان المملوكي محمد الناصر[٥]، وحصلت معركة كبيرة تسمى معركة "مرج الصُّفَّر"[١]،

---

(١) أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن، قدم إلى مصر في سنة (٦٦٠هـ)، فأنزله الملك الظاهر بيبرس بالبرج الكبير من قلعة الجبل، وبعد التأكد من نسبه بويع بالخلافة سنة (٦٦١هـ)، مات سنة (٧٠١هـ)، وكانت خلافته أربعين سنة، وهو أول من دفن بمصر من خلفاء بني العباس، انظر: مورد اللطافة: ج ١ ص (٢٤٠-٢٤١)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان لبدر الدين العيني: ج ١ ص ٨٩

(٢) البداية والنهاية: ج ١٣ ص (٢٢٢- ٢٢٣، ٢٣١-٢٣٣، ٢٣٧- ٢٣٨ وما بعدها)، مورد اللطافة: ج ١ ص (٢٣٦-٢٤١)، ج ٢ ص (٣٠-٣٤)

(٣) أحد مناطق شبه الجزيرة العربية، ويقع في الجزء الشمالي الغربي والغربي من المملكة العربية السعودية، وهو ثاني مناطق المملكة مساحة وسكاناً، ويشغل معظمها سلسلة جبلية (جبال السرات)، وينقسم الحجاز إلى عدة إمارات منها: مكة والمدينة وجدة وتبوك والطائف وغيرها، والحجاز – كما قال ياقوت الحموي – جبل ممتد حال بين الغور (غور تهامة) ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، انظر: الموسوعة العربية الميسرة: المجلد ٣ ص (١٣١٢-١٣١٣)، معجم البلدان: ج ٢ ص ٢١٨

(٤) من أكبر المدن السورية، تقع شمال حمص، يمر بها نهر العاصي الذي يسقي بساتينها ويدير نواعيرها، تشتهر بزراعة القطن والشمندر واللوز والتفاح، وفيها مصانع للغزل والنسيج، وتشتهر بمعالمها الأثرية كالجامع الكبير، وقلعة شيزر، وهي مدينة قديمة افتتحها أبو عبيدة بن الجراح سنة (١٧هـ) صلحاً على الجزية والخراج، انظر: معجم البلدان: ج ٢ ص ٣٠٠، موسوعة المدن العربية والإسلامية: ص (٥٤-٥٥)

(٥) الملك الناصر، السلطان محمد بن قلاوون، أبو الفتح بن السلطان الملك المنصور، تسلطن بعد قتل أخيه الملك الأشرف خليل سنة (٦٩٣هـ)، وهذه سلطنته الأولى، وبعد تسلطن كتبغا المنصوري، أرسل الناصر إلى الكرك، ثم بعد مقتل الملك المنصور لاجين سنة (٦٩٨هـ)، حلف الأمراء للملك الناصر، وأحضروه من الكرك، وهذه سلطنته الثانية، فأقام إلى سنة (٧٠٨هـ)، ثم ذهب إلى الكرك متبرماً من تقييد يده في التصرف، وفي سنة (٧٠٩هـ) خرج السلطان الناصر من الكرك، ودخل دمشق، ورحل طالباً مصر، فدخلها وجلس على سرير الملك، وهي سلطنته الثالثة، وعظم=

وهُزم التتار فيها، وأُعمل السيف في رقاب التتار ليلاً ونهاراً، وهربوا وفروا ولم يسلم منهم إلا القليل كما قال ابن كثير[٢] [٣].

وبعد هذا العرض الموجز لحالة الأمَّة الإسلامية من الناحية السياسية؛ لا شكَّ أنَّ الإمام النسفي قد عايش تلك الأحداث الجسام، والمصائب العظام – خاصة أنَّ ولادته ونشأته كانت في الجزء الخاضع لسلطان التتار – ولا شكَّ أنَّ تلك الأحداث والظروف قد أثّرت فيه تأثيراً كبيراً؛ فالإنسان ابن بيئته، ويتأثر بما حوله من الظروف والأحوال على اختلافها، وينعكس ذلك على شخصيته العلمية؛ وخاصة إذا كان إماماً كبيراً له بصمته في علم الأصول والفقه والكلام والعربية كالإمام النسفي رحمه الله تعالى.

يقول الإمام النسفي في مقدمة كتابه "كنز الدقائق": ((فشرعت فيه بعد التماس طائفة من أعيان الأفاضل... مع ما بي من العوائق))[٤].

=أمره في الملك، وأطاعته البلاد والعباد، حتى جاوز في العظمة والعساكر كلَّ ملك كان قبله وبعده، مات سنة (٧٤١هـ)، انظر: مورد اللطافة: ج ٢ ص (٤٥-٦٦)، فوات الوفيات: ج ٢ ص (٤٣٣-٤٣٤)

(١) موضع بين دمشق والجولان صحراء، معجم البلدان: ج ٣ ص ٤١٣، وورد في كتاب "المعالم الأثيرة في السنة والسيرة" لمحمد حسن شُرَّاب في الصفحة (٢٤٨): ((وهو سهل واسع على مسافة (٣٧) كيلو متر جنوب دمشق، وفي شرقي قرية شقحب في سورية)).اهـ. لذلك تُسمّى هذه المعركة أيضاً معركة شقحب، وبهذا الاسم أيضاً وردت في كتب التاريخ.

(٢) الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء البصروي ثم الدمشقي، المحدِّث المؤرخ الفقيه الشافعي، ولد سنة (٧٠٠هـ)، اشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير، ومن مصنفاته: التاريخ المسمى بالبداية والنهاية، والتفسير، وكتاب في جمع المسانيد العشرة، طبقات الشافعية وغيرها...مات سنة (٧٧٤هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية، انظر: الدرر الكامنة: ج ١ ص (٤٤٥- ٤٤٦)، شذرات الذهب: ج ٦ ص (٢٣١- ٢٣٢).

(٣) انظر: البداية والنهاية: ج ١٤ ص (٢٢-٢٥)

(٤) كنز الدقائق: ص ١٣٨، تحقيق الدكتور سائد بكداش

وقد بيَّن الإمام بدر الدين العيني[١] في كتابه "رمز الحقائق" تلك العوائق، فقال: ((أي الموانع والمشاغل، إمَّا من جهة اشتغاله بتصنيف آخر، وإلقاء الدروس، وإمَّا من جهة الفترات التي مرَّت بالبلاد، والفتن التي تزيل الأمن والقرار من العباد، والظاهر أنَّ مراده هذا؛ لأنَّ زمان تصنيفه هذا الكتاب كانت الفتن عامة في البلاد، خصوصاً في بلاد ما وراء النهر، من جهة التتار الذين تفرَّقوا في البلاد، وأفسدوا غاية الإفساد))[٢].

لكن كتب التراجم والتاريخ لم تذكر أنَّه باشر تلك الأحداث، أو شارك فيها، أو أنَّه تولى منصباً سياسياً حينها، بل ذكرت عنه أنَّه كان يترفع عن الملوك، ولا يتردد بأبوابهم، ولا يجتمع بهم إلا إذا أتوا إلى داره، وهذا ما أكَّده الإمام ابن تَغْري بُرْدي حيث قال في وصفه: ((وكان إماماً عادلاً، زاهداً خيِّراً، ديِّناً كريماً متواضعاً، مترفِّعاً على الملوك، متواضعاً للفقراء، لا يتردد لأرباب الدولة، ولا يجتمع بهم إلا إذا أتوا إلى منزله، أثنى على علمه ودينه غير واحد من العلماء، ولم يزل على ما هو عليه من العلم والعمل حتى أدركه أجلُه...))[٣].

وهذا يعني أنَّه آثر العلم، واشتغل به، وصرف همَّه في طلبه وتحصيله، وفي نشره وتعليمه، شأنُه في هذا شأن أكثر العلماء ممَّن كان قبله، أو أتى بعده، ولا أدلَّ على ذلك مما خلَّفه لنا من ثروة علمية كبيرة.

---

(١) محمود بن أحمد العنتابي الحنفي، العلّامة الفقيه المؤرخ، قاضي القضاة، بدر الدين العيني، ولد سنة (٧٦٢هـ) بعنتاب، اشتغل بالفقه، وبرع ومهر في كثير من العلوم، وولي الحسبة والقضاء بالقاهرة، وكان إماماً عارفاً بالعربية والتصريف وغيرهما، وله مصنفات كثيرة منها: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، شرح معاني الآثار للطحاوي، رمز الحقائق شرح كنز الدقائق، مختصر تاريخ ابن عساكر، البناية في شرح الهداية، مات سنة (٨٥٥هـ)، انظر في ترجمته: بغية الوعاة: ج ٢ ص (٢٧٥-٢٧٦)، الفوائد البهية: ص ٢٠٧

(٢) رمز الحقائق شرح كنز الدقائق لبدر الدين العيني: ج ١ ص ١٠

(٣) المنهل الصافي: ج٧ ص (٧٣)

ثانياً: الناحية العلمية[1]:

إنَّ من أهم ما خسرته الأمة الإسلامية بسبب غزو التتار في القرن السابع هو قتل العلماء وتشريدهم، وإتلاف الكثير من آثارهم ومؤلفاتهم حرقاً أو غرقاً، بالإضافة إلى هدم المساجد والمكتبات، وتدمير المدارس والمراكز العلمية، وكلُّ ذلك انعكس سلباً على الناحية العلمية.

وتقدَّم أنَّ الإمام النسفي عاش في الربع الثاني من القرن السابع ومطلع القرن الثامن الهجري، ولقد قسَّم العلماء تاريخ التشريع الإسلامي إلى ستة أدوار، وتُعتبر الفترة التي تمتد من أوائل القرن الرابع إلى سقوط الدولة العباسية – وذلك في منتصف القرن السابع سنة (٦٥٦هـ) – دوراً تاريخياً واحداً، وسمَّوها "الدور الخامس"، وهو دور القيام على المذاهب وتأييدها، وشيوع المناظرة والجدل، وفي هذا الدور غابت روح الاجتهاد، وبخس العلماءُ أنفسَهم حقَّها، ورضوا لأنفسهم التقليد، والتزم كل منهم مذهباً معيناً لايتعداه، ويبذل قصارى جهده لنصرة ذلك المذهب جملة وتفصيلاً، لذلك لم يوجد في هذا العصر مجتهدٌ مستقل، وإنما كان عمل العلماء ينحصر في ثلاثة أشياء:

- تعليل الأحكام.
- الترجيح بين الآراء المختلفة في المذهب.
- الانتصار للمذاهب المتَّبعة، وذلك من خلال:

١- الإكثار من كتب المناقب التي تتحدث عن إمام كلِّ مذهب، وما كان يتصف به من كمال العلم وجميل الصفات؛ وذلك لحمل الناس على اتباع مذهبه.

٢- تصنيف كتب تتناول المسائل الخلافية بين الأئمَّة، مع ذكر أدلَّة كلِّ مذهب، ثم يرجِّحون على كلِّ حال المذهب الذي ينتسبون إليه، ولو ركبوا متن التعسف والشطط.

٣- شيوع المناظرة والجدل بحضور الأمراء والكبراء وعلى رؤوس الأشهاد، ويسوق كلٌّ منهم حججه وبراهينه على صحة مذهبه.

---

(١) انظر: تاريخ التشريع الإسلامي للمرحوم الشيخ محمد الخضري بك: ص (٢٧٥-٢٩٢)، (٣١٠-٣١٩)، تاريخ الفقه الإسلامي للأستاذ محمد علي السايس: ص (١٢٧-١٣٣)، (١٣٤-١٣٩)

فلم يكن هذا العصر عصر إبداع كعصور الاجتهاد، بل كان في جملته عصر نقل وجمع، وتحقيق وتحرير، وتصحيح وتهذيب، أي أنَّ روح الاستقلال في التشريع ضعفت تبعاً لضعف الاستقلال السياسي... حلَّ محلَّ تلك الروح ما نسميه بروح التقليد.

واعتبرت الفترة التي تليها – وهي من سقوط بغداد على يد هولاكو حتى الآن – دوراً تاريخياً واحداً، وسمَّوها "الدور السادس"، وهو دور التقليد المحض.

ففي هذا الدور ظهر علماء كانت لديهم قوةٌ فقهية، وملكةُ استنباط؛ إلا أنَّهم لم يصرفوها كما فعل أسلافهم في الاجتهاد والتخريج؛ بل وجَّهوها إلى التأليف، وغلب على مؤلفاتهم طابعُ الاختصار، وجمعُ الفروع الكثيرة في عبارات ضيقة تشبه الألغاز، حتى احتاجت كتباً لشرح مبهمها، وحلِّ عقدها، وبيانِ غرض المؤلف من وضعها، وكانت روح الاختصار غالبةً على أصحاب تلك الشروح أيضاً، فمسَّت الحاجة إلى التعليق عليها أيضاً، وهكذا أصبح همُّ المطَّلع على هذه الكتب أن يتفهم الأساليب، وانحصرت الجهود في حل العبارات والتراكيب، واشتغل الناس بالألفاظ عن لبِّ العلم وجوهره، وهو ما يكدُّ الأذهان، ويميت المواهب والملكات، ويحمل المطالِع على أن يحفظ حفظاً خالياً من الفهم الصحيح.

وهذا يعني أنَّ التأليف قد بدأ عهداً جديداً، وهو عهد المتون والمختصرات، فبعد أن كانت المؤلفات مبسوطةً سهلة المأخذ والفهم، أصبحت مختصرة تجمع تحت كلماتها الأحكام والمسائل العديدة، وهذا ما دفع العلماء إلى الاهتمام بشرحها، وبيان تلك الأحكام والمسائل.

وهذا ما نجده في مؤلفات إمامنا النسفي رحمه الله تعالى، فلقد تنوَّعت مؤلفاته ما بين متون ومختصرات، وما بين شروحٍ لها، أو شروحٍ لكتب سبقه بها غيرُه من الأئمَّة.

فتفسيره للقرآن الكريم المسمَّى بـ "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" اختصره النسفي من تفسير الزمخشري ومن تفسير البيضاوي، وفي العقائد ألَّف كتاب "عمدة العقائد"، وهو مختصر يحتوي على أهم قواعد علم الكلام، ثم شرحه الإمام النسفي، وسمَّاه: "الاعتماد شرح العمدة"، وفي علم أصول الفقه ألَّف كتاب "منار الأنوار"، وهو متن جامع مختصر نافع، ثم

شرحه، وسمَّاه: "كشف الأسرار"، كذلك شرح كتاب "المنتخب في أصول المذهب" لحسام الدين الأخسيكثي، شَرَحَه شرحاً مختصراً نافعاً، وشرحاً آخر مطوَّلاً، وفي الفقه ألَّف كتاب "الوافي في الفروع"، ثم شرحه، وسمَّاه بـ "الكافي"، وكذلك اختصر "الوافي" في كتاب سمّاه بـ "كنز الدقائق"، كذلك شرح كتاب "الفقه النافع" لناصر الدين السمرقندي، وسمَّاه بـ "المستوفى شرح الفقه النافع"، ثم اختصره في كتاب "المستصفى من المستوفى"، كذلك شرح "المنظومة النسفية في الخلاف"، وهي لأبي حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفي، وسمَّى شرحه بـ "المصفَّى شرح المنظومة النسفية".

لذلك نستطيع أن نقول بأنَّه قد مرَّت بالعلم وأهله – في هذا الدور – مرحلة ركود وفتور، فقعدت الهمم عن الاجتهاد، ومالت إلى التقليد المحض، ولم يكن للعلماء إلا نصيب الحكاية لأقوال من سبقهم، والقناعة بما بين أيديهم من شروح وحواش وتقارير، أما الابتكار وانتهاج طريقة الأسلاف فلم يكن عندهم منه شيء، وكان من أهم أسباب التقليد المحض وانتشاره في هذا الدور ما يلي:

١– الدعاية القوية التي قام بها أنصار المذاهب المتَّبعة، فإنَّها ملكت على الناس مشاعرهم، وأصبحوا يعتبرون من لم يأخذ بها خارجاً مبتدعاً، وساعد في ذلك أن كان بعض تلاميذ الأئمَّة من أصحاب الهيئة الاجتماعية، وعلى اتصال بالخلفاء والوزراء، مما ساعد في نشر المذاهب، وتأييدها بشتى الوسائل.

٢– ضعف الثقة بالقضاة بعد أن ساءت أحوالهم، وصارت ولاية القضاء تباع وتشرى، وظهرت الرشاوى، وبدأ التلاعب والجور بالأحكام، وابتزاز أموال الناس بالباطل، لذلك مال الناس إلى أن يكون القضاة مقيدين بأحكام معروفة؛ حتى يسدوا عليهم باب التلاعب بأموال الناس وأعراضهم ودمائهم، فأصبح كل قاض يحكم بمذهب أهل البلد الذي يتبعونه، ولا يخرج عن أحكام المذهب قيد شعرة.

٣- تدوين المذاهب كان سبباً في نجاحها، وأخذ الناس بها، واستغنائهم عن تكلف البحث والتنقيب من جديد، فالتدوين كان مقرِّباً لتناولها، وعاملاً قوياً في بقائها وانتشارها.

٤- تحاسدُ العلماء قَعَدَ بكثير منهم عن أن يظهر بمظهر المجتهد؛ مخافة أن يكيد له علماء وقته، ويرموه بالابتداع، فيتعرض بذلك لسخط الناس.

٥- تزاحمُ الفقهاء، وتجادلُهم فيما بينهم، فكان كلُّ من أفتى بشيءٍ نوقض في فتواه وردَّ عليه، فلا ينقطع الكلام إلا بتصريح في المسألة لواحد من المتقدمين.

٦- الإفراط في الاختصار أضاع جُلَّ وقت المتعلم، وعاقه عن تكوين فقهه.

٧- فساد نظم التعليم، واشتغال العلماء بما لا يعنيهم، مما لا يتوقف عليه الاستنباط، ولا يربطه به سبب من الأسباب.

٨- كثرة المؤلفات؛ فإنها عائقة عن التحصيل.

٩- فقدان الثقة بالنفس، وفتور الهمم، وانحلال العزائم.

١٠- شغف الناس بالمادة، وتسلطُها عليهم، وانصراف الرغبات إلى جمع المال.

وأخيراً نستطيع أن نقول: مع اتسام هذا العصر - من الناحية العلمية - بالقيام على المذاهب وتأييدها، وشيوع المناظرة والجدل، وكذلك انتشار التقليد المحض لها، ومع عظيم ما حصل للأمَّة الإسلامية في هذا العصر من نكبات وويلات؛ إلا أنَّ الحالة العلمية لم تصل إلى ما وصلت إليه الحالة السياسية من التدهور والضعف الشديد، فقد برز عدد من كبار العلماء، وأساطين المفكرين الذين استشعروا المسؤولية، وعقلوا دورهم في هذه الفترة الحرجة، وأدركوا أهميةَ العلم وتعليمه، وجمعَ شتات ما تمزق وتناثر منه، والعملَ على حفظ تراث الأمة وإحيائه من جديد، فنشط التأليف وصُنِّفت الكتب، وإنَّ مما يؤكد ذلك هو ما حفلت به كتب التاريخ والسير والتراجم من أسماء العلماء والأئمَّة، وما زخرت به المكتبة الإسلامية من المصنفات والتآليف في مختلف أنواع المعارف والعلوم.

ثالثاً: الناحية الاجتماعية:

عاش الإمام النسفي فترة زوال الخلافة العباسية وقيام دولة المماليك، كما عاصر غارات التتار واستيلاءهم على معظم بلاد الإسلام، ولبيان الحالة الاجتماعية لابد من الوقوف عليها في هذه الفترات.

ففي العصر العباسي كان المجتمع يتألف من:

- طبقة الخاصة: وهم أصحاب الخليفة من ذوي قرباه، ومن رجال الدين البارزين كالأشراف والوزراء والقواد والكتَّاب والقضاة والعلماء والأدباء.

- طبقة العامة: وهم السواد الأعظم من الناس، وتنتظم هذه الطبقة أهل الحرف والصنائع والتجار والفلاحين والجند والرقيق، ويقال لهم العامَّة والدهماء.

- ومن طبقات المجتمع: طبقة الرقيق الذين كانوا يكوِّنون طبقة كبيرة من أسرى الحروب، وكان هؤلاء يقومون بخدمة الخليفة وحاشيته في دار الخلافة، ويقومون بخدمة الناس.

- ومن طبقات المجتمع: أهل الذمَّة، وهم اليهود والنصارى، وكانوا يتمتعون بكثير من سياسة التسامح الديني، ويقيمون شعائرهم في أمن وطمأنينة، وكان كثير من الخلفاء يحضرون مواكبهم، ويشتركون في الاحتفال بأعيادهم، ويزورون أديرتهم في مناسبات معينة، ويغدقون عليهم الهبات والأعطيات[1].

أما في عصر المماليك فقد كان المجتمع مجتمعاً طبقيَّاً، بمعنى أنَّه يتألف من عدة طبقات متميزة بعضها عن بعض في خصائصها وصفاتها ومظاهرها، وفي ظلِّ هذا التنظيم الطبقي يبدو الفارق كبيراً بين الحُكَّام والمحكومين، وبخاصة إذا كان الحُكَّام أغراباً عن البلاد وأهلها.

والواقع أنَّ المماليك حكموا البلاد دائماً بوصفهم طبقة عسكرية ممتازة، استأثرت بالحكم وبشؤون الحرب، ونظروا إلى الأهالي على أنهم أقل منهم درجة أو درجات، لا ينبغي لهم أن

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: ج ٤ ص (٦٢٥-٦٢٧)

يشاركوا في الحياة الحربية، وإذا سُمح لبعضهم بالمشاركة في شؤون الحكم فبالقدر المحدود الذي تخوِّله صلاحيتهم.

- فالطبقة الأولى في المجتمع هي: طبقة المماليك - حُكَّام البلاد - وقد عُني السلاطين عناية فائقة بمماليكهم، وحرصوا على تربيتهم تربية سليمة، فكان الفقهاء يعلِّمون المماليك القرآن والخطَّ، وأحكام الدين الإسلامي، فإذا شبَّ المملوك بدأ يتعلم فنون الحرب والفروسية، ثم يترقى رتبة بعد رتبة في أدوار الخدمة السلطانية حتى يصبح من الأمراء ثم سلطاناً.

- أما الطبقة الثانية فهي: طبقة المعمّمين، أو أهل العمامة، وهذه الطبقة كانت تشمل أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتَّاب، ويُلاحظ بأنَّ هذه الفئة امتازت طول عصر المماليك بمميزات معينة على الرغم مما تعرض له أفرادها من الامتحان أحياناً، وبما أنَّ المماليك كانوا غرباء عن البلاد، وكانوا بحاجة إلى دعامة يستندون إليها في حكمهم، فلم يجدوا أمامهم سوى فئة العلماء بحكم ما للدِّين ورجاله من قوة وأثر، لذلك احترم المماليك العلماءَ ورجال الدين، وبالمقابل فإنَّ المعمَّمين اعتدُّوا بمكانتهم في عصر المماليك، فعمدوا أحياناً إلى معارضة السلاطين بالحقِّ.

- أمَّا التجار فكانوا يؤلِّفون طبقة مقرَّبة أحياناً إلى سلاطين المماليك؛ لأنهم أحسُّوا بأنَّ التجار - دون غيرهم - هم المصدر الأساسي الذي يمدُّهم بالمال في ساعات الشدة، وتدلُّ جميع الشواهد بأنَّ التجار تمتعوا في عصر المماليك بثروات طائلة.

- وهناك طبقة العوام: وتنتظم هذه الطبقة العمَّال والصناع والباعة والسوقة والسقَّائين والمعدمين وأشباه المعدمين، وكانوا يعيشون في ضيق وعسر بالقياس إلى المماليك وغيرهم من الطبقات المنعمة.

– وهناك طبقة الفلاحين – وهم السواد الأعظم من السكان – وكان نصيبهم في عصر المماليك الإهمال والاحتقار، حتى أصبح لفظ (فلاح) مرادفاً للشخص الضعيف المغلوب على أمره[١].

أمَّا البلاد التي خضعت لحكم التتار – ومنها بلاد إمامنا النسفي – فتظهر الحالة الاجتماعية فيها من خلال تعاليم (اليساق) [٢] أو (الياسة) [٣] التي وضعها ملك التتار جنكز خان[٤].

فبعد أن أمِن جنكز خان شر أعدائه، فكَّر في ترقية حالة بلاده الاجتماعية والخلقية بوضع قانون يكون أشبه بكتاب ديني يسيرون على هديه في معاملاتهم وأحكامهم، فوضع لهم (اليساق) أو (الياسة)، وهي قوانين خمَّنها من عقله، وقرَّرها من ذهنه، رتَّب فيها أحكاماً، وحدَّد فيها حدوداً بما وافق القليل منها الشريعة المحمدية، وأكثرها مخالف، لذلك سمَّاها

---

(١) انظر: العصر المماليكي في مصر والشام للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور: ص (٣٢٠-٣٢٥)

(٢) (اليساق) كما جاء في "تاج العروس": ((يساق: كسحاب، وربما قيل: (يسق) بحذف الألف، والأصل فيه (يساغ) بالغين المعجمة، وربما خفف فحذف، وربما قُلِب (قافاً)، وهي كلمة تركية يعبر بها عن وضع قانون المعاملة، كذا ذكره غير واحد...)). ج ٢٧ ص (٢٩-٣٠)

(٣) كلمة (ياسة) ليست كلمة عربية؛ وإنما هي في الأصل مغولية، ثم حرَّفها أهل مصر، وزادوا بأوّلها (سيناً)، فقالوا (سياسة)، وأدخلوا عليها الألف واللام، فظنَّ من لا علم عنده أنها كلمة عربية. انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي: ج ٣ ص ٣٨٤، وهذا ما أكَّده ابن تغري بردي حيث قال: ((و(اليسق) هو الترتيب، وأصل كلمة (اليسق): (سي يسا)، وهو لفظ مركب من أعجمي وتركي، ومعناه: التراتيب الثلاث؛ لأنَّ (سي) بالعجمي في العدد: ثلاثة، و(يسا) بالتركي: الترتيب، وعلى هذا مشت التتار من يومه إلى يومنا هذا، وانتشر ذلك في سائر الممالك حتى ممالك مصر والشام، وصاروا يقولون: (سي يسا)، فثقلت عليهم فقالوا: سياسة، على تحاريف أولاد العرب في اللغات الأعجمية)). النجوم الزاهرة: ج ٦ ص ٢٦٨

(٤) ملك التتار الذي خرَّب البلاد، وأفنى العباد، واستولى على الممالك، وليس للتتار ذكر قبله؛ إنما كانوا ببادية الصين، فملَّكوه عليهم، وأطاعوه طاعة أصحاب نبي لنبيهم، وكان اسمه قبل أن يلي الملك (تمرجين)، وكان مبدأ ملكه سنة (٥٩٩هـ)، هزم جيش الخطا، واستولى على ممالكهم، ثم على معظم الأقاليم، وأذعنت بطاعته جميع التتار، مات سنة (٦٢٤هـ)، ولم يكن يتقيد بدين الإسلام، ولا بغيره، وقتلُ المسلم أهون عنده من قتل البرغوث، وله شجاعة مفرطة، وعقل وافر، ودهاء ومكر، انظر: سير أعلام النبلاء: ج ٢٢ ص ٢٤٣، فوات الوفيات: ج ١ ص ٢٩٨

(الياسة الكبرى)، وقد اكتتبها، وأمر أن تجعل في خزانته تتوارث عنه في أعقابه، وأن يتعلمها صغار أهل بيته[1].

فلما مات جنكز خان التزم أولاده من بعده وأتباعهم حكم (الياسة)، كالتزام أول المسلمين حكم القرآن، وجعلوا ذلك ديناً لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه[2].

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي: ج ٤ ص ٣١٤

(٢) انظر: صبح الأعشى: ج ٤ ص (٣١٤-٣١٦)، المواعظ والاعتبار: ج ٣ ص (٣٨٤-٣٨٥)

الفصل الأول

أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين، وبيان الراجح من أقوالهم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف اختلاف المفسرين وأنواعه وأسبابه.

المبحث الثاني: أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين.

المبحث الثالث: أساليب الإمام النسفي في بيان القول الراجح.

المبحث الأول

تعريف اختلاف المفسرين، وأنواعه، وأسبابه

المطلب الأول: تعريف اختلاف المفسرين:

لا بدَّ أولاً من تعريف الاختلاف لغةً ثمَّ اصطلاحاً.

أولاً: تعريف الاختلاف لغة:

الاختلاف ضد الاتفاق، قال ابن منظور: ((وتخالف الأمران واختلفا: لم يتَّفقا)) [١].

وخالفته مخالفةً وخلافاً، وتخالف القومُ، واختلفوا، إذا ذهب كلُّ واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق، والاسم: الخُلف بضم الخاء[٢].

وقال الراغب الأصفهاني[٣]: ((والاختلافُ والمخالفةُ أن يأخذَ كلُّ واحدٍ طريقاً غيرَ طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلافُ أعمُّ من الضدِّ؛ لأنَّ كلَّ ضدَّين مختلفان، وليس كلُّ مختلفين ضدَّين)) [٤].

فالاختلاف معناه أن يأخذَ كلُّ واحدٍ طريقاً غيرَ طريق الآخر في حاله أو قوله، وهو أعمُّ من التضادِّ.

ثانياً: تعريف الاختلاف اصطلاحاً:

الخلاف هو: ((منازعةٌ تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطلٍ)) [٥].

---

(١) لسان العرب: ج ٩ ص ٩١

(٢) المصباح المنير: ج ١ ص ١٧٩

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، وقال السيوطي: المفضل بن محمد الأصبهاني الراغب، صاحب المصنفات، وهو إمام من أئمة السنة، وليس كما يُظن أنه معتزلي، ومن مصنفاته: التفسير الكبير، مفردات القرآن، أفانين البلاغة، المحاضرات، الذريعة إلى أسرار الشريعة... وغيرها، مات سنة (٥٠٢هـ)، انظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ج ١ ص ٩١، بغية الوعاة: ج٢ ص ٢٩٧

(٤) المفردات في غريب القرآن: ج ١ ص ١٥٦

(٥) التعريفات للجرجاني: ص ١٣٥

ويُلاحظ على التعريف أنه جعل المنازعة بين المتضادَّين، في حين ذكر الراغب أن الخلاف أعمُّ من التضادِّ.

ثالثاً: تعريف المفسرين:

تقدَّم في الفصل التمهيدي تعريف التفسير لغة واصطلاحاً، وذكرتُ بأنَّه علم يُبحث فيه عن بيان القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية.

أما المفسِّر فهو: من له أهليةٌ تامَّةٌ يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبَّد بتلاوته، قدر الطاقة، وراضَ نفسَه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُملاً كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير عمليَّاً بتعليم أو تأليف.

والمقصود بالأهلية التامَّة: العلمُ باللغة وما يندرج تحتها من شرح مفرداتٍ، وفهم تراكيب، ودلالاتِ ألفاظٍ، و كذلك العلم بالنحو، والصرْفِ، والاشتقاق، والبلاغة، وكذلك علم القراءات، وعلم أصول الفقه، والفقه، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وما يحتاج إليه من ذلك، فمن لم يمتلك ناصية هذه العلوم فليس أهلاً لتفسير كتاب الله.

وكذلك من علم جُملاً من تفسير كتاب الله، ولكن لم يمارس تعليم التفسير، أو التأليف فيه، فلا يكون مُفسِّراً؛ بل يكون ناقلاً لتلك الجُمل التي حفظها وعلمها، أمَّا من علم جُملاً كثيرة من تفسير كتاب الله، ومارس التفسير بالتعليم دون التأليف، فهو داخلٌ في مسمَّى المفسِّر(١).

وبعد تعريف الاختلاف والمفسِّر نستطيع أن نعرِّف اختلاف المفسرين بأنَّه: ذهاب المفسِّر في بيان الآية إلى خلاف ما ذهب إليه غيره(٢)(٣).

---

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص (٣٣-٣٤)

(٢) منهج الترجيح عند أبي السعود: ص ٤٣

(٣) أشار الكفوي إلى التفريق بين الاختلاف والخلاف، فقال: ((والاختلاف: هو أن يكون الطريق مختلفاً، والمقصود واحداً، والخلاف: هو أن يكون كلاهما مختلفاً. والاختلاف: ما يستند إلى دليل، والخلاف: ما لا يستند إلى دليل والاختلاف من آثار الرحمة... والخلاف من آثار البدعة... ولو حكم القاضي بالخلاف، ورفع لغيره يجوز فسخه،=

المطلب الثاني: أنواع اختلاف المفسرين:

تتعدد أنواع اختلاف المفسرين، وذلك باعتبارات متعددة:

أولاً: بحسب الدوافع، وثانياً: بحسب المختلَف فيه[1]، وثالثاً: من حيث الموقف منه، ورابعاً: من حيث الأثر والنتيجة.

أولاً: الاختلاف بحسب الدوافع ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف أملاه الهوى.

الثاني: خلاف أملاه الحق.

الثالث: خلاف يتردد بين المدح والذمِّ.

١- الاختلاف الذي أملاه الهوى:

فهو كاختلاف أكثر المشركين وأهل الكتاب مع المسلمين، لذلك فقد حذَّر الله نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من اتباع أهواء المشركين وأهل الكتاب في آيات من قرآنه، وبيَّن أنهم ضلُّوا بسبب اتباعهم لأهوائهم، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة:١٢٠]

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة:٤٨]

=بخلاف الاختلاف، فإنَّ الخلاف هو ما وقع في محلٍّ لا يجوز فيه الاجتهاد، وهو ما كان مخالفاً للكتاب والسنة والإجماع)). الكليات للكفوي: ص (٦١-٦٢)

(١) انظر في أنواع اختلاف المفسرين بحسب الدافع وبحسب المختلَف فيه: أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام للدكتور عبد الإله الحوري: ص (٢١-٢٧)

ويرجع إلى هذا النوع من الاختلاف خلاف أكثر الفِرَق التي خالفت منهج أهل السنَّة والجماعة، لذلك سمَّاهم العلماء بأهل البدع والأهواء.

ويدخل في هذا النوع أيضاً ما كان الدافع إليه حبُّ الظهور والرياسة، والتظاهر بالعلم والفقه، أو ما كان الدافع إليه التقرب إلى الحكَّام والأغنياء.

٢- الخلاف الذي أملاه الحق:

وهو الخلاف الذي يدفع إليه العلم، ويقتضيه العقل، ويفرضه الإيمان، وذلك كمخالفة أهل الشرك والنفاق والضلال، وهذا خلافٌ يجب على المؤمن سلوكه؛ لأنَّ المؤمنين يتميزون به عن غيرهم، ويدخل في هذا النوع أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفة المشركين وأهل الكتاب، حيث أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تكون للمسلمين شخصيتهم المستقلة.

ولا ريب أنَّ النوع الأول من الخلاف مذمومٌ ومحرَّمٌ وبعضه كفر، وأمَّا الثاني فخلافٌ ممدوح وبعضه واجب.

٣- الخلاف الذي يتردد بين المدح والذم:

فهو خلاف في أمور فرعية تتردَّد أحكامها بين احتمالات متعددة يترجَّح بعضها على بعض بمرجِّحات ذكرها علماء الأصول في كتبهم، ومن هذا النوع أكثر اختلافات الفقهاء والمفسرين.

وهذا النوع من الاختلاف تزلُّ فيه الأقدام، إذ يمكن أن يلتبس فيه الهوى بالتقوى، والراجح بالمرجوح، والمردود بالمقبول، والنجاة من هذه المزالق إنما تكون باتباع القواعد التي يُحتكم إليها في الاختلاف.

ثانياً: الاختلاف بحسب المختَلف فيه، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الخلاف في الأصول:

كالخلاف بين عقيدة المسلمين وعقيدة اليهود والنصارى، وبين عقيدة المسلمين وعقيدة بعض الفرق التي خرجت عن الإسلام بما ابتدعته وضلت به كالباطنية وغلاة الشيعة، وكالخلاف فيما عُلم من الدين بالضرورة.

ولا شك أنَّ الحقَّ واحد في هذا الخلاف، وأنَّ المصيب مثاب والمخطئ آثم.

القسم الثاني: الخلاف في الفروع:

كالخلاف في الحلِّ والحرمة، إذا لم يكن في المسألة نصٌّ قاطعٌ، وكالخلاف في تفسير القرآن الكريم إذا وقع من أهله.

وهذا النوع من الخلاف إذا وقع – ولم يكن الدافع إليه الهوى – فلا إثم فيه على المخطئ عند جمهور العلماء(١).

وهذا النوع من الخلاف لا بدَّ من وقوعه عمليَّاً؛ لأنَّ البشر متفاوتون في القدرات العقلية، ولأنَّ قسماً من نصوص الكتاب الكريم ظنيُّ الدلالة، وقسماً من نصوص السنة المطهرة ظنيُّ الثبوت وظنيُّ الدلالة.

والواقع يثبت ذلك، فقد وقع الخلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فأقرَّ خلافهم، كما وقع الخلاف بينهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤثم بعضهم بعضاً، ووقع الخلاف بين العلماء بعد عصر الصحابة إلى يومنا هذا.

---

(١) ذهب بشر المريسيّ إلى أنَّ الإثم غيرُ محطوط عن المجتهدين في الفروع، بل فيها حقٌ معينٌ، وعليه دليلٌ قاطعٌ، فمن أخطأه فهو آثم، كما في العقليات؛ لكن المخطىء قد يكفر كما في أصل الإلهية والنبوة، وقد يفسق كما في مسألة الرؤية وخلق القرآن ونظائرها، وقد يقتصر على مجرد التأثيم كما في الفقهيات، وتابعه على هذا من القائلين بالقياس: ابن عُليَّة وأبو بكر الأصم، ووافقه جميعُ نفاة القياس، ومنهم الإمامية. المستصفى: ج ١ ص ٣٥٠، وانظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٤ ص ٥٢٧

ثالثاً: الاختلاف من حيث الموقف منه، وهو على نوعين[1]:

١- خلاف مقبول.

٢- خلاف مردود.

والخلاف في قَبوله أو ردِّه مبنيٌّ على أسبابه ودوافعه، فما كان من الخلاف مبنيَّاً على أسبابٍ سائغةٍ، وقواعدَ صحيحة، وفهوم سليمة، فهو جائزٌ مقبول، وما كان من الخلاف مبنياً على أسباب غير سائغة، وأمور غير جائزة من اتباع الهوى، أو التعصب لمذهبٍ أو شخص، أو ضلال معتقَد، أو غير ذلك، فهو مردودٌ غير مقبول.

رابعاً: الاختلاف من حيث الأثر والنتيجة، وهو على نوعين:

١- اختلاف التضاد:

هما القولان المتضادان بحيث لا يمكن القول بهما معاً، فإذا قيل بأحدهما لزم منه عدم القول بالآخر[2].

وهو موجود في اختلاف المفسرين، لكنَّه قليلٌ، ولكلِّ قولٍ حُجَّته أو شبهته.

٢- اختلاف التنوع[3]:

هو ما يصحُّ فيه حمل الآية على جميع ما قيل فيها ما دامت المعاني صحيحة وغير متعارضة.

وغالب ما يصحُّ عن السلف من الخلاف يرجع إلى هذا النوع، وينقسم اختلاف التنوع إلى خمسة أنواع:

- **الأول:** أن يعبِّر كلُّ واحد منهم عن المراد بعبارةٍ غير عبارة صاحبه، تدلُّ على معنىً في المسمَّى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمَّى، وذلك مثل أسماء الله الحسنى، وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم، وأسماء القرآن، فإنَّ أسماء الله كلَّها تدلُّ على مسمَّى واحد، فليس دعاؤه باسمٍ من أسمائه الحسنى مضاداً لدعائه باسم آخر، بل الأمر كما قال تعالى:﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور محمد الشايع: ص ١٤

(٢) المرجع السابق: ص ٢٥

(٣) انظر في اختلاف التنوع وأنواعه: المرجع السابق: ص (١٦-٢٤)

ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ [الإسراء:١١٠]

ومثال ذلك في التفسير اختلافهم في تفسير الصراط المستقيم، حيث قال بعضهم: هو القرآن، وقال آخرون: هو الإسلام(١).

فهذان القولان متفقان؛ لأنَّ دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كلٌّ منهما نبَّه على وصف غير الوصف الآخر... وكذلك قول من قال: هو السنَّة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأمثال ذلك، فهؤلاء كلُّهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كلٌّ منهم بصفة من صفاتها (٢).

- **الثاني:** أن يذكر كلٌّ منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحدِّ المطابق للمحدود في عمومه وخصوصه.

ومثال ذلك: ما نُقل في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ [فاطر:٣٢]

فمعلوم أنَّ الظالم لنفسه يتناول المضيِّع للواجبات، والمنتهك للمحرَّمات، والمقتصدَ يتناول فاعلَ الواجبات وتارك المحرمات، والسابقَ يدخل فيه من سبق فتقرَّب بالحسنات مع الواجبات... ثم إنَّ كلاً منهم يذكر هذا في نوعٍ من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابقُ الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصدُ الذي يصلي في أثنائه، والظالمُ لنفسه الذي يؤخِّر العصر إلى الاصفرار، ويقول الآخر: السابق والمقتصد والظالم قد ذكرهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسنَ بالصدقة، والظالمَ بأكل الرِّبا، والعادلَ بالبيع، والناس في الأموال إمَّا محسنٌ،

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ص ١١

(٢) انظر: المرجع السابق: ص ١٤

وإمَّا عادل، وإمَّا ظالم، فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الواجبات، والظالم آكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا، وأمثال هذه الأقاويل.

فكلُّ قولٍ فيه ذِكْرُ نوعٍ داخل في الآية، ذُكِرَ لتعريف المستمع بتناول الآية له، وتنبيهه به على نظيره[1].

- **الثالث:** ما يكون اللفظ فيه محتمِلاً للأمرين؛ إمَّا لكونه مشتركاً[2] في اللفظ كلفظ ﴿قَسْوَرَةٍ﴾ الذي يُراد به الرامي، ويُراد به الأسد، ولفظ ﴿عَسْعَسَ﴾ الذي يُراد به إقبال الليل وإدباره، وإمَّا لكونه متواطئاً[3] في الأصل؛ لكنَّ المراد به أحدُ النوعين أو أحد الشيئين، كالضمائر في قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النجم: ٨-٩]، فقد اختلفوا هل يعود الضمير على النبي محمد صلى الله عليه وسلم أم على جبريل عليه السلام؟

وكلفظ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ [الفجر: ١-٣] وما أشبه ذلك.

فمثل هذا قد يجوز أن يُراد به كلُّ المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك، فالأول إمَّا لكون الآية نزلت مرتين، فأُريد بها هذا تارةً، وهذا تارةً أخرى، وإمَّا لكون اللفظ المشترك يجوز

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص (١٤-١٥)

(٢) المشترك: هو ما اتحد لفظه، وتعدَّد معناه، ويقع في الأسماء ،كالقُرء: للحيض، والطهر، وفي الأفعال: كعسعس: لأقبل، وأدبر، وفي الحروف على طريقة الأكثر، كالباء: للتبعيض، وبيان الجنس، والاستعانة، والسببية، ونحوها. انظر: التحبير شرح التحرير: ج ١ ص ٣٤٨

(٣) المتواطئ: ((هو الكلِّي الذي يكون حصول معناه وصِدْقُه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية)). قواعد الفقه للبركتي: ص ٤٦٤، وجاء في "التحبير شرح التحرير" : (ج ١ ص ٣٣٥): ((لأنه الذي يتساوى أفراده باعتبار ذلك الكلِّي الذي تشاركت فيه، كالإنسان بالنسبة إلى أفراده؛ فإنَّ الكلِّي فيها، وهو الحيوانية والناطقية لا تتفاوت فيها بزيادة ولا نقص، وسمِّي بذلك من التواطؤ، وهو التوافق)).

أن يُراد به معنياه؛ إذ قد جوَّز بعض العلماء[1]، وإمَّا لكون اللفظ متواطئاً فيكون عامَّاً، إذا لم يكن لتخصيصه مُوجِب، فهذا النوع إذا صحَّ فيه القولان كان من الصنف الثاني[2].

- **الرابع:** أن يعبِّروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإنَّ الترادف[3] في اللغة قليلٌ، وأمَّا في ألفاظ القرآن فإمَّا نادرٌ، وإمَّا معدوم، وقَلَّ أن يُعبَّر عن لفظٍ واحدٍ بلفظ واحدٍ يؤدِّي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، ففي قوله تعالى:

﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام:٧٠]

ورد في تفسير ﴿تُبْسَلَ﴾ سبعة أقوال[4]:

الأول: تُسْلَم، والثاني: تُفضَح، والثالث: تُدفَع، والرابع: تُهلَك، والخامس: تُحبس وتُؤخذ، والسادس: تُجزى، والسابع: تُرتهن.

---

(١) اختلف العلماء في مسألة: هل يصح أن يراد بالمشترك في استعمالٍ واحدٍ كلُّ واحد من معنييه أو معانيه، بأن يقال: رأيت العين، ويراد بها الباصرة والجارية، وغير ذلك، وفي الدار الجون، أي: الأسود والأبيض، فقيل: يجوز، وقيل: لا يجوز، وقيل: في النفي دون الإثبات، ولا يخفى أنَّ محل الخلاف ما إذا أمكن الجمع بين المعاني، وممن قال بالجواز الشافعي وأبو بكر الباقلاني وجماعة من المعتزلة كالجبائي وعبد الجبار وغيرهم، وذلك بطريق الحقيقة إذا صح الجمع بينهما، وممن قال بالمنع بعض المحققين من أصحاب الشافعي وجميع أهل اللغة وأبو هاشم وأبو الحسين البصري والكرخي حيث قالوا: لا يصح ذلك حقيقة ولا مجازاً، وقال بعض العلماء: يجوز إطلاقه عليهما مجازاً لا حقيقة. انظر تفصيل المسألة في: البرهان في أصول الفقه: ج ١ ص ٢٣٥، المحصول في علم الأصول: ج ١ ص (٣٧١-٣٧٢)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعلاء الدين البخاري: ج ١ ص ٦٣، الإبهاج: ج ١ ص ٢٥٥، شرح التلويح على التوضيح للتفتازاني: ج ١ ص ١٢١، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٤٩٣، التحبير شرح التحرير: ج ٥ ص ٢٤٠١

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص ١٧

(٣) الترادف: ((توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد كالإنسان والبشر)). الإبهاج: ج ١ ص ٢٣٨، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٤٧٤

(٤) انظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ج ٣ ص ٦٥

فهذه الأقوال ليست من اختلاف التضاد، وإنما هي من تقريب المعنى، وجمْعُ عبارات السلف في مثل هذا نافعٌ جداً؛ فإنَّ مجموع عباراتهم أدلُّ على المقصود من عبارة أو عبارتين، ومع هذا فلا بدَّ من اختلاف محقق بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الأحكام[1].

- **الخامس**[2]: أن يكون في الآية الواحدة قراءتان أو قراءات، فيفسِّر كلٌّ منهم على حسب قراءةٍ مخصوصة، فيُظنُّ ذلك اختلافاً، وليس باختلاف، مثال ذلك:

في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحِجر:١٥]

أخرج الإمام الطبري من طريق عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أنَّ معنى ﴿سُكِّرَتۡ﴾: سُدَّت، ومن طريق أخرى عنه أنَّ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ بمعنى: أُخذت وسُحرت، ثم أخرج عن قتادة[3] أنه قال: مَن قرأ ﴿سُكِّرَتۡ﴾ مشددة، فإنما يعني سُدَّت، ومَن قرأها مخففة فإنه يعني سُحرت[4]، وليسا بقولين، فالأول تفسير لقراءة: التشديد، والثاني تفسير لقراءة: التخفيف، ولا اختلاف.

وبعد الكلام عن تعريف اختلاف المفسرين وأنواعه، ننتقل للكلام عن أسباب اختلاف المفسرين، وهذا ما خُصِّص له المطلب الآتي.

المطلب الثالث: أسباب اختلاف المفسرين:

يعود اختلاف المفسرين إلى عدة أسباب، منها:

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص (١٧-١٩)

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص ٤٨٤، الإبهاج: ج ١ ص ٢٣٨

(٣) قتادة بن دعامة السدوسي الأعمى الحافظ، أبو الخطاب البصري، ثقةٌ ثبتٌ، أخذ القرآن ومعانيه، وروى عن أنس ابن مالك، وعن غيره، توفي سنة (١١٧هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص ٤٥٣، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ١٤

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٤ ص ١٢

١- مذهب المفسِّر الفقهي:

لـمَّـا ظهـرت الفِـرَق والمذاهـب الفقهيـة، وظهـر التقليـد والتعصـب لهـذه المذاهـب، راح أصـحاب هـذه المذاهـب ينظـرون في كتـاب الله مـن خـلال مـذهبهـم، فـإن وجـدوا فيـه مـا يوافـق مـذهبهـم أخذوا به، وإن وجدوا فيه ما يخالف مذهبهم راحوا يلتمسون التأويلات القريبة والبعيدة حتى تشهد الآية لمذهبهم، أو لا تعارضه على أقل تقدير، وتختلف حدة التأثر بالمذهب والتعصب لـه مـن مفسِّرٍ إلى آخـر، ومـن فرقـةٍ إلى أخـرى، ولا يمكـن الجـزم بتعصـب المفسِّـر في كثـير مـن الأحيـان لمذهبـه الفقهـي، إلا أننـا نسـتطيع أن نجـزم في بعـض الأحيـان بـأنَّ المفسِّـر متعصـب لمذهبـه مـن خـلال هجومـه علـى المـذاهب الأخـرى، وعـدِّ مذهبـه هـو الحـق، ومـا عـداه هـو الباطل[١].

٢- مذهب المفسِّر العقدي:

افترقت الأمَّة الإسلامية فِرقاً كثيرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه الفرق منها من كفر وخرج عن الإسلام ببدعته، ومنها من بقي تحت مظلَّة الإسلام، وبدأت هذه الفرق تخالف بعضها بعضاً في مسائل من علم الكلام، وهذا الاختلاف العقدي بين هذه الفرق أثَّر بشكل كبير في اختلاف المفسرين في تفسير آيات العقائد، وأثَّر بشكل أقل في اختلافهم في تفسير آيات الأحكام، وكلهم يرى نفسه على الحق ويرى الآخر مخطئاً، لذلك نجد المخالف لمذهب أهل الحق أهل السنَّة والجماعة – سواءٌ أكان شيعيَّاً أم معتزليَّاً أم خارجيَّاً – عندما ينظر في كتاب الله فإنه سيعدُّ مذهبَه هو الأصل وما خالفه هو المخالف[٢].

٣- أسباب النزول:

لا يخفى على الناظر في كتب التفسير ما لأسباب النزول من أثر في اختلاف المفسرين في تفسير الآيات، وخاصة آيات الأحكام، واختلافُهم العائدُ إلى أسباب النزول له أشكال

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٣٦، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ١٠٠

(٢) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٤٦، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ١٠٥

مختلفة، فمنها: القول بأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب أو العكس، ومنها: ثبوت سبب النزول عند المفسِّر وعدمُه، ومنها: مناسبته لسياق الآيات وعدمُه[١].

٤- القراءات القرآنية:

ويظهر أثرها في اختلاف المفسرين من حيث:

أولاً: حُجيَّة القراءة الشاذَّة، فمن قال بحُجيَّتها فإنه يُفسِّر الآية في ضوء القراءة الشاذَّة، ومن قال بعدم حُجيَّتها فإنه يفسِّر الآية بعيداً عن القراءة الشاذة.

ثانياً: توجيه القراءات المتواترة، فبعد أن يتفق المفسِّرون على تواتر القراءات، فإننا نجدهم يختلفون في توجيهها، والجمع بينها.

ثالثاً: عدم تواتر القراءة عند قوم، وتواترها عند قوم آخرين، فمن تواترت عنده قراءة، ولم تتواتر أخرى، فإنه يفسِّر الآية في ضوء القراءة المتواترة فقط مغفلاً القراءة التي لم تتواتر عنده، أما من تواترت عنده القراءتان في الآية أو القراءات فإنه يفسِّر الآية في ضوء الاختلاف بين هذه القراءات عن طريق توجيه القراءات، وحمل بعضها على بعض[٢].

٥- قرينة السياق[٣]:

يعد السياق من القرائن المساعدة على فهم النصوص؛ فهو لا يعد دليلاً مستقلاً، ولذلك فإنَّ قرينة السياق تتفاوت في قوة بيانها من نصٍّ إلى آخر، وقد تختلف أنظار العلماء في قوة هذه القرينة في بعض النصوص؛ فقد يراها البعض قويةً قادرة على بيان هذا النص، ويراها البعض الآخر ضعيفة غير قادرة على ذلك.

فمن هنا كانت قرينة السياق سبباً من أسباب اختلاف المفسرين؛ فبعد أن اتفقت كلمتهم على الأخذ بقرينة السياق، فإننا نجدهم يختلفون في تفسير كثير من الآيات بسبب أخذ

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٨٢

(٢) انظر: المرجع السابق: ص (١٢٥-١٢٦)، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٣٦

(٣) قرينة السياق: ((هي ما يؤخذ من لاحق الكلام الدالِّ على خصوص المقصود أو سابقه)). حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لحسن العطار: ج ١ ص ٣٠

بعضهم بهذه القرينة في موضع الخلاف، وعدم أخذ الآخرين بها، بل إننا نجد في بعض الأحيان أنَّ بعض المفسرين أخذوا بالسياق ومع ذلك اختلفوا؛ لأن بعضهم يرى أنَّ هذه القرينة تؤيِّد ما ذهب إليه، والآخر يرى أنها تؤيِّد شيئاً آخر[١].

٦- احتمال العموم[٢] والخصوص[٣]:

أنزل الله عز وجل القرآن الكريم باللغة العربية، ومن خصائص هذه اللغة في مدلولات ألفاظها أن اللفظ الواحد قد يأتي عاماً[٤]، وقد يأتي أيضاً في مكان آخر ويظهر لنا من خلال القرائن أنَّ العموم غيرُ مرادٍ؛ بل المراد هو الخصوص، وقد يطرأ على هذا اللفظ العام ما يُخرج بعض الأفراد منه، فيكون عامَّاً مخصوصاً، وهذه الاحتمالات الثلاثة الواردة على اللفظ – هل اللفظ العام باق على عمومه؟ أو هو عام مراد به الخصوص؟ أو هو عام مخصوص؟ – هي التي تُسبِّب اختلاف المفسِّرين[٥].

٧- احتمال الحقيقة[٦] والمجاز[٧]:

الأصل في اللفظ أن يُحمل على الحقيقة، فإذا قامت القرينة على إرادة المجاز فإنَّ اللفظ يُحمل على المجاز، وهذه القرينة قد تختلف أنظار المفسرين فيها، فقد يرى البعض أنَّ هذه القرينة تكفي لحمل اللفظ على المجاز، فيحملونه عليه، بينما يرى آخرون أنها غير كافية لذلك، فيبقونه على الأصل، ويحملونه على الحقيقة.

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ١٥٩، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٩٨

(٢) العموم: ((هو تناول اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له من غير حصر)). البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٢ ص ١٨٠

(٣) الخصوص: ((كون اللفظ متناولاً لبعض ما يصلح له لا لجميعه)). البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٢ ص ٣٩٢

(٤) العام: ((لفظٌ يستغرق جميع ما يصلح له بوضع واحد)). الإبهاج: ج ٢ ص ٨٢، والخاص: ((لفظ وضع لمعنى معلوم، أو لمسمّى معلوم على الانفراد)). أصول الشاشي: ص ١٣

(٥) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ١٧٨، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٥٠

(٦) الحقيقة: ((هي اللفظ المستعمل فيما وضع له لغة)). انظر: الفصول في الأصول: ج ١ ص ٤٦، المستصفى: ج ١ ص ١٨٦

(٧) المجاز: ((هو اللفظ المستعمل فيما لم يوضع له لغة)). انظر: المرجعين السابقين في الموضع ذاته.

ويضاف إلى ذلك اختلافهم في جواز حمل اللفظ على حقيقته ومجازه معاً [١]، فمن أجازه فإنه يحمل اللفظ على كلا المعنيين إذا قامت القرينة عنده على ذلك، ومن منع الجمع بين المعنيين الحقيقي والمجازي، فإنه يحمل اللفظ إمَّا على حقيقته، وإمَّا على المجاز إذا قامت القرينة على ذلك، وهذا بلا ريب يسبِّب اختلافاً في بعض الصور بين الفريقين[٢].

٨- إجمال اللفظ:

إنَّ لإجمال اللفظ أثراً واضحاً في اختلاف المفسرين؛ لأنَّ اللفظ إذا كان مجملاً [٣] فالمفسِّرَ يحاول التوصل لمراد الله من هذا اللفظ، وذلك من خلال القرائن المحتفَّة باللفظ، وفي أثناء نظر المفسِّرين في القرائن المحتفَّة باللفظ يحصل اختلافٌ في وجهات النظر، فقد يرى أحد المفسِّرين أنَّ هذه القرينة كافيةٌ لحمل اللفظ على أحد معانيه، بينما يرى آخر أنها غير كافية.

وقد تختلف وجهات نظر المفسِّرين في قوة هذه القرائن، فهذا يرى أنَّ هذه القرينة أقوى من تلك، بينما يرى الآخر العكس، وإذا لم يستطع المفسِّر الوصول للمراد من اللفظ من خلال

---

(١) اختلف الأصوليون في جواز إطلاق اللفظ الواحد على مدلوله الحقيقي ومدلوله المجازي في وقت واحد على قولين: القول الأول: لا يجوز الحمل على الحقيقة والمجاز في لفظ واحد، وهو مذهب أبي حنيفة، وعامَّة أهل الأدب، وعامَّة المتكلمين، والمحققين من أصحاب الشافعي.

القول الثاني: يجوز الحمل على الحقيقة والمجاز في لفظ واحد إذا كان ذلك ممكناً، وهو قول الشافعي، وعامَّة أصحابه، ومحمد وأبي يوسف من الحنفية، وعامَّة أهل الحديث، وأبي علي الجبائي، وعبد الجبار بن أحمد من المتكلمين. انظر تفصيل المسألة في: الفصول في الأصول: ج ١ ص ٧٨، المعتمد: ج ١ ص ٣٠٠، قواطع الأدلة في الأصول للسمعاني: ج ١ ص ٢٧٧، أصول السرخسي: ج ١ ص ١٧٣، تخريج الفروع على الأصول للزنجاني: ص ٦٨، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: ج ٢ ص ٦٧، الإحكام للآمدي: ج ٢ ص ٢٦١، الإبهاج: ج ١ ص ٢٥٧، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٥٠٣

(٢) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٢١٧، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٥٨

(٣) المجمل: ((هو ما لم تتضح دلالته)). انظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص ٤٣

القرائن؛ فإن كان ممن يحمل اللفظ على جميع معانيه، فإنه يحمله عليها، وإن كان لا يحمل اللفظ على جميع معانيه، فإنه يبحث عن دليل خارجي يساعد في بيان إجمال اللفظ[١].

٩- احتمال الإطلاق والتقييد:

الأصل في اللفظ المطلق[٢] أن يحمل على إطلاقه ما لم يقم دليل على تقييد هذا المطلق، وإذا ورد لفظ مقيَّد[٣] بقيد معين فالأصل فيه أن يُحمل على تقييده ما لم يقم دليل أو قرينة تدلُّ على أنَّ التقييد لم يكن مقصوداً، أمَّا إذا قام دليل أو قرينة على أن هذا القيد لم يكن مقصوداً فإنَّ المطلق يبقى على إطلاقه.

وقد يختلف العلماء في هذه القرينة، فبينما يرى بعضهم أنها تصرف المقيَّد عن تقييده وتعيده مطلقاً كما كان قبل التقييد، يرى آخرون أنها لا تصرفه عن تقييده، ويبقى مقيَّداً، أي أنَّ البعض يرى اللفظ مطلقاً، والبعض الآخر يراه مقيَّداً، وكلُّ هذا يظهر أثره في اختلاف المفسرين، بالإضافة إلى اختلافهم في صور حمل المطلق على المقيَّد[٤].

١٠- مفهوم المخالفة [٥]:

ويظهر أثره في اختلاف المفسرين من حيث إنَّ بعض العلماء يقولون بحجِّيَّة مفهوم المخالفة، والبعض الآخر يقول بعدم حجِّيَّته[٦]، فإذا فسَّر القائلون بحجِّيَّته آيةً من كتاب الله، وكانت

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٢٤٣، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٦٨

(٢) المطلق: ((هو ما دلَّ على الماهيَّة بلا قيدٍ من حيث هيَ هيَ)). إرشاد الفحول: ص ٢٧٨، وانظر: البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص ٣

(٣) المقيد: فهو ما يقابل المطلق، فيُقال فيه: ((هو ما دلَّ على الماهيَّة بقيدٍ من قيودها)). إرشاد الفحول: ص ٢٧٩

(٤) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص (٢٧٢-٢٧٣)، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٥٣

(٥) مفهوم المخالفة: ((هو إثبات نقيض حكم المنطوق للمسكوت)). البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص ٩٦

(٦) اختلف العلماء في حجيَّة مفهوم المخالفة على قولين:

القول الأول: مفهوم المخالفة حجَّة، وهو قول الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل والأشعري وجماعة من الفقهاء والمتكلمين وأبو عبيد وجماعة من أهل العربية، القول الثاني: مفهوم المخالفة ليس بحجة، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه والقاضي أبي بكر وابن سريج والقفَّال والشاشي والغزالي وجماهير المعتزلة. انظر مذاهب العلماء وأدلتهم في حجية مفهوم

تحتمل أن يُؤخذ منها حكماً مخالفاً، فإنهم سيقولون به، ولا يمنعهم من ذلك شيء، أمَّا القائلون بعدم حجِّيَّة مفهوم المخالفة فإنهم لن يفعلوا ذلك، ومن ثمَّ يختلفون.

كذلك قد يختلف القائلون بحجِّيَّته فيما بينهم، فقد يتبين لبعضهم أنَّ القيد قد جيء به ليفيد حكماً مخالفاً، بينما يرى آخرون أنه جاء على الغالب، أو أنَّ هناك عهداً خرج القيد عليه(١)، ومن ثمَّ يختلفون(٢).

المخالفة في: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي: ص ٢٦٤، الإحكام للآمدي: ج ٣ ص ٨٠، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ج ٣ ص ٥٠٤، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص ٩٦، القواعد والفوائد الأصولية لابن اللحام الحنبلي: ص ٢٨٧، التحبير شرح التحرير: ج ٦ ص ٢٩٠٦، إرشاد الفحول: ص ٣٠٣

(١) لذلك اشترط الجمهور القائلون بالاحتجاج في مفهوم المخالفة شروطًا، بعضها راجع للمسكوت عنه، وبعضها راجع للمذكور المنطوق، وأهم هذه الشروط هي:

١- ألَّا يدلَّ على المسكوت دليلٌ خاص؛ فيُعمَل بمنطوق الدليل الخاص.

٢- ألَّا يعارض مفهومَ المخالفة ما هو أرجح منه في الدلالة، فيسقط مفهوم المخالفة، ويُقدَّم الاستدلال بالدلالات.

٣- ألَّا يكون للقيد الذي قُيِّد به النص فائدة أخرى غير نفي الحكم عن المسكوت عنه خلافًا للمنطوق، مثل الترغيب، أو الترهيب، أو التنفير، أو التفخيم، أو تأكيد الحال، أو الامتنان، أو نحو ذلك.

٤- ألَّا يكون ذكر القيد في النص قد خرج مَخْرج الأعمِّ الأغلب، أو لمراعاة الواقع.

٥- أن يكون الكلام الذي ذُكر فيه القيد مستقلًا، فإن ذكر على وجه التبعية لشيءٍ آخر فلا مفهوم له. انظر هذه الشروط في البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص (١٠٠-١٠٦)، القواعد والفوائد الأصولية: ص (٢٩٠-٢٩٢)، التحبير شرح التحرير: ج ٦ ص (٢٨٩٤-٢٩٠٤)، شرح الكوكب المنير: ج ٣ ص (٤٨٩-٤٩٦)

(٢) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص ٢٩٨

١١- حروف المعاني[١]:

لا يخفى على الناظر في كتب التفسير أثر تعدُّد معاني هذه الحروف في اختلاف المفسرين؛ لأنَّ تعدُّد معاني هذه الحروف – إمَّا بسبب الاشتراك، وإمَّا بسبب احتمال استعمال الحرف في الحقيقة والمجاز – يُوجِد عند المفسِّر تردداً في معنى الآية، فيلجأ إلى الترجيح بين هذه المعاني المتعددة، وعند تعدُّد المفسِّرين الناظرين في الآية لا بدَّ من وقوع الاختلاف، وذلك لاختلاف أنظار المفسرين في المرجِّحات[٢].

١٢- الحديث النبوي الشريف:

ويظهر أثره في اختلاف المفسِّرين من حيث إنَّ المفسِّر قد لا يبلغه الحديث الشريف، بينما يبلغ المفسِّر الآخر، أو لا يثبت الحديث الشريف عند المفسِّر بعد بلوغه إياه، وقد يثبت عند مفسِّر آخر، أو تختلف أفهام المفسِّرين للحديث الشريف بعد ثبوته عندهم، فكلُّ هذه الاحتمالات تسبِّب اختلاف المفسرين في تفسير الآيات، أضف إلى ذلك أنَّ السنَّة المطهرة

---

(١) قال علاء الدين البخاري في شرحه على أصول فخر الإسلام البزدوي: ((واعلم أنَّ لفظ الحروف يُطلق على الحروف التسعة والعشرين التي هي أصل تراكيب الكلام، ويُطلق على ما يُوصل معاني الأفعال إلى الأسماء، وعلى ما يدلُّ بنفسه على معنى في غيره على ما فسِّر في علم النحو بأنَّ الحرف ما دلَّ على معنى في غيره، ويُسمَّى الأول: حروف التهجي... والثاني: حروف المعاني؛ لما ذكرنا من إيصالها معاني الأفعال إلى الأسماء، أو لدلالتها على معنى، فإنَّ الباء في قولك: مررت بزيدٍ حرفُ معنى؛ لدلالتها على الإلصاق، بخلاف الباء في (بكر) و(بشر) فإنها لا تدلُّ على معنى...)). كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: ج ٢ ص ١٦٠، فحروف المعاني: هي التي وُضعت لمعانٍ تتميز بها عن حروف المباني، وهذه الحروف لا تدلُّ على معنى في ذاتها، بل تدلُّ على معنى في غيرها، كحرف العطف، وحرف الجر، وتُدرَس في علم أصول الفقه؛ لصلتها الوثيقة بالاجتهاد، حيث يتوقف فهم العبارات على فهم معنى الحرف. انظر: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي للدكتور محمد الزحيلي: ج ٢ ص ١٧١، قال الإمام الزركشي مبيِّناً أهمية حروف المعاني: ((وإنما احتاج الأصولي إليها؛ لأنها من جملة كلام العرب، وتختلف الأحكام الفقهية بسبب اختلاف معانيها)). البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٢ ص ٣

(٢) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص (٣٠٩-٣١٠)، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٩٤

لما كانت مبيِّنة لكتاب الله من حيثُ تخصيص العام وتقييد المطلق وتبيين المجمل كان ذلك مجالاً واسعاً أيضاً لاختلاف المفسرين[١].

١٣- احتمال النسخ وعدمه:

اختلف المفسِّرون في عدد الآيات المنسوخة اختلافاً كثيراً، بين مقلٍّ ومكثرٍ، وجلُّ الأسباب في ذلك عائد إلى اختلاف المراد بمصطلح النسخ بين المتقدمين والمتأخرين، حيث يطلق المتقدمون اصطلاح النسخ على كل تغيير في مدلول الآية سواءٌ كان ذلك نسخاً –كما عند المتأخرين – أو تخصيصاً، أو استثناءً، أو غير ذلك، أمَّا المتأخرون فقد اصطلحوا على أنَّ النسخ هو: رفعُ حكم شرعيٍّ بدليلٍ شرعيٍّ متراخٍ[٢]، والخلاف حول النسخ أثره ظاهر في اختلاف المفسرين[٣].

١٤- الاختلاف في وجوه الإعراب:

تختلف المعاني باختلاف الإعراب، لذا كانت معرفة الإعراب من شروط المفسِّر الذي يتصدَّر لتفسير كتاب الله، يقول الماوردي[٤] في مقدمة تفسيره: ((وأمَّا الإعراب، فإن كان اختلافُه موجباً لاختلاف حُكمه وتغيير تأويله، لزم العلمُ به في حق المفسِّر، وحق القارئ؛ ليتوصل المفسِّر إلى معرفة حكمه، ويسلم القارئ من لحنه))[٥].

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الحوري: ص (٣٣٥، ٣٣٧)، أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٤٣

(٢) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ج ٤ ص ٢٦، شرح الكوكب المنير: ج ٣ ص ٥٢٦

(٣) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٤٧

(٤) علي بن محمد بن حبيب، القاضي أبو الحسن الماوردي البصري، الفقيه الشافعي، مصنفاته كثيرة في كل الفنون من فقه وتفسير وأصول وأدب، ومن تصانيفه: الحاوي في الفقه، تفسير القرآن سماه النكت والعيون، الأحكام السلطانية، أدب الدنيا والدين، وغيرها، مات سنة (٤٥٠هـ). انظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج ٣ ص (٢٨٢– ٢٨٤) ، طبقات المفسرين للسيوطي: ج ١ ص (٨٣– ٨٤)

(٥) النكت والعيون تفسير الماوردي: ج ١ ص ٣٨

ويظهر أثر الإعراب في اختلاف المفسِّرين من حيث إنَّ كلَّ مفسِّرٍ يختار وجهاً يختلف عمَّا اختاره غيره، وذلك يسبب اختلاف المعنى[١].

١٥- الاختلاف في مرجع الضمير:

يكون أحياناً في الآية الكريمة ضمير أو ضمائر، فيختلف المفسِّرون في تعيين مرجع كلِّ ضمير، مما ينبني عليه اختلاف المعنى والتفسير[٢].

١٦- احتمال الكلام التقديم والتأخير وتقدير إعادة الترتيب:

ويظهر أثره في اختلاف المفسِّرين من حيث إنَّ بعضهم يحمل الكلام على التقديم والتأخير، ثم يبني تفسير الآية على ذلك، والبعض الآخر لا يرى التقديم والتأخير، ويفسِّر الآية بناءً على ذلك بوجهٍ آخر[٣].

١٧- احتمال وجود حذف، واحتياج الكلام إلى تقدير محذوف:

فيُختَلف في هذا المقدَّر، الأمرُ الذي ينبني عليه اختلاف المعنى عند المفسرين[٤].

١٨- احتمال كون الكلمة صلة[٥] في سياق الكلام:

فبعض المفسِّرين يراها صلةً، والبعض الآخر لا يراها كذلك، فمن هنا ينشأ الاختلاف[٦].

---

(١) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٧٠

(٢) انظر: المرجع السابق: ص ٧٣

(٣) انظر: المرجع السابق: ص ٨٣

(٤) انظر: المرجع السابق: ص ٨٩

(٥) يُعبِّر بعض المفسِّرين بكلمة (صلة) عوضاً عن كلمة (زائدة)؛ وذلك تأدُّباً مع كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولدفع سوء الفهم بأنها زائدة في كتاب الله.

(٦) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٩٠

١٩- الاختلاف في الاستثناء في نوعه وعوده:

حيث يقع الاختلاف في نوع الاستثناء، هل هو متصل أو منقطع[١]؟ كما يقع الخلاف فيما يعود إليه الاستثناء، هل يعود على كل ما سبقه أو يعود على بعضه؟ وينبني على هذا الخلاف اختلاف المعنى عند المفسرين[٢].

وبعد الكلام عن أسباب اختلاف المفسرين، ننتقل للكلام عن أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين، وهذا ما خُصِّص له المبحث الآتي.

---

(١) الاستثناء: ((هو إخراج بعض ما يتناوله اللفظ)). معجم مقاليد العلوم: ص ٨٣، والاستثناء إمَّا استثناءٌ متصلٌ: حيث يكون المستثنى من جنسِ المستثنى منه، أو استثناءٌ منقطعٌ: حيث يكون المستثنى من غيرِ جنسِ المستثنى منه. انظر: البديع في علم العربية لابن الأثير الجزري: ج ١ ص ٢٢٤

(٢) انظر: أسباب اختلاف المفسرين للدكتور الشايع: ص ٩٢

المبحث الثاني

أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين

يتضمن هذا المبحث الكلام عن أساليب الإمام النسفي في نسبة القول إلى صاحبه، وأساليبه في ذكر دليل القول، وأساليبه في استيعاب أقوال المفسرين، وعرضِه أقوالهم مع الترجيح أو عدمه.

المطلب الأول: أساليبه في نسبة القول إلى صاحبه:

لا يذكر الإمام النسفي غالباً عند عرضه لأقوال المفسرين صاحبَ القول، وإنَّما يستخدم عبارةً مبهمةً، وهي: (قيل) في الأكثر الغالب، وإذا ذكر صاحبَ القول، فإنَّ ذلك يكون غالباً عند ذكر أصحاب المذاهب الفقهية، أو عند ذكر أقوال الصحابة والتابعين في الفقه والتفسير، أو عند ذكر آراء أهل اللغة والنحو.

فمن أمثلة عدم ذكر صاحب القول:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة:٥٤]

قال الإمام النسفي: ((...﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل: هو على الظاهر، وهو: البَخْعُ[(١)]، وقيل: معناه: قتلُ بعضِهم بعضاً، وقيل: أَمَرَ من لم يعبد العجلَ أنْ يقتلوا العَبَدَة، فقُتل سبعون ألفاً ...))[(٢)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر ثلاثة أقوال، ولم يُسمِّ قائلها.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة:١٠٨]

---

(١) بخع: بَخَعَ نفسَه يَبْخَعُها بَخعاً، وبُخوعاً: قَتَلَها غيظاً، أو غمَّاً. لسان العرب: ج ٨ ص ٥

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٩٠

قال الإمام النسفي في بيان معنى التطهر: ((... قيل: هو عام في التطهر عن النجاسات كلِّها، وقيل: هو التطهر من الذنوب بالتوبة...)) [1].

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر قولين، ولم يُسمِّ قائلهما.

ومن أمثلة تسمية صاحب القول:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]

قال الإمام النسفي: ((...﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الاستثناء متصل؛ لأنَّه كان من الملائكة، كذا قاله عليٌّ وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم[2]، ولأنَّ الأصل أنَّ الاستثناء يكون من جنس المستثنى منه، ولهذا قال: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢]، وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] معناه: صار من الجنِّ، كقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣]، وقيل: الاستثناء منقطع؛ لأنَّه لم يكن من الملائكة، بل كان من الجنِّ بالنَّص، وهو قول الحسن[3] وقتادة[4]، ولأنَّه خُلق من نارٍ، والملائكة خُلقوا من النُّور، ولأنَّه أبى وعصى واستكبر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يستكبرون عن عبادته، ولأنه قال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ [الكهف:٥٠]، ولا نسْل للملائكة...)) [5].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢٠٩

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص (٢٢٤-٢٢٥)

(٣) الحسن بن يسار البصري، يكنى بأبي سعيد، كان من سادات التابعين وكبرائهم، عالمٌ زاهدٌ ورعٌ عابدٌ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، وأبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه مولاة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تخدمها وربما أرسلتها في الحاجة، فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع، فتشاغله أم سلمة بثدييها، فيدران عليه، فيرتضع منهما، فكانوا يرون أنَّ تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة، أخباره كثيرة، ومناقبه عظيمة، توفي بالبصرة سنة (١١٠هـ)، وكانت جنازته مشهودة. انظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج ٢ ص (٦٩-٧٣)، البداية والنهاية: ج ٩ ص (٢٦٦-٢٦٧)

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص (٢٢٦-٢٢٧)

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٨١-٨٢)

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣]

قال الإمام النسفي: ((...﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي: هو الذي وجب اختصاصُه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة كدر؛ لاطِّلاعه على الغيوب والأسرار. وعن قتادة: ((الدينُ الخالصُ: شهادة أنْ لا إله إلا الله))[(١)]. وعن الحسن: ((الإسلام))[(٢)]...))[(٣)].

وموضع الشاهد في المثالين أنَّ الإمام النسفي يذكر القول، و يسمِّي صاحبه.

المطلب الثاني: أساليبه في ذكر دليل القول:

عندما يذكر الإمام النسفي أقوال المفسرين في تفسير الآية، يذكر معها أحياناً أدلتها، فيذكر ما يؤيِّد القولَ من آيةٍ أو حديثٍ أو قراءة متواترةٍ أو شاذةٍ أو كلام العرب... الخ، ويُبيِّن توجيه القول، وأحياناً يقتصر على ذكر القول فقط دون ذكر الدليل.

فمن أمثلة ذكر القول مع دليله:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء:١٠١]

قال الإمام النسفي: ((...﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إنْ خشيتم أن يقصدَكم الكفار بقتلٍ، أو جرحٍ، أو أخذٍ. والخوف شرط جواز القصر عند الخوارج بظاهر النص، وعند الجمهور ليس بشرطٍ؛ لما روي عن يعلى بن أمية [(٤)] أنَّه قال لعمر: ما بالنا نقصرُ وقد أمِنَّا؟

---

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الإمام الطبري في تفسيره: ج ٢٣ ص ١٩١

(٢) قول الحسن أورده الإمام الماوردي في تفسيره "النكت والعيون": ج ٥ ص ١١٤

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٧٥-٧٦)

(٤) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي الحنظلي، حليف قريش، وهو الذي يقال له: يعلى بن مُنْية، وهي أمه، وقيل: هي أم أبيه، أسلم يوم الفتح، وحسن إسلامه، وشهد حُنيناً، والطائف، وتبوك، وله عدة أحاديث، كان أول من أرَّخ الكتب وهو باليمن، استعمله أبو بكر على حلوان في الرِّدة، ثم ولي نجران لعمر، ثم عمل لعثمان على صنعاء اليمن،=

فقال: عجبت مما تعجبت منه، فسألت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: « صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته » [(١)]. وفيه دليل على أنَّه لا يجوز الإكمال في السفر؛ لأنَّ التصدق بما لا يحتمل التمليكَ إسقاطٌ محضٌ لا يحتمل الردَّ وإن كان المتصدِّق ممَّن لا تلزم طاعتُه كولي القصاص إذا عفا، فمن تلزم طاعتُه أولى، ولأنَّ حالهم حين نزول الآية كذلك، فنزلت على وقع الحال، وهو كقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور:٣٣] دليله قراءة عبد الله: ﴿مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: لئلَّا يفتنكم[(٢)]...)) [(٣)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر الاختلاف بين الجمهور والخوارج في اشتراط الخوف لجواز قصر الصلاة، مع ذكر دليل كلٍّ منهما.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم:٧١]

قال الإمام النسفي: ((...﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ داخلُها، والمراد: النار. والورود: الدخول عند عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهم[(٤)]، وعليه جمهور أهل السنة؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨]، ولقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ﴾ [الأنبياء:٩٩]، ولقوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم:٧٢]؛ إذ النجاة إنما تكون بعد الدخول؛ لقوله عليه السلام: «الورود: الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما

=خرج مع عائشة في وقعة الجمل، ثم شهد صفين مع علي، وكان من أجواد الصحابة ومتموِّليهم، قال ابن حجر: مات سنة بضع وأربعين. انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص ٦٠٩، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص (١٠٠- ١٠١)، الإصابة: ج ٦ ص ٦٨٥

(١) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة المسافرين وقصرها: رقم الحديث (٦٨٦)، ج ١ ص ٤٧٨

(٢) نسب الإمام النسفي هذه القراءة لعبد الله تبعاً للزمخشري في "الكشاف": ج ١ ص ٥٩٢، وبعد البحث تبيَّن أنها قراءة أبيِّ بن كعب كما ذكر الإمام الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٢٤٤، والإمام السمعاني في تفسيره: ج ١ ص ٤٧٢، والإمام ابن عطية في تفسيره: ج ٢ ص ١٠٤

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٦٠

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٦ ص (١٠٨-١١٠)

كانت على إبراهيم، وتقول النار للمؤمن: جُز يا مؤمن، فإنَّ نورَك أطفأ لهبي »[1]. وقيل: الورود بمعنى الدخول؛ لكنَّه يختص بالكفار؛ لقراءة ابن عباس: ﴿وَإِن مِّنْهُم﴾[2]، وتُحمل القراءة المشهورة على الالتفات، وعن عبد الله: الورود: الحضور[3]؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٢٣]، وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء:١٠١]، وأجيب عنه بأنَّ المراد: عن عذابها. وعن الحسن وقتادة: الورود: المرور على الصِّراط[4]؛ لأنَّ الصِّراط

---

(١) الحديث رُوي عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولكن دون الجملة الأخيرة، وهي: « جُز يا مؤمن، فقد أطفأ نورُك لهبي » – حيث قال: « الورودُ الدخولُ، لا يبقي برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إنَّ للنار أو قال لجهنَّم ضجيجاً من بردهم، ثم يُنجِّي الله الذين اتقَّوا ويذرُ الظالمين فيها جثيَّاً »... والحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم الحديث (١٤٥٦٠)، ج ٣ ص ٣٢٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج ٧ ص ٥٥): ((رواه أحمد، ورجاله ثقات))، وأخرجه أيضاً عبد بن حميد في مسنده: رقم الحديث (١١٠٦)، ج ١ ص ٣٣٣، والحاكم في مستدركه: كتاب الأهوال: رقم الحديث (٨٧٤٤)، ج ٤ ص ٦٣٠، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول: الأصل السادس عشر في أنَّ الورودَ في النار الدخولُ: ج ١ ص ١٢٧، والبيهقي – بإسناده – في شعب الإيمان: فصل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨]، رقم الحديث (٣٧٠)، ج ١ ص (٣٣٦–٣٣٧)، وقال رحمه الله: ((هذا إسنادٌ حسنٌ)).

أمَّا قوله: « جُز يا مؤمن، فقد أطفأ نورُك لهبي »، فقد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: رقم الحديث (٦٦٨)، ج ٢٢ ص ٢٥٨، وأبو نعيم في الحلية: ج ٩ ص ٣٢٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج ١٠ ص ٣٦٠): ((وفيه سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف)). وقال الإمام عبد الرؤوف المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير: (ج ١ ص ٤٥٥): ((وفيه ضعفٌ، وانقطاع)). فنلاحظ أنَّ الإمام النسفي في معرض استشهاده بهذا الحديث جمع بين حديثين، وكأنهما حديث واحد.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٦ ص ١١٠

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ١٦ ص ١١١، وانظر: النكت والعيون تفسير الماوردي: ج ٣ ص ٣٨٥

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٦ ص ١١٠

ممدود عليها، فيسلم أهل الجنة، ويتقاذف أهل النار. وعن مجاهد[1]: ورود المؤمن النارَ هو مسُّ الحمَّى جسدَه في الدنيا[2]؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « الحمَّى حظُّ كل مؤمن من النار »[3]))[4].

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر الاختلاف في معنى الورود، مع ذكر أدلة كلٍّ فريق.

ومن أمثلة ذكر الأقوال أو بعضها دون دليل:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران:١٤]

قال الإمام النسفي: ((...﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ المزيِّن هو الله عند الجمهور؛ للابتلاء كقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ ﴾ [الكهف:٧] دليله قراءة مجاهد: (زَيَّن للناس)[5] على تسمية الفاعل، وعن الحسن: ((الشيطان))[6]...))[1].

---

(١) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي، مولاهم المكي، ثقةٌ، إمامٌ في التفسير، وفي العلم، مات سنة (١٠٣هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ص٥٢٠، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص١١

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٦ ص ١١١

(٣) الحديث بهذا اللفظ رواه البزَّار من حديث عائشة رضي الله عنها، انظر: كشف الأستار عن زوائد البزَّار: كتاب الجنائز، باب حطِّ ذنوب المريض، وإجراء عمله عليه: رقم الحديث (٧٦٥)، ج ١ ص ٣٦٤، وقال فيه البزَّار: ((لا نعلم أَسْنَدَه عن هُشَيم إلا عثمان)). وأشار الدارقطني إلى أنَّ عثمان بن مخلد الواسطي لا بأس به، لكنَّه خولف في رفع هذا الحديث، فالمحفوظ أنَّه موقوف على عائشة. انظر: العلل الواردة في الأحاديث النبوية للدارقطني: ج ١٤ ص ٢٥٧، العلل المتناهية لابن الجوزي: ج ٢ ص ٨٦٥، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (ج ٢ ص ٣٠٦): ((رواه البزَّار، وإسناده حسن))، وقال المنذري في "الترغيب والترهيب": (ج ٤ ص ١٥٤): ((رواه البزَّار بإسنادٍ حسن)). والحديث روي بألفاظ متقاربة تدور حول نفس المعنى. انظر: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي: ج ٢ ص (٣٣٤-٣٣٥)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٦٧-٦٨)

(٥) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني: ج ١ ص ١٥٥

(٦) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣ ص ١٩٩، تفسير ابن أبي حاتم: ج ٢ ص ٦٠٧

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر قولين في بيان من هو المزيِّن، ثم ذكر دليل القول الأول فقط.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه:١٠٢]

قال الإمام النسفي: ((...﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ القَرْنِ، أو هو جمع صُوْرَةٍ، أي: ننفخُ الأرواح فيها، دليلُه قراءة قتادة: الصُّوَر[٢] - بفتح الواو - جمع صُوْرَةٍ...)) [٣].

وموضع الشاهد في المثال أنَّه ذكر قولين، ثم ذكر دليلاً للقول الثاني دون الأول.

المطلب الثالث: أساليبه في استيعاب أقوال المفسرين:

لا يتوسَّع الإمام النسفي في ذكر أقوال المفسرين عند تفسير الآية، ولا يستوعب، وإنما يقتصر على ذكر بعض الأقوال، وكأنَّه - والله أعلم - يختار من الأقوال أشهرها وأقواها في نظره، بل إنه أحياناً يقتصر على ذكر قول واحد فقط، مع وجود خلاف في تفسير الآية.

فمن أمثلة الاقتصار على بعض الأقوال:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ...﴾ [المائدة:٢]

قال الإمام النسفي في بيان المراد بشعائر الله: ((...﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع شعيرة، وهي: اسم ما أُشْعِرَ، أي: جُعِل شعاراً وعَلَماً للنُّسُك به مِن مواقف الحجِّ، ومرامي الجمار، والمطاف، والمسعى، والأفعال التي هي علامات الحاجِّ يُعرف بها من الإحرام، والطَّواف، والسَّعي، والحلق، والنحر...)) [٤].

فالإمام النسفي لم يذكر جميع الأقوال؛ لأنَّ في المراد بشعائر الله سبعة أقوال[٥]:

الأول: أنَّها مناسك الحج.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٢٥

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص (٥٩، ٢١٢)

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٠٠

(٤) المرجع السابق: ج ١ ص ٣٩٠

(٥) انظر: زاد المسير: ج ٢ ص ٢٧٢

الثاني: أنَّها ما حرَّم الله تعالى في حال الاحرام.

الثالث: دين الله كلِّه.

الرابع: حدود الله.

الخامس: حَرَم الله.

السادس: الهدايا المشعرة لبيت الله الحرام.

السابع: أنها أعلام الحَرَم.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنعام:٢٧]

ذكر الإمام النسفي قولين في بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، فقال: ((أُرُوها حتى يعاينوها، أو حُبِسوا على الصِّراط فوق النار...)) (١).

ونلاحظ أنَّ الإمام النسفي لم يذكر جميع الأقوال، ففي معنى: ﴿وُقِفُوا۟﴾ ستة أقوال(٢):

الأول: حُبِسوا عليها.

الثاني: عُرِضُوا عليها.

الثالث: عاينوها.

الرابع: وقفوا عليها، وهي تحتهم.

الخامس: دخلوا إليها، فعرفوا مقدار عذابها.

السادس: جُعلوا عليها وقفاً كالوقوف المؤبَّدة على سبلها.

ومن أمثلة الاقتصار على قول واحد:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة:٦]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٣

(٢) انظر: زاد المسير: ج ٣ ص ٢٢

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان معنى: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، فقال: ((... والمراد به: طريق الحق، وهو ملَّة الإسلام...)) (١).

وفي المراد بالصِّراط هاهنا أربعة أقوال(٢):

الأول: أنَّه كتاب الله.

الثاني: أنَّه دين الإسلام.

الثالث: أنَّه الطريق الهادي إلى دين الله.

الرابع: أنَّه طريق الجنة.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ ...﴾ البقرة:٢٥٣]

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان من كلَّمه الله، فقال: ((...﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: كلَّمه الله، حُذِفَ العائد من الصلة، يعني: منهم من فضَّله الله بأن كلَّمَه من غير سفير، وهو موسى عليه السلام...)) (٣).

وهناك قول بأنَّ من كلَّمه الله هو موسى ومحمد وكذلك آدم صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين(٤).

المطلب الرابع: عرض أقوال المفسرين مع الترجيح وعدمه:

يرجِّح الإمام النسفي أحياناً بين أقوال المفسرين التي يذكرها في تفسير الآية، وأحياناً يكتفي بعرض الأقوال دون ترجيح، وذلك يكون في الحالات الآتية:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٧

(٢) انظر: زاد المسير: ج ١ ص ١٥

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٩٦

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير : ج ١ ص ٣٠٥

الحالة الأولى: أن يذكر في تفسير الآية معنيين أو أكثر ولا يُرجِّح، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعاني يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ﴾ ولا تستبدلوا الحرام: وهو مالُ اليتامى بالحلال وهو مالُكم، أو لا تستبدلوا الأمر الخبيث: وهو اختزالُ أموال اليتامى بالأمر الطِّيب وهو حفظُها والتورع منها...)) (١).

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾ [الأنعام:١٢٠]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ﴾ علانيَّتَه و سِرَّه، أو الزنا في الحوانيت، والصَّديقةَ في السِّر، أو الشِّركَ الجليَّ والخفيَّ...)) (٢).

فموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي ذكر أكثر من معنى، ولم يُرجِّح بينها.

الحالة الثانية: لا يُرجِّح أحياناً بين أقوال الفقهاء في بعض المواضع في المسائل الفقهية، وإنما يقتصر على ذكر أقوالهم، وكذلك لا يُرجِّح في كثير من المواطن بين روايات أسباب النزول.

فمن أمثلة عدم الترجيح في المسائل الفقهية:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٠٥

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٦

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ [النساء:٤٣]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَلَا جُنُبًا﴾ عطفٌ على ﴿وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ﴾...كأنَّه قيل: لا تقربوا الصلاة سكارى، ولا جنباً، أي: ولا تصلُّوا جنباً... ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ صفةٌ لقوله: (جنباً)، أي: لا تقربوا الصلاة جنباً غير عابري سبيل، أي: جنباً مقيمين غير مسافرين، والمراد بالجنب: الذين لم يغتسلوا، كأنَّه قيل: لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين ﴿حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ﴾ إلا أن تكونوا مسافرين عادمين الماء متيمِّمين، عبَّر عن المتيمِّم بالمسافر؛ لأنَّ غالب حاله عدم الماء، وهذا مذهب أبي حنيفة[١] رحمه الله، وهو مروي عن عليٍّ رضي الله عنه[٢]، وقال الشافعيُّ رحمه الله: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: مواضع الصلاة، وهي المساجد ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ أي: ولا تقربوا المسجد جنباً ...﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ إلا مجتازين فيه، فيجوز للجنب العبور في المسجد عند الحاجة[٣]...)) [٤].

---

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي، مولاهم الكوفي، الإمام الأعظم، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، وصاحب المذهب، وإليه تنسب الحنفية، ولد سنة (٨٠هـ)، وكان من التابعين، رأى أربعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان إماماً ورعاً متعبداً كبير الشأن، لا يقبل جوائز السلطان، بل يتَّجر ويتكسب، قال فيه الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. أُجبر على القضاء وضُرب، فأبى أن يكون قاضياً، وله من الكتب: كتاب الفقه الأكبر، كتاب العالم والمتعلم رواه عنه مقاتل، كتاب الردّ على القدرية، المسند في الحديث، أخباره كثيرة، ومناقبه عظيمة، مات سنة (١٥٠هـ). انظر في ترجمته: الطبقات السنية: ص (٢٤-٥٤)، تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (١٦٨-١٦٩)، الفهرست لابن النديم: ص ٢٨٤، هدية العارفين: ج ٦ ص ٤٩٥

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥ ص ٩٧، وانظر في مذهب السادة الحنفية: بدائع الصنائع: ج ١ ص ٣٨

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥ ص (٩٨-٩٩)، وانظر في مذهب السادة الشافعية: المجموع: ج ٢ ص (١٨١-١٨٤)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٣٣

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ...﴾ [المائدة:٩٥]

قال الإمام النسفي: ((...﴿فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ﴾ ... أي: فعليه جزاءٌ يُماثل ما قَتَل من الصيد، وهو قيمة الصيد يُقوَّم حيث صِيدَ، فإن بلغت قيمته ثمنَ هدي خُيِّرَ بين أن يهدي من النَّعَم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً، فيعطي كل مسكين نصف صاع من بُرٍّ، أو صاعاً من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً[١]. وعند محمد[٢][٣] والشافعيِّ رحمهما الله تعالى: مثلُه: نظيره من النَّعَم، فإن لم يوجد له نظيرٌ في النَّعَم فكما مرَّ[٤]...)) [٥].

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي اقتصر على ذكر أقوال الفقهاء، ولم يرجِّح.

ومن أمثلة عدم الترجيح بين روايات أسباب النزول:

١- في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء:١١٠]

ذكر الإمام النسفي روايتين دون أن يُرجِّح[٦]:

---

(١) انظر في مذهب السادة الحنفية: بدائع الصنائع: ج ٢ ص (١٩٨-٢٠٠)

(٢) الإمام محمد بن الحسن بن واقد الشيباني الكوفي، أبو عبد الله، فقيه العراق، صاحب الإمام أبي حنيفة، وناشر علمه، وكان أعلم الناس بكتاب الله ماهراً بالعربية والنحو والحساب، ومن مصنفاته: المبسوط، والجامع الكبير والصغير، والسير الكبير والصغير، والزيادات، وتسمى هذه الكتب كتب ظاهر الرواية، مات سنة (١٨٧هـ)، انظر في ترجمته: الفوائد البهية: ص ١٦٣، الجواهر المضية: ج ٢ ص (٤٢-٤٤)، وانظر: هدية العارفين: ج ٦ ص ٨

(٣) انظر: قول الإمام محمد بن الحسن في: بدائع الصنائع: ج ٢ ص ١٩٨

(٤) انظر في مذهب السادة الشافعية: المجموع: ج ٧ ص (٣٥٣-٣٥٥)

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٣٥

(٦) المرجع السابق: ج ٢ ص ٤٧٩

الأولى: لمـّا سمعه أبو جهل[1] يقول: يا الله يا رحمن، قال: إنَّه نهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر، فنزلت[2].

الثانية: قيل: إنَّ أهل الكتاب قالوا: إنَّك لَتُقِلُّ ذِكرَ الرحمن، وقد أكثر اللهُ في التوراة هذا الاسم، فنزلت[3].

٢- في بيان سبب نزول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١﴾ [الحُجُرات:١]

---

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، وفرعون هذه الأمة، كان أبو جهل يُكنَّى في الجاهلية أبا الحكم، وكنَّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جهل، وكان من أشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قُتل يوم بدر كافراً، وهو ابن سبعين سنة، قتله عمرو بن الجموح، وابن عفراء الأنصاريان، ودفَّف عليه عبد الله بن مسعود. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ج ١ ص ٥٩، تهذيب الأسماء واللغات: ج ١ ص ٣١١، ج ٢ ص ٤٩٢

(٢) قال الإمام السيوطي: ((أخرج ابن مردويه وغيره عن ابن عباس قال: صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات يوم فدعا، فقال في دعائه: يا الله، يا رحمن، فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين، فأنزل الله: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾. لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي: ص ١٤٢، وأورد الإمام الطبري رواية بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ساجداً يدعو: يا رحمن، يا رحيم، فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو مثنى مثنى، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾. جامع البيان: ج ١٥ ص ١٨٢، أمَّا تحديد أنَّ السامع هو أبو جهل، فقد قال القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه:٨]: ((... فلما سمعه أبو جهل يذكر الرحمنَ قال للوليد بن المغيرة: محمد ينهانا أن ندعو مع الله إلهاً آخر، وهو يدعو الله والرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ج ١١ ص ١٧٠، أمَّا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ فقد قال: ((سبب نزول هذه الآية أنَّ المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو: يا الله، يا رحمن، فقالوا : كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد، وهو يدعو إلهين، قاله ابن عباس)). الجامع لأحكام القرآن: ج ١٠ ص ٣٤٢

(٣) وهو قول الضحَّاك، أورده الإمام الواحدي دون إسناد. انظر: أسباب النزول للواحدي: ص ٣٠٣

ذكر الإمام النسفي روايتين دون ترجيح[1]:

الأولى: عن الحسن أنَّ أُناساً ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة، فنزلت، وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُعيدوا ذبحاً آخر[2].

الثانية: عن عائشة[3] رضي الله عنها أنَّها نزلت في النهي عن صوم يوم الشَّك[4].

الحالة الثالثة: أن تكون المسألة متوقفة على النقل، وتتعارض فيها الأقوال، فإنه لا يرجِّح في كثير من المواطن، بل يذكر الأقوال، ويتوقَّف، وذلك كما في الآيات التي تتحدث عن بدايات الخلق، أو مواقف يوم القيامة، أو أخبار الأمم السابقة.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦]

قال الإمام النسفي مُبيِّناً كيف توصَّل إلى إزلالهما: ((... وقد توصَّل إلى إزلالهما بعد ما قيل له: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر:٣٤] لأنَّه مُنع عن دخولها على جهة التكرمة كدخول

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٢٤٤

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن الحسن، انظر: تفسير عبد الرزاق: ج ٣ ص ٢١٨، وأخرج الإمام الطبري قول الحسن في تفسيره: ج ٢٦ ص ١١٧

(٣) عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النساء مطلقاً، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين، وكانت من أحبِّ نسائه إلى قلبه، فضائلها كثيرة وعظيمة، ماتت سنة (٥٨هـ). انظر في ترجمتها: الإصابة: ج ٨ ص (١٦-٢٠)، الاستيعاب: ج ٤ ص (١٨٨١- ١٨٨٥)

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره بقوله: ((وروي عن مسروق أيضاً، قال: دخلت على عائشة في اليوم الذي جئت فيه، فقالت للجارية: اسقيه عسلاً، فقلت: إني صائم، فقالت: قد نهى الله تعالى عن صوم هذا اليوم، وفيه نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ . الكشف والبيان للثعلبي: ج ٩ ص ٧٠، ورواه الدارقطني بسنده عن مسروق، انظر: المؤتلف والمختلف للدارقطني: ج ٢ ص ٥٩٧

الملائكة، لا عن دخولها على جهة الوسوسة؛ ابتلاءً لآدم وحواء، وروي أنَّه أراد الدخول، فمنعته الخزنة، فدخل في فم الحيَّة حتى دخلت به، وقيل: قام عند الباب فنادى...)) [(١)].

وهذه مسألة تتعلق ببدايات الخلق، ولذلك ذكر الأقوال فيها، وتوقَّف، ولم يرجِّح.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف:٨]

قال الإمام النسفي مُبيِّناً الاختلاف في كيفية الوزن يوم القيامة: ((...﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ أي: وزْنُ الأعمال، والتمييزُ بين راجحها وخفيفها...ثم قيل: تُوزن صحف الأعمال بميزانٍ له لسان وكفتان؛ إظهاراً للنَّصَفَة، وقطعاً للمعذرة، وقيل: هو عبارة عن القضاء السَّويِّ، والحكمِ العادلِ، والله أعلم بكيفيته)) [(٢)].

وهذه مسألة تتعلق بموقف من مواقف يوم القيامة، ولذلك ذكر الأقوال فيها، وتوقَّف، وفوَّض العلم بالكيفيَّة لله تعالى.

٣- في تفسير قوله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح:٢٨]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكاً، فأُهلكوا. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ((دعا نوحٌ عليه السلام بدعوتين: إحداهما للمؤمنين بالمغفرة، وأخرى على الكافرين بالتبار، وقد أجيبت دعوته في حق الكفار بالتبار، فاستحال أن لا تُستجاب دعوته في حق المؤمنين))[(٣)]. واختُلف في صِبيانهم حين أُغرقوا، فقيل: أعقم

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٣

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ٦٧

(٣) الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أوردها السمرقندي في تفسيره بألفاظ متقاربة حيث قال: ((وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه: كان إذا قرأ القرآن في الليل، فمرَّ بآيةٍ، فيقول لي: يا عكرمة ذكِّرني عند هذه الآية غداً. فقرأ ذات ليلة هذه الآية، فقال: يا عكرمة، ذكِّرني غداً، فذكَّرته ذلك، فقال: إنَّ نوحاً دعا بهلاك الكافرين، ودعا للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فأهلكوا، فكذلك=

الله أرحام نسائهم قبل الطوفان بأربعين سنة، فلم يكن معهم صبي حين أُغرقوا، وقيل: عَلِمَ الله براءتهم، فأُهلكوا بغير عذاب، والله أعلم[1]))[2].

وهذه مسألة تتعلق بأخبار الأمم السابقة، ولذلك ذكر الأقوال فيها، وتوقَّف، وفوَّض العلم لله تعالى.

وبعد التعرف على أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين، لا بدَّ من معرفة أساليبه في التعريف بالراجح منها، وهذا ما خُصِّص له المبحث الآتي.

=استجيب دعاؤه في المؤمنين فيغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات بدعائه، وبهلاك الكافرين فأهلكوا)). اهـ. بحر العلوم للسمرقندي: ج ٣ ص ٤٧٩

(١) زيادة لفظ: (والله أعلم) ورد في نسخة أخرى مخطوطة للكتاب، حيث أشار المحقق في مقدمته على الكتاب إلى اعتماده أكثر من نسخة في التحقيق.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٤٣٦-٤٣٧)

المبحث الثالث

أساليب الإمام النسفي في بيان القول الراجح

المقصود من هذا البحث بيان الطرق التي يمكن من خلالها معرفة القول الراجح عند الإمام النسفي، وذلك على النحو الآتي:

المطلب الأول: الترجيح من خلال النصِّ على القول الراجح:

إنَّ من طرق التعبير عن القول الراجح عند الإمام النسفي أن ينصَّ على رجحانه بعبارة من عبارات الترجيح، فبعد أن يذكر الأقوال في تفسير الآية، يختار منها الراجح عنده، ويصفه بعبارة تدلُّ على قوَّته وتقديمه على غيره من الأقوال، وأحياناً يذكر سبب الترجيح، وأحياناً يكتفي ببيان الرجحان دون ذكر سببه.

أولاً: عبارات الترجيح عند الإمام النسفي:

نوَّع الإمام النسفي في عبارات الترجيح، ولم يقتصر على عبارة واحدة، بل كان يُنوِّع فيها من موضع إلى آخر، وهي على النحو الآتي:

- والأول أوجه[١].
- والأول الوجه[٢].
- الأول الأوجه[٣].
- الوجه المختار[٤].
- والوجه[٥].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٣، ج ٢ ص (١٣٣، ٣٥٦، ٣٥٨)

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص (٥٢، ٨٣)، ج ٢ ص ١٥٥، ج ٣ ص (٢١٠، ٢١١)، ج ٤ ص ٣١٨

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٦٩

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٥٦

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٢١، ج ٢ ص (٦٧، ٣٥٦، ٣٨٦، ٤١٢)، ج ٣ ص ١٠٤، ج ٤ ص (٤٩، ٨٦، ٢٧٥، ٥٢٨)

- والأوجه[١].
- هذا الوجه أوقع[٢].
- وهذا أوجه[٣].
- والصحيح[٤].
- وهو الأصح[٥].
- في الأصح[٦].
- وهو الأصح، وعليه الجمهور[٧].
- وهذا أحسن[٨].
- والأحسن[٩].
- وهذا أظهر في الحجة[١٠].
- الأول أظهر[١١].
- وهو الظاهر[١٢].
- والظاهر[١٣].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٨٣

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ١١

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٢١، ج ٣ ص ٤٥

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص (٨٣، ٤٤٥)، ج ٢ ص ٤٤٤، ج ٣ ص ٢٢٤

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ١٣٣

(٦) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٦٢

(٧) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٣١٠

(٨) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٧٠

(٩) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١١٢

(١٠) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٩٣

(١١) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٣٥، ج ٢ ص ٣١

(١٢) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٦٢، ج ٢ ص (١٨٢، ٤٤٢)

(١٣) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٨٩، ج ٢ ص ٣٠٣، ج ٣ ص ١٢٠

- وعليه ظاهر النص[١].
- وهو أظهر[٢].
- والأظهر[٣].
- الظاهر[٤].
- والاختيار[٥].
- والأول أجود[٦].
- أوفق[٧].
- والحمل على هذا أولى[٨].
- الأكثر[٩].
- وهذا أولى[١٠].
- والأجود[١١].
- والأول أشبه[١٢].
- المختار[١٣].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٥٠

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص (٣٩، ٩٤)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٥٩، ج ٤ ص (٤٢، ١٢٨، ٢٧٣)

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص (٤٠٨، ٤٦٩)

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٨٥

(٦) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٤٧

(٧) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص (١٦٥، ٣١١)، ج ٣ ص ١٨٧

(٨) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٧٦

(٩) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٠٢

(١٠) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٢١

(١١) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٢٢

(١٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ١٣

(١٣) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٦٥

- والأول أليق[١].
- أوقع[٢].
- والمشهور[٣].
- وأكثرهم[٤].
- والأكثر[٥].
- والنفس إليه أسكن[٦].
- والأول أولى[٧].
- الأول أحق[٨].
- أبلغ[٩].
- كما هو مذهبنا، وعليه كثير من المفسرين[١٠].
- ذهب المحققون، وذهب جمهور المفسرين[١١].
- والحجة للأولين[١٢].
- وعليه جمهور أهل السنة[١٣].

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٦٥

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٦٦

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٧٠

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٨٢

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٤٠٨

(٦) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٣٢

(٧) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٣٣٧

(٨) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٤٧٣

(٩) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٤٨٢

(١٠) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٢٠

(١١) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ١٢٣

(١٢) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ١٢٣

(١٣) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٦٧

- أكثر المفسرين[١].
- والجمهور على الأول[٢].
- الأول أجود[٣].
- أولى[٤].
- الجمهور[٥].
- عند الجمهور[٦].
- عليه الجمهور[٧].
- في قول الجمهور[٨].

ثانياً: الترجيح المعلَّل وغير المعلَّل:

عندما يُرجِّح الإمام النسفي قولاً من الأقوال، يذكر أحياناً سبب رجحانه، وقد يكون هنالك أكثر من سبب، وأحياناً يُرجِّحه، ويقتصر على ذلك، دون بيان سبب الرُّجحان.

فمن أمثلة الترجيح المعلَّل:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦]

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٥١

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٣٩١

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٦٧

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٣٠٤

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٩، ٨١، ٢٢٢)، ج ٢ ص (٣٣٠، ٤٠٢، ٤٤٣)، ج ٣ ص ٥٧، ج ٤ ص (٤٧، ٢٣٩، ٥٤٣)

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٤٩، ٢٢٥، ٣٦٠)، ج ٢ ص (٥، ٣٢٠، ٤٧٠)، ج ٣ ص (٦٤، ٦٤، ٢٣٧، ٣٢٥)، ج ٤ ص (٦، ٢٨٦، ٤٥٥)

(٧) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٨٩

(٨) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٢٤٧

قال الإمام النسفي في بيان مَن المُخاطَب: ((...﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ الهبوط: النُّزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحيَّة، والصحيح: لآدم وحواء، والمراد: هما، وذرِّيتهما؛ لأنَّهما لمَّا كانا أصلَ الإنس ومتشعَّبَهم جُعِلا كأنَّهما الإنس كلُّهم، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [طه:١٢٣]))[(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول بأنَّ الخطاب لآدم وحواء، وذكر سبب رجحانه.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]

قال الإمام النسفي في بيان مَنْ يتوفى الذين كفروا: ((...﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقبض أرواحهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعل ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حالٌ منهم ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام، وأدبارهم عند الانهزام، وقيل في: ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضمير الله تعالى، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر، والأوَّل الوجه؛ لأنَّ الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيَهم بلا واسطة؛ دليله قراءة ابن عامر[(٢)] (تتوفى) بالتاء[(٣)]...))[(٤)].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٣

(٢) عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصُبي، والأشهر في كنيته أنه أبو عمران، أحد القراء العشرة، وإمام أهل الشام في القراءة، انتهت إليه مشيخة الإقراء بها، ولا زال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوةً وصلاة وتلقيناً إلى قريب الخمسمائة، ولي القضاء بدمشق، وكان إمام الجامع بدمشق، مات بدمشق سنة (١١٨هـ)، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ص ١٨٨

(٣) انظر في قراءة ابن عامر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ج ٢ ص ٢٧٧، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي: ص ١٣٢

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٥٥

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول بأنَّ الملائكة هي التي تتوفى الكفرة، وذكر سبب رجحانه(١).

ومن أمثلة الترجيح غير المعلَّل:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران:١٠٦]

قال الإمام النسفي في بيان مَنْ هم الذين كفروا بعد الإيمان: ((...﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكَفَرْتُم﴾، فحذف الفاء والقول جميعاً؛ للعلم به، والهمزة للتوبيخ والتعجب من حالهم ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم الميثاق، فيكون المراد به: جميع الكفار، وهو قول أُبيّ، وهو الظاهر، أو هم المرتدون، أو المنافقون، أي: أكفرتم باطناً بعد إيمانكم ظاهراً، أو أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان: تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه...)) (٢).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول بأنَّ الذين كفروا بعد الإيمان هم جميع الكفار، ولم يذكر سبب رجحانه.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿...وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ...﴾ [النور:٣١]

قال الإمام النسفي في بيان مَنْ هم أولو الإرْبَة: ((...﴿أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ﴾ الحاجة، أي إلى النساء، قيل: هم الذين يتبعونكم ليُصِيبوا من فضل طعامكم، ولا حاجة لهم إلى النساء؛ لأنَّهم بُلهٌ لا

---

(١) انظر مثلاً في الترجيح المعلَّل: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٥٦، ٨١، ١٣٥، ٣٢١)، ج ٢ ص (١٢٣-١٢٤، ٣٧٥-٣٧٦، ٤٤٢-٤٤٣)، ج ٣ ص ٢٨٤

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ٢٦٢

يعرفون شيئاً من أمرهِنَّ، أو شيوخٌ صلحاء، أو العِنِّينُ[1]، أو الخَصِيُّ[2]، أو المخنَّثُ[3]، وفي الأثر أنَّه المجبوب[4]، والأوَّل الوجه...)) [5].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول بأنَّ أولي الإربة هم الذين لا حاجة لهم إلى النساء، ولم يذكر سبب رجحانه[6].

المطلب الثاني: الترجيح من خلال الاقتصار على قول واحد:

يذكر الإمام النسفي في بعض المواضع قولاً واحداً في تفسير الآية، ويقتصر عليه، مع أنَّ غيره من المفسرين يذكر أقوالاً أخرى في تفسيرها، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول – مع وجود أقوالٍ أخرى في تفسير الآية – دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له، وقد تقدَّم في المبحث السابق بعض الأمثلة على اقتصاره على قول واحد.

ومن أمثلة ذلك أيضاً:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران:١١٧]

---

(١) العِنِّينُ: ((هو من لا يقدِرُ على الجماع لمرضٍ، أو كِبَرِ سنٍّ، أو يصِلُ إلى الثَّيب دون البِكْر)). التعريفات للجرجاني: ص ٢٠٤، وانظر: لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٩١

(٢) الخَصِيُّ: ((من كانت له آلةٌ قائمةٌ، ونُزعت وسُلَّت خُصْيتاه)). التعريفات الفقهية لمحمد عميم الإحسان: ص ٨٧، وانظر: لسان العرب: ج ١٤ ص ٢٣٠

(٣) المخنَّث هو الخنثى، والخنثى: ((شخص له آلتا الرجال والنساء، أو ليس له شيءٌ منهما أصلاً)). انظر: التعريفات للجرجاني: ص ١٣٧، وانظر: لسان العرب: ج ٢ ص ١٤٥

(٤) المجبوب: ((هو مقطوع الذَّكَر، وقيل: مع الخصيتين)). التعريفات الفقهية: ص ١٩٤، وانظر: لسان العرب: ج ١ ص ٢٤٩

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٢٠٩-٢١٠)

(٦) انظر مثلاً في الترجيح غير المعلَّل: المرجع السابق: ج ١ ص (١٤٧، ١٦٩، ٣٢٠)، ج ٢ ص (١١، ١٣٣، ٢٧٦)، ج ٣ ص ١٥٠، ج ٤ ص (٦٧، ٥٣٥)

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان معنى﴿ صِرٌّ﴾، فقال: ((... ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾ بَرْدٌ شديدٌ، عن ابن عباس رضي الله عنهما[1]...)) [2].

وفي معنى الصِّر ثلاثة أقوال[3]:

الأول: أنَّه البرد.

الثاني: أنَّه النار.

الثالث: أنَّه التصويت والحركة من الحصى والحجارة، ومنه صرير النعل.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النحل:٦٢]

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان المراد بالحسنى، فقال: ((...﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، وهي الجنَّة إن كان البعث حقاً، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فُصِّلَت:٥٠])) [4].

وفي بيان المراد بالحسنى ثلاثة أقوال[5]:

الأول: أنَّها البنون.

الثاني: أنَّها الجزاء الحسن من الله تعالى.

الثالث: أنَّها الجنة.

المطلب الثالث: الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالقول الراجح:

عندما يذكر الإمام النسفي الأقوال في تفسير الآية، يبدأ في كثير من المواضع بذكر أحد الأقوال بطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده، كأن يبدأ تفسير الآية بقوله: (أي كذا)، أو: (هو،

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٤ ص ٥٩

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٦٦

(٣) انظر: زاد المسير: ج ١ ص ٤٤٥

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٤١٨-٤١٩)

(٥) انظر: زاد المسير: ج ٤ ص٤٦٠

هي...)، أو: (معناه كذا)، أو: (يعني كذا)، أو: (المراد كذا)، أو يبدأ به التفسير مطلقاً ثم يذكر باقي الأقوال.

وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [غافر:٥٥]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ أي: دُمْ على عبادة ربك والثناء عليه، وقيل: هما صلاتا العصر والفجر، وقيل: قُلْ: سبحان الله وبحمده..)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (أي كذا) - وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به - ثمَّ ذكر باقي الأقوال في تفسير الآية.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان:١٦]

قال الإمام النسفي: ((﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ هي: يوم القيامة أو يوم بدر...)) (٢).

٣- في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾ [المعارج:١]

قال الإمام النسفي: ((...﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ هو: النَّضِر بن الحارث(٣)، قال: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال:٣٢]، أو هو النبي صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم...)) (١).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ١٢٠

(٢) المرجع السابق: ج ٤ ص ١٨٩

(٣) النَّضِر بن الحارث بن علقمة، كان أشدَّ قريش في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم، والأذى له ولأصحابه، وكان ينظر في كتب الفرس، ويخالط اليهود والنصارى، وكان صاحب أحاديث، نزلت فيه آيات من القرآن الكريم، أسره=

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (هي، هو) – وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر بهما – ثمَّ ذكر القول الثاني في تفسير الآية.

٤– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ [الحج:٥٥]

قال الإمام النسفي: ((...﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدر؛ فهو عقيمٌ عن أن يكون للكافرين فيه فرجٌ أو راحةٌ كالريح العقيم لا تأتي بخير، أو شديدٌ لا رحمة فيه، أو لا مِثْلَ له في عِظَم أمره؛ لقتال الملائكة فيه، وعن الضَّحَّاك[٢]: أنَّه يوم القيامة[٣]، وأنَّ المراد بالساعة مقدِّماته...)) [٤].

٥– في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة:١]

قال الإمام النسفي: ((...﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾... ومعناه: البهيمة من الأنعام، وهي: الأزواجُ الثمانية، وقيل: بهيمة الأنعام: الظِّباء، وبقر الوحش، ونحوهما...)) [٥].

=المقداد يوم بدر، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه، فقتله علي بن أبي طالب صبراً بالأثيل. انظر: أنساب الأشراف: ج ١ ص ٦٣، الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٥٩٤

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٤٢٥

(٢) الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم، وقيل أبو محمد، حملت به أمه سنتين، ووُلد وله سنان اثنتان لذلك سُمّي الضَّحَّاك، كان من أوعية العلم، لقي سعيد بن جبير بالرِّي، فأخذ عنه التفسير، وكان معلم كُتَّاب يُعلِّم الصبيان، فلا يأخذ منهم شيئاً، إنما يحتسب في تعليمهم، مات سنة (١٠٢هـ)، وقيل: سنة (١٠٥هـ)، وقيل: سنة (١٠٦هـ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ٤ ص (٥٩٨–٦٠٠)، مشاهير علماء الأمصار لأبي حاتم: ص ١٩٤

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٧ ص ١٩٣

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٦٢

(٥) المرجع السابق: ج ١ ص ٣٨٩

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (يعني كذا وكذا، ومعناه كذا وكذا) – وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر بذلك – ثمَّ ذكر القول الثاني في تفسير الآية.

٦– في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة: ٧٠]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى البقرة، المرادُ: ذبحُها، أو إلى ما خَفِيَ علينا من أمر القاتل...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (المراد كذا) – وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر بذلك – ثمَّ ذكر القول الثاني في تفسير الآية.

٧– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾ [ق: ٤٠]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيحُ في آثار الصلوات، والسجودُ والركوعُ يُعَبَّرُ بهما عن الصلاة، وقيل: النوافلُ بعد المكتوبات، أو الوترُ بعد العشاء...)) (٢).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر الآية مباشرة، ثمَّ ذكر باقي الأقوال في تفسيرها، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّمه أولاً:

١– في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الصافات: ٤١-٤٢]

قال الإمام النسفي: ((﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ﴾ فسّر الرِّزقُ المعلوم بالفواكه، وهي كلُّ ما يُتَلَذَّذُ به، ولا يُتقوَّت لحفظ الصحة، يعني أنَّ رزقهم كلَّه فواكهُ؛ لأنَّهم مُستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات؛ لأنَّ أجسادهم محكمةٌ مخلوقةٌ للأبد، فما يأكلونه للتلذُّذ. ويجوز أن

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٩٨

(٢) المرجع السابق: ج ٤ ص ٢٦٤

يُراد: رزقٌ معلومٌ منعوتٌ بخصائص خُلِقَ عليها من طيب طعمٍ، ورائحةٍ، ولذةٍ، وحسنِ منظرٍ. وقيل: معلومُ الوقتِ كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]، والنَّفسُ إليه أسكن...)) [(١)].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿... وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [فُصِّلَت:٤٧]

قال الإمام النسفي: ((...﴿قَالُوٓاْ ءَاذَنَّاكَ﴾ أعْلَمناك، وقيل: أخْبَرناك، وهو الأظهر؛ إذ الله تعالى كان عالماً بذلك، وإعلامُ العالِم محالٌ، أمَّا الإخبارُ للعالم بالشيء، فيتحقق بما عَلِمَ به، إلا أن يكون المعنى: إنك عَلمتَ من قلوبنا الآن أنَّا لنشهد تلك الشهادة الباطلة؛ لأنَّه إذا عَلِمَه من نفوسهم فكأنهم أَعْلَمُوه...)) [(٢)].

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلاف القول الذي صدَّر به تفسير الآية، مع ذكر علَّة الترجيح.

المطلب الرابع: الترجيح من خلال تضعيف القول المقابل:

ويكون ذلك بأن يذكر قولين، أو أكثر في تفسير الآية، ثمَّ يُضعِّف بعض هذه الأقوال، إمَّا بتضعيف أدلتها، أو بالنصِّ على ضعفها بعبارةٍ من عبارات التضعيف، فيكون ذلك دليلاً على اختياره وترجيحه للأقوال الأخرى.

أولاً: عبارات التضعيف عند الإمام النسفي:

نوَّع الإمام النسفي في عبارات التضعيف، ولم يقتصر على عبارةٍ واحدةٍ، بل كان يُنوِّع فيها من موضعٍ إلى آخر، وهي على النحو الآتي:

- ضعيف[(٣)].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٣٢

(٢) المرجع السابق: ج ٤ ص ١٤٣

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٤٥

- وهذا القول غير مرضي[١].
- وهذا بعيد عند أهل التحقيق[٢].
- ليس بالوجه[٣].
- باطل[٤].
- مردود[٥].
- يذكر قولاً ثم يقول: لكن كذا وكذا في السِّباق، وكذا وكذا في السِّياق يدفع ذلك[٦].
- يذكر قولاً ثم يقول: وكذا يأباه[٧].
- لا يصح[٨].
- وأمَّا (قيل) فيستخدمها الإمام النسفي لحكاية الأقوال؛ لأنَّه لا يُسمِّي صاحبَ القول غالباً، ولذلك لا تدلُّ على التضعيف، إلَّا إذا اقترنت بترجيح أحد الأقوال بإحدى طرق الترجيح، أو اقترنت بتضعيف القول الذي حُكي بها، ويضاف إلى ذلك أنَّه يذكر أحياناً عدَّة أقوالٍ مُصدَّرة بـ (قيل) دون ترجيح أو تضعيف، ولا يمكن أن

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٦١

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ٣١٠

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ٤ ص ٥٢٨

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٢٦، ٣٣٦)، ج ٢ ص (٨٣، ١١٠، ٣١٢، ٣٧٣)

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٨٨، ج ٢ ص ٣٣٠، ج ٣ ص ١٦١

(٦) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٤٣٠

(٧) انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٣٤١، ج ٣ ص ١٥٤

(٨) انظر: المرجع السابق: ج ٣ ص ١٩٢

تكون كلُّها ضعيفةً[1]، وقد يذكر قولاً مُصدَّراً بها ويقوِّيه، أو يوجِّهه مما يدلُّ على أنَّ له شيئاً من القبول[2].

ثانياً: التضعيف المعلَّل وغير المعلَّل:

إذا ضعَّف الإمام النسفي قولاً من الأقوال، فإنَّه يزيد على ذلك، بأن يذكر سبب ضعفه، ومن النادر أن يكتفي بتضعيفه، ولا يذكرَ سبب ضعفه.

فمن أمثلة التضعيف المعلَّل:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٧٣]

قال الإمام النسفي: ((...﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ أي: أُلجئ... ﴿غَيْرَ﴾ حال، أي: فأكلَ غيرَ ﴿بَاغٍ﴾ للذةٍ وشهوةٍ ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعدٍّ مقدار الحاجة. وقولُ من قال: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على الإمام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في سفرٍ حرامٍ ضعيفٌ؛ لأنَّ سفر الطاعة لا يُبيح بلا ضرورة، والحبسُ بالحضر يُبيح بلا سفر، ولأنَّ ببغيه لا يخرج عن الإيمان، فلا يستحق الحرمان...))[3].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ هو من أكل غير باغٍ للذةٍ وشهوةٍ، ولا مُتعدٍّ مقدارَ الحاجة، وضعَّف قولَ مَن قال: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على الإمام ﴿وَلَا عَادٍ﴾ في سفرٍ حرامٍ، وذكر سبب ضعفه، وهو دليل على ترجيحه للقول الأول.

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٠١-١٠٢، ١٤٤، ١٩٠-١٩١، ٢٣٥، ٢٥٨، ٢٦٥، ٤٠٦، ٤١١)، ج ٢ ص (٦٧، ١٢٤، ١٢٩، ٣٠٧)، ج ٣ ص (٤٣، ١٩٢، ٣٥٥-٣٥٦، ٤٥٥، ٤٨٠)، ج ٤ ص (٥٥، ١١١-١١٢، ١٥٣، ١٩٠، ٢٨٨، ٣٤٦، ٣٨٨، ٥٢٣، ٥٥٦)

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٠٩-٢١٠، ٢٦٥)، ج ٢ ص (٣٦٤، ٤٤٢)، ج ٣ ص (٩٠، ٣٩٦، ٤٣٢-٤٣٣، ٤٨٠)، ج ٤ ص (٤٩، ١٤٧، ١٥٤-١٥٥، ١٩٩، ٢٣٠، ٣٠٩، ٣٥٥، ٤٤٢، ٥١٢)

(٣) المرجع السابق: ج ١ ص ١٤٥

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس:٥- ٨]

قال الإمام النسفي: ((و (ما) مصدرية في: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ أي: وبنائِها وطحْوِها، أي: بسْطِها وتسويةِ خلقها في أحسن صورة عند البعض وليس بالوجه؛ لقوله: ﴿فَأَلۡهَمَهَا﴾ لما فيه مِنْ فساد النَّظمِ، والوجه أنْ تكون موصولة وإنما أُوثرت على (مَنْ) لإرادة معنى الوصفية كأنه قيل: والسماءِ والقادرِ العظيمِ الذي بناها، ونفسٍ والحكيمِ الباهرِ الحكمة الذي سواها...)) [(١)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي ضعَّف قول من قال بأنَّ (ما) مصدرية في الآية الكريمة، و بيَّن سبب الضعف، ورجَّح أنها موصولة.

مثال على التضعيف غير المعلَّل:

في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣٨﴾ [النمل:٣٨]

قال الإمام النسفي: ((أراد أن يُريَها بذلك بعضَ ما خصَّهُ الله تعالى به من إجراء العجائب على يدهِ، مع إطلاعِها على عِظَم قدرة الله تعالى، وعلى ما يشهدُ لنبوة سليمان، أو أراد أنْ يأخذَه قبل أن تُسْلِم؛ لِعِلْمِه أنَّها إذا أسلمت لم يحل له أخذُ مالها، وهذا بعيدٌ عند أهل التحقيق، أو أراد أن يُؤتى به فيُنكَّر ويُغيَّر، ثم ينظر أتتبتُه أم تنكِره؛ اختباراً لعقلها)) [(٢)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي ذكر ثلاثة أقوال في تفسير الآية، وضعَّف القول الثاني بقوله: وهذا بعيدٌ عند أهل التحقيق، ولم يذكر سبب ضعفه.

وأخيراً:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٢٨

(٢) المرجع السابق: ج ٣ ص ٣١٠

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الإمام النسفي عند اختياره لقولٍ من الأقوال، فهذا لا يعني – دائماً – أنَّ مُقابِلَه لا يبقى له شيءٌ من الوَجَاهة، بل تراه أحياناً، يُبيِّن تأويل الآية على هذا القول المقابل، وهذا يعني أنَّ له شيئاً من الوَجَاهة، وليس مردوداً مطلقاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة:٤١]

قال الإمام النسفي مبيِّناً المراد بالثمن القليل: ((...﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال الحسن: ((هو الدنيا بحذافيرها)) [(١)]، وقيل: هو الرِّياسة التي كانت لهم في قومهم، خافوا عليها الفواتَ لو اتبعوا رسول الله...)) [(٢)].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ...﴾ [محمد:٤]

قال الإمام النسفي: ((...﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أثقالَها وآلاتِها التي لا تقومُ إلا بها كالسلاح والكُراع[(٣)]. وقيل: أوزارَها: آثامَها، يعني: حتى يتركَ أهلُ الحرب – وهم المشركون – شركَهم بأن يُسْلِموا...)) [(٤)].

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي قدَّم القول الأول، وهو دليلٌ على اختياره وترجيحه له، ثمَّ ذكر القول الثاني، وذكر توجيه معنى الآية عليه، وهذا يعني أنَّ له شيئاً من الوَجَاهة، وليس مردوداً مطلقاً [(٥)].

---

(١) والأثر عن الحسن رواه ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره: ج ١ ص ٩٨

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٦

(٣) الكُراع : اسم يجمع الخَيْل، لسان العرب: ج ٨ ص ٣٠٧

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٢٢١

(٥) وانظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٣٠٧، ٣٣٥-٣٣٦، ٣٧٠)، ج ٢ ص ٢٣، ج ٣ ص (٦٥، ٢١٥، ٢٥١، ٣٧٣)، ج ٤ ص (٦٧، ٥١٤، ٥٦٢)

وبعد كلامي عن أساليب الإمام النسفي في بيان القول الراجح أكون قد أنهيت الكلام في هذا الفصل، وسأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بالقرآن الكريم وقراءاته، وهذا ما خصِّص له الفصل الآتي.

الفصل الثاني

الترجيح بالقرآن الكريم وقراءاته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن، وأهميته، وأنواعه.

المبحث الثاني: الترجيح بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الترجيح بالقراءات عند الإمام النسفي.

المبحث الأول

تعريف تفسير القرآن بالقرآن، وأهميته، وأنواعه.

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن:

تفسير القرآن بالقرآن طريق من طرق التفسير؛ بل إنَّ أحسن طرق التفسير أن يُفسَّر القرآن بالقرآن كما ذكر العلماء(١).

وما زال العلماء يستعملون هذا الطريق في تفسير القرآن، ويذكرونه في كتبهم المختلفة، ويذكرون أهميته وصحته وأنواعه، ويُمثِّلون له، دون وضع تعريفٍ، أو حدٍّ له، ولعلَّ السبب في ذلك – والله أعلم – يعود إلى أمرين:

الأول: الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، وكما قيل: بالمثال يتضح المقال.

الثاني: ارتباطه بمصطلح التفسير، ووجه هذا الارتباط أنَّ تفسير القرآن بالقرآن نوعٌ من أنواع التفسير، وجزء منه، فاكتفوا بتعريف الكلِّ عن تعريف الجزء، فمتى تبيَّن مصطلح التفسير يتبيَّن معنى تفسير القرآن بالقرآن، وذلك عن طريق تقييده بهذا النوع من التفسير؛ ليخرج بقية أنواع التفسير كتفسير القرآن بالسنَّة، وتفسيره بأقوال السلف، وتفسيره بما ورد في لغة العرب(٢).

وإذا كان التفسير لغة يعني: الكشف والبيان والإيضاح، واصطلاحاً عرَّفناه بأنَّه: علم يُبحث فيه عن بيان القرآن الكريم بقدر الطاقة البشرية، فيكون المراد بتفسير القرآن بالقرآن اصطلاحاً هو: بيان القرآن بالقرآن(٣)، أي: بيان بعض آيات القرآن بما ورد في القرآن نفسه؛ فإنَّ

---

(١) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٩، تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٤، البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٧٥

(٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي، دراسة تأصيلية: ص ١٨

(٣) انظر: المرجع السابق: ص ١٩

القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً، فما أُجمِلَ في مكان قد فُسِّر وبُيِّن في مكان آخر، وما أُوجز في موضع قد بُسط وبُيِّن في مكان آخر(١).

وبناءً على ما سبق نستطيع أن نُعرِّف ترجيح تفسير القرآن بالقرآن بأنه: تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية بما جاء في القرآن الكريم نفسِه من البيان والتفصيل لبعض آياته.

المطلب الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن(٢):

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم كتاب هداية ونجاة لعباده المؤمنين، أنزله دستوراً ومنهج حياة لهذه الأمة، من سار على نهجه والتزم هديه نال سعادة الدارين، ولقد تكفل الله جلَّ جلاله ببيان القرآن وتوضيحه لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٧- ١٩]

ولقد تعدَّدت مصادر بيان القرآن الكريم، فهناك بيان سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، وهناك بيان العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلِّ من جاء بعدهم من أهل العلم والفهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران:١٨٧]، فهؤلاء يُبيِّنون للناس معاني القرآن الكريم وأحكامه وحِكَمه، ومن البيان أيضاً ما جاء في القرآن الكريم نفسِه؛ فإنَّ القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً.

ولهذا النوع من التفسير أهميةٌ بالغةٌ، فهو من أول الشروط التي ينبغي أن يراعيها المتصدِّر لتفسير كتاب الله، لذلك قال العلماء: ((من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن، فما أُجمِل منه في مكانٍ فقد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصِر في مكانٍ فقد بُسِط

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: ص ٤٤

(٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (١٥- ١٨)

في موضع آخر منه...))[1]، بل هو كما ذكرت سابقاً من أحسن طرق التفسير، قال ابن تيمية[2]: ((فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحَّ الطرق في ذلك أن أن يُفسَّر القرآن بالقرآن...)) [3]، وترجع هذه الأهمية إلى عدة أمور:

الأول: إنَّ أصدق تفسير لكتاب الله عزَّ وجلَّ هو كلام الله سبحانه وتعالى؛ لأنَّه صادر من المتكلِّم به، فقائل الكلام أدرى بمعانيه وأهدافه ومقاصده من غيره، لذلك قرَّر العلماء بأنَّ الكثير من القرآن الكريم لا يُفهم معناه حقَّ الفهم إلا بتفسير موضع آخر، أو سورة أخرى[4].

الثاني: استعمال النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من التفسير، فقد نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم عدد من المرويَّات، فسَّر فيها آياتٍ بآيات أخرى، واستعمال النبي صلى الله عليه وسلم دليل على صحة هذا النوع وحجِّيته.

الثالث: تأصيل النبي صلى الله عليه وسلم لهذا النوع من التفسير جعل مَن بعدَه من الصحابة والتابعين وغيرهم يستعملون هذا الطريق في تفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ، ولقد كثُرت الروايات المنقولة عنهم في تفسير القرآن بالقرآن.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص ٤٦٧

(٢) شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني ثم الدمشقي الحنبلي، ولد سنة (٦٦١هـ) بحران، كان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث والأصول والنحو واللغة والتفسير وغير ذلك، تصانيفه كثيرة، ومنها: اقتضاء الصراط المستقيم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية، وله تفاسير لبعض سور القرآن الكريم...، حُبس مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق إلى أن مات مسجوناً في قلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ). انظر في ترجمته: الدرر الكامنة: ج ١ ص (١٦٨- ١٨٦)، النجوم الزاهرة: ج ٩ ص (٢٧١-٢٧٢)، هدية العارفين: ج ٥ ص (١٠٥-١٠٧)

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٩

(٤) انظر: الموافقات للشاطبي: ج ٣ ص ٤٢٠

الرابع: وبناء على ما تقدَّم اعتمد المفسِّرون في تفاسيرهم هذا النوع من التفسير، وتتابعوا عليه، فالناظر في تفاسيرهم يجد تفسير القرآن بالقرآن ظاهراً وبارزاً، سواءٌ بنقل الروايات المأثورة عن السلف، أو بقيامهم بهذه المهمة من قبل أنفسهم.

الخامس: إنَّ تفسير القرآن بالقرآن بابٌ من أبواب التدبر المأمور به في كتاب الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩]

فمِن كلِّ ما تقدَّم ندرك أهمية تفسير القرآن بالقرآن، وأنَّها المرحلة الأولى التي ينبغي للمفسِّر أن يقف عندها، ولا يُعرض عنها، ولا يتخطَّاها إلى مرحلة أخرى؛ لأنَّ صاحبَ الكلام – جلَّ جلاله – أدرى بمعاني كلامه، وأعرفُ به من غيره، ولأنَّ الناظر في القرآن الكريم يجد أنَّه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أُوجِزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عامَّاً في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرى.

ولهذا كان لا بدَّ لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرَّر منه في موضوع واحد، ويُقابل الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مُسهبَاً على معرفة ما جاء موجَزاً، وبما جاء مُبيَّناً على فهم ما جاء مُجْمَلاً، وليحمل المطْلَق على المقيَّد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله[1].

المطلب الثالث: أنواع تفسير القرآن بالقرآن:

المقصود من هذا المطلب بيان أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث مصدرُه، أي من حيث مُستعمِل هذا النوع من التفسير، وهل يُعدُّ تفسيره من قبيل التفسير بالمأثور أم بالرأي؟، وكذلك بيانُ أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث أوجهُ التفسير، كتخصيص العام، وتقييد المطلق، وغيرها من الأوجه، مع التمثيل لكل منها.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٧

أولاً: أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث مصدره:

ينقسم تفسير القرآن بالقرآن من حيث مصدره إلى أربعة أقسام:

التفسير النبوي، وتفسير الصحابة، وتفسير التابعين وأتباعهم، وتفسير أصحاب كتب التفسير(١).

١- التفسير النبوي للقرآن بالقرآن:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة روايات في التفسير، اعتمد فيها تفسير القرآن بالقرآن، حيث فسَّر آية بآيةٍ أخرى، ويُعدُّ هذا النوع أعلى أنواع التفسير؛ لأنَّ مصدره النبي الموحى إليه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٣-٤]

ومن أمثلة ذلك:

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مفاتح الغيب خمس: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝٣٤﴾ [لقمان:٣٤] »(٢)، وذلك تفسيراً لقول الله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ ۝٥٩﴾ [الأنعام:٥٩]

٢- لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام:٨٢]، شقَّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيُّنا لم

(١) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٢٤- ٣٣)

(٢) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ﴾، رقم الحديث (٤٣٥١)، ج ٤ ص ١٦٩٣

يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس كما تظنُّون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ [لقمان:١٣] »[1] .

٣- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الحمد لله رب العالمين: هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته » [2].

والحديث تفسير لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧ ﴾ [الحِجر:٨٧]، لذلك قال ابن حجر في شرحه على هذا الحديث: ((وفي هذا تصريح بأنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي ﴾ هي الفاتحة)) [3].

وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بالقرآن – إذا ثبت عنه – هو نوع من أنواع التفسير بالمأثور، يُؤخذ به، ولا يُلتفت إلى غيره؛ لأنَّ المصطفى صلى الله عليه وسلم وظيفتُه البيان والتوضيح، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ [النحل:٤٤]، وكلامه وحي من عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾ [النجم:٣-٤]

٢- تفسير الصحابة للقرآن بالقرآن:

روي عن الصحابة رضوان الله عليهم عدة روايات في التفسير، اعتمدوا فيها تفسير القرآن بالقرآن، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأوّلين، رقم الحديث (٦٥٣٨)، ج ٦ ص ٢٥٤٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث (١٢٤)، ج ١ ص ١١٤

(٢) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم الحديث (٤٢٠٤)، ج ٤ ص ١٦٢٣، وكذلك في كتاب التفسير، باب: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴾، رقم الحديث (٤٤٢٦)، ج ٤ ص ١٧٣٨

(٣) فتح الباري: ج ٨ ص ١٥٨

١- عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات:٢٥]: ((أمَّا الأولى فحين قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾﴾ [القصص:٣٨]، وأمَّا الآخرة فحين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات:٢٤])) [(١)].

٢- عن عبد الله بن مسعود[(٢)] رضي الله عنه أنَّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴿١١﴾﴾ [غافر:١١]: ((هي كالتي في البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٨])) [(٣)].

٣- وعن عمر رضي الله عنه أنَّه قال للناس: ((ما تقولون في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التكوير:٧]، فسكتوا، قال: ولكن هو الرجل يُزوَّج نظيره من أهل الجنة، والرجل يُزوَّج نظيره من أهل النار، ثم قرأ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢])) [(٤)].

وتفسير الصحابة للقرآن بالقرآن إن نُظر إليه من حيث كونه منقولاً عنهم إلينا، فهو من التفسير المأثور بالنسبة إلينا، سواءٌ استنبطوه برأيهم واجتهادهم، أو احتُمل سماعهم له من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠ ص ٤١

(٢) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأولين، لازم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان صاحب نعليه، وهو من كبار علماء الصحابة، مناقبة عظيمة وكثيرة، أمّره عمر رضي الله عنه على الكوفة، ومات سنة (٣٢هـ) بالمدينة. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٤ ص (٢٣٣-٢٣٥)، الاستيعاب: ج ٣ ص (٩٨٧-٩٩٤)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ١٨٦، ج ٢٤ ص ٤٧

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ج ١٠ ص ٣٤٠٦، وقال عنه ابن حجر: ((وهذا إسناد متصل صحيح))، فتح الباري: ج ٨ ص ٦٩٤، وأخرج الطبري نحوه في تفسيره: ج ٣٠ ص ٦٩، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾، رقم الحديث (٣٩٠٢)، ج ٢ ص ٥٦٠، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه))، وانظر: تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص (٤٧٧- ٤٧٨)

النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّه تبقى له صفة الأثر، أي النقل، في الحالتين، وإن نُظر إليه من حيث كونه يعتمد على النظر والاجتهاد في ربط الآيات ببعضها، فهو من التفسير بالرأي بالنسبة إليهم إذا انتفى احتمال سماعهم له من النبي صلى الله عليه وسلم، وما ليس له حكم الرفع من تفسيرهم يجري فيه خلاف العلماء في الأخذ بقول الصحابي [1].

٣- تفسير التابعين وأتباعهم للقرآن بالقرآن:

وقد روي عنهم الكثير من الروايات في التفسير، اعتمدوا فيها تفسير القرآن بالقرآن، ومن أمثلة ذلك:

١- عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين:١٤] قال: ((الرجل يُذنب الذنب، فيُحيط الذنبُ بقلبه حتى تغشى الذنوب عليه))، ثم قال: ((وهي مثلُ الآية التي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨٠])) [2].

٢- وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾﴾ [النازعات:١٠]، يقول: ((﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء:٤٩])) [3].

٣- وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[4] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر:٣٧]، قال: ((النذير: النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وقرأ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [النجم:٥٦])) [5].

---

(١) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص ٩٠

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠ ص ١٠٠

(٣) المرجع السابق: ج ٣٠ ص ٣٤

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، أخذ معاني القرآن، وروى عن والده، وابن المنكدر، مات سنة (١٠٢هـ). انظر: طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ١١

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢ ص ١٤٢

وتفسير التابعين للقرآن بالقرآن إن نُظر إليه من حيث كونه منقولاً عنهم إلينا، فهو من التفسير المأثور بالنسبة إلينا، سواءٌ استنبطوه برأيهم واجتهادهم، أو احتُمل سماعهم له من الصحابة؛ لأنَّه تبقى له صفة الأثر، أي النقل، في الحالتين، وإن نُظر إليه من حيث كون التابعي يعتمد على النظر والاجتهاد في ربط الآيات ببعضها، فهو من التفسير بالرأي بالنسبة إليهم إذا انتفى فيه احتمال الرفع، وما انتفى فيه هذا الاحتمال يجري فيه خلاف العلماء في الأخذ بقول التابعي، وهو أشدُّ من الخلاف في الأخذ بقول الصحابي(١).

٤- تفسير القرآن بالقرآن في كتب التفسير:

يعدُّ تفسير القرآن بالقرآن من طرق التفسير المعتبرة عند المفسرين على اختلافٍ بينهم في كثرة الاعتماد عليه وقلَّته، فنجدهم يُفسِّرون الآية بالاعتماد على آيةٍ أو آياتٍ أخرى، سواءٌ كان ذلك بنقل أقوالِ غيرِهِم في هذا الباب، أو بقيامهم بهذا النوع من التفسير بأنفسهم، بل نجد في مكتبة التفسير مؤلفاتٍ خاصة بهذا النوع من التفسير(٢).

وتفسير القرآن بالقرآن الذي يقوم به المفسِّرون هو في الغالب عملية اجتهادية، لذلك تختلف فيه أنظارهم، فمنهم من يعتمد عليه في تفسير الآية؛ لأنَّ الرابط قويٌّ في نظره، ومنهم من يعتمد على غيره من طرق التفسير لضعف الرابط في نظره، أو لوجود دليلٍ أقوى، وقد يختلفون أحياناً في تحديد الآية المفسِّرة التي هي بيان وتوضيح للآية المفسَّرة(٣).

ومن أمثلة اعتماد المفسرين لتفسير القرآن بالقرآن:

١- قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧] ((والذي رغَّب الله في وصله، وذمَّ على قطعه في هذه الآية: الرَّحِم، وقد بيَّن

(١) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص ٩١

(٢) على سبيل المثال: مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن لإبراهيم بن محمد الصنعاني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، تفسير القرآن بكلام الرحمن لثناء الله الهندي.

(٣) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص (٩١-٩٢)

ذلك في كتابه، فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد:٢٢])) [١].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة:٣٦]

قال الإمام البيضاوي: ((وإزلالُه قولُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [طه:١٢٠]، وقوله: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأعراف:٢٠]، ومقاسمته إياها بقوله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف:٢١])) [٢].

وموضع الشاهد أنّ الإمام البيضاوي اعتمد على الآيات الأخرى في بيان إجمال الآية الأولى.

ثانياً: أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث أوجهُ التفسير:

المراد بأوجه تفسير القرآن بالقرآن: العلاقة بين الآية المفسِّرة والآية المفسَّرة، ومعتمد هذه العلاقة إمَّا تشابه في اللفظ، أو في المعنى، أو في الموضوع، أو في الحكم[٣]، أو غير ذلك، وأهمُّ هذه الأوجه:

١- تفسير ما جاء موجزاً في موضعٍ بما جاء مبسوطاً في موضعٍ آخر[٤]:

وأكثرُ ما ينطبق ذلك على قصص القرآن كقصة موسى وفرعون، وقصة آدم وإبليس، وقصة بني إسرائيل، فما أُجْمِلَ في مكانٍ فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اخْتُصِر من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر[٥]، وسبيلُ من أراد فهم هذه القصص أن يجمعَ ما تكرَّر من الآيات في

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ١٨٤

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي: ج ١ ص ٢٩٨

(٣) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٣٩-٤١)

(٤) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٣٧-٣٨)، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤١-٤٢)

(٥) مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٩

موضوع واحد، ويُقابلَ الآيات بعضها ببعض، ليستعين بما جاء مُسهبَاً على معرفة ما جاء موجَزاً، ومن أمثلة ذلك:

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة:٦٥-٦٦]

((وهذه القصة مبسوطة في سورة الأعراف حيث يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف:١٦٣] القصة بكمالها)) [(١)].

٢- حمل العام على الخاص[(٢)]:

وذلك بأن تأتي آية عامة، ويأتي ما يُخصِّصها في آيةٍ أخرى، فيُحمل العامُّ على الخاصِّ.

ومن أمثلة ذلك:

١- تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الظلمَ بالشرك، فلمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢]، شقَّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣] »[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ١٠٦

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٣٨- ٣٩)، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤٢-٤٤)

(٣) والحديث سبق تخريجه في الصفحة: ١٨٠

٢- قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤]، فهذه الآية تدلُّ على أنَّ عدَّة المتوفى عنها زوجها هي أربعة أشهر وعشراً، وهذه الآية أيضاً عامَّة في كل من تُوفي عنها زوجها سواءٌ أكانت حاملاً أم غير حامل، ثمّ خُصِّصت هذه الآية بقوله تعالى:

﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ ﴿٤﴾﴾ [الطلاق:٤]، فتكون عدَّة المتوفى عنها زوجها – إذا كانت حاملاً – أن تضع ما في بطنها، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة:٢٣٤]: ((فهذه عدَّة المتوفى عنها زوجها إلا أن تكون حاملاً، فعدَّتها أن تضع ما في بطنها)) (١).

والتخصيص قد يأتي أحياناً في آخر الآية، وأحياناً في أولها، وقد يؤخذ التخصيص من آية أخرى (٢).

٣- حمل المُجمل على المبيَّن(٣)(٤):

فما أُجْمِلَ في مكانٍ، فإنه قد بُيِّن في مكانٍ آخر، ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:٣٧]، قال مجاهد وقتادة وابن زيد في تفسير هذه الكلمات: ((هو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣])) (٥).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢ ص٥١٢

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص (٢٢١-٢٢٢)

(٣) المبيَّن: ((هو الواضح بنفسه أو بغيره)). انظر: الإبهاج: ج ٢ ص ٢١٢، معجم مقاليد العلوم: ص ٤٠

(٤) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٨، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤٤-٤٦)

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٢٤٥

فالكلمات في آية البقرة جاءت مجملة، وقد بُيِّنت في آية الأعراف، فيُحمل المجمل على المبيَّن.

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ ﴿١١٨﴾﴾ [البقرة:١١٨]، فقوله تعالى: ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ مجمل، وقد بُيِّن في مواضع أخرى، وهي قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣]، وقولهم: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ﴾ [البقرة:٦١]، وقولهم: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة:١١٢]، وقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا﴾ [الأعراف:١٣٨]، فقول هؤلاء يشابه قول أولئك في كونه باطلاً شنيعاً[١].

٤- حمل المبهم[٢] على الواضح[٣]:

للإبهام في القرآن الكريم أسباب عديدة[٤]، ومن المبهمات ما لم يُبيَّن، فبقي على إبهامه؛ لأنَّ بيانه لا يعود بفائدة على المكلفين، ومنها ما بُيِّن في موضع آخر، فيقوم المفسِّر بحمل المبهم على الواضح، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾﴾ [التوبة:١٠٦]، في هذه الآية أُبهم المرجَون لأمر الله، وجاءت آية أخرى في نفس السورة تُوضِّح بأنَّ المرجَين لأمر الله هم من قال الله فيهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود: ج ١ ص ١٥٢

(٢) المبهم: ((هو ما أُغفل، ولم يُعيّن فيه الفردُ أو الشخصُ، مع فهم المعنى، مثل: (رجل)، (امرأة))). علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٢٠

(٣) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤٦- ٤٧)

(٤) انظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي: (٩- ١٠)

عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة:١١٨] (١).

٥- حمل المطلق على المقيَّد(٢):

وذلك بأن تأتي آية مُطلَقة في موضعٍ، ويأتي ما يُقيِّدها في موضعٍ آخر، فيُحمل المطلَق على المقيَّد، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣]، فلفظ (الدم) في هذه الآية جاء مطلقاً، وقُيِّد بالمسفوح في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا﴾ [الأنعام:١٤٥]، فيُحمل المطلَق على المقيَّد، وبالتالي فالمحرَّم هو الدم المسفوح، قال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة:٣] : ((وأما الدمُ، فإنَّه الدم المسفوح دون ما كان منه غير مسفوح؛ لأنَّ الله جل ثناؤه قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ﴾ [الأنعام:١٤٥])) (٣).

---

(١) انظر مثلاً: تفسير القرآن العظيم: ج ٢ ص ٣٨٨، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج ٤ ص ١٠١، والثلاثة الذين خُلِّفوا هم: سيدنا كعب بن مالك، وسيدنا مرارة بن الربيع، وسيدنا هلال بن أمية، تخلَّفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك التي وقعت في السنة التاسعة للهجرة.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٣٨- ٣٩)، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤٧- ٤٨)

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٦ ص ٦٧

٦- حمل المتشابه على المحكم[١]:

قسَّم الله سبحانه وتعالى آيات القرآن إلى قسمين: آياتٍ مُحكَمات، وآياتٍ مُتشابهات[٢]، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧].

وإذا كانت الآيات المحكمات هنَّ أمُّ الكتاب، فهذا يعني وجوب ردِّ الآيات المتشابهات إليها؛ لأنَّ الله تعالى جعل المحكم مُقابِلاً للمتشابه، فينبغي أن يُفسَّر بما يقابله، وأشار إلى أنَّ المتشابه يحتاج إلى تأويل، والأصل – أي الأمُّ – الذي يجب التعويل عليه هو المحكم[٣].

قال ابن كثير: ((فمن ردَّ ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: أصلُه الذي يُرجع إليه عند الاشتباه))[٤].

ومن أمثلة حمل المتشابه على المحكم ما ذكره الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٧].

حيث قال: ((ومثال ذلك: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، فالاستواء يكون بمعنى الجلوس، وبمعنى القدرة والاستيلاء، ولا يجوز الأول على الله تعالى بدليل المحكم، وهو قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]))[١].

---

(١) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٤٨- ٥٠)

(٢) اختلف العلماء في تعريف المحكم والمتشابه على أقوال كثيرة لا يتسع المقام لذكرها، ولقد ذكرها الزركشي في "البرهان" ج ٢ ص (٦٨- ٧٠)، والسيوطي في "الإتقان" ج ٣ ص (٥-٧)، وبالنظر إلى سياق الآية -كما يقول أستاذنا الدكتور نور الدين العتر – نخلص إلى ترجيح رأي الإمام الطيبي في التفريق بين المحكم والمتشابه، فالمحكم: ((هو الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال))، والمتشابه: ((هو الذي طرأ عليه خفاء في المعنى المراد منه)). انظر: علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص (١٢٢)

(٣) انظر: المرجع السابق: ص (١٢٢)

(٤) تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٣٤٥

٧- تفسير الألفاظ الغريبة [٢]:

وله صورتان:

الأولى: تفسير اللفظة بلفظةٍ أخرى في آية أخرى، والقصة واحدة.

مثال ذلك:

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود:٨٢]، جاءت لفظة السِّجيل غريبة، ولكنها جاءت مفسَّرة في قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات:٣٣]، وكلا الآيتين في قصة قوم لوط، وذلك دليل على أنَّ المراد بالسِّجيل هو الطِّين، وقد قيل بذلك[٣].

الثانية: أن يُفسِّر المفسِّر اللفظةَ الغريبة، ثم يذكر ما يؤيِّد ذلك من القرآن.

مثال ذلك:

تفسير لفظة (يتلونه) في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة:١٢١] بأنَّ المراد بها: يتَّبعونه حقَّ اتباعه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس:٢] أي: الشمس إذا تبعها القمر[٤].

٨- الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف[٥]:

فكتاب الله عزَّ وجلَّ لا تناقض فيه ولا تعارض، وما يُتوهم من التعارض بين الآيات، فهذا في نظر الناظر فقط، لذلك ينبغي على من أراد أن يفهم كلام الله عز وجل أن يجمع الآيات التي ظاهرها التعارض ثم يجيب عنها، ومن أمثلة ذلك:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٢٢

(٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٥١-٥٢)

(٣) انظر مثلاً: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٢ ص (٩٣-٩٤)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ٣ ص ٢٥١، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج ٤ ص ٢٣٠، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٢٧٢

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص (٥٢٠-٥٢١)

(٥) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٣٩، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص ٥٣

١- ذَكَرَ الله جلَّ جلاله خَلْقَ آدمَ عليه الصلاة والسلام من ترابٍ في بعض الآيات، ومن طينٍ في آياتٍ أخرى، وكذلك من حمأٍ مسنون، ومن صلصال، فظاهر هذه الآيات التعارض؛ ولكن عند جمع الآيات وإمعان النظر فيها نجد أنَّ هذا ذِكرٌ للأطوار التي مَرَّ بها آدم عليه الصلاة والسلام من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

٢- روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال له: ((إنَّه قد وقع في قلبي الشَّكُّ من قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدْر:١]، وقد أنزل الله في شوال وذي القعدة وغيره!. قال: إنما أُنزل في رمضانَ في ليلةِ القدرِ وليلةٍ مباركةٍ جملةً واحدةً، ثمَّ أُنزل على مواقع النجوم رَسَلاً في الشهور والأيام)) (١).

٩- حمل القراءات بعضها على بعض(٢):

وذلك لأنَّ القراءتين المتواترتين بمنزلة الآيتين، فيكون حمل إحداهما على الأخرى كحمل إحدى الآيتين على الأخرى.

مثال ذلك:

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ففي قوله تعالى: ﴿يَطْهُرْنَ ۖ﴾ قراءتان(٣):

الأولى: بإسكان الطاء وضم الهاء، ومعناها: حتى ينقطع عنهن الدم.

والثانية: بتشديد الطاء والهاء وفتحهما، ومعناها: حتى يغتسلن بالماء.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢ ص ١٤٦

(٢) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٤٠ -٤١)، تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٥٣-٥٥)

(٣) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفهما. النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٢٧

فيُلاحظ أنَّ كلَّ قراءة أفادت معنىً يختلف عن الآخر، فالقراءة الأولى جعلت غايةَ حلِّ وطء الحائض انقطاعُ الدم، والقراءة الثانية جعلت غايةَ حلِّ وطء الحائض الاغتسالُ بالماء، أي إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لحلِّ وطء الحائض غايتين كما تقتضيه القراءتان، والغاية التي هي التطهر بالاغتسال مشتملةٌ على زيادة على الغاية التي هي انقطاعُ الدم؛ فيجب المصير إليها، ومما يدلُّ على أنَّ الغايةَ التي هي التطهر بالاغتسال هي المعتبرة قولهُ تعالى بعد ذلك: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾؛ فإنَّ ذلك يفيد أنَّ المعتبرَ التطهرُ لا مجرد انقطاع الدم، وقد تقرَّر أنَّ القراءتين بمنزلة الآيتين، فكما أنَّه يجب الجمع بين الآيتين المشتملة إحداهما على زيادة بالعمل بتلك الزيادة، كذلك يجب الجمع بين القراءتين(١).

فهذه بعض أوجه تفسير القرآن بالقرآن، وهناك أوجهٌ أخرى لا يتسع المقام لذكرها(٢)، وعلى كلِّ حالٍ فتفسير القرآن بالقرآن ليس عملاً آلياً لا يقوم على شيءٍ من النظر، وإنما هو عمل يقوم على كثير من التدبُّر والتعقل؛ إذ ليس حملُ المجمَل على المبيَّن، أو المطلق على المقيَّد، أو العامِّ على الخاصِّ، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهيِّن الذي يدخل تحت مقدور كلِّ إنسان، وإنما هو أمر يعرفه أهل العلم والنظر خاصة(٣).

---

(١) انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني: ج ١ ص ٢٢٦، وانظر في الجمع بين القراءتين: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٢٩

(٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور أحمد البريدي: ص (٥٢، ٥٥-٥٧، ٥٨- ٦٣)

(٣) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٤١

المبحث الثاني

الترجيح بالقرآن الكريم

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تعريف الآية، وعن تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام النسفي، وعن أسلوب الترجيح بآيات القرآن الكريم عند الإمام النسفي.

المطلب الأول: تعريف الآية:

لا بدَّ أولاً من بيان معنى الآية لغةً، ثم بيان معناها اصطلاحاً، ثم بيان علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي.

أولاً: تعريف الآية لغة:

للآية في اللغة عدة معانٍ، منها[1]:

العلامة، يقال: أيَّا آيةً: وضع علامةً.

الأمارة، يقال: افعله بآية كذا، كما تقول: بأمارة كذا.

الجماعة، يقال: خرج القومُ بآيتهم، أي: بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً.

العبرة، والآيات: العِبَر، قال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [يوسف:٧]، أي أمورٌ، وعِبَرٌ مختلفة.

وآيات الله: عجائبه.

وتأتي بمعنى القصة، فيكون معنى الآيات: القصص، قصةٌ تتلو قصة، بفصولٍ ووصولٍ[2].

ثانياً: تعريف الآية اصطلاحاً:

عرَّف الزرقاني الآية اصطلاحاً بقوله: ((طائفةٌ ذات مَطْلعٍ ومَقْطعٍ، مُندرجةٌ في سورةٍ من القرآن))[3].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة: ج ١ ص (١٦٨-١٦٩)، لسان العرب: ج ١٤ ص (٦١-٦٢)، تاج العروس من جواهر القاموس: ج ٣٧ ص (١٢٢-١٢٧)

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٤٧

(٣) مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٣٥

ثالثاً: علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي:

علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي واضحة جداً؛ فالآية من القرآن علامة لانقطاع كلامٍ من كلامٍ، أو كأنها العلامة التي يُفضى منها إلى غيرها، كأعلام الطريق المنصوبة للهداية[١]، وفيها عبر وأعاجيب، وفي الآيات كذلك قَصَص، يتلو بعضها بعضاً[٢].

يقول الإمام الزرقاني – بعد أن ذكر معاني الآية في اللغة، وهي: المعجزة والعلامة والعبرة والأمر العجيب والجماعة والبرهان – مبيِّناً علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي: ((والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة واضحةٌ؛ لأنَّ الآية القرآنية معجزةٌ ولو باعتبار انضمام غيرها إليها، ثمَّ هي علامةٌ على صدق من جاء بها – صلى الله عليه وسلم – وفيها عبرةٌ وذكرى لمن أراد أن يتذكر، وهي من الأمور العجيبة؛ لمكانها من السمو والإعجاز، وفيها معنى الجماعة؛ لأنها مؤلفةٌ من جملة كلماتٍ وحروفٍ، وفيها معنى البرهان والدليل؛ على ما تضمنته من هدايةٍ وعلمٍ، وعلى قدرة الله وعلمه وحكمته، وعلى صدق رسوله في رسالته))[٣].

المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام النسفي:

اهتم الإمام النسفي كثيراً بالنظائر القرآنية، وكلُّ من قرأ في تفسيره يلاحظ مدى اهتمامه بها في معرِض تفسيره للآيات، وقبل بيان جوانب اعتماد الإمام النسفي على النظائر القرآنية لا بدَّ من بيان المراد بها لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف النظائر لغة:

قال ابن منظور في "لسان العرب": ((والنظائر: جمع نظيرة، وهي المِثْلُ والشِّبْهُ في الأشكال، الأخلاق والأفعال والأقوال))[٤].

---

(١) لسان العرب: ج ١٤ ص ٦٢

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٤٧

(٣) انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص (٢٣٤-٢٣٥)

(٤) لسان العرب: ج ٥ ص ٢١٩

ثانياً: تعريف النظائر اصطلاحاً:

لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ المعنى الاصطلاحي[١] الذي يذكره العلماء في كتب علوم القرآن غيرُ مراد هنا؛ بل المعنى الاصطلاحي هنا لا يخرج عن المعنى اللغويِّ، فنظيرة الآية هي التي تماثلها وتشبهها، والمراد أن يكون بين الآيتين تشابهٌ في المعنى، أو الموضوع، أو حتى تشابهٌ في الألفاظ[٢].

ولا يخفى أنَّ باستحضار النظائر القرآنية، تنجلي الحقائق؛ بل لقد ذكر العلماء بأنَّ مراعاة النظائر القرآنية أعظمُ ما يفيد في باب التأويل، وأَولى ما يُلتمس به المراد؛ بل هو العمدة في باب فهم التأويل، ما وجد إلى مراعاة النظائر سبيل، ولا يدرك هذا إلا الراسخ في فنِّ التأويل، الولع بتدبُّر التنزيل[٣].

ثالثاً: جوانب اعتماد الإمام النسفي على النظائر القرآنية:

اعتمد الإمام النسفي كثيراً في تفسير القرآن على النظائر القرآنية، وذلك من أجل بيان المعنى، أو تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه، وقد أشار إلى أهمية تفسير القرآن بالقرآن، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

(١) قال ابن الجوزي: ((واعلم أنَّ معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذُكِرت في مواضع من القرآن على لفظٍ واحدٍ، وحركةٍ واحدةٍ، وأريد بكل مكانٍ معنىً غير الآخر، فلفظُ كلِّ كلمةٍ ذكرت في موضعٍ نظيرٌ للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسيرُ كلِّ كلمة بمعنىً غير معنى الأُخرى هو الوجوه. فإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني)). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي: ص ٨٣، وقد ضعَّف الإمام الزركشي هذا التعريف، فقال معلِّلاً: ((لأنه لو أُريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر كالأمثال)). ثم عرَّف الإمام الزركشي الوجوه والنظائر بقوله: ((فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يُستعمل في عدَّة معانٍ كلفظ (الأمّة)، والنظائر: كالألفاظ المتواطئة)). البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص ١٠٢

(٢) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص ١٠١

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي: ج ٤ ص (٣٩٧، ٤٣٢، ٤٧٨)، ج ٨ ص (١٤٥، ١٤٧)

لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ [الروم:٢٣] يقول الإمام النسفي: ((... وأسدُّ المعاني ما دلَّ عليه القرآن)) (١).

لذلك نجده يُفسِّر القرآن بالقرآن، فيُبيِّن المعنى معتمداً على آيات القرآن الكريم، والأمثلة على ذلك كثيرة (٢)، أذكر منها على سبيل المثال:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]

يقول الإمام النسفي: ((وقيل: (المغضوب عليهم) هم اليهود؛ لقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٦٠]، والضَّالون هم النصارى؛ لقوله تعالى: ﴿قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة:٧٧])) (٣).

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النساء:١٤٠]

يقول الإمام النسفي في بيان المنزَل عليهم في الكتاب: ((... والمنزَلُ عليهم في الكتاب هو ما نزلَ عليهم بمكة من قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:٦٨] وذلك أنَّ المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٩١

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٠٦، ١٤٢، ١٨٤، ٢٣٨، ٢٩٤)، ج ٢ ص (١٣، ٣٢، ٩٦، ٢٩٨، ٣٣٢، ٣٧٤)، ج ٣ ص (٤٧، ٦٣، ١٥٥، ٢٩٨، ٤٠٧)، ج ٤ ص (٤٤، ٩٩، ١٢١، ٢٧٣، ٣٨٦، ٤٢٨)

(٣) المرجع السابق: ج ١ ص ٣٧

به، فنُهِيَ المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه، وكان المنافقون بالمدينة يفعلون نحوَ فعلِ المشركين بمكة، فنُهُوا أن يقعُدوا معهم كما نُهُوا عن مجالسة المشركين بمكة...)) [(١)].

وموضع الشاهد في المثالين السابقين أنَّ الإمام النسفي بيَّن المعنى المراد معتمداً على آيات تماثل الآية المفسَّرة في معناها أو في موضوعها.

- كذلك نجد الإمام النسفي يُؤكِّد المعنى الذي فسَّر به ويُقوِّيه معتمداً على النظائر القرآنية، والأمثلة على ذلك كثيرة[(٢)]، أذكر منها على سبيل المثال:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [البقرة:١٧]

يقول الإمام النسفي في بيان معنى الإضاءة: ((...﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ الإضاءةُ: فرط الإنارة، ومصداقه قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [يونس:٥] ...)) [(٣)].

فالإمام النسفي بيَّن معنى الإضاءة، ثم أكَّد المعنى بنظير الآية.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنعام:٩٦]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿سَكَنًا﴾ مسكوناً فيه، من قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [غافر:٦١] أي ليسكُن فيه الخَلْقُ عن كدِّ المعيشة إلى نوم الغفلة، أو عن وَحشة الخَلْق إلى الأُنس بالحقِّ...)) [(٤)].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٧٤

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١١١، ١٢٠، ١٩٨، ٢٣٢، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣١٦)، ج ٢ ص (٦٠، ١١٢، ١٤٣، ٢٢٨، ٢٩٥، ٣٦٠، ٣٧٤، ٤٣١)، ج ٣ ص (٦٩، ١٠١، ١١٨، ٢٠١، ٢٨٦، ٣٢٠، ٣٥٠، ٤٨٠)، ج ٤ ص (٣٢، ٩٢، ١١٥، ١٣٦، ٢٦٥، ٣٢٧، ٣٤٧، ٤٣٢، ٤٨٥)

(٣) المرجع السابق: ج ١ ص ٥٨

(٤) المرجع السابق: ج ٢ ص ٣٧

فالإمام النسفي بيَّن معنى قوله تعالى: ﴿سَكَنًا﴾، ثم أكَّد المعنى الذي ذهب إليه بنظير الآية.

- ونجده أحياناً يُؤكِّد المعنى الذي فسَّر به ويُقوِّيه معتمداً على آيةٍ سابقةٍ، أو جملةٍ منها، أو آيةٍ لاحقةٍ، أو جملةٍ منها، وأحياناً يعتمد على كلمةٍ أو جملةٍ من الآية المفسَّرة، أو على خاتمتها.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة:٢٤٥]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بطيبة النفس من المال الطيب، والمراد النفقة في الجهاد؛ لأنَّه لمَّا أمر بالقتال في سبيل الله ويُحتاج فيه إلى المال حثَّ على الصدقة؛ ليتهيأ أسبابُ الجهاد...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ المرادَ بالقرض الحسن هو النفقةُ في الجهاد معتمداً على الآية السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾﴾ [البقرة:٢٤٤].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران:١٢٦]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ الضمير يرجع إلى الإمداد الذي دلَّ عليه ﴿أَن يُمِدَّكُمۡ﴾ ...)) (٢).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٩٢

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ٢٧١، وانظر مثلاً: ج ١ ص ١٦٧، ج ٢ ص (٩٩، ٤٧٠)، ج ٣ ص (١٩٧، ٤٨١)

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن مرجع الضمير معتمداً على جملةٍ من آية سابقة، وهي قولـــه تعـــالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [آل عمران:١٢٤]

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء:١٣٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى عليه السلام ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ حين عبدوا العِجْل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا۟﴾ بموسى بعد عوده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى عليه السلام ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ إلى النجاة أو إلى الجنة، أو هم المنافقون آمنوا في الظاهر، وكفروا في السرِّ مرةً بعد أخرى، وازديادُ الكفر منهم ثباتُهم عليه إلى الموت، يؤيده قوله: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾)) [(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي أيَّد القول الثاني معتمداً على الآية اللاحقة، وهي قوله تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء:١٣٨]

٤- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف:٤٠]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذي وصفنا ﴿نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين؛ بدلالة التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها)) [(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن معنى ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معتمداً على بداية الآية المفسَّرة.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٧٣، وانظر مثلاً: ج ٢ ص (١٦، ٣٣)، ج ٣ ص (٣٤، ٩٧، ٣٨٨، ٤٢١)، ج ٤ ص (٢٩، ١٠٣، ٣٢٠، ٥٠٢)

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ٧٨

٥- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص:٣٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿رِدْءًا﴾ ... أي: عوناً، يقال: ردأتُه أعنتُه...﴿يُصَدِّقُنِي﴾ ... أي: رداً مُصدِّقاً لي... ومعنى تصديقَه موسى إعانتَه إيَّاه بزيادة البيان في مظانِّ الجدال إن احتاج إليه ليثبتَ دعواه، لا أن يقول له: صدقت، ألا ترى إلى قوله: ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ﴾ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي أكَّد معنى تصديق هارون لموسى معتمداً على جملة سابقة من الآية المفسَّرة.

٦- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٩]

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِن تُبْدُوا خَيْرًا﴾ مكانَ جهرِ السوء ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ فتعملوه سراً، ثم عطف العفو عليهما، فقال ﴿أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ﴾ أي تمحوه عن قلوبكم، والدليلُ على أنَّ العفو هو المقصود بذكر إبداء الخير وإخفائه قولُه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾أي إنه لم يزل عفوَّاً عن الآثام مع قدرته على الانتقام، فعليكم أن تقتدوا بسنته)) (٢).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ العفو هو المقصود معتمداً على ختام الآية المفسَّرة.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٤١، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٧٤، ١٩٨، ٣٤٧، ٣٦٧، ٤٠٥، ٤١٦، ٤٤٣)، ج ٢ ص (٢٤٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٢٢)، ج ٣ ص (٣٢، ١٩٧، ٤٤٦)، ج ٤ ص (١٢١، ١٩٨)

(٢) المرجع السابق: ج ١ ص ٣٧٧، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٠٤، ٢٦٤، ٣٦٧، ٣٧٧، ٤٢٣)، ج ٢ ص (٦٨، ١٣٠، ٤٣١)، ج ٣ ص ٢٤٨

- ولـمَّا كانـت معرفةُ الإعـراب ممَّا يُعين على فهـمِ الآية، ومعرفةِ تفسيرها، فقد اهتم الإمام النسفي بجانب الإعراب اهتماماً بالغاً، وجاء تفسيره كما قال في مقدمته: جامعاً لوجوه الإعراب.

لذلك نجد الإمام النسفي أحياناً يُؤكِّد الإعراب في الآية ويُقوِّيه معتمداً على آيات تتماثل في إعرابها مع الآية التي يفسِّرها، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة:١١٤]

يقول الإمام النسفي في بيان موقع ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ من الإعراب: ((... و﴿أَن يُذْكَرَ﴾ ثاني مفعولي ﴿مَّنَعَ﴾؛ لأنَّك تقول: منعتُه كذا، ومثلُه: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الإسراء:٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾ [الإسراء:٩٤])) [(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن موقع ﴿أَن يُذْكَرَ﴾ من الإعراب، ثم أكَّد الإعراب بآياتٍ من القرآن الكريم تُماثل في إعرابها الإعرابَ في الآية التي يفسِّرها.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۚ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأنعام:١٦١]

يقول الإمام النسفي في بيان إعراب ﴿دِينًا﴾: ((...﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا﴾ نصبٌ على البدل من محلِّ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾؛ لأنَّ معناه: هداني صراطاً بدليل قوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:٢٠])) [(٢)].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١١٩

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ٦٣

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن إعراب ﴿دِينًا﴾، ثم أكَّد الإعراب بآيةٍ من القرآن الكريم تُماثل الآيةَ التي يفسِّرها من حيث الإعراب والمعنى(١).

المطلب الثالث: أسلوب الترجيح بآيات القرآن الكريم عند الإمام النسفي:

قبل بيان أسلوب الترجيح بالآيات عند الإمام النسفي لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الإمام النسفي اعتمد كثيراً في ترجيحه على النظائر القرآنية، مؤكِّداً – كما ذكرتُ سابقاً – أنَّ أسدَّ المعاني ما دلَّ عليه القرآن.

فعندما يذكرُ الخلافَ في تفسير الآية، يرجِّح أحد الأقوال؛ لأنه مؤيَّدٌ بآية قرآنية.

والإمام النسفي بفعله هذا يُقرِّر قاعدة من قواعد الترجيح التي نَصَّ عليها العلماء فيما بعد، وهي: القول الذي تؤيِّده آياتٌ قرآنية مقدَّم على ما عَدِم ذلك.

فإذا اختلف المفسِّرون في تفسير آية من كتاب الله، وكان أحد الأقوال تؤيِّده آيةٌ أو آيات أخرى، فهو أولى بحمل الآية عليه؛ لأنَّ تأييد القرآن له يدلُّ على صحته واستقامته(٢).

ومن خلال الأمثلة التي سأذكرها سيتبيَّن لنا مدى التزام الإمام النسفي بهذه القاعدة، إلا أنَّه أحياناً يخالف هذه القاعدة ويُقدِّم قولاً غير مؤيَّدٍ بآية قرآنية؛ إمَّا لوجود مرجِّحٍ أقوى في نظره، أو أنَّ الأمر متوقف على قوة الرابط بين الآيات، فربَّما كان هناك ما يمنع من حمل الآيات بعضها على بعض.

أمَّا أسلوب الترجيح بآيات القرآن الكريم عند الإمام النسفي، فهو يندرج تحت أساليبه في بيان القول الراجح التي تحدَّثت عنها في الفصل الأول.

---

(١) انظر أيضاً في تأكيد الإعراب بآيات أخرى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٤٦، ٧٩، ٢٦٢، ٢٩١، ٣٤٢)، ج ٢ ص (٨، ٥٤، ٦٨، ٢٢٧،٢٧١-٢٧٢، ٢٩٩، ٤٦٦)، ج ٣ ص (١١، ١١٨-١١٩، ١٣٦، ١٧٣، ٢٧٢، ٣٠٦-٣٠٧)

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص ٣١٢

– فنجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال النص على القول الراجح بعبارةٍ من عبارات الترجيح، بالإضافة إلى ذكر سبب الترجيح.

ومن أمثلة ذلك:

١– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة:٢٣]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿مِّن مِّثْلِهِ﴾ متعلِّق بـ (سورة) صفةٌ لها، والضمير لما ﴿نَزَّلْنَا﴾، أي: بسورةٍ كائنةٍ من مثله، يعني: فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب، وعلوِّ الطبقة في حسن النظم، أو لعبدنا، أي: فأتوا بمن هو كحاله مِن كونه أمِّياً لم يقرأ الكتب، ولم يأخذ من العلماء، ولا قصد إلى مثل ونظير هنالك. وردُّ الضمير إلى المُنْزَل أولى؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨]، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣]، ﴿عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء:٨٨]، ولأنَّ الكلام مع ردِّ الضمير إلى المنزل أحسن ترتيباً، وذلك أنَّ الحديث في المنزَل لا في المنزل عليه، وهو مسوقٌ إليه، فإنَّ المعنى: وإن ارتبتم في أنَّ القرآن منزَلٌ من عند الله فهاتوا أنتم نُبذاً مما يماثِلُه. وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُقال: وإن ارتبتم في أنَّ محمداً منزل عليه فهاتوا قرآناً من مثله، ولأنَّ هذا التفسير يلائم قوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾))[(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح عودَ الضمير إلى المنزَل لا إلى المنزل عليه، وأيَّد ترجيحه بآيات تُماثل من حيثُ المعنى المعنى الذي ذهب إليه، كما أيَّد ترجيحه بأدلة لغوية.

٢– عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان:٣-٤]

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٦٧-٦٨)

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أي: ليلةِ القدرِ، أو ليلةِ النصف من شعبان... والجمهورُ على الأول؛ لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدْر:١]، وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، وليلةُ القدر في أكثر الأقاويل في شهر رمضان...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي ذكر قولين في بيان الليلة المباركة، ثمَّ رجَّح القول الأول، وأيَّد ترجيحه بآيات تُماثل من حيثُ المعنى المعنى الذي ذهب إليه.

ومن خلال هذين المثالين نلمس مدى التزام الإمام النسفي بقاعدة الترجيح التي أشرت إليها، وهي: القول الذي تؤيِّده آياتٌ قرآنية مقدَّم على ما عُدِم ذلك.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال الاقتصار على قول واحد يُدلِّل له بآيةٍ، مع أنَّ غيرَه من المفسِّرين يذكر أقوالاً أخرى في تفسير الآية، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول - مع وجود أقوالٍ أخرى في تفسير الآية - دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝٦٢﴾ [النحل:٦٢]

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان المراد بالحسنى، فقال: ((..﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، وهي الجنَّة إن كان البعث حقاً، كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فُصِّلَت:٥٠])) (٢).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ١٨٦، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٣٥، ١٦٥، ١٦٩)، ج ٢ ص ٣١، ج ٣ ص (٦٧-٦٨، ٢١١-٢١٢، ٤٩٥-٤٩٦)، ج ٤ ص (٨٥-٨٦، ٢١٥، ٣٣٧، ٤١٦)

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص (٤١٨-٤١٩)

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي اقتصر في بيان المراد بالحسنى على قول واحد، وأيَّد هذا القول بآيةٍ توضِّحه، وفي بيان المراد بالحسنى ثلاثة أقوال[1]:

الأول: أنَّها البنون.

الثاني: أنَّها الجزاء الحسن من الله تعالى.

الثالث: أنَّها الجنة.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ [فاطر:١٠]

يقول الإمام النسفي في بيان الذين يمكرون: ((... والمراد مكر قريش به عليه السلام حين اجتمعوا في دار الندوة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ [الأنفال:٣٠] الآية...)) [2].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي اقتصر في بيان الذين يمكرون على قول واحد، وأيَّد هذا القول بآيةٍ توضِّحه، وهناك أربعة أقوال في بيان الذين يمكرون [3]:

الأول: أنهم الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة.

الثاني: أنهم أصحاب الرياء.

الثالث: أنهم الذين يعملون السيئات.

الرابع: أنهم قائلو الشرك.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالقول الراجح، فعندما يذكر الإمام النسفي الأقوال في تفسير الآية، يبدأ في كثير من المواضع بذكر أحد الأقوال

---

(١) انظر: زاد المسير: ج ٤ ص٤٦٠

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٤٨٧

(٣) انظر: زاد المسير: ج ٦ ص (٤٧٨-٤٧٩)

بطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده، كأن يبدأ تفسير الآية بقوله: (أي كذا)، أو: (معناه كذا)، أو: (يعني كذا)، أو: (المراد كذا)، أو: (هو، هي، هم...)، أو يبدأ به التفسير مطلقاً، ويؤيِّد ما بدأ به بآية قرآنية، ثم يذكر باقي الأقوال.

وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة:١١٥]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَأَيْنَمَا﴾ شرطٌ ﴿تُوَلُّواْ﴾ مجزومٌ به، أي: ففي أيِّ مكانٍ فعلتم التوليةَ، يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة:١٤٤] والجواب ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي جهته التي أمر بها ورضيها، والمعنى أنَّكم إذا مُنِعتم أن تصلُّوا في المسجد الحرام، أو في بيت المقدس، فقد جُعلت لكم الأرض مسجداً، فصلُّوا في أي بقعةٍ شئتم من بقاعها، وافعلوا التولية فيها، فإنَّ التولية ممكنةٌ في كل مكان... وقيل: فأينما تولُّوا للدعاء والذكر)) [(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (أي)، وأيَّد قوله بآية من القرآن، ثم فسَّر الآية بناء على هذا القول، فقال: والمعنى كذا وكذا...، وهذا كلُّه دليل على رجحان القول المصدَّر به، ثمَّ ذكر بعد ذلك قولاً آخر في تفسير الآية.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام:٨٩]

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٢٠

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ هم الأنبياء المذكورون ومَن تابعهم بدليل قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، أو أصحاب النبي عليه السلام، أو كلُّ مَن آمن به، أو العجم...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (هم)، وأيَّد قوله بآية لاحقة، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به، ثمَّ ذكر بعد ذلك أقوالاً أخرى في تفسير الآية.

٣- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود:١٠٧]

يقول الإمام النسفي: ((...والمراد سماوات الآخرة وأرضها، وهي دائمةٌ مخلوقةٌ للأبد، والدليل على أنَّ لها سماوات وأرضاً قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وقيل: مادام فوقٌ وتحت، ولأنَّه لا بدَّ لأهل الآخرة مما يُقِلُّهم ويظِلُّهم إما سماءٌ أو عرشٌ، وكلُّ ما أظلَّك فهو سماءٌ، أو هو عبارةٌ عن التأبيد ونفي الانقطاع، كقول العرب: ما لاح كوكبٌ، وغير ذلك من كلمات التأبيد)) (٢).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقوله: (والمراد)، وأيَّد قوله بآية من القرآن، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به، ثمَّ ذكر بعد ذلك أقوالاً أخرى في تفسير الآية.

ومن خلال هذه الأمثلة أيضاً نلمس مدى التزام الإمام النسفي بقاعدة الترجيح القائلة: القول الذي تؤيِّده آياتٌ قرآنية مقدَّم على ما عَدِم ذلك.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٣٣

(٢) المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٩٤، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٤٩، ٥٢، ٧١، ٨٤، ٢٢٥، ٢٤٩، ٢٧٣، ٣١٦، ٣٢٨)، ج ٢ ص (٦، ٩١، ٩٩، ١١٦، ١٣٠، ١٤٣، ٢٤٥، ٤٧٠)، ج ٣ ص (١١٨، ١١٩، ٢٥١، ٢٧٦، ٣٦٣، ٤٨١)، ج ٤ ص (٢٧، ٧٣، ٩٢، ١٠٦-١٠٧، ١١٣-١١٤، ١١٥، ١٢١، ٢٧٠، ٥٣٠)

وأذكر مثالاً على ترجيحه خلاف ما قدَّمه أولاً:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء:٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ قيل: اللامُ بمعنى (على)، كقوله: ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة:٢٨٦]، والصحيح أنها على بابها؛ لأنَّ اللامَ للاختصاص، والعاملُ مختصٌ بجزاء عمله حسنةً كانت أو سيئةً، يعني أنَّ الإحسان والإساءة كلاهما مختصٌ بأنفسكم لا يتعدى النفعُ والضررُ إلى غيركم...)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلافَ القول الذي صدَّر به تفسير الآية، والذي أيَّده بآيةٍ من القرآن.

- وأحياناً عندما يذكر الإمام النسفي الأقوالَ في تفسير الآية نجده يُصدِّر تفسير الآية بقولٍ غيرِ مؤيَّدٍ بآيةٍ قرآنيةٍ، وبطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده -كما ذكرت سابقاً- ثم يذكر باقي الأقوال، وربما كان بعض هذه الأقوال مؤيَّداً بآية من القرآن.

وهذا دليلٌ على ترجيحه لما بدأ به، ودليلٌ أيضاً على مرجوحيَّة باقي الأقوال، وإن كانت مؤيَّدةً بالقرآن الكريم، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل:٧]

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٤٤٤-٤٤٥)

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِ﴾... والمعنى وتحمل أثقالَكم إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الإبل إلا بجهدٍ ومشقة، فضلاً أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم... وقيل: أثقالكم أبدانكم، ومنه الثقلان: للجن والإنس، ومنه: ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة:٢] أي: بني آدم)) (١).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقولٍ غيرِ مؤيَّدٍ بآيةٍ قرآنيةٍ، ثم قال: والمعنى كذا وكذا...، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به، ثم ذكر قولاً ثانياً، فقال: وقيل: كذا وكذا...، وأيَّده بآية من القرآن؛ وبالمعنى المعروف للثقلين.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية:١]

يقول الإمام النسفي: ((﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتلبسهم أهوالها، يعني القيامة، وقيل: النار، من قوله: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم:٥٠])) (٢).

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقولٍ غيرِ مؤيَّدٍ بآيةٍ قرآنيةٍ، ثم قال: يعني كذا وكذا...، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به، ثم ذكر قولاً ثانياً، فقال: وقيل: كذا وكذا...، وأيَّده بآية من القرآن.

ففي هذين المثالين نجد الإمام النسفي يخالف قاعدة الترجيح القائلة: القول الذي تؤيِّده آياتٌ قرآنية مقدَّم على ما عَدِم ذلك، فنجده يُقدِّم قولاً غير مؤيَّدٍ بآية قرآنية على القول المؤيَّد بها، ولم يُبيِّن سبب المخالفة لهذه القاعدة؛ فربَّما كان السبب وجودَ مرجِّحٍ أقوى في نظره، أو ضعفَ الرابط بين الآيات، أو غير ذلك.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٤٠٥

(٢) المرجع السابق: ج ٤ ص ٥١٤، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٠١-١٠٢، ٣٧٧)، ج ٢ ص ٢٣٠، ج ٣ ص (٩٧، ١١٤-١١٥)، ج ٤ ص (٣٠٤، ٥٠٢)

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّمه أولاً:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة:٣٦]

قال الإمام النسفي في بيان مَن المُخاطَب: ((...﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ الهبوط: النُّزول إلى الأرض. والخطاب لآدم وحواء وإبليس، وقيل: والحيَّة، والصحيح: لآدم وحواء، والمراد: هما، وذرِّيتُهما؛ لأنَّهما لمَّا كانا أصلَ الإنس ومتشعَّبَهم جُعِلا كأنَّهما الإنس كلُّهم، ويدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ﴾ [طه:١٢٣]))[(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلافَ القول الذي صدَّر به تفسير الآية، وأيَّد قوله بآية قرآنية.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الصافات:٤١- ٤٢]

قال الإمام النسفي: ((﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ﴾ فسّر الرِّزقُ المعلوم بالفواكه، وهي كلُّ ما يُتَلَذَّذُ به، ولا يتقوت لحفظ الصحة، يعني أنَّ رزقهم كلَّه فواكهُ؛ لأنَّهم مُستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات؛ لأنَّ أجسادهم محكمةٌ مخلوقةٌ للأبد، فما يأكلونه للتلذُّذ، ويجوز أن يُراد: رزقٌ معلومٌ منعوتٌ بخصائص خُلِقَ عليها من طيب طعمٍ، ورائحةٍ، ولذةٍ، وحسنِ منظرٍ. وقيل: معلومُ الوقتِ كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:٦٢]، والنَّفسُ إليه أسكن...))[(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلافَ القول الذي صدَّر به تفسير الآية، وأيَّد قوله بآية قرآنية.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٣

(٢) المرجع السابق: ج ٤ ص ٣٢، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٣٧٣،١٩١)، ج ٢ ص ٤٤٩، ج ٣ ص (٩٢-٩٣، ٢٤٨)، ج ٤ ص (٢٨-٢٩، ٣٢٠)

- وأحياناً يذكر الإمام النسفي أكثر من معنى، ويؤيِّد كلَّها أو بعضها بآيةٍ من القرآن، ولا يُرجِّح بينها؛ ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعاني يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة:١٢٨]

يقول الإمام النسفي: ((﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ مخلِصَين لك أوجُهَنا، من قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١١٢]، أو مستسلمين، يُقال: أسلم له واستسلم إذا خضع وأذعن، والمعنى: زِدنا إخلاصاً أو إذعاناً لك...)) (١).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [السجدة:٢٨]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ النصرُ، أو الفصْلُ بالحكومة، من قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف:٨٩]، وكان المسلمون يقولون: إنَّ الله سيفتح لنا على المشركين، أو يفتح بيننا وبينهم، فإذا سمع المشركون ذلك قالوا: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ أي في أي وقتٍ يكون..)) (٢).

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ [الليل:١]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ المغشِيُّ: إمَّا الشمس، من قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس:٤]، أو النهار، من قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف:٥٤]، أو: كلُّ شيءٍ يواريه بظلامه، من قوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق:٣])) (٣).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٢٦

(٢) المرجع السابق: ج ٣ ص ٤٢٣

(٣) المرجع السابق: ج ٤ ص ٥٣٠، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٤١، ١٦٢، ١٦٧، ١٩٨، ٢٥٢، ٢٦٢، ٢٧٦، ٣٢٨، ٣٥٢، ٤٤٣)، ج ٢ ص (٩٧، ١١٤، ١١٦، ٢٤٥، ٢٧١-٢٧٢، ٣٨٠، ٣٩٥، ٤٤٩، ٤٥٦)، ج ٣=

فموضع الشاهد في الأمثلة السابقة أنَّ الإمام النسفي ذكر أكثر من معنى، ولم يُرجِّح بينها ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة، أو أنَّ كلَّ معنى من المعاني يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح.

وبعد كلامي عن أسلوب الترجيح بآيات القرآن عند الإمام النسفي سأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بالقراءات وهذا ما خصِّص له المبحث الآتي.

= ص (٩٢-٩٣، ٩٧، ١١٥، ١١٨، ١١٩)، ج ٤ ص (٢٧، ٢٩، ٩٢، ١٨٩، ٢٣١، ٣٢١، ٤٦١، ٥٠٢، ٥١٤)

المبحث الثالث

الترجيح بالقراءات عند الإمام النسفي

ويتضمن هذا المبحث الكلام عن تعريف القراءات وضابطها، وأهمية تعدُّد القراءات في التفسير، والقراءات عند الإمام النسفي، وأثر القراءات في التفسير عند الإمام النسفي.

المطلب الأول: تعريف القراءات، وضابطها:

أولاً: تعريف القراءات:

لا بدَّ أولاً من بيان معنى القراءات لغةً، ثم بيان معناها اصطلاحاً.

أ- معنى القراءات لغة [1]:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر قرأ، يقال: قَرَأَ يَقْرَأُ قِرَاءَةً، وقرأ الشيء: جَمَعَه وضمَّه، أي: ضمَّ بعضَه إلى بعضٍ.

ومعنى: ﴿قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل:٩٨]: لفظت به مجموعاً، أي ألقيته.

قال ابن الأثير[2]: ((قد تكرَّر في الحديث ذِكرُ القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصلُ في هذه اللفظةِ: الجمعُ، وكلُّ شيء جمعتَه فقد قرأتَه، وسُمِّي القرآن قرآناً؛ لأنه جمع القَصصَ والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض...)) [3].

---

(١) انظر: لسان العرب: ج ١ ص (١٢٨-١٢٩)، تاج العروس: ج ١ ص (٣٧٠-٣٧١)

(٢) هو المبارك بن محمد بن عبد الواحد الشيباني، العلّامة مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، ولد سنة (٥٤٤هـ) بجزيرة ابن عمر، كان فقيهاً محدِّثاً أديباً نحوياً، ومن تصانيفه: جامع الأصول، النهاية في غريب الحديث، شرح مسند الشافعي، والإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف...وغيرها، مات سنة (٦٠٦هـ)، انظر في ترجمته: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج٢ ص (٦٠- ٦١)، شذرات الذهب: ج ٥ ص (٢٢ - ٢٣)

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٠

ب- معنى القراءات اصطلاحاً:

قال الإمام ابن الجزري[1]: ((القراءات علمٌ بكيفيَّة أداءِ كلماتِ القرآن، واختلافها، بعزو الناقلة)) [2].

فقوله: كلمات القرآن: أي كلمة كلمة من أول القرآن إلى آخره، ببيان ما يندرج تحت قاعدة عامة، وما هو حالة خاصة، مثل: السكوت اللطيف على: ﴿عِوَجَاۜ﴾ [الكهف:١]

وقوله: بعزو الناقلة: أي أنَّ هذا العلم ثابت بالنقل الثابت المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا مصدر له سوى النقل والتلقين الشفاهي.

والمقرئ: العالم بالقراءات، الذي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فلو حفظ كتاب (التيسير) [3] في القراءات – مثلاً – فليس له أن يُقرِئ بما فيه إن لم يُشافهه من شُوفه به مسلسلاً؛ لأنَّ في القراءات أشياء لا تُحكم إلا بالسماع والمشافهة[4].

---

(١) محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الشافعي، شمس الدين، أبو الخير المعروف بابن الجزري، ولد في دمشق سنة (٧٥١هـ)، تفرَّد بعلم القراءات، ونشره في كثير من البلاد، وكان شيخ الإقراء في زمانه، ومقرىء الممالك الإسلامية، له تصانيف كثيرة نافعة منها: النشر في القراءات العشر، طبقات القراء، التمهيد في التجويد، طيبة النشر في القراءات العشر، المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه... مات سنة (٨٣٣ هـ)، انظر في ترجمته: شذرات الذهب: ج ٧ ص (٢٠٤- ٢٠٦)، البدر الطالع: ج ٢ ص (٢٥٧- ٢٥٩)

(٢) منجد المقرئين: ص ٩

(٣) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني المتوفى سنة (٤٤٤هـ)، وهو مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار، وهو من أصحِّ كتب القراءات، وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبي المتوفى سنة (٥٩٠هـ) في لاميَّته التي عمَّ النفع بها، وسمَّاها: حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع. انظر: كشف الظنون: ج ١ ص (٥٢٠، ٦٤٦)

(٤) علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٤٦، وانظر: منجد المقرئين: ص ٩

وعرَّف الزرقاني القراءات – في الاصطلاح – بقوله: ((مذهبٌ يذهب إليه إمام من أئمة القُرَّاء، مخالفاً به غيرَه في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواءٌ أكانت هذه المخالفةُ في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها)) [1].

ثانياً: ضابط القراءة المقبولة:

وضع علماء القراءات ضابطاً للقراءة الصحيحة المقبولة، وهو قولهم:

كلُّ قراءة وافقت العربية ولو بوجهٍ، ووافقت رسم أحد المصاحف ولو احتمالاً، وصحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردُّها، ولا يحلُّ إنكارها.

ويتبيَّن من هذا الضابط أنه لا بدَّ من اجتماع ثلاثة شروطٍ حتى تكون القراءة صحيحةً و مقبولةً، وهي:

١- موافقة العربية ولو بوجهٍ.

٢- موافقة رسم أحد المصاحف ولو احتمالاً.

٣- صحة السند.

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة ضعيفةً أو شاذةً أو باطلةً[2].

والمراد بالشرط الأول: موافقة العربية ولو بوجهٍ من وجوه النحو، سواءٌ كان أفصحَ أم فصيحاً، مجمعاً عليه، أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرُّ مثله، إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح[3]، فلا يصح – مثلاً – الاعتراض على قراءة الإمام حمزة[4]:

---

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٨٤

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٩

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١٠

(٤) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل، الإمام الحبر، أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم، أحد القراء السبعة، ولد سنة (٨٠هـ)، وأدرك الصحابة بالسن، كان إماماً حجة ثقة ثبتاً عالماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية، حافظاً للحديث، قال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض، وقال أيضاً عنه: ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر، مات سنة (١٥٦هـ)، انظر في ترجمته: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي: ج ١ ص ١١١، غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص ١١٥

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء:١]، بجرِّ (الأرحام) بأنَّه عطفٌ على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، فهذا مذهب الكوفيين حيث يُجيزون مثل هذا العطف، وإن خالفهم غيرهم.

والمراد بموافقة رسم أحد المصاحف: ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض كقراءة الإمام ابن عامر في قوله تعالى: (قالوا اتخذ الله ولداً) بغير واو[١]؛ فإنَّ ذلك ثابت في المصحف الشامي[٢].

والمراد بقولهم (ولو احتمالاً) أي: ما يوافق الرسم ولو تقديراً، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً، وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً، وهو الموافقة احتمالاً، وقد توافق بعضُ القراءات الرسمَ تحقيقاً، ويوافقه بعضُها تقديراً، نحو: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]، فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تخفيفاً كما كُتِبَ: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾ [الناس:٢]، وقراءة الألف محتملة تقديراً [٣] كما كتب: ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران:٢٦]، فتكون الألف حذفت اختصاراً [٤].

---

(١) قرأ ابن عامر بغير واو بعد (عليم)، وكذا هو في المصحف الشامي، وقرأ الباقون: (وقالوا) بالواو كما هو في مصاحفهم. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ١١، ج ٢ ص ٢٢٠

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١١

(٣) قرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف بالألف مداً، وقرأ الباقون بغير ألف قصراً. انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٧١

(٤) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ١١

أمَّا صحة السند فيُراد بها: أن يروي تلك القراءة العدلُ الضابطُ عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكون مع ذلك مشهورةً عند أئمَّة هذا الشأن الضابطين له، غيرَ معدودةٍ عندهم من الغلط، أو مما شذَّ بها بعضهم[1][2].

والذي جمع هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمَّة العشرة[3] التي أجمع الناس على تلقِّيها بالقبول، وما وراء هذه العشرة من القراءات فهو من الشاذِّ[4].

- **القراءة الشاذّة:** هي كلُّ قراءة لم يتوفر فيها شرطٌ واحدٌ من الشروط الثلاثة التي وضعها العلماء ضابطاً للقراءة الصحيحة المقبولة.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ١٣

(٢) يقول أستاذنا الدكتور نور الدين العتر حفظه الله: ((وقد يتساءل من لم يتمعَّن حقيقة المسألة: كيف يكفي لقبول القراءة صحة السند مع أنَّ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر؟. والجواب عن هذا التساؤل من أوجه كثيرة نكتفي منها بوجه هو: أنَّ القراءةَ ثابتةٌ بنقل أهل المنطقة كلِّهم؛ لكن بحكم قانون الانتخاب الطبيعي يوجد أفراد يفوقون أهل عصرهم، حتى يكونوا مرجعاً لهم، وكذلك شأن هؤلاء القرَّاء، فإنَّ السند وإن اتصل بخبرٍ صحيحٍ ظاهراً، لكنَّه متواترٌ في الحقيقة، لذلك قالوا يشترط أن تنال ثقة الأئمَّة، وتكون مشهورةً بينهم)).اهـ. علوم القرآن الكريم للدكتور نور الدين عتر: ص ١٤٨، ويقول ابن الجزري رحمه الله: ((وقد سألت شيخنا إمام الأئمَّة أبا المعالي رحمه الله تعالى عن هذا الموضع فقال: انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم، فلقد كان يتلقاه أهلُ كل بلدٍ، يقرؤه منهم الجمُّ الغفير عن مثلهم، وكذلك دائماً، والتواترُ حاصل لهم، ولكنَّ الأئمَّة الذين تصدُّوا لضبط الحروف، وحفظوا شيوخهم منها، وجاء السند من جهتهم، وهذه الأخبار الواردة في حجَّة الوداع ونحوها أجلى، ولم تزل حجَّة الوداع منقولةً فيمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر. فهذه كذلك)).اهـ. منجد المقرئين: ص ٨١، وانظر في ردِّ هذه الشبهة أيضاً: مناهل العرفان: ج ١ ص ٢٩٥

(٣) وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. انظر: منجد المقرئين: ص ١٨

(٤) انظر: المرجع السابق: ص ١٨

فمن القراءة الشاذة[1]: ما صحَّ سندُه، ووافق العربية، ولكنَّه خالف رسْمَ المصحف[2]، وكذلك ما صحَّ سنده، ووافق العربية، ورسْمَ المصحف، ولكن لم تتلقَّه الأمَّة بالقَبول، ولم يستفض[3]، وكذلك ما نَقَلَهُ غير ثقة[4]؛ لأنَّ مدار الاحتجاج على صحة السند، أو نَقَلَهُ ثقةٌ، ولا وجه له في العربية، فهذا لا يُقبل، وإن وافق رسم المصحف[5]، وهذا لا يصدر إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمَّة المحققون، والحفَّاظ الضابطون، وهو

(١) انظر في ذلك: الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب القيسي: ص (٥١-٥٢)، النشر في القراءات العشر: ج ١ ص (١٤، ١٦-١٧)، الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص (٢٠٦-٢٠٧)

(٢) مثاله: قراءة عبد الله بن مسعود، وأبي الدرداء، وغيرهما: (والذَّكرَ والأنثى) في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الليل:٣]، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص ٣٦٤

(٣) انظر: منجد المقرئين: ص ١٩، قال ابن الجزري: ((ومما يدلُّ على هذا ما قال ابن مجاهد: قال لي قُنْبل: قال لي القوَّاس في سنة سبع وثلاثين ومائتين: القَ هذا الرجل - يعني البزِّي - فقل له: هذا الحرف ليس من قراءتنا يعني: (وما هو بميْت) [إبراهيم: ١٧] مخففاً، وإنما يُخفف من الميْت من قد مات، ومن لم يمت فهو مشدد، فلقيت البزِّي فأخبرته، فقال لي: قد رجعت عنه)). المرجع السابق: ص ٧٩

(٤) مثاله: قراءة محمد بن السَّميفع: (نُنَحِّيك) بالحاء في قوله تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس:٩٢]، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ١ ص ٣١٦، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ج ٣ ص ١٤٢، زاد المسير: ج ٤ ص ٦٠، ومثاله أيضاً: القراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي، وغيره، فإنها لا أصل لها، ومنها: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع الهاء من لفظ الجلالة، ونصب الهمزة، وقد ذكرها أكثر المفسرين، ونسبها إليه وتكلَّف توجيهها، وإنَّ أبا حنيفة لبريء منها. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ١٦

(٥) مثاله: ما روي عن يحيى عن ابن عامر أنه قرأ بفتح ياء: (أدريَ) في الموضعين من سورة الأنبياء: ﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الأنبياء:١٠٩]، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ [الأنبياء:١١١]، انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص ٦٨، المحرر الوجيز: ج ٤ ص ١٠٣

قليل جداً، بل لا يكاد يوجد، ومن القراءة الشاذَّة أيضاً ما وافق العربية، ورسْمَ المصحف، ولم يُنقل ألبتة، فهذا ردُّه أحقُّ، ومنعه أشدُّ، ومرتكبه مرتكبٌ لعظيمٍ من الكبائر[1].

وقبل الكلام عن أهمية تعدُّد القراءات في التفسير، لا بدَّ من الإشارة إلى خلاف العلماء في حُجِّية القراءة الشاذة.

- خلاف العلماء في حُجِّية القراءة الشاذة:

وهذا الخلاف ليس في مجال التعبُّد بها في الصلاة ونحوها، فهذا لا يجوز[2]؛ لأنَّها لا تعدُّ قرآناً، وإنما الخلاف في الاحتجاج بالقراءة الشاذَّة في الفروع لدى الفقهاء، ولقد اختلف العلماء في حجِّية القراءة الشاذَّة على قولين:

---

(١) قال الإمام ابن الجزري: ((وقد ذُكِر جواز ذلك عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادي المقري النحوي، وكان بعد الثلاثمائة... وقد عُقد له بسبب ذلك مجلسٌ ببغداد، حضره الفقهاء والقرَّاء، وأجمعوا على منعه، وأُوقف للضرب، فتاب ورجع، وكُتب عليه بذلك محضر ... ومن ثَمَّ امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو: الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه ،كما روينا عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة، وعن ابن المنكدر، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وعامر الشعبي، من التابعين أنهم قالوا: القراءة سُنَّة يأخذها الآخِرُ عن الأولِ، فاقرؤوا كما علمتموه. ولذلك كان الكثير من أئمَّة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت، لقرأت حرف كذا: كذا، وحرف كذا: كذا)).اهـ. النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ١٧

(٢) قال الإمام النووي: ((ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذَّة؛ لأنَّها ليست قرآناً، فإنَّ القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وكلُّ واحدة من السبع متواترة، هذا هو الصواب الذي لا يُعدل عنه، ومن قال غيره فغالطٌ أو جاهلٌ، وأمَّا الشاذَّة فليست متواترة، فلو خالف وقرأ بالشاذَّة، أُنكر عليه قراءتها في الصلاة أو غيرها... ونقل الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البرِّ إجماعَ المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشاذِّ، وأنه لا يُصلى خلف من يقرأ بها...)). اهـ. المجموع: ج ٣ ص ٣٤٧، وانظر أقوال العلماء في هذه المسألة في: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص (١٤-١٦)، منجد المقرئين: ص (١٩-٢٠)

القول الأول[1]: القراءة الشاذَّة لا يحتجُّ بها، ولا يكون لها حكم الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ ناقلها لم ينقلها إلَّا على أنَّها قرآن، والقرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وإذا لم تثبت قرآناً لم تثبت خبراً.

القول الثاني[2]: القراءة الشاذَّة يحتجُّ بها، وتُنزَّل منزلة خبر الآحاد؛ لأنَّ راويها يخبر أنه سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم، فإن لم تكن قرآناً؛ فلا أقلَّ من أن تكون خبراً، وبالتالي فلا تخرج عن كونها مسموعةً من النبي صلى الله عليه وسلم، ومرويةً عنه، فتكون حُجَّةً كيف ما كانت، وهي ليست بمذهب للصحابيِّ؛ لأنَّ هذا افتراءٌ على الله، وكذبٌ عظيمٌ، والصحابيُّ لا يجعل رأيه ومذهبه – الذي ليس هو عن الله تعالى، ولا عن رسوله – قرآناً، بل لا يجوز نسبة الكذب إلى الصحابة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولا في غيره؛ لثبوت عدالتهم، فكيف يكذبون في جعل مذاهبهم قرآناً؟.

ويشترط للاحتجاج بالقراءة أن تكون مشهورةً في العصور الأولى[3]، وإن كانت نُقلت إلينا بطريق الآحاد؛ لأنَّ الناس تركوا القراءة بها، واقتصروا على غيرها[1].

---

(١) وهو الصحيح عند الآمدي، وابن الحاجب وحُكي رواية عن أحمد، ونقله الآمدي عن الشافعي رحمه الله، وقال إمام الحرمين بأنه ظاهر مذهب الشافعي، وجزم به النووي في شرح مسلم، وهو المشهور أيضاً من مذهب مالك رحمه الله. انظر: البرهان في أصول الفقه: ج ١ ص ٤٢٧، قواطع الأدلة في الأصول: ج ١ ص ٤١٤، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٣٨٤، القواعد والفوائد الأصولية: ص ١٥٦

(٢) وهو مذهب الحنفية والحنابلة. انظر: قواطع الأدلة في الأصول: ج ١ ص (٤١٤-٤١٥)، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٣٨٤، القواعد والفوائد الأصولية: ص ١٥٥، روضة الناظر وجنة المناظر: ص (٦٣-٦٤)، ولقد حقق الإسنوي في " التمهيد"، والزركشي في "البرهان" أنه مذهب الشافعي وجمهور أصحابه. انظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للإسنوي: ص (١٤٢-١٤٣)، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٣٨٥، وانظر: القواعد والفوائد الأصولية: ص ١٥٦

(٣) ولهذا لم يعملوا بقراءة أبيٍّ بن كعب: (فَعِدةٌ من أيامٍ أخرٍ متتابعةٍ)؛ لأنها قراءةٌ شاذَّةٌ غير مشهورةٍ، وبمثلها لا يثبت الزيادة على النص، وأمَّا قراءة ابن مسعود في كفارة اليمين: (فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ متتابعاتٍ)، فقد كانت مشهورةً في زمن أبي حنيفة؛ حتى كان الأعمش يقرأ ختماً على حرف ابن مسعود، وختماً من مصحف عثمان، والزيادة تثبت=

وأيَّاً كان الراجح من القولين، فإنَّ القصد من القراءة الشاذَّة هو تفسيرُ القراءة المشهورة، وبيانُ معانيها، وهناك قراءات شاذَّة لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت مُفسِّرةً للقرآن[٢]، وقد كان يُروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير، فيُستحسن ذلك، فكيف إذا رُوي عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة! فهو بذلك أكثر من التفسير وأقوى، فيمكن أن نقول بأن أدنى ما يُستنبط من هذه القراءات معرفة صحة التأويل[٣][٤].

المطلب الثاني: أهمية تعدُّد القراءات في التفسير:

إنَّ لتعدُّد القراءات أهميةً كبيرةً في تفسير القرآن الكريم، وبيان معانيه، واستنباط أحكامه؛ فإنه باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، ولهذا بنى الفقهاءُ نقضَ وضوء الملموس وعدمَه على اختلاف القراءة في: (لمستم) و (لامستم) [٥][٦].

=بالخبر المشهور. انظر: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: ج ٢ ص ٤٢٩، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٣٨٥

(١) انظر: قواطع الأدلة في الأصول: ج ١ ص ٤١٥، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ١ ص ٣٨٥

(٢) وذلك كقراءة عائشة وحفصة: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)، وكقراءة ابن مسعود: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما)، وكقراءة أبيّ: (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فيهن)، وكقراءة سعد بن أبي وقاص: (وإن كان له أخٌ أو أختٌ من أمٍّ فلكل)، وكقراءة ابن عباس: (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج)، وكذلك قراءة جابر: (فإنّ الله من بعد إكراههن لهنّ غفورٌ رحيمٌ). انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ص ٣٢٦، البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص (٣٣٦-٣٣٧)

(٣) انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ص ٣٢٦، البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص (٣٣٦-٣٣٧)، الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٢١٩

(٤) يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي – رحمه الله تعالى – وهو يتحدث عن القراءات الشاذَّة: ((فمثلُ هذه الألفاظ، وإن كانت ساقطةً من حيثُ اعتبارها قراءة صحيحة، ثابتةٌ من حيثُ هي تفسيرٌ لبعض آي القرآن، فهي تُقبل من هذا الوجه، كما يُقبل حديث مروي عن ابن عباسٍ بسندٍ صحيحٍ في تفسير آية في القرآن، أو استنباط حكم من أحكامه)).اهـ. من روائع القرآن للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: ص ١٠٧

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٢١٧

(٦) قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف، وقرأ الباقون بالألف. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٥٠

ويمكن أن تكون القراءةُ مرجِّحاً لحكم اختلف فيه، كقراءة: (أو تحرير رقبة مؤمنة) [1] في كفارة اليمين، فإنها مرجِّحةٌ لقول من اشترط الإيمان في الرقبة المحرَّرة.

وقد تكون القراءة للجمع بين حكمين مختلفين مثل: (يطْهُرن) و (يطَّهَّرن) بالتخفيف والتشديد[2]، فيُجمع بينهما بأنَّ الحائض لا يقربها زوجها حتى تطهر بانقطاع الدم، وتتطهَّر بالاغتسال.

وقد تكون القراءة لأجل اختلاف حكمين شرعيين كقراءة: (وأرجلكم) بخفض اللام أو نصبها[3]؛ فإنَّ الخفضَ يقتضي فرض المسح، والنصبَ يقتضي فرض الغَسْل، فبيَّنهُما النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل المسح للابس الخف والغسل لغيره.

وقد تكون القراءة لإيضاح حكم يقتضي الظاهرُ خلافَه كقراءة: (فامضوا إلى ذكر الله) [4]؛ فإنَّ قراءة: (فاسعوا) يقتضي ظاهرها المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضِّحةً لذلك، ورافعةً لما يتوهم منه.

وقد تكون القراءة مفسِّرة لما لعلَّه لا يُعرف مثل قراءة: (كالصوف المنفوش) [5].

---

(١) بحثت عنها فلم أجدها في كتب التفسير أو القراءات، ولكن ذكرها ابن الجزري في كتابه: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٢٩

(٢) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفهما. انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٢٧

(٣) قرأ نافع، وابن عامر، والكسائي، ويعقوب، وحفص بنصب اللام، وقرأ الباقون بالخفض. انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٥٤

(٤) وهي قراءة عمر بن الخطاب وعلي وأبيٍّ بن كعب وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير رضوان الله عليهم، عليهم، وجماعة من التابعين. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٨ ص (٩٩-١٠١)، المحرر الوجيز: ج ٥ ص ٣٠٩، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص ٣٢١

(٥) وهي قراءة عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير. انظر: المحرر الوجيز: ج ٥ ص ٥١٧

وقد تكون القراءة حجَّةً لأهل الحقِّ، ودفعاً لأهل الزيغ كقراءة: (ومَلِكاً كبيراً) [1] بكسر اللام، وردت عن ابن كثير وغيره، وهي من أعظم دليل على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة.

وقد تكون القراءة حجَّةً لقول بعض أهل العربية كقراءة: (والأرحام) بالخفض[2] [3].

ولما كان تعدُّد القراءات المتواترة بمنزلة تعدُّد الآيات، كان من فوائد تعدُّد القراءات تعدُّد الإعجاز في القرآن الكريم؛ فإنَّ هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقضٍ في المقروء وتضادٍ، ولا إلى تهافتٍ وتخاذلٍ، بل القرآنُ كلُّه على تنوُّع قراءاته، يُصدِّق بعضُه بعضاً، ويُبيِّن بعضُه بعضاً، ويشهد بعضُه لبعضٍ على نمطٍ واحدٍ في علوِّ الأسلوب والتعبير، وهدفٍ واحدٍ من سموِّ الهداية والتعليم.

ومعنى هذا أنَّ القرآن يُعجز إذا قُرِئ بهذه القراءة، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثانية، ويعجز أيضاً إذا قرئ بهذه القراءة الثالثة، وهكذا، ومن هنا تتعدَّد المعجزات بتعدُّد تلك الوجوه والحروف[4].

ومن فوائد تعدُّد القراءات أيضاً المبالغة في إعجاز القرآن بإيجازه، إذ تنوُّع القراءات بمنزلة تعدُّد الآيات، ولو جُعلت دلالةُ كلِّ لفظٍ آيةً على حِدة لم يَخْفَ ما كان فيه من التطويل، ولهذا كان قوله: (وأرجلكم) مُنزَّلاً لغَسْل الرِّجل، والمسح على الخفِّ، واللفظ واحد، لكن باختلاف إعرابه[5]، وهذا ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز، وينتهي إلى كمال الإعجاز.

---

(١) ذكرها الفخر الرازي في تفسيره عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة الأنعام. ج ١٣ ص ١٠٨، وقال النيسابوري في تفسيره: ((وعن علي أنه قرأ: (مَلِكاً كبيراً)، بفتح الميم، وكسر اللام: هو الله)). ج ٦ ص ٤١٦، كما ذكرها ابن الجزري في كتابه "النشر" وعزاها إلى ابن كثير وغيره. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ٢٩

(٢) قرأ حمزة بخفض الميم، وقرأ الباقون بنصبها. انظر: المرجع السابق: ج ٢ ص ٢٤٧

(٣) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٢٩

(٤) انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص (١٠٥-١٠٦)

(٥) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٢١٨

المطلب الثالث: القراءات عند الإمام النسفي[1]:

اهتم الإمام النسفي بالقراءات اهتماماً واضحاً في تفسيره، بل لقد كان أحدُ أهداف وضعِه لتفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" أن يكون جامعاً للقراءات كما ذكر في مقدمته[2].

لذلك نجد الإمام النسفي يعرِض في ثنايا تفسيره للآيات القراءاتِ الواردةَ فيها، فيوردُ القراءات المتواترة، وينسُبها إلى أصحابها أحياناً[3]، أو إلى بلد صاحبها أحياناً أخرى[4]، أو يُعبِّرُ عن القراءة بصيغة المبني للمجهول، فيقول: (وقرئ)[5]، ونجده أحياناً ينسب القراءة لمصاحف بعض الصحابة الكرام رضوان الله عليهم[6]، كما أنَّه يورد قراءات منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[7][1].

---

(١) انظر: منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: ص (٨١-١٠١)، وهي رسالة ماجستير للباحثة سحر كردية

(٢) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٨

(٣) انظر مثلاً: سورة الفاتحة، الآية (٤): ج ١ ص ٣٤، سورة البقرة، الآية (٢٤٥): ج ١ ص ١٩٢، سورة المائدة، الآية (٧١): ج ١ ص ٤٢٤، سورة الأنعام، الآية (٦٣): ج ٢ ص ٢٦، سورة الأعراف، الآية (٥٧): ج ٢ ص ٨٤، سورة يونس، الآية (٣٥): ج ٢ ص ٢٣٤، سورة الكهف، الآية (٣٤): ج ٣ ص ٢٥، سورة النمل، الآية (٣٦): ج ٣ ص ٣٠٩، سورة الأحزاب، الآية (٤): ج ٣ ص ٤٢٧، سورة يس، الآية (٦٨): ج ٤ ص ١٩، سورة الأحقاف، الآية (٢٥): ج ٤ ص ٢١٥، سورة الممتحنة، الآية (٣): ج ٤ ص ٣٦٢

(٤) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٥٨): ج ١ ص ٩٢، سورة النساء، الآية (٥٨): ج ١ ص ٣٣٩، سورة المائدة، الآية (٥٣): ج ١ ص ٤١٦، سورة الأنعام، الآية (٣٢): ج ٢ ص ١٥، سورة الأعراف، الآية (٩٨): ج ٢ ص ٩٧، سورة الأنفال، الآية (١٨): ج ٢ ص ١٤٢، سورة طه، الآية (٩٤): ج ٣ ص ٩٨، سورة المؤمنون، الآية (٧٢): ج ٣ ص ١٨٥، سورة الشعراء، الآية (١٤٩): ج ٣ ص ٢٨١، سورة الزمر، الآية (٦٤): ج ٤ ص ٩٧، سورة الطور، الآية (٢١): ج ٤ ص ٢٨٠، سورة المزمل، الآية (٩): ج ٤ ص ٤٤٧

(٥) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٥٠): ج ١ ص ٨٩، سورة المائدة، الآية (٩٥): ج ١ ص ٤٣٦، سورة الأعراف، الآية (٧٣): ج ٢ ص ٨٩، سورة هود، الآية (٩٥): ج ٢ ص ٢٩١، سورة طه، الآية (٩٦): ج ٣ ص ٩٨، سورة الأنبياء، الآية (٢٤): ج ٣ ص ١١٧، سورة المجادلة، الآية (١): ج ٤ ص ٣٤٠، سورة الجمعة، الآية (٩): ج ٤ ص ٣٧٥

(٦) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٢٣٨): ج ١ ص ١٨٩، سورة النساء، الآية (١٦٢): ج ١ ص ٣٨٢، سورة النور، الآية (٣٣): ج ٣ ص ٢١٣، سورة قريش، الآية (١): ج ٤ ص ٥٦٠

(٧) انظر مثلاً: سورة آل عمران، الآية (١٦٤): ج ١ ص ٢٨٨، سورة الطلاق، الآية (١): ج ٤ ص ٣٨٧، سورة سورة الفجر، الآية (٢٥-٢٦): ج ٤ ص ٥٢٢

والإمام النسفي في عرضه للقراءات لا يقتصر على عرض القراءة المتواترة؛ بل نجده يعرِض القراءاتِ الشاذَّة الواردة في الآية، والمنسوبة للصحابة أو التابعين أو غيرهم [٢]، وربَّما صرَّح بشذوذ القراءة [٣]، وغالباً ما يذكرها دون الإشارة إلى شذوذها؛ وإنما يُعبِّر عنها بلفظ (وقرئ)، وقد يستدل بها على معنى [٤] أو مسألةٍ فقهيةٍ [٥] أو مسألةٍ نحويةٍ [٦].

كما أنَّه لا يقتصر على عرض القراءة المتواترة والشاذَّة؛ بل يتعدَّى ذلك إلى عرض القراءات الموضوعة [٧]، والتي نُسبَت كذباً إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رحمه الله تعالى[١].

---

(١) قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم: اصطلاحٌ للمفسِّرين يعنون به القراءات التي لم يروِها القُرَّاء من طرقهم، وإنما نقلها المحدِّثون عنه صلى الله عليه وسلم. يقول الإمام الآلوسي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠]: ((﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي يُعطون ما أَعطوا من الصدقات ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة من أن لا يُقبَل منهم، وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به، وقرأت عائشة وابن عباس وقتادة والأعمش والحسن والنخعي (يأتون ما أتوا) من الإتيان لا الإيتاء فيهما، وأخرج ابن مردويه وسعيد بن منصور عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قرأ كذلك، وأطلق عليها المفسِّرون قراءةَ رسول الله عليه الصلاة والسلام يعنون أنَّ المحدِّثين نقلوها عنه صلى الله عليه وسلم، ولم يروِها القرَّاء من طرقهم، والمعنى عليها: يفعلون من العبادات ما فعلوه وقلوبهم وجلة...)). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي: ج ١٨ ص ٤٤، وقد خصَّص الإمام الترمذي في جامعه الصحيح كتاباً سمَّاه: كتاب القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: الجامع الصحيح للإمام الترمذي: ج ٥ ص ١٨٥

(٢) انظر مثلاً: سورة النساء، الآية (١١): ج ١ ص ٣١٢، سورة الأعراف، الآية (٢٠): ج ٢ ص ٧١، سورة هود، الآية (٧٢): ج ٢ ص ٢٨٢، سورة الحج، الآية (٢٧): ج ٣ ص ١٥٠، سورة النور، الآية (٢٥): ج ٣ ص ٢٠٥، سورة الزخرف، الآية (٦١): ج ٤ ص ١٧٩، سورة الذاريات، الآية (٥٦): ج ٤ ص ٢٧٥

(٣) انظر مثلاً: سورة يوسف، الآية (٥٩): ج ٢ ص ٣٢٧، سورة المؤمنون، الآية (١١٦): ج ٣ ص ١٩٤، سورة القمر، الآية (٤٩): ج ٤ ص ٣٠٤

(٤) انظر مثلاً: سورة آل عمران، الآية (١٤): ج ١ ص ٢٢٥، سورة الأنعام، الآية (١٥٤): ج ٢ ص ٦١، سورة طه، الآية (١٠٢): ج ٣ ص ١٠٠، سورة الأعلى، الآية (١٦): ج ٤ ص ٥١٣

(٥) انظر مثلاً: سورة المائدة، الآية (٣٨): ج ١ ص ٤٠٩

(٦) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (١٣٧): ج ١ ص ١٢٩، سورة إبراهيم، الآية (٤٦): ج ٢ ص ٣٨٢، سورة طه، الآية (٦٣): ج ٣ ص ٩٠

(٧) انظر مثلاً: سورة الفاتحة، الآية (٤): ج ١ ص ٣٤، سورة يونس، الآية (٩٢): ج ٢ ص ٢٥١، سورة فاطر، الآية (٢٨): ج ٣ ص ٤٩٤

كذلك اهتم الإمام النسفي بالتوجيه للقراءات المتواترة والشاذَّة والاحتجاج لها إمَّا بالوجود في المصاحف العثمانية[٢]، أو بآيات القرآن[٣]، أو بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم[٤]، أو بالنحْو[٥]، أو بلغات العرب[٦]، أو بالشِعر[٧]، أو بالبلاغة[٨]، أو بالصرف[٩]، أو

---

(١) القراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي، ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي وغيره، وهذه القراءة لا أصل لها، قال أبو العلاء الواسطي: إنَّ الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة، فأخذت خطَّ الدارقطني وجماعة أنَّ الكتاب موضوعٌ لا أصل له. ومن هذه القراءة: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع الهاء من لفظ الجلالة، ونصب الهمزة، وقد ذكرها أكثر المفسرين، ونسبها إلى أبي حنيفة، وتكلَّف توجيهها، وإنَّ أبا حنيفة لبريءٌ منها. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ١ ص ١٦، الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٢٠٧

(٢) انظر مثلاً: سورة العنكبوت، الآية (٢٩): ج ٣ ص ٣٧٠، سورة الأحزاب، الآية (١٠): ج ٣ ص ٤٣٢، سورة يس، الآية (٣٥): ج ٤ ص ١٣، سورة القيامة، الآية (١): ج ٤ ص ٤٥٩

(٣) انظر مثلاً: سورة هود، الآية (١٠٥): ج ٢ ص ٢٩٣، سورة الحج، الآية (٣٦): ج ٣ ص ١٥٥، سورة غافر، الآية (٣٥): ج ٤ ص ١١٥

(٤) انظر: سورة الكهف، الآية (٨٦): ج ٣ ص ٤١

(٥) انظر مثلاً: سورة الأنعام، الآية (٥٥): ج ٢ ص ٢٢ ، سورة هود، الآية (٧١): ج ٢ ص ٢٨٢، سورة العنكبوت، الآية (٢٥): ج ٣ ص (٣٦٨-٣٦٩)

(٦) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٢٣٦): ج ١ ص ١٨٧، سورة آل عمران، الآية (٣٩): ج ١ ص ٢٣٦، سورة الأنعام، الآية (١٤١): ج ٢ ص ٥٥، سورة النحل، الآية (٧): ج ٢ ص ٤٠٥، سورة طه، الآية (٦٣): ج ٣ ص ٩٠، سورة الأحزاب، الآية (١٨): ج ٣ ص ٤٣٥، سورة الفجر، الآية (٣): ج ٤ ص ٥١٨، سورة الهمزة، الآية (٩): ج ٤ ص ٥٥٧

(٧) انظر مثلاً: سورة هود، الآية (٦٦): ج ٢ ص ٢٨١، سورة طه، الآية (٦٣): ج ٣ ص ٩٠، سورة الأحزاب، الآية (١٠): ج ٣ ص ٤٣٢

(٨) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٩): ج ١ ص ٥٢، سورة آل عمران، الآية (١٨٠): ج ١ ص ٢٩٥، سورة مريم، الآية (٧١): ج ٣ ص (٦٧-٦٨)، سورة القمر، الآية (٢٦): ج ٤ ص ٣٠١، سورة الحديد، الآية (١٦): ج ٤ ص ٣٣٣

(٩) انظر مثلاً: سورة الإسراء، الآية (٧٢): ج ٢ ص ٤٦٨، سورة المؤمنون، الآية (٢٠): ج ٣ ص ١٧٥، سورة النمل، الآية (٢٢): ج ٣ ص ٣٠٤

بمراعاة الجوار[١]، أو بمراعاة الفاصلة [٢]، أو غير ذلك من الأدلة التي يوردها العلماء لتوجيه لتوجيه القراءات والاحتجاج لها [٣].

كذلك نجد الإمام النسفي كغيره من المفسرين يُرجِّح بين القراءات، فأحياناً يُرجِّح قراءةً متواترةً على قراءةٍ شاذَّةٍ [٤]، وأحياناً يُرجِّح قراءةً متواترةً على قراءةٍ متواترةٍ [٥]، معتمداً في كل كل ذلك إمَّا على الرواية [٦]، أو على القواعد النحوية [٧]، أو على الفصاحة [٨]، أو على على البلاغة [٩]، أو على السياق[١٠]، أو على المعنى[١١]، أو غير ذلك من طرق الترجيح [١٢].

---

(١) انظر مثلاً: سورة النساء، الآية (١١): ج ١ ص ٣١٢، سورة الأنعام، الآية (١٠): ج ٢ ص ٨، سورة إبراهيم، إبراهيم، الآية (٢٢): ج ٢ ص ٣٧٤، سورة طه، الآية (٨٠): ج ٣ ص ٩٥، سورة النمل، الآية (٤٥): ج ٣ ص ٣١٣

(٢) انظر مثلاً: سورة غافر، الآية (٣٢): ج ٤ ص (١١٣-١١٤)، سورة الإنسان، الآية (١٥، ١٦): ج ٤ ص ٤٦٧

(٣) انظر: منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: ص (١٢٠-١٢٢)

(٤) انظر مثلاً: سورة التوبة، الآية (٤): ج ٢ ص ١٦٨، سورة الرعد، الآية (٢٣): ج ٢ ص ٣٥٧، سورة النور، الآية (٥١): ج ٣ ص ٢٢٢، سورة البروج، الآية (٨): ج ٤ ص ٥٠٦

(٥) انظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (١١٧): ج ١ ص ١٢١، سورة آل عمران، الآية (١٨٠): ج ١ ص ٢٩٥، سورة الأنعام، الآية (١٦١): ج ٢ ص ٦٣، سورة الروم، الآية (٥٤): ج ٣ ص ٤٠١، سورة النبأ، الآية (٢٣): ج ٤ ص ٤٧٨، سورة النازعات، الآية (١١): ج ٤ ص ٤٨٢

(٦) انظر: سورة الروم، الآية (٥٤): ج ٣ ص ٤٠١

(٧) انظر مثلاً: سورة النساء، الآية (١): ج ١ ص ٣٠٥، سورة الأعراف، الآية (١٠): ج ٢ ص ٦٧، سورة هود، هود، الآية (٢٨): ج ٢ ص ٢٦٦، سورة طه، الآية (٦٣): ج ٣ ص ٩٠، سورة النور، الآية (٥١): ج ٣ ص ٢٢٢

(٨) انظر مثلاً: سورة الرعد، الآية (٢٣): ج ٢ ص ٣٥٧، سورة البروج، الآية (٨): ج ٤ ص ٥٠٦

(٩) انظر مثلاً: سورة التوبة، الآية (٤): ج ٢ ص ١٦٨، سورة النور، الآية (٣): ج ٣ ص ١٩٧، سورة النازعات، النازعات، الآية (١١): ج ٤ ص ٤٨٢

(١٠) انظر: سورة النساء، الآية (١١): ج ١ ص ٣١١

(١١) انظر: سورة النور، الآية (١): ج ٣ ص (١٩٥-١٩٦)

(١٢) انظر: منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: ص (١٣٣-١٣٤)

المطلب الرابع: أثر القراءات في التفسير عند الإمام النسفي:

إنَّ الناظر في تفسير الإمام النسفي يجد أثراً كبيراً للقراءات في استنباط معاني الآيات الكريمة، فالإمام النسفي يوظِّف القراءات أحياناً من أجل توضيح معنىً في الآية، وأحياناً من أجل بيان معنى كلمة من كلمات الآية، وأحياناً من أجل تحديد المعنى المراد في الآية، وأحياناً يوظِّف القراءات لتأكيد المعنى الذي فسَّر به الآية وتقويته، وأحياناً من أجل إثراء تفسير الآية الواحدة بالمعاني المختلفة، وأحياناً من أجل بيان حكم فقهي، وأحياناً يوظِّف القراءات في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية.

أولاً: أثر القراءات في توضيح معنى في الآية:

قد يكون في تفسير الآية معنى يحتاج إلى توضيح وبيان، فيأتي الإمام النسفي ويوضِّح هذا المعنى، ويؤيِّد ذلك بقراءة من القراءات.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة:٨٣]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الميثاقُ: العهدُ المؤكدُ غاية التأكيد ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إخبارٌ في معنى النهي، كما تقول: تذهبُ إلى فلان تقولُ له كذا تريدُ الأمرَ، وهو أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنَّه كأنَّه سُورع إلى الامتثال والانتهاء وهو يخبر عنه، وتنصُره قراءة أُبيّ (لا تعبدوا)[١]، وقولُه: ﴿وَقُولُوا۟﴾، والقولُ مضمرٌ...)) [٢].

---

(١) وهي قراءة أبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. انظر: الكشف والبيان: ج ١ ص ٢٢٨، تفسير القرآن للسمعاني: ج ١ ص ١٠٢، المحرر الوجيز: ج ١ ص ١٧٢

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٠٤

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو إخبارٌ في معنى النهي، ووضَّح هذا المعنى بقراءة سيدنا أُبيّ التي تدلُّ على النهي عن عبادة غير الله تعالى، كما أكَّد هذا المعنى بالفعل المجزوم (قولوا) والمعطوف على﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾.

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة:١٨٤]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم إن أفطروا ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ نصف صاع من بُرٍّ، أو صاعٌ من غيره... وكان ذلك في بدء الإسلام، فُرض عليهم الصوم، ولم يتعوَّدوه، فاشتدَّ عليهم، فرخِّص لهم في الإفطار والفدية، ثمَّ نُسخ التخيير بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، ولهذا كرَّر قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾؛ لأنَّه لما كان مذكوراً مع المنسوخ ذُكر مع الناسخ؛ ليدلَّ على بقاء هذا الحكم، وقيل معناه: لا يطيقونه، فأضمر (لا) لقراءة حفصة(١)(٢) كذلك، وعلى هذا لا يكون منسوخاً...)) (٣).

---

(١) حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة، كانت صوَّامة قوَّامة، ماتت سنة (٤٥هـ). انظر في ترجمتها: الإصابة: ج ٧ ص (٥٨١-٥٨٢)، الاستيعاب: ج ٤ ص (١٨١١-١٨١٢)

(٢) قراءة السيدة حفصة رضي الله عنها ذكرها عبد العزيز بن أحمد البخاري في كتابه: كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: ج ١ ص ٢٢٥، وذكرها محمد أمين المعروف بأمير بادشاه في كتابه: تيسير التحرير: ج ٣ ص ١٩٩، وذكرها الآلوسي في تفسيره: روح المعاني: ج ٢ ص ٥٩

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٥٢، وانظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (١٣٧): ج ١ ص ١٢٩، طه، الآية (١٢٨): ج ٣ ص ١٠٦، سورة الحج، الآية (٧٨): ج ٣ ص ١٦٩، سورة الأحقاف، الآية (٢٤): ج ٤ ص ٢١٤، سورة الصف، الآية (١١): ج ٤ ص ٣٧١

وموضع الشاهد أنَّ قراءة (لا يطيقونه) ساعدت في توضيح المعنى، وهو أنَّ الإفطار والفدية إنما هو للذين لا يطيقون الصيام، وبالتالي فلا حاجة للقول بالنسخ.

ثانياً: أثر القراءات في بيان معنى كلمة من كلمات الآية:

يوظِّف الإمام النسفي القراءات الشاذَّة من أجل بيان معنى كلمة من كلمات الآية.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٢٦]

يقول الإمام النسفي: ((﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ يُقْسِمون، وهي قراءة ابن عباس[١] رضي الله عنهما))[٢].

٢- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء:٩٨]

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني الأصنامَ وإبليس وأعوانه؛ لأنهم بطاعتهم لهم، واتِّباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ﴿حَصَبُ﴾ حَطَبُ، وقرئ (حَطَبُ) [٣]...)) [٤].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي يُفسِّر كلمة من الآية بقراءة شاذَّة.

ثالثاً: أثر القراءات في تحديد المعنى المراد في الآية[١]:

---

(١) وأيضاً هي قراءة أبيّ بن كعب رضي الله عنه. انظر: المحرر الوجيز: ج ١ ص ٣٠٢، روح المعاني: ج ٢ ص ١٢٩

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٧٨

(٣) وهي قراءة علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن الزبير، وأبيّ بن كعب، وعكرمة. انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص ٦٧

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٣٦، وانظر مثلاً: سورة آل عمران، الآية (١٨٨): ج ١ ص ٢٩٨، سورة الأعراف، الآية (١٥٤): ج ٢ ص ١١٥، سورة المجادلة، الآية (١): ج ٤ ص ٣٤٠

قد يختلف المفسِّرون أحياناً في تحديد المعنى المراد من الآية الكريمة؛ لأنها تحتمل أكثر من معنى، ويؤيِّد كلُّ فريقٍ المعنى الذي ذهب إليه بالأدلة والحجج، وتأتي القراءات من ضمن الأدلَّة والحجج التي يدعم بها المفسرون أقوالهم.

فعلى سبيل المثال:

- يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧]

يقول الإمام النسفي عند تفسيره لهذه الآية: ((﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ ﴾ أي لا يهتدي إلى تأويله الحقِّ الذي يجب أن يُحمل عليه إلا الله ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ والذين رسخوا أي ثبتوا فيه، وتمكَّنوا وعضُّوا فيه بضرسٍ قاطعٍ، مستأنَفٌ عند الجمهور، والوقفُ عندهم على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾، وفسَّروا المتشابه بما استأثر الله بعلمه، وهو مبتدأ عندهم، والخبرُ: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ وهو ثناءٌ منه تعالى عليهم بالإيمان على التسليم، واعتقاد الحقِّيَّة بلا تكييف. وفائدةُ إنزال المتشابه: الإيمانُ به، واعتقاد حقِّيَّة ما أراد الله به، ومعرفةُ قصور أفهام البشر عن الوقوف على ما لم يجعل لهم إليه سبيلاً، ويعضده قراءة أبيٍّ (ويقول الراسخون) [٢]، وعبد الله (إن تأويله إلا عند الله) [٣]، ومنهم من لا يقف عليه ويقول بأنَّ الراسخين في العلم يعلمون

---

(١) انظر: منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: ص (١٧٢-١٧٣)

(٢) وهي قراءة ابن عباس أيضاً. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣ ص ١٨٤، تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: ج ١ ص ٢٢٠، تفسير السمعاني: ج ١ ص ٢٩٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي: ج ١ ص ٢٨٠، المحرر الوجيز: ج ١ ص ٤٠٤، روح المعاني: ج ٣ ص ٨٤

(٣) أي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣ ص ١٨٤، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج ١ ص ٢٨٠، المحرر الوجيز: ج ١ ص ٤٠٤، روح المعاني: ج ٣ ص ٨٤

المتشابه ﴿يَقُولُونَ﴾ كلامٌ مستأنف موضِّحٌ لحال الراسخين، بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنَّا به أي بالمتشابه أو بالكتاب...)) [1].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي حدَّد المعنى المراد من الآية الكريمة، حيث ذهب إلى أنَّ المتشابه مما استأثر الله بعلمه، وأنَّ الوقفَ على قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ مستأنَفٌ، وأيَّد ما ذهب إليه بقراءة سيدنا أُبيٍّ، وقراءة سيدنا عبد الله رضوان الله عليهم أجمعين.

رابعاً: أثر القراءات في تأكيد المعنى الذي فسَّر به الآية وتقويته:

يوظِّف الإمام النسفي القراءات أحياناً من أجل تأكيد المعنى الذي فسَّر به الآية وتقويته.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران:١٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ المزيِّن هو الله عند الجمهور؛ للابتلاء كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف:٧] دليله قراءة مجاهد: (زَيَّن للناس) [2] على تسمية الفاعل، وعن الحسن: ((الشيطان)) [3]...)) [4].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي ذكر قولين في بيان من هو المزيِّن، ثم أيَّد القول الأول بقراءة مجاهد.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٢٢٢-٢٢٣)

(٢) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ١ ص ١٥٥

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣ ص ١٩٩، تفسير ابن أبي حاتم: ج ٢ ص ٦٠٧

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٢٥

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قيل: هو الله عزَّ وجلَّ، والكتابُ: اللوح المحفوظ، دليله قراءة مَنْ قرأ: (ومِنْ عِنْدِه عُلِمَ الكتاب) [(١)] أي: ومن لدُنِهِ عُلِمَ الكتاب؛ لأنَّ عِلْمَ مَنْ عَلِمَهُ مِنْ فضله ولطفه، وقيل:﴿وَمَنْ﴾ هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا؛ لأنَّهم يشهدون بنعتِه في كتبهم، وقال ابن سلام: فيَّ نزلت هذه الآية، وقيل: هو جبريل عليه السلام...)) [(٢)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي ذكر ثلاثة أقوال في بيان مَنْ عنده علم الكتاب، ثم أيَّد القول الأول بقراءة شاذَّة.

خامساً: أثر القراءات في إثراء تفسير الآية الواحدة بالمعاني المختلفة:

ذكرت سابقاً أنَّ الإمام النسفي يعرِض في ثنايا تفسيره للآيات القراءاتِ الواردةِ فيها، سواءٌ أكانت متواترةً، أم شاذَّةً، أم موضوعةً، وكلُّ قراءةٍ من هذه القراءات لها معنى، لذلك نجد الإمام النسفي يوظِّف هذه القراءات أحياناً من أجل إثراء تفسير الآية الواحدة بالمعاني المختلفة.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة:١٢٤]

---

(١) هكذا بكسر ميم (مِن)، والدال والهاء في (عِندِه)، وبضم العين وفتح الميم في (عُلِمَ)، وهي قراءة علي وابن السَّميفع، والحسن. انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ١ ص ٣٥٨

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٣٦٤، وانظر مثلاً: سورة آل عمران، الآية (٧٣): ج ١ ص ٢٤٧، سورة النساء، الآية (١٠١): ج ١ ص ٣٦٠، سورة إبراهيم، الآية (٤٦): ج ٢ ص ٣٨٢، سورة طه، الآية (٦٣): ج ٣ ص ٩٠، سورة المؤمنون، الآية (٣٧): ج ٣ ص ١٧٩، سورة الحجرات، الآية (١): ج ٤ ص ٢٤٣، سورة الأعلى، الآية (١٦): ج ٤ ص ٥١٣

يقول الإمام النسفي: ((... وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه: (إبراهيمُ ربَّه) برفع إبراهيم، وهي قراءة ابن عباس[1] رضي الله عنهما، أي: دعاه بكلماتٍ من الدعاء فِعْلَ المختبر هل يُجيبه إليهنَّ أم لا؟ ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي قام بهنَّ حق القيام، وأدَّاهنَّ أحسن التأدية من غير تفريط وتوانٍ، ونحوُه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾ [النجم:٣٧]، ومعناه في قراءة أبي حنيفة رحمه الله: فأعطاه ما طلب لم يُنقص منه شيئاً، والكلمات على هذا: ما سأل إبراهيمُ ربَّه في قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]، ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، ﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:١٢٧]، والكلمات على القراءة المشهورة: خمسٌ في الرأس... وخمس في الجسد... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هي ثلاثون سهماً من الشرائع[2] ... وقيل: هي مناسك الحج...)) [3].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بيَّن معنى الآية على القراءة المنسوبة إلى أبي حنيفة، ثمَّ بيَّن معناها على القراءة المتواترة، في أكثر من قول.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ أي يُعطون ما أعطَوا من الزكاة والصدقات، وقرئ: (يؤتون ما أتَوا) بالقصر[4]، أي: يفعلون ما فعلوا...)) [5].

---

(١) انظر: الكشاف: ج ١ ص ٢١٠، وزاد الآلوسي أنها قراءة أبي الشعثاء أيضاً. انظر: روح المعاني: ج ١ ص ٣٧٤

(٢) انظر ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٥٢٤

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٢٣-١٢٤)

(٤) وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وعائشة، وابن عباس، وقتادة والأعمش. انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص ٩٥

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٨٣

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بيَّن معنى الآية على القراءة المتواترة، ثمَّ بيَّن معناها على القراءة الشاذة.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١﴾ [المطفِّفين:٣١]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾ أي إذا رجع الكفار إلى منازلهم ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ متلذِّذين بذكرهم، والسخرية منهم، وقرأ غيرُ حفص[١]: (فاكهين) [٢]، أي: فرحين))[٣].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بيَّن معنى الآية على القراءة المتواترة، ثمَّ بيَّن معناها على قراءة متواترة أخرى.

سادساً: أثر القراءات في بيان الأحكام الفقهية:

يوظِّف الإمام النسفي القراءات أحياناً من أجل بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالآية.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة:٣٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ أي يديهما، والمراد اليمينان[١]؛ بدليل قراءة عبد الله بن مسعود[٢]...)) [٣].

---

(١) حفص بن سليمان الأسدي، أبو عمر البزاز الكوفي الغاضري، القارىء، صاحب عاصم، متروك الحديث، مع إمامته في القراءة، مات سنة (١٨٠هـ). انظر في ترجمته: تقريب التهذيب: ج ١ ص ١٧٢، معرفة القراء الكبار: ج ١ ص ١٤١

(٢) (فكهين): حَذَفَ الألف بعد الفاء: حفص، وأبو جعفر، وأثبتها الباقون. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص (٣٥٤-٣٥٥)، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٣٣٩

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٠٠، وانظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٢٧٩): ج ١ ص ٢١٢، آل عمران، الآية (١٦٤): ج ١ ص ٢٨٨، سورة الأعراف، الآية (٥٧): ج ٢ ص ٨٤، سورة إبراهيم، الآية (٤٦): ج ٢ ص ٣٨٢، سورة طه، الآية (٧٧): ج ٣ ص ٩٤، سورة الروم، الآية (٣٢): ج ٣ ص (٣٩٤-٣٩٥)، سورة الزخرف، الآية (٣٦): ج ٤ ص ١٧٣، سورة القمر، الآية (٣١): ج ٤ ص ٣٠١

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة:٨٩]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ إحداها ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ متتابعات[٤]؛ لقراءة أُبيٍّ وابن مسعود كذلك[٥]...)) [٦].

---

(١) وهذا الحكم باتفاق العلماء، قال أبو المظفر يحيى بن محمد الشيباني: ((وأجمعوا على أنَّ السارق إذا وجب عليه القطع كان ذلك أول سرقته، وهو صحيح الأطراف، أنَّه يُبدأ بقطع يده اليمنى من مفصل الكفِّ، ثمَّ تحسم)). اختلاف الأئمة العلماء: ج ٢ ص ٢٨٣، وانظر: المغني لابن قدامة: ج ٩ ص ١٠٦

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٦ ص ٢٢٨، معاني القرآن الكريم للنحاس: ج ٢ ص ٣٠٥، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج ٢ ص ٣٤، المحرر الوجيز: ج ٢ ص ١٨٨، الجامع لأحكام القرآن: ج ٦ ص ١٦٧

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٠٩

(٤) اختلف الفقهاء في اشتراط تتابع الأيام الثلاثة في الصيام، فقال المالكية والشافعية في الأظهر عندهم: لا يشترط التتابع، ولكنه مستحب؛ لإطلاق الآية القرآنية: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ فليس فيها اشتراط التتابع، وقد نسخت هذه الآية القراءةَ الشاذَّة لابن مسعود تلاوة وحكماً، وقال الحنفية والحنابلة: يشترط التتابع بدليل قراءة أُبيّ وعبد الله بن مسعود: (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)، وهذا إن كان قرآناً فهو حُجّة، وإن لم يكن قرآناً فهو رواية عن النبي صلّى الله عليه وسلم، فهو إذاً خبر واحد، وخبر الواحد حُجّة، وتجوز الزيادة في الجملة على الكتاب بخبر واحد. انظر في مذاهب الفقهاء: بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد: ج ١ ص ٣٠٦، شرح مختصر خليل للخرشي: ج ٣ ص ٣٢٨، مغني المحتاج: ج ٤ ص ٣٢٨، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للرملي: ج ٨ ص ١٨٣، المبسوط: ج ٨ ص ١٤٤، بدائع الصنائع: ج ٥ ص ١١١، المغني: ج ١٠ ص ١٥، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي: ج ١١ ص ٤١

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧ ص ٣٠، المحرر الوجيز: ج ٢ ص ٢٣٢

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٤٣٢-٤٣٣) ، وانظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٢٣٣): ج ١ ص ١٨٥

وموضع الشاهد في المثالين أنَّ الإمام النسفي بيَّن حكماً فقهياً في الآية اعتماداً على قراءة شاذَّة.

سابعاً: أثر القراءات في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية:

يوظِّف الإمام النسفي القراءات أحياناً في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية، وأسلوبه في ذلك يندرج – في الأغلب – تحت أساليبه في بيان القول الراجح التي تحدَّثت عنها في الفصل الأول.

– فنجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال النص على القول الراجح بعبارةٍ من عبارات الترجيح؛ ومؤيِّداً القول الراجح بقراءةٍ من القراءات، سواءٌ أكانت متواترةً، أم شاذَّةً، بالإضافة إلى ذكر سبب الترجيح أحياناً .

ومن أمثلة ذلك:

١– في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال:٥٠]

يقول الإمام النسفي في بيان مَنْ يتوفى الذين كفروا: ((...﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بقبض أرواحهم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فاعل ﴿يَضْرِبُونَ﴾ حالٌ منهم ﴿وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلوا ﴿وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا، أو وجوههم عند الإقدام، وأدبارهم عند الانهزام، وقيل في: ﴿يَتَوَفَّى﴾ ضمير الله تعالى، و﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مرفوعة بالابتداء، و﴿يَضْرِبُونَ﴾ خبر، والأوَّل الوجه؛ لأنَّ الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيَهم بلا واسطة؛ دليله قراءة ابن عامر (تتوفى) بالتاء[(١)]...)) [(٢)].

---

(١) انظر في قراءة ابن عامر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٧٧، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ١٣٢

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٥٥

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول بأنَّ الملائكة هي التي تتوفى الكفرة، وذكر دليلاً عقلياً على ذلك، وأيَّد القول بقراءة متواترة.

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات:٢٣]

يقول الإمام النسفي: ((﴿فَقَدَرْنَا﴾ فقدَّرنا ذلك تقديراً ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ فنِعم المقدِّرون له نحن، أو فَقَدَرْنا على ذلك فنِعم القادرون عليه نحن، والأول أحقُّ؛ لقراءة نافع[١] وعليّ[٢] بالتشديد[٣]، ولقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾ [عبس:١٩]))[٤].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح القول الأول، وأيَّد هذا القول بقراءة متواترة واحدة قرأ بها نافع والكسائي، وآيةٍ تشهد للمعنى الذي أيَّده.

- ونجده أحياناً يُرجِّح حملَ المعنى المستفاد من مجموع قراءتين متواترتين؛ ولا يُفسِّر بالمعنى المستفاد من إحدى القراءتين، ويقول: ((والحملُ على هذا أولى)).

ومثال ذلك:

---

(١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم، أحد القراء السبعة والأعلام، ولد سنة (٧٠هـ)، أقرأ الناس دهراً طويلاً نيفاً عن سبعين سنة، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة، وكان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك، صلَّى في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ستين سنة، وقال الليث بن سعد: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة وإمام الناس في القراءة بالمدينة نافع، مات سنة (١٦٩هـ). انظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص (٤٢٢- ٤٢٣)، معرفة القراء الكبار: ج ١ ص (١٠٧-١١١)

(٢) علي بن حمزة بن عبد الله، أبو الحسن الكسائي، الإمام الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيَّات، أحد القراء العشرة، قال فيه الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، وقد ألّف من الكتب: معاني القرآن، كتاب القراءات، كتاب النوادر الكبير والأوسط والأصغر، كتاب مقطوع القرآن وموصوله، وغيرها، مات سنة (١٨٩هـ). انظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص (٢٣٩ -٢٤١)، معرفة القراء الكبار: ج ١ ص (١٢٠-١٢٨)

(٣) (فقدرنا): قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر المدني بتشديد الدال، وغيرهم بتخفيفها. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٣٩٧، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٣٣٤

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٤٧٣

- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢٢]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ مجامعين، أو: ولا تقربوا مجامعتهنَّ ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بالتشديد[١]: كوفي غير حفص، أي: يغتسلن، وأصله: يتطهرن، فأدغمَ التاء في الطاء؛ لقرب مخرجيهما، غيرُهم: يطهُرن[٢]، أي: ينقطع دمُهن، والقراءتان كآيتين، فعملنا بهما وقلنا: له أن يقربَها في أكثر الحيض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل؛ عملاً بقراءة التخفيف، وفي أقلّ منه لا يقربها حتى تغتسل، أو يمضي عليها وقت الصلاة؛ عملاً بقراءة التشديد، والحَمْلُ على هذا أولى من العكس؛ لأنَّه حينئذ يجب تركُ العملِ بإحداهما لما عرف...)) [٣].

فالإمام النسفي هنا يقرر قاعدة من قواعد الترجيح التي نَصَّ عليها العلماء فيما بعد، وهي: اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه.

فقد يختلف المفسرون في تفسير آيةٍ على أقوال، بناءً على اختلاف القراءات الواردة في الآية، فإذا أمكن القول بمقتضى القراءتين، أو القراءات جميعاً، فهو أولى من اختلافها[٤].

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال الاقتصار على قولٍ واحدٍ يُؤيِّده بقراءةٍ متواترةٍ أو شاذَّةٍ، مع أنَّ غيرَه من المفسرين يذكر المعاني المستفادة من كلِّ قراءةٍ واردةٍ في الآية، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول المؤيَّد بقراءةٍ -

---

(١) قرأ حمزة، والكسائي، وخلف، وأبو بكر بتشديد الطاء والهاء، وقرأ الباقون بتخفيفهما. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٢٧، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٤٩

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٢٧، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٤٩

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٧٦

(٤) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص (١٠٠- ١٠٣)

مع وجود أقوالٍ أخرى مؤيَّدةٍ بالقراءات الواردة في الآية – دليلٌ على ترجيحه هذا القول، واختيارِه له.

لذلك نجده أحياناً يفسِّر بقراءةٍ متواترة، ولا يتعرَّض للمعنى على القراءة المتواترة الأخرى، وكأنَّه يرجِّح المعنى على القراءة المتواترة التي فسَّر اعتماداً عليها.

ومثال ذلك:

– في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى:١٦]

يقول الإمام النسفي: ((﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على الآخرة فلا تفعلون ما به تُفلحون، والمخاطَب به الكافرون؛ دليله: قراءة أبي عمرو[1] (يؤثرون) بالياء[2]...)) [3].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ المخاطَب هم الكافرون قولاً واحداً، وأيَّد ذلك بقراءة أبي عمرو (يؤثرون) بالياء، وكأنه هو الراجح عنده؛ بينما ذكر المفسرون بأنَّ المراد بالآية إمَّا الكفرة – على قراءة أبي عمرو (يؤثرون) بالياء – أو جميع الناس من مؤمن وكافر – على قراءة الجمهور (تؤثرون) بالتاء[4] – والمراد بإيثار الكفرة للحياة الدنيا هو الرضا بها، والاطمئنان إليها، والإعراض عن الآخرة بالكلية، والمراد بإيثار جميع الناس من مؤمن وكافر ما هو أعمُّ من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من إيثار جانب الدنيا على الآخرة، والتوجه إلى تحصيل منافعها، والاهتمام بها اهتماماً زائداً على اهتمامه بالطاعات[5].

---

(١) زبان بن العلاء بن عمار، الإمام السيد أبو عمرو البصري، أحد القراء السبعة، ولد سنة (٦٨هـ)، قرأ على جماعة كثيرة، فليس في القراء السبعة أكثر شيوخاً منه، وكان أعلم الناس بالقرآن والعربية، ولقد كانت الشام تقرأ بحرف ابن عامر إلى حدود الخمسمائة فتركوا ذلك؛ لأنَّ شخصاً قدم من أهل العراق وكان يلقِّن الناس بالجامع الأموي على قراءة أبي عمرو، فاجتمع عليه خلق، واشتهرت هذه القراءة عنه، مات سنة (١٥٤هـ). انظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص (١٢٧– ١٢٨)، معجم الأدباء: ج ٣ ص (٣٤٦–٣٤٨)

(٢) انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٤٠٠، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٣٤١

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥١٣

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٤٠٠، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٣٤١

(٥) انظر: فتح القدير للشوكاني: ج ٥ ص ٤٢٥، إرشاد العقل السليم: ج ٩ ص ١٤٦

- كذلك نجده أحياناً يفسِّر بمعنى واحدٍ على قراءةٍ شاذَّةٍ، ولا يتعرَّض للمعاني على القراءة المتواترة، وكأنَّه يرجِّح المعنى على القراءة الشاذَّة.

ومثال ذلك:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه:١٢٨]

يقول الإمام النسفي مبيِّناً الفاعل: ((﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي الله؛ بدليل قراءة زيد[١] عن يعقوب[٢] بالنون[٣]...)) [٤].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ الفاعل هو الله تعالى قولاً واحداً، وأيَّد ذلك بقراءة زيد عن يعقوب (نهد) بالنون، وكأنه هو الراجح عنده، ولم يذكر الخلاف في تحديد الفاعل[٥] الفاعل[٥] على قراءة عامة القرَّاء (يهد) بالياء.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالقول المؤيَّد بقراءةٍ، فعندما يذكر الإمام النسفي الأقوال في تفسير الآية، يبدأ في كثير من المواضع بذكر أحد الأقوال بطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده، كأن يبدأ تفسير الآية بقوله: (أي كذا)، أو يبدأ به التفسير مطلقاً، ويؤيِّد ما بدأ به بقراءةٍ، ثم يذكر باقي الأقوال.

---

(١) زيد بن أحمد بن إسحاق، أبو علي الحضرمي، وهو ابن أخ القارئ يعقوب الحضرمي، وقد روى القراءة عرضاً عنه. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص ١٣٠

(٢) يعقوب بن إسحاق بن زيد، أبو محمد الحضرمي، أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة ومقرئها، كان فاضلاً تقياً زاهداً، قال أبو حاتم السجستاني: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه ومذاهب النحو، وأروى الناس لحروف القرآن ولحديث الفقهاء، مات سنة (٢٠٥هـ). انظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص (٤٤٨- ٤٤٩)، معرفة القراء الكبار: ج ١ ص (١٥٧-١٥٨)

(٣) القراءة بالنون وردت في: المحرر الوجيز: ج ٤ ص ٦٩، زاد المسير: ج ٥ ص ٣٣٣، الكشاف: ج ٣ ص ٩٦، التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزيء: ج ٣ ص ٢١، وعزاها القرطبي في تفسيره إلى عبد الله بن عباس والسلمي أيضاً. انظر: الجامع لأحكام القرآن: ج١١ ص٢٦٠

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٠٦

(٥) انظر الخلاف في تحديد الفاعل: المحرر الوجيز: ج ٤ ص ٦٩، الجامع لأحكام القرآن: ج ١١ ص ٢٦٠

وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام:١٥٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ على مَنْ كان محسناً صالحاً، يريدُ جنسَ المحسنين، دليلُه قراءة عبد الله (على الذين أَحْسَنوا) [(١)]، أو أراد به موسى عليه السلام، أي تتمَّةً للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ في كلِّ ما أُمر به...)) [(٢)].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر:٢٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يستفزُّها خوفٌ ولا حزنٌ، وهي النفسُ المؤمنة، أو المطمئنةُ إلى الحق التي سكَّنها ثلجُ اليقين، فلا يُخالِجها شكٌّ، ويشهد للتفسير الأول قراءةُ أُبيّ (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة) [(٣)]...)) [(٤)].

وموضع الشاهد في المثالين أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسير الآية بقولٍ، ثم أيَّده بقراءةٍ - وهذا دليل على رجحان القول - ثمَّ ذكر الأقوال الأخرى في تفسير الآية.

---

(١) القراءة وردت في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٨ ص ٩٠، الكشف والبيان: ج ٤ ص ٢٠٥، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج ٢ ص ١٤٢، الكشاف: ج ٢ ص ٧٧، مفاتيح الغيب: ج ١٤ ص ٤، الجامع لأحكام القرآن: ج ٧ ص ١٤٣

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٦١

(٣) القراءة وردت في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠ ص ١٩١، الكشف والبيان: ج ١٠ ص ٢٠٣، النكت والعيون تفسير الماوردي: ج ٦ ص ٢٧٢، الكشاف: ج ٤ ص ٧٥٦، مفاتيح الغيب: ج ٣١ ص ١٦٠، الجامع لأحكام القرآن: ج ٢٠ ص ٥٧

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٢٢، وانظر مثلاً: سورة البقرة، الآية (٢٧٩): ج ١ ص ٢١٢، الرعد، الآية (١٦): ج ٢ ص ٣٥٣، سورة الرعد، الآية (٤٣): ج ٢ ص ٣٦٤، سورة العصر، الآية (١): ج ٤ ص ٥٥٥

- وأحياناً عندما يذكر الإمام النسفي الأقوالَ في تفسير الآية نجده يبدأ فيُفسِّر الآية على معنى القراءة المتواترة، وبطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده - كما ذكرت سابقاً - ثم يذكر باقي الأقوال، وربما كان بعض هذه الأقوال مؤيَّداً بقراءة متواترة أو شاذَّة.

وهذا دليلٌ على ترجيحه لما بدأ به، ودليلٌ أيضاً على مرجوحيَّة باقي الأقوال، وإن كانت مؤيَّدةً بقراءة، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه:١٠٢]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فِي ٱلصُّورِ﴾ القَرْنِ، أو هو جمع صُوْرَةٍ، أي: ننفخُ الأرواح فيها، دليلُه قراءة قتادة: الصُّوَر[(١)] - بفتح الواو - جمع صُوْرَةٍ...)) [(٢)].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بدأ ففسَّر الآية على معنى القراءة المتواترة، ثم ذكر قولاً ثانياً مؤيَّداً بقراءةٍ شاذَّة، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به.

والإمام النسفي بذلك يقرر قاعدة من قواعد الترجيح التي نَصَّ عليها العلماء فيما بعد، وهي: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذَّة.

فإذا خالفت القراءةُ الشاذَّة القراءةَ المتواترة في مدلولها، وتعذَّر حمل معنى القراءةِ الشاذَّة على معنى القراءةِ بحيث يتحد معنى القراءتين، فأولى الأقوال بالصواب هو تفسير الآية وحملها على مدلول القراءةِ؛ لأنَّ الشاذ لا يقوى على منازعة الثابت المجمع عليه[(٣)].

٢- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء:١٠٥]

---

(١) انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ج ٢ ص (٥٩، ٢١٢)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٠٠

(٣) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص ١٠٤

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ كتاب داود عليه السلام ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ التوراة ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي الشام ... أو الزبور بمعنى المزبور، أي المكتوب، يعني ما أُنزل على الأنبياء من الكتب، والذِّكرُ أمُّ الكتاب، يعني اللوح؛ لأنَّ الكلَّ أُخذ منه، دليلُه قراءة حمزة وخلف[1] بضم الزاي[2] على جمع الزُّبُر بمعنى المزبور، والأرضُ أرضُ الجنة)) [3].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بدأ ففسَّر الآية على معنى قراءةٍ متواترةٍ، ثم ذكر قولاً ثانياً مؤيَّداً بقراءة متواترة أيضاً، وهذا دليل على رجحان القول المصدَّر به.

- ولكننا أحياناً نجد الإمام النسفي يخالف القاعدة السابقة التي تقول: معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذَّة، فيبدأ تفسير الآية بقول مؤيَّدٍ بقراءة شاذَّة، ثم يُثنِّي بتفسير الآية على معنى القراءة المتواترة، وكأنه يرجِّح القول المؤيد بقراءة شاذَّة على معنى القراءة المتواترة.

ومثال ذلك:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد:٤٣]

قال الإمام النسفي: ((...﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قيل: هو الله عزَّ وجلَّ، والكتابُ: اللوح المحفوظ، دليله قراءة مَنْ قرأ: (ومِنْ عِنْدِه عُلِمَ الكتاب) أي: ومن لدُنِهِ عُلِمَ الكتاب؛ لأنَّ

---

(١) خلف بن هشام بن ثعلب، الإمام العلم، أبو محمد البزار، أحد القرّاء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، ولد سنة (١٥٠هـ)، وكان ثقة، كبيراً، زاهداً، عابداً، عالماً، مات سنة (٢٢٩هـ). انظر في ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء: ج ١ ص ١٢٠، معرفة القراء الكبار: ج ١ ص (٢٠٨-٢١٠)

(٢) قرأ حمزة وخلف بضم الزاي، وقرأ الباقون بفتحها. انظر: النشر في القراءات العشر: ج ٢ ص ٢٥٣، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: ص ٢١٣

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٣٨، وانظر مثلاً: سورة التوبة، الآية (١١٤): ج ٢ ص ٢١٢، سورة الإسراء، الآية (١٦): ج ٢ ص ٤٤٧، سورة المؤمنون، الآية (٣٧): ج ٣ ص ١٧٩، سورة النمل، الآية (٧٨): ج ٣ ص ٣٢٢، سورة غافر، الآية (١٥): ج ٤ ص ١٠٨، سورة الحجرات، الآية (١): ج ٤ ص ٢٤٣، سورة الجن، الآية (٢١): ج ٤ ص ٤٤٢

عِلْمَ مَنْ عَلِمَهُ مِنْ فضله ولطفه، وقيل:﴿وَمَنْ﴾هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا؛ لأنَّهم يشهدون بنعتِه في كتبهم، وقال ابن سلام: فيَّ نزلت هذه الآية، وقيل: هو جبريل عليه السلام...)) [1].

وموضع الشاهد في المثال أنَّ الإمام النسفي بدأ تفسير الآية بقول مؤيَّدٍ بقراءة شاذَّة، ثمَّ ذكر قولين آخرين في تفسير الآية على معنى القراءة المتواترة، وكأنه يرجِّح القول المؤيد بقراءة شاذَّة؛ لأنه بدأ به.

وبعد كلامي عن أثر القراءات في التفسير عند الإمام النسفي أكون قد أنهيت الكلام عن الترجيح بالقرآن الكريم وقراءاته، وسأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بالسنَّة المطهرة وهذا ما خصِّص له الفصل الآتي.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٣٦٤

الفصل الثالث

الترجيح بالسنّة المطهرة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالسنّة، وأهمية السنّة في التفسير، وأوجه بيانها للقرآن الكريم.

المبحث الثاني: الترجيح بالسنّة المطهرة عند الإمام النسفي.

المبحث الأول

تعريف تفسير القرآن بالسنّة، وأهمية السنّة في التفسير، وأوجه بيانها للقرآن الكريم

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تعريف تفسير القرآن بالسنَّة، وأهمية السنَّة النبوية في التفسير، وأوجُه بيان السنَّة المطهرة للقرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالسنَّة:

قبل أن أتكلم عن تعريف تفسير القرآن بالسنَّة لا بدَّ من تعريف السنَّة لغة واصطلاحاً.

أولاً- تعريف السنّة لغة:

السُّنَّة لغةً: هي الطريقةُ، والسِّيرةُ حسنةً كانت أو قبيحةً[(١)]، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: « من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجر مَنْ عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّةً سيئةً كان عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ »[(٢)].

ثانياً- تعريف السنة اصطلاحاً:

السنَّة في اصطلاح المحدِّثين: هي ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خِلْقِيَّة أو خُلُقِيَّة أو سيرةٍ، سواءٌ كان ذلك قبل البعثة أو بعدها[(٣)]، وهي بهذا ترادف الحديث عند بعضهم[(٤)].

وفي اصطلاح الأصوليين: هي ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير القرآن من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ[(١)].

---

(١) انظر: لسان العرب: ج ١٣ ص ٢٢٥، المصباح المنير: ج ١ ص ٢٩٢

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله البَجَلي: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار: رقم الحديث (١٠١٧)، ج ٢ ص ٧٠٥

(٣) انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث لمحمد جمال الدين القاسمي: ص (٦١-٦٤)

(٤) انظر: فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي: ج ١ ص ٢٢، شرح نخبة الفكر: ص ١٥٣

ويُطلق لفظ السنَّة أيضاً على ما عمله الصحابة – رضوان الله عليهم – سواءٌ أَوُجِد ذلك في الكتاب أو السنَّة، أم لم يُوجد لكونه اتباعاً لسنَّة ثبتت عندهم لم تُنقل إلينا، أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم، كما فعلوا في جمع المصحف، وحمل الناس على القراءة حرف واحد، وتدوين الدواوين، وما أشبه ذلك، ويدلُّ على هذا الإطلاق قوله عليه الصلاة والسلام: « عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين »[٢].

وفي اصطلاح الفقهاء: هي ما واظب على فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع تركٍ ما بلا عذر[٣]، أو: هي الطريقة المسلوكة في الدِّين من غير لزوم على سبيل المواظبة [٤].

ويعود هذا الاختلاف في الاصطلاح بين العلماء إلى اختلافهم في الأغراض التي يُعنى بها أهل كلِّ فن.

فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمامِ الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أُسوةٌ لنا وقدوة، فنقلوا كلَّ ما يتصل به من سيرة وخُلُقٍ وشمائل وأخبار وأقوال وأفعال، سواءٌ أَثْبَتَ ذلك حُكْماً شرعيَّاً أم لا.

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرِّعِ الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويُبَيِّنُ للناس دستور الحياة، فاهتموا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تُثبتُ الأحكام وتقرِّرها.

---

(١) انظر: شرح التلويح على التوضيح: ج ٢ ص ٣، إرشاد الفحول: ص ٦٨

(٢) انظر: الموافقات: ج ٤ ص (٤-٦)، والحديث أخرجه أبو داود في سننه من حديث العرباض بن سارية: كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة: رقم الحديث (٤٦٠٧)، ج ٤ ص ٢٠٠، وأخرجه ابن ماجه في سننه: باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين المهديين: رقم الحديث (٤٢)، ج ١ ص ١٥، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة واجتناب البدع: رقم الحديث (٢٦٧٦)، ج ٥ ص ٤٤، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح))، وقال الحاكم في المستدرك: ((هذا حديث صحيح ليس له علة)). المستدرك على الصحيحين: ج ١ ص ١٧٤

(٣) انظر: التقرير والتحبير: ج ٢ ص ٢٩٧، إرشاد الفحول: ص ٦٨

(٤) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم الحنفي: ج ١ ص ١٧

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا تخرج أفعالُه عن الدلالة على حُكمٍ شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو حرمةً أو إباحةً أو غير ذلك[1].

والمراد بالسنَّة في هذا المبحث ما اصطلح عليه علماء الأصول حيث قالوا: هي ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ؛ لأنَّ الترجيح بسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بقوله أو بفعله أو بتقريره، ولا مدخل للصفات الخِلْقيَّة أو الخُلُقيَّة في هذا الباب.

وبعد تعريف السنَّة لغة واصطلاحاً أعود إلى تعريف تفسير القرآن بالسنَّة، فأقول:

تفسير القرآن بالسنَّة النبوية طريق من أحسن طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن كما ذكر العلماء[2]، والمراد به اصطلاحاً هو: بيان القرآن بالسنَّة، أي: بيان بعض آيات القرآن بما ورد في السنَّة المطهرة؛ لأنَّها الشارحة والمبيِّنة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤].

وبناءً على ما سبق نستطيع أن نُعرِّف ترجيح تفسير القرآن بالسنَّة بأنه: تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية بما جاء في السنَّة المطهرة من البيان والتفصيل لبعض آيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أهمية السنّة النبوية في التفسير:

لقد خصَّ الله سبحانه وتعالى هذه الأمَّة بالقرآن الكريم، المنَزَّل على قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وجعل فيه أسبابَ فلاحها وسعادتها في الدنيا والآخرة، وذلك كلُّه متوقفٌ على العمل بمضمون القرآن بعد فهم معاني آياته، لذلك تكفَّل الله جلَّ جلاله ببيان القرآن

(١) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي: ص (٤٨-٤٩)

(٢) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٩، تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٤، البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٧٥

وتوضيحه لعباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة:١٧- ١٩]

وكانت وظيفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بيانَ القرآن الكريم، وتوضيحَ معاني آياته، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، وكلامه – صلى الله عليه وسلم – وحيٌ من عند الله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم:٣-٤]

وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه الكرام – رضوان الله عليهم – الكثيرَ من معاني القرآن الكريم، سواءٌ أكان ذلك بسؤالٍ منهم، أم ابتداءً منه صلى الله عليه وسلم؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم فيه المجمَل، والمشكِل، والمتشابه، وغير ذلك مما يُشكل على الصحابة فهمه، ولا تتحقق معرفته إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

والسُّنَّة النَّبوية المطهَّرة لها أهميةٌ بالغةٌ في التفسير، فالعلمُ بها من العلوم التي يحتاجها المتصدِّر لتفسير كتاب الله(٢)،قال ابن جزيء(٣) في مقدمة تفسيره وهو يتكلم عن فنون العلم التي تتعلق بالقرآن الكريم، وعدَّ منها علمَ الحديث: ((وأمَّا الحديث، فيحتاج المفسِّر إلى روايته وحفظه لوجهين: الأول: أنَّ كثيراً من الآيات في القرآن نزلت في قومٍ مخصوصين، ونزلت

(١) انظر: التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٣٣، ٤٥، ٥٣)

(٢) وهي خمسة عشر علماً: اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة: البديع والمعاني والبيان، وأصول الدين، والفقه، وأصول الفقه، وأسباب النزول والقصص، والأحاديث المبيِّنة لتفسير المبهم والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وعلم الموهبة. انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص (٤٧٧-٤٧٩)

(٣) الإمام محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي الغرناطي، المالكي، أبو القاسم، كان له باع في كل العلوم من: عربية وفقه وأصول وقراءات وتفسير وحديث وأدب، ولد سنة (٦٩٣هـ)، ومن مصنفاته: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، التسهيل لعلوم التنزيل، تقريب الوصول إلى علم الأصول، المختصر البارع في قراءة نافع... وغيرها، مات سنة (٧٤١هـ)، انظر في ترجمته: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني: ج ٥ ص (٥١٤ – ٥١٦)، الدرر الكامنة: ج ٥ ص (٨٨ – ٨٩)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا: ج ٣ ص ٢٨٨

بأسبابِ قضايا وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوات، والنوازل، والسؤالات، ولا بدَّ من معرفة ذلك؛ ليعلم فيمن نزلت الآية، وفيما نزلت، ومتى نزلت، فإنَّ الناسخ يُبنى على معرفة تاريخ النزول؛ لأنّ المتأخر ناسخ للمتقدم.

الثاني: أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من تفسير القرآن، فيجب معرفته؛ لأنَّ قوله عليه السلام مقدَّم على أقوال الناس))[1].

وعندما تكلم – أيضاً – في مقدمة تفسيره عن أسباب اختلاف المفسرين، والوجوه التي يُرجَّح بها، عدَّ الترجيح بحديث النبي صلى الله عليه وسلم الوجهَ الثاني من وجوه الترجيح بعد الترجيح بتفسير القرآن بالقرآن[2].

لذلك ذَكَرَ العلماء بأنَّ المفسِّرَ يطلب تفسير الكتاب العزيز أولاً من القرآن، وثانياً من سنَّة المصطفى العدنان عليه الصلاة والسلام، وهذا التسلسل في طلب تفسير القرآن هو من أحسن طرق التفسير، قال ابن تيمية: ((فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إنَّ أصحَّ الطُّرق في ذلك أن يُفسَّر القرآنُ بالقرآن... فإن أعياك ذلك فعليك بالسنَّة؛ فإنَّها شارحةٌ للقرآن، وموضِّحةٌ له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: كلُّ ما حَكَمَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ممّا فَهِمَهُ من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل:٤٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ج ١ ص ٧

(٢) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٩

ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل:٦٤]، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ألا إني أوتيت القرآن، ومثلَه معه »[١] يعني: السُّنَّة...))[٢].

المطلب الثالث: أوجه بيان السنَّة المطهرة للقرآن الكريم[٣]:

إنَّ الناظر في القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية الشريفة، يجد فيهما ما يدلُّ على أنَّ مركزَ السنَّة النبوية من القرآن، مركزُ المبيِّن من المبيَّن، فقد قال الله تعالى في قرآنه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، قال ابن جزيء في تفسير هذه الآية: ((﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾ يعني القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ يحتمل أن يريد: لِتُبَيِّن القرآنَ بِسَرْدِكَ نصَّه، وتعليمِه للناس، أو لِتُبَيِّن معانيه، بتفسير مُشْكِلِه، فيدخل في هذا ما بيَّنته السنَّة من الشريعة))[٤].

وسبق أيضاً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: « ألا إني أُوتيتُ الكتابَ، ومثلَه معه »، قال الخطابي[٥] في "معالم السنن": ((قوله: « أُوتيت الكتابَ، ومثلَه

---

(١) أخرجه الطبراني بهذا اللفظ في: مسند الشاميين: رقم الحديث (١٠٦١)، ج ٢ ص ١٣٧، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »، رقم الحديث (١٧٢١٣)، ج ٤ ص ١٣٠، وأشار الإمام العجلوني إلى صحته عندما ردَّ حديث « إذا سمعتم عني حديثاً فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فاقبلوه، وإلا فردُّوه »، حيث قال فيه: ((لم يثبت فيه شيء، وهذا الحديث من أوضع الموضوعات، بل صحَّ خلافه: « ألا إني أوتيت القرآن، ومثله معه »، وجاء في حديث آخر صحيح: « لا أُلفين أحدَكم متكئاً على متكئٍ يصل إليه عني حديث، فيقول: لا نجد هذا الحكم في القرآن، ألا وإني أوتيت القرآن، ومثله معه »)). انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني: ج ٢ ص ٥٦٩، وأخرجه أيضاً الإمام أبو داود في سننه بلفظ: « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه »، كتاب السُّنَّة، باب في لزوم السُّنَّة، رقم الحديث (٤٦٠٤)، ج ٤ ص ٢٠٠

(٢) مقدمة في أصول التفسير: ص (٣٩-٤٠)

(٣) انظر: الرسالة للشافعي: ص٩٠ وما بعدها، التفسير والمفسرون: ج ١ ص (٥٥-٥٧)، مناهل العرفان: ج ٢ ص (٤٥-٤٦)

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ج ٢ ص ١٥٤

(٥) الإمام حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطَّاب، أبو سليمان الخطَّابي البستي، كان إماماً في الفقه والحديث واللغة، ولد سنة (٣١٧هـ)، ومن تصانيفه: معالم السنن: وهو شرح سنن أبي داود، وله غريب الحديث، وشرح الأسماء الحسنى=

معه »، يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما: أن يكون معناه: أنه أُوتي من الوحي الباطنِ غيرِ المتلوِّ مثل ما أُعطي من الظاهر المتلوِّ، ويحتمل أن يكون معناه: أنه أوتي الكتاب وحياً يُتلى، وأُوتي من البيان، أي: أذن له أن يُبيِّن ما في الكتاب، ويعمُّ ويخصُّ، وأن يزيدَ عليه، فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكرٌ، فيكون ذلك في وجوب الحكم، ولزوم العمل به، كالظاهر المتلوِّ من القرآن))[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم أُذِنَ له أن يُبيِّن معاني آيات القرآن، وأن يعمُّ ويخصُّ، وأن يزيدَ عليه؛ فيشرعَ ما ليس له في القرآن ذكرٌ، ثم يكون بعد ذلك واجب الاتباع كالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]

فمِن كلِّ ما سبق يتبيَّن لدينا مقدار ارتباط السنَّة المطهرة بالقرآن الكريم، فهي الشارحة والمبيِّنة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ إنَّ أوجه بيان السنَّة للقرآن الكريم عدة، وهي:

- الوجه الأول، وفيه:

١- بيان المجْمَل في القرآن: ومثال ذلك: بيان النبي صلى الله عليه وسلم لمواقيتِ الصلوات الخمس، وعددِ ركعاتها، وكيفيتها، وبيانُه لمقادير الزكاة، وأوقاتها، وأنواعها، وبيانُه لمناسك الحج، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: « خُذُوا عنِّي مناسككم »[2]، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: « صلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي »[1].

= وكتاب العزلة، وكتاب الغنية عن الكلام وأهله، وغير ذلك، مات سنة (٣٨٨هـ)، انظر في ترجمته: الأنساب: ج ٢ ص ٣٨٠، طبقات الشافعية الكبرى: ج ٣ ص ٢٨٢

(١) معالم السنن للخطابي: ج ٤ ص ٢٩٨

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى بهذا اللفظ عن جابر رضي الله عنه، وتتمَّته: « لعلي لا أراكم بعد عامي هذا »، جماع أبواب دخول مكة، باب: الإيضاع في وادي محسر: رقم الحديث (٩٣٠٧)، ج ٥ ص ١٢٥، وأخرجه النسائي في المجتبى من السنن بلفظ: « أيها الناس خذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد عامي هذا »: كتاب مناسك الحج، باب الركوب إلى الجِمَارِ واستِظْلَالِ المحرم: رقم الحديث (٣٠٦٢)، ج ٥ ص ٢٧٠، أمَّا الإمام مسلم فقد أخرجه في صحيحه بلفظ: « لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحجُّ بعد حجتي هذه »: كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً، وبيان قوله صلى الله عليه وسلم: لتأخذوا مناسككم، رقم الحديث=

وقد روى عبد الله بن المبارك عن عمران بن حصين[٢] أنه قال لرجل: ((إنك أحمق، أتجد لظُهرٍ في كتاب الله أربعاً لا يُجهَر فيها بالقراءة؟ ثم عدَّد عليه الصلاة، والزكاة، ونحو ذلك، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله تعالى مُفسَّراً؟ إنَّ كتاب الله تعالى أبهم هذا، وإنَّ السنَّة تُفسِّر هذا))[٣] .

٢- توضيح المشْكِل: ومثال ذلك: تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للخيط الأبيض والخيط الأسود في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧]، بأنه بياضُ النهار، وسوادُ الليل، وذلك عندما أشكل على أحد الصحابة [٤] فهمُ المراد بالخيطين الأبيض والأسود.

=(١٢٩٧)، ج ٢ ص ٩٤٣، وهذا الحديث كلُّه صحيح –كما قال ابن الملقِّن – فهو في صحيح مسلم، وإسناده صحيح في رواية البيهقي، ورواه النسائي من حديث جابر كذلك. انظر: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير لابن الملقِّن: ج ٦ ص ١٨٣، تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج لابن الملقِّن: ص ٤٢

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأذان، باب الأذان للمُسافر إذا كانوا جماعةً والإقامةِ، وكذلك بعرفة وجَمْعٍ، وقول المؤذِّن: الصَّلَاةُ في الرِّحالِ في الليلة الباردة أو المطيرة: رقم الحديث (٦٠٥)، ج ١ ص ٢٢٦، وكذلك أخرجه في: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم: رقم الحديث (٥٦٦٢)، ج ٥ ص ٢٢٣٨، وكذلك في: كتاب التمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام...: رقم الحديث (٦٨١٩)، ج ٦ ص ٢٦٤٧

(٢) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، أبو نُجيد، أسلم عام خيبر، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، ابتلاه الله بالمرض فصبر، وكان يرى الملائكة الحفظة، وكانت تُكلِّمه حتى اكتوى، سكن البصرة، ومات بها سنة (٥٢هـ) في خلافة معاوية، وكان أفضل من نزل بها. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٤ ص ٧٠٥، الاستيعاب: ج ٣ ص ١٢٠٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ج ١ ص ٣٩

(٤) والصحابي هو عديُّ بن حاتم رضي الله عنه، روى الإمام مسلم في صحيحه: عن عديِّ بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ قال له عديُّ بن حاتم: يا رسول الله إني أجعل تحت وسادتي عِقَالين: عقالاً أبيض، وعقالاً أسود، أعرف الليلَ من النهار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ وسادتك لعريض، إنما هو سواد الليل، وبياض النهار ». صحيح مسلم: كتاب الصيام، باب بيان أنَّ=

٣- **تخصيص العام:** ومثال ذلك: قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا يُجمع بين المرأة وعمَّتها، ولا بين المرأة وخالتها »[(١)]، فإنه مخصِّص لقول الله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢٤] بعد ذِكْرِ المحرَّمات من النساء في الآية التي قبلها.

وكذلك تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم الظلمَ بالشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢]، حيث لما نزلت هذه الآية، شقَّ ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وفَهِمَ بعضُهم أنَّ الظلمَ مراد منه العموم، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣] »[(٢)] .

٤- **تقييد المطلق:** ومثال ذلك: بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ القطع في حال السرقة يكون لليد اليمنى أولاً، ويكون القطع من الرسغ، وفي هذا البيان النبوي تقييد للإطلاق في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]؛ لأنَّ معنى قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: فاقطعوا يدَ كلِّ سارقٍ، ويدَ كلِّ سارقةٍ، واليد يُحتمل أن تكون اليمنى، ويُحتمل أن تكون اليسرى؛ ولكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قيَّد الإطلاق

=الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر... : رقم الحديث (١٠٩٠)، ج ٢ ص ٧٦٦، وأخرج الإمام البخاري نحوه في صحيحه: كتاب الصوم، باب: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ﴾ : رقم الحديث (٤٢٤٠)، ج ٤ ص ١٦٤٠

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: النكاح، باب لا تُنكح المرأة على عمتها: رقم الحديث (٤٨٢٠)، ج ٥ ص ١٩٦٥، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها في النكاح: رقم الحديث (١٤٠٨)، ج ٢ ص ١٠٢٨

(٢) سبق تخريجه في الصفحة ١٨٠

فقطع اليمنى[1]، وكذلك كلمة اليد تُطلق على العضو من رؤوس الأصابع إلى الإبط، ولكنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قيَّد الإطلاق فقطع من الرسغ[2]، وخالف الخوارج فقطعوا من المنكب[3].

- الوجه الثاني:

بيان معنى لفظٍ أو مُتَعَلَّقِهِ: كتفسير قولِه تعالى: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ باليهود، وقولِه تعالى: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ بالنصارى[4].

---

(١) فقد روي: « أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بسارق، فقطع يمينه »، وهذا الحديث أخرجه البغوي عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة في "معجم الصحابة": ج ٢ ص ٨٩، ثم قال البغوي: ((وهذا الحديث أخرجه هارون في المسند، ولا أحسب للحارث بن عبد الله صحبة)). اهـ. والحديث أيضاً أخرجه أبو نعيم الأصبهاني عن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة في "معرفة الصحابة": ج ٢ ص (٨١٠-٨١١)، قال ابن الملقِّن: ((حديث: « أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتي بسارق، فقطع يمينه »، رواه البغوي في معجمه من حديث حارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وكذلك أبو نعيم في "المعرفة"، ثم قال: وروي عنه عن أبيه عن عمر. قلت: وفي كلاهما عبد الكريم بن المحارب المتروك)). اهـ. خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي لابن الملقِّن: ج ٢ ص ٦٧١

(٢) أخرج الدارقطني في سننه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان صفوان بن أمية بن خلف نائماً في المسجد، ثيابه تحت رأسه، فجاء سارق فأخذها، فأُتي به النبي صلى الله عليه وسلم، فأقرَّ السارق، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع، فقال صفوان: يا رسول الله أُيقطع رجل من العرب في ثوبي؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أفلا كان هذا قبل أن تجيء به، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشفعوا ما لم يتصل إلى الوالي، فإذا أُوصل إلى الوالي فعفا، فلا عفا الله عنه، ثم أمر بقطعه من المفصل ». سنن الدارقطني: كتاب الحدود والديات وغيره: رقم الحديث (٣٦٣)، ج ٣ ص ٢٠٤، قال الزيلعي في "نصب الراية" بعد سرد هذا الحديث: ((وضعَّفه ابن القطَّان في كتابه، فقال: العَرْزَمِيُّ متروكٌ، وأبو نُعيم عبد الرحمن بن هانئ النخعي لا يتابع على ما له من حديث)). اهـ. نصب الراية لأحاديث الهداية للزيلعي: ج ٣ ص ٣٧٠

(٣) انظر: شرح فتح القدير: ج ٥ ص ٣٩٤، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ٢ ص ٣٢٣

(٤) فقد روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعديِّ بن حاتم: « المغضوب عليهم: اليهود، والنصارى: هم الضالون »، والحديث أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة فاتحة الكتاب: رقم الحديث (٢٩٥٣)، ج ٥ ص (٢٠٢- ٢٠٣)، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث سِمَاك بن حرب)). اهـ، وقال الهيثمي: ((رواه أحمد، والطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عماد بن حبيش، وهو ثقة)). مجمع الزوائد: ج ٦ ص ٢٠٨

وكتفسير قوله تعالى: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ﴾ [البقرة:٥٨-٥٩] بأنَّ بني إسرائيل بدَّلوا الفعل والقول، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبَّةٌ في شعرة[١].

- الوجه الثالث:

أن تكون السنَّة مُثبِتَةً ومنشئة أحكاماً سكت عنها القرآن، فتكون هذه الأحكام ثابتة بالسنَّة، ولا يدلُّ عليها نص القرآن، كتحريم نكاح المرأة على عمَّتها وخالتها، وزكاة الفطر[٢]، ورجم الزاني المحصن[٣]، وتحريم لحوم الحمر الأهلية[١]، وغير ذلك من الأحكام المبثوثة في كتب الفروع.

---

(١) فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ﴾ فبدَّلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة »، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ...﴾: رقم الحديث (٤٢٠٩)، ج ٤ ص ١٦٢٧، وكذلك في كتاب التفسير، باب: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾: رقم الحديث (٤٣٦٥)، ج ٤ ص ١٧٠١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب التفسير: رقم الحديث (٣٠١٥)، ج ٤ ص ٢٣١٢

(٢) زكاة الفطر ثبتت بأحاديث منها – مثلاً – ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على كل حرٍّ، أو عبدٍ، ذكرٍ أو أنثى من المسلمين »، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على العبد وغيره من المسلمين: رقم الحديث (١٤٣٣)، ج ٢ ص ٥٤٧، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير: رقم الحديث (٩٨٤)، ج ٢ ص ٦٧٧

(٣) أيضاً رجم الزاني المحصن ثبت بأحاديث منها – مثلاً – ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيِّبُ الزاني، والنفْسُ بالنفْسُ، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة »، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ

- الوجه الرابع:

بيان النسخ: كأن يُبيِّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ آيةَ كذا نُسِخَت بكذا، أو أنَّ حكمَ كذا نُسِخ بكذا، فقوله صلى الله عليه وسلم: « لا وصية لوارث »[٢]، بيانٌ منه صلى الله عليه وسلم أنَّ آيةَ الوصيَّة للوالِدَين والأقربين – وهي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة:١٨٠] – منسوخٌ حُكمها، وإن بقيت تلاوتها.

بِالْعَيْنِ ...﴾: رقم الحديث (٦٤٨٤)، ج ٦ ص ٢٥٢١، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب القَسَامة والمحاربينَ والقِصاص والدِّيات، باب ما يباح به دم المسلم: رقم الحديث (١٦٧٦)، ج ٣ ص ١٣٠٢

(١) وكذلك تحريم لحوم الحمر الأهلية ثبت بأحاديث منها – مثلاً – ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية »، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر: رقم الحديث (٣٩٨٠)، ج ٤ ص ١٥٤٤، وأخرج الإمام مسلم نحوه في صحيحه: كتاب الصَّيد والذَّبائح وما يُؤكَلُ من الحيوان، باب تحريم أَكْلِ لحم الحُمُرِ الإنسيَّة: رقم الحديث (٥٦١)، ج ٣ ص ١٥٣٨

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث: رقم الحديث (٢٧١٣)، ج ٢ ص ٩٠٥، رقم الحديث (٢٧١٤)، ج ٢ ص ٩٠٦، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث: رقم الحديث (٢١٢٠)، ج ٤ ص ٤٣٣، رقم الحديث (٢١٢١)، ج ٤ ص ٤٣٤، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح)). اهـ، وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث: رقم الحديث (٢٨٧٠)، ج ٣ ص ١١٤، وفي كتاب الإجارة، باب في تضمين العارية: رقم الحديث (٣٥٦٥)، ج ٣ ص ٢٩٦، وأخرجه النسائي في المجتبى من السنن: كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية للوارث: رقم الحديث (٣٦٤١-٣٦٤٢-٣٦٤٣)، ج ٦ ص ٢٤٧، وذكر ابن حجر في "فتح الباري" طرق الحديث المختلفة، وقال: ((ولا يخلو إسناد كلٍّ منها عن مقال؛ لكنَّ مجموعها يقتضي أنَّ للحديث أصلاً، بل جنح الشافعي في "الأم" إلى أنَّ هذا المتن متواترٌ، فقال: وجدنا أهل الفتيا، ومن حفظنا عنهم من أهل العلم بالمغازي من قريش، وغيرهم لا يختلفون في أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح: « لا وصية لوارث »، ويؤثرون عمَّن حفظوه عنه ممن لقوه من أهل العلم، فكان نقلَ كافةٍ عن كافةٍ، فهو أقوى من نقل واحد)).اهـ. فتح الباري: ج ٥ ص ٣٧٢، وقال ابن حجر في "التلخيص الحبير": ((حديث: « لا وصية لوارث »، وأعاده بزيادة: « إنَّ الله قد أعطى كل ذي حق حقه » أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجة من حديث أبي أمامة باللفظ التام، وهو حسن الإسناد، وكذا رواه أحمد والترمذي، والنسائي، وابن ماجة من حديث عمرو بن خارجة، ورواه ابن ماجة من حديث سعيد بن أبي سعيد عن أنس)). اهـ. التلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر: ج ٣ ص ٩٢

وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: « البِكرُ بالبِكرِ جَلْدُ مائةٍ، ونفي سنة، والثَّيِّبُ بالثَّيِّب جلد مائةٍ، والرَّجم » [(١)]، بيانٌ منه صلى الله عليه وسلم لنسخ الحكم المستفاد من الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [(٢)][النساء:١٥].... وغير هذا كثير.

- الوجه الخامس:

بيان التأكيد: وذلك بأن تأتي السُّنَّة النبوية المطهرة موافقةً لما جاء به القرآن الكريم من أحكام، ويكون القصدُ من ذلك تأكيدَ الحكم الثابت بالقرآن الكريم، وتقويَّتَه، وذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «لا يحل مال امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب نفسٍ منه »[(٣)]،

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الحدود، باب حد الزنى: رقم الحديث (١٦٩٠)، ج ٣ ص ١٣١٦

(٢) قال ابن كثير: ((كان الحكم في ابتداء الإسلام، أنَّ المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة، حُبست في بيت فلا تُمكَّن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ ﴾ يعني الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ فالسبيل الذي جعله الله هو الناسخ، لذلك قال ابن عباس رضي الله عنه: كان الحكم لذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخها بالجلد أو الرجم. وكذا روي عن عكرمة، وسعيد بن جبير، والحسن، وعطاء الخراساني، وأبي صالح، وقتادة، وزيد بن أسلم، والضحاك أنها منسوخة، وهو أمرٌ متفق عليه)). اهـ. تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٤٦٣

(٣) أخرجه بهذا اللفظ: أبو يعلى في مسنده: رقم الحديث (١٥٧٠)، ج ٣ ص ١٤٠، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة": رقم الحديث (٢٢٨٧)، ج ٢ ص ٨٨٣، رقم الحديث (٧١١٩)، ج ٦ ص ٣٠٨١، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب الغصب، باب من غصب لوحاً، فأدخله في سفينة، أو بنى عليه جداراً: رقم الحديث (١١٣٢٥)، ج ٦ ص ١٠٠، والدارقطني في سننه: كتاب البيوع: رقم الحديث (٩٢)، ج ٣ ص ٢٦، والإمام أحمد في مسنده: رقم الحديث (٢٠٧١٤)، ج ٥ ص ٧٢، وأخرجه بألفاظ مقاربة وبنفس المعنى: الإمام أحمد في مسنده: رقم الحديث (٢١١١٩)، ج ٥ ص ١١٣، وأبو نعيم في "معرفة الصحابة": رقم الحديث (٥٠١٤)، ج ٤ ص ١٩٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى: كتاب الغصب، باب لا يملك أحد بالجناية شيئاً جنى عليه إلا أن يشاء هو والمالك: رقم الحديث (١١٣٠٤)، ج ٦ ص ٩٦، وفي كتاب قتال أهل البغي، باب أهل البغي إذا فاءوا لم يُتبع مدبرهم، ولم يُقتل أسيرهم، ولم يُجهز على جريحهم، ولم يُستمتع بشيء من أموالهم: رقم الحديث (١٦٥٣٣)، ج ٨ ص

فهذا الحديث الشريف يوافق قولَ الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ [النساء:٢٩].

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: « فاتقوا الله في النساء، فإنَّكم أخذتموهُنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله » [(١)]، فإنه موافق لقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ [النساء:١٩].

= ١٨٢، وابن حبان في صحيحه: كتاب الجنايات، ذكر الخبر الدال على أنَّ قوله صلى الله عليه وسلم: « إنَّ أموالكم حرام عليكم » أراد به بعض الأموال لا الكل: رقم الحديث (٥٩٧٨)، ج ١٣ ص ٣١٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين: كتاب العلم: رقم الحديث (٣١٨)، ج ١ ص ١٧١، وقال ابن الملقِّن: ((حديث: « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه » رواه الدارقطني من رواية أنس، وابن عباس، وأبي حرَّة الرقاشي عن عمه، وعمرو بن يثربي، ورواه البيهقي في خلافياته من رواية أبي حُميد الساعدي، وعبد الله بن السائب عن أبيه عن جده، وقال: إسناده هذا حسن. قال: وحديث أبي حرَّة يُضم إليه حديث عكرمة، وعمر بن يثربي فيَقوى. قلت: ورواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ: لا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس. ثم قال: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، ومسلم بأحاديث أبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم)). خلاصة البدر المنير: ج ٢ ص ٨٨، وانظر: التلخيص الحبير: ج ٣ ص (٤٥- ٤٦)

(١) وهذا جزء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجَّة الوداع، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم: رقم الحديث (١٢١٨)، ج ٢ ص ٨٨٩

المبحث الثاني

الترجيح بالسنّة المطهرة عند الإمام النسفي

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تفسير القرآن بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي، وأسلوب الترجيح بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي.

المطلب الأول: تفسير القرآن بالسنّة النبوية عند الإمام النسفي:

اعتمد الإمام النسفي في تفسير القرآن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أجل بيان معنى كلمةٍ، أو جملةٍ في الآية، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه، وأحياناً يتجاوز ذلك القَدْر، فبعد تفسيره للآية يسرد أحاديث تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه، كما أنَّه يعتمد على أحداث السيرة النبوية ويستشهد بها؛ من أجل توضيحِ معنى الآية وفهمِها بشكل كامل.

- فمن أمثلة اعتماد الإمام النسفي على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان معنى كلمة في الآية:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة:٧٩]

يقول الإمام النسفي مُبيِّناً معنى كلمة (ويل)، معتمداً على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((﴿فَوَيْلٌ﴾ في الحديث: « ويلٌ وادٍ في جهنم »[1]))[1].

---

(١) والحديث روي مرفوعاً عن أبي سعيد الخدري، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة الأنبياء عليهم السلام: رقم الحديث (٣١٦٤)، ج ٥ ص ٣٢٠، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن لهيعة)).اهـ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه: باب صفة النار وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف الويل الذي أعده الله جلَّ وعلا لمن حاد عنه، وتكبر عليه في الدنيا: رقم=

- كذلك نجد الإمام النسفي يعتمد على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيان معنى جملة في الآية.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة:١٨٧]

يقول الإمام النسفي مُبيِّناً معنى الخيط الأبيض والخيط الأسود، معتمداً على بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ هو أولُ ما يبدو من الفجر المعترِض في الأفق كالخيط الممدود ﴿مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ وهو ما يمتدُّ من سواد الليل، شُبِّها بخيطين أبيضَ وأسودَ؛ لامتدادهما... وعن عديِّ بن حاتم[٢] قال: عمدتُ إلى عقالين أبيضَ وأسودَ، فجعلتُهما تحت وسادتي، فنظرت إليهما، فلم يتبيَّن لي الأبيضُ من الأسود، فأخبرتُ النبي عليه السلام بذلك، فقال: « إنك لعريض القفا... إنما ذلك بياضُ النهار وسوادُ الليل »[٣]...))[١].

=الحديث (٧٤٦٧)، ج ١٦ ص ٥٠٨، وأخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الأهوال: رقم الحديث (٨٧٦٤)، ج ٤ ص ٦٣٩، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه)).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٠٣، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٣٨، ٤١١)، ج ٢ ص ٢٤٥، ج ٤ ص (٢٥١، ٤١٩، ٤٥٣)

(٢) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، الجواد بن الجواد، أبو طريف، صحابي شهير، كان نصرانياً قبل إسلامه، وكان ممن ثبت في الردة، وحضر فتوح العراق، وحروب علي كرَّم الله وجهه، مات سنة (٦٨هـ)، وقيل سنة (٦٧هـ)، وقيل سنة (٦٦هـ).انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص (١٦٢-١٦٥)، الإصابة: ج ٤ ص (٤٦٩-٤٧١)

(٣) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الصيام، باب بيان أنَّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر: رقم الحديث (١٠٩٠)، ج ٢ ص ٧٦٦، والإمام البخاري في صحيحه: كتاب الصوم، باب: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾: رقم الحديث (٤٢٤٠)، ج ٤ ص ١٦٤٠

- كذلك نجد الإمام النسفي يُؤكِّد المعنى الذي فسَّر به، ويُقوِّيه معتمداً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾ [البقرة:٢]

يقول الإمام النسفي: ((... وإنما قيل: هدىً ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ والمتقون مهتدون؛ لأنَّه كقولك للعزيز المكرَّم: أعزَّك الله وأكرمك، تريد طلبَ الزيادة على ما هو ثابت فيه واستدامتَه، كقوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة:٦]، ولأنَّه سمَّاهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين، كقوله عليه السلام: « من قتل قتيلاً فله سلبه »[٢]...))[٣].

موضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي أكَّد أنَّ المشارف للشيء يُسمَّى باسمه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً بعد تفسيره للآية يسرد أحاديث تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه.

ومثال ذلك:

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٥٥، وانظر مثلاً: ج ١ ص ٢٦١، ج ٢ ص (٤٨، ٢٤١، ٣٧٥)، ج ٣ ص ٤٥٨، ج ٤ ص (٢٢٩، ٢٨٧)

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب من لم يخمِّس الأسلاب، ومن قتل قتيلاً فله سلبه من غير أن يخمس، وحكم الإمام فيه: رقم الحديث (٢٩٧٣)، ج ٣ ص ١١٤٤، كذلك في كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [التوبة:٢٥]: رقم الحديث (٤٠٦٦، ٤٠٦٧)، ج ٤ ص ١٥٧٠، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل: رقم الحديث (١٧٥١)، ج ٣ ص (١٣٧٠-١٣٧١)

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٣، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٤٣، ١٨٨، ٣٩٣)، ج ٢ ص (٨٣، ٢٢٤، ٢٣١)، ج ٣ ص (٥٨، ١٦٩، ٣٠٢)، ج ٤ ص (٦٢، ٢٤١، ٤١١)

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران:١٣٤]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ والممسكين الغيظَ عن الإمضاء، يُقال: كظم القِرْبة: إذا ملأها وشدَّ فاها، ومنه: كظمُ الغيظ، وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر، ولا يظهر له أثراً، والغيظ: توقُّد حرارة القلب من الغضب، وعن النبي عليه السلام: « من كظم غيظاً، وهو يقدِرُ على إنفاذه، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً »[(١)]...))[(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بعد أنَّ فسَّر الكظم والغيظ، أورد حديثاً لا علاقة له ببيان المعنى، وإنما فيه بيان أجر كاظم الغيظ.

- كذلك نجد الإمام النسفي يعتمد في تفسيره لبعض الآيات على أحداث السيرة النبوية المطهرة [(٣)]، ويستشهد بها؛ من أجل توضيحِ معنى الآية وفهمِها بشكل كامل.

- وأحياناً نجده يورد حديث النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى، ويعتمد على ذلك في تفسيره لبعض الآيات، أو في تأكيد المعنى الذي ذهب إليه.

---

(١) والحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأدب، باب من كظم غيظاً: رقم الحديث (٤٧٧٨)، ج ٤ ص ٢٤٨، وهو من حديث محمد بن عجلان، عن سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن أبيه، وهذا الصحابي هو معاذ بن أنس وابنه هو سهل، وأخرجه أيضاً عبد الرزاق في تفسيره: رقم الحديث (٤٥٨)، ج ١ ص ٤١٣، وهو من حديث زيد بن أسلم، عن رجل من أهل الشام يقال له عبد الجليل، عن عمٍّ له، عن أبي هريرة، وإسناد أبي داود أصلح من إسناد عبد الرزاق؛ لأنَّ عبد الجليل مجهول، فالحديث معلول. انظر: تخريج الأحاديث والآثار: ج ١ ص (٢٢٤-٢٢٥)، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي للمناوي: ج ١ ص (٤٠٧-٤٠٨)،كذلك روى الحديث العقيلي في الضعفاء: رقم الحديث (١٠٧٦)، ج ٣ ص ١٠٢، وأعلَّه بعبد الجليل، ونقل عن البخاري أنه قال: لا يتابع عليه، ثم قال العقيلي: ((وقد روي من غير هذا الطريق بأسانيد صالحة)). اهـ. وكأنه يشير إلى سند أبي داود.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٧٤، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٢٨٦، ٢٩٩، ٣٠٥)، ج ٢ ص (٩١، ٢٢٨، ٣٢٣)، ج ٣ ص (٦٣، ١٣٣، ١٧٠)، ج ٤ ص (٧٤، ٢٦٣، ٣١٠)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٤٣-٢٤٤، ٢٦٨-٢٧٠، ٢٨١، ٢٩٠-٢٩١)، ج ٢ ص (١٣٦-١٣٧، ١٤٦، ١٧٥-١٧٦)، ج ٣ ص (٤٣٠-٤٣٢، ٤٣٨)، ج ٤ ص (٣٥٠، ٣٦٠-٣٦١، ٣٧٩-٣٨٠)

مثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [المائدة:٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا﴾ أي عاقدكم به عقداً وثيقاً، وهو الميثاق الذي أخذه على المسلمين حين بايعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر، والمنشط والمكره، فقبلوا وقالوا: سمعنا واطعنا...)) (١).

فالإمام النسفي بيَّن أنَّ الميثاق هو ما أخذه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين حين بايعهم، والإمام النسفي ما ساق حديث البيعة بلفظه؛ وإنما ساقه بالمعنى، ولفظ الحديث: عن عبادة بن الصامت(٢) رضي الله عنه قال: « بايعْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العُسْر واليسر، والمنشَط والمكرَه، وعلى أثرةٍ علينا، وعلى أن لا ننازعَ الأمرَ أهلَه، وعلى أن نقول بالحق أينما كنَّا لا نخاف في الله لومةَ لائمٍ »(٣).

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٩٦

(٢) عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، كان أحد النقباء بالعقبة، شهد المشاهد كلها، وشهد فتح مصر، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وكان ممن جمع القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول من ولي قضاء فلسطين، مات سنة (٣٤هـ)، وقيل: إنه عاش إلى سنة (٤٥هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٣ ص (٦٢٤-٦٢٦)، الاستيعاب: ج ٢ ص (٨٠٧-٨٠٩)

(٣) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس: رقم الحديث (٦٧٧٤)، ج ٦ ص ٢٦٣٣، والإمام مسلم في صحيحه واللفظ له: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية: رقم الحديث (١٧٠٩)، ج ٣ ص ١٤٧٠، وانظر في اعتماد الإمام النسفي في تفسيره على رواية الحديث بالمعنى مثلاً: ج ١ ص (١٣٢، ١٦٥)، ج ٢ ص (١٧)، ج ٣ ص ٣٦١، ج ٤ ص (٥٦، ١٨٨، ٣٨٤، ٥٦٤)

- والإمام النسفي كما يعتمد في تفسيره على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ نجده يفسِّر الآيات ويوضِّحها معتمداً على فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو يؤكِّد المعنى الذي ذهب إليه ويُدلِّل له بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٢٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾ أي المواشي والنقود والأمتعة، روي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، وقال لهم: « إنكم في منازلكم » [(١)]...)) [(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر الآية بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المهاجرين والأنصار.

- ومن الأمثلة على اعتماد الإمام النسفي على فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تأكيد المعنى الذي ذهب إليه:

---

(١) رواه الواقدي في كتاب المغازي: ج ١ ص ٣٢٠، ونص الحديث كما ذكر الواقدي بسنده: فحدثني معمر، عن الزهري، عن خارجة بن زيد، عن أمِّ العلاء، قالت: صار لنا عثمان بن مظعون في القرعة، وكان في منزلنا حتى تُوفي، وكان المهاجرون في دورهم وأموالهم، فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شمَّاس، فقال: ادع لي قومك. قال ثابت: الخزرج يا رسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأنصار كلّها، فدعا له الأوس والخزرج، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصارَ وما صنعوا بالمهاجرين، وإنزالَهم إياهم في منازلهم، وأثرتَهم على أنفسهم، ثم قال: إن أحببتم قسمْتُ بينكم وبين المهاجرين مما أفاء الله عليَّ من بني النضير؛ وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم. فتكلم سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، فقالا: يا رسول الله، بل تقسمه للمهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا. ونادت الأنصار: رضينا وسلَّمنا يا رسول الله. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفاء الله عليه، وأعطى المهاجرين، ولم يعط أحداً من الأنصار من ذلك الفيء شيئاً، إلا رجلين كانا محتاجين سهل بن حنيف، وأبا دجانة.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٤٣٨، وانظر مثلاً: ج ٣ ص (٢٠٤، ٢٩٠-٢٩١)

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة:١٢٠]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ﴾... وفيه دليلٌ على أنَّ من قصد خيراً كان سعيُه فيه مشكوراً مِنْ قيامٍ وقعودٍ ومشي وكلام وغير ذلك، وعلى أنَّ المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب؛ لأنَّ وطءَ ديارهم مما يُغيظهم، وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قَدِمَا بعد تقضِّي الحروب[1]...)) [2].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي أكَّد بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّ مدد الجيش له نصيب في الغنيمة بعد انقضاء الحرب؛ لأنَّ وطءَ الديار مما يُغيظ الكفار.

المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بالسنة النبويَّة عند الإمام النسفي:

قبل الكلام عن أسلوب الترجيح بالسنَّة النبويَّة عند الإمام النسفي لا بدَّ من بيان بعض القواعد التي وقفتُ عليها من خلال دراستي لتفسير الإمام النسفي، واعتمدها الإمام النسفي في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية.

---

(١) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين: رقم الحديث (٢٩٦٧)، ج ٣ ص ١١٤٢، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الفضائل، باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله عنهم: رقم الحديث (٢٥٠٢)، ج ٤ ص ١٩٤٦، ولفظ الحديث كما عند البخاري: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخَوَان لي، أنا أصغرهم، أحدهما أبو بُرْدة، والآخر أبو رُهم، إمَّا قال في بضعٍ، وإمَّا قال في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، ووافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا ها هنا، وأمرنا بالإقامة، فأقيموا معنا، فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، أو قال: فأعطانا منها، وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه قَسَمَ لهم معهم.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢١٥، وانظر مثلاً: ج ٢ ص (١٧٨، ٢١٦، ٢٨٤-٢٨٥، ٣٣٦)

فلمـّا كانت السُّنَّة النبويَّة هي الشارحة والمبيِّنة لكتاب الله عزَّ وجلَّ، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل:٤٤]، نجد الإمام النسفي يعتمد عليها في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية، فإذا ورد حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نصَّاً في تفسير الآية، فإنَّ الإمام النسفي يقول به، ويُقدِّمه على غيره، ويكون هو الراجح عنده.

وبذلك يُقرِّرُ الإمام النسفي قاعدةً من قواعد الترجيح التي نَصَّ عليها العلماء فيما بعد، وهي: إذا ثبت الحديث، وكان نصَّاً في تفسير الآية، فلا يُصار إلى غيره.

ومعنى أنَّه نصٌّ في تفسير الآية: أن يكون الحديث مسوقاً في تفسير ألفاظ الآية، سواءٌ أكان جواباً عن سؤال، أم كان لرفع إشكال ظهر لبعض الصحابة في الآية، أم جاء التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً بتلاوتها ثمَّ بيان معناها، أو بذكر معناها ثمَّ تلاوتها.

فالأمر يتعلَّق بتفسير ألفاظ الآية دون بيان وتفسير أحكامها، كما في بيان النبي صلى الله عليه وسلم لصفة الصلاة والحج وأنصبة الزكاة، وغير ذلك.

كذلك لا يدخل تحت هذه القاعدة ما ورد في غير تفسير ألفاظ الآية، ولكنَّه وافق معناها، أو وافق أحد الأقوال المقولة فيها؛ لأنَّه إذا كان كذلك كان مؤيِّداً للمعنى الذي ظهر منها، لا نصَّاً في تفسيرها [1].

- والإمام النسفي إذ يعتمد في تفسيره على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو نصٌّ في تفسير الآية نجده يذكر تفسيرَ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في الآية الكريمة، إمَّا بقوله: كذا وكذا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم، أو يقول: فسَّرها النبي صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا...، أو نحو ذلك [2].

ومثال ذلك:

---

(١) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص (١٩١-١٩٤)

(٢) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٠٧، ج ٢ ص ٣٠٣

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران:٩٧]

يقول الإمام النسفي مُبيِّناً معنى السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحجِّ: ((..﴿ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾ فسَّرها النبي عليه السلام بالزاد والراحلة[1]...)) [2].

فالإمام النسفي لم يذكر الخلاف حول معنى السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحجِّ[3]، وإنما اكتفى ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي هو نصٌّ في تفسير الآية - ورجَّحه على غيره من الأقوال، مقرِّراً القاعدة السابقة، وهي: إذا ثبت الحديث، وكان نصَّاً في تفسير الآية، فلا يُصار إلى غيره.

- وأحياناً يذكرُ تفسيرَ النبي صلى الله عليه وسلم في الآية عندما يُسأل من قِبَل أحد الصحابة عن معناها.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾ [الزُّمَر:٢٢]

---

(١) والحديث أخرجه الترمذي في جامعه من حديث ابن عمر: كتاب الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة: رقم الحديث (٨١٣)، ج ٣ ص ١٧٧، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسنٌ، والعمل عليه عند أهل العلم أنَّ الرجل إذا ملك زاداً وراحلة وجب عليه الحج...))، وأخرجه ابن ماجه في سننه: كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج: رقم الحديث (٢٨٩٦)، ج ٢ ص ٩٦٧، كما أخرجه الحاكم في مستدركه من حديث أنس: أول كتاب المناسك: رقم الحديث (١٦١٣)، ج ١ ص ٦٠٩، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه))، وانظر أيضاً الحديث الذي يليه رقم (١٦١٤). وروي الحديث من طرقٍ أخرى، وفيه كلام طويل، انظر ذلك في: نصب الراية: ج ٣ ص (٧-١٠)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٥٨

(٣) تعددت الأقوال في معنى السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحجِّ، فقيل: السبيل التي إذا استطاعها المرء كان عليه الحجِّ هي الطاقة للوصول إليه، وقيل: السبيل إلى ذلك الصحة، بالإضافة إلى القول بأنها الزاد والراحلة، انظر هذه الأقوال في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٤ ص (١٥-١٨)

يقول الإمام النسفي: ((﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ أي وسَّع صدره ﴿لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدى، وسُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرح، فقال: « إذا دخل النورُ القلبَ انشرحَ وانفسحَ، فقيل: فهل لذلك من علامة؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت »[1]...))[2].

- وأحياناً يذكرُ تفسيرَ النبي صلى الله عليه وسلم في الآية بقوله: وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها كذا وكذا...

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة:١٦]

اختلف في بيان المراد بالذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع على ثلاثة أقوال بدأها الإمام النسفي بقوله: ((... وهم المتهجدون، وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها: « قيام العبد من الليل »[3]... وعن أنس: كان أناسٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) والحديث أخرجه سعيد بن منصور في سننه من حديث أبي جعفر عبد الله بن المسْوَر: رقم الحديث (٩١٨)، ج ٥ ص (٨٥-٨٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الزهد: رقم الحديث (٣٤٣١٤)، ج ٧ ص (٧٦-٧٧)، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن مسعود: كتاب الرقاق: رقم الحديث (٧٨٦٣)، ج ٤ ص ٣٤٦، والبيهقي في الشعب: الباب الحادي والسبعين: الزهد وقصر الأمل: رقم الحديث (١٠٥٥٢)، ج ٧ ص ٣٥٢، وانظر: تخريج الأحاديث والآثار: ج ٣ ص (٢٠١-٢٠٢)، والحديث رُوي من طرقٍ كلها وهمٌ، والصواب: عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله بن المسْوَر مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك قاله الثوري، وعبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب هذا متروك. انظر العلل الواردة في الأحاديث النبوية: ج ٥ ص (١٨٨- ١٨٩)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٨٢، وانظر مثلاً: ج ٣ ص ٤٥٤، ج ٤ ص (٩٦، ٢٢٩، ٣١٠)

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده: رقم الحديث (٢٢٠٧٥)، ج ٥ ص ٢٣٢، وقد أخرجه عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ قال: « قيام العبد من الليل ». وقال الهيثمي: ((رواه أحمد، وشهْرٌ لم يدرك معاذاً، وفيه ضعف، وقد وثِّق، وبقية رجاله ثقات)). مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٩٠، ويشهد لمعناه ما روي عن معاذ بن جبل أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له في=

يصلُّون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الأخيرة فنزلت فيهم[1]، وقيل: هم الذين يصلُّون صلاة العتمة لا ينامون عنها[2]...)) [3].

فالقول الراجح عند الإمام النسفي هو ما صدَّر به تفسير الآية، وأورد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نصٌّ في تفسير الآية.

- وأحياناً يذكرُ بيانَ النبي صلى الله عليه وسلم لمعنىً معينٍ، ثمَّ تلاوتَه - أي النبي صلى الله عليه وسلم - لآيةٍ معينة.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦﴾ [يونس:٢٦]

=حديث طويل: « ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاةُ الرجل من جوف الليل، قال: ثمَّ تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ حتى بلغ ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ ». والحديث أخرجه الإمام الترمذي في جامعه: كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة: رقم الحديث (٢٦١٦)، ج ٥ ص ١١، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح)). وأخرجه الإمام النسائي في السنن الكبرى: كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾: رقم الحديث (١١٣٩٤)، ج ٦ ص ٤٢٨، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه: كتاب الفتن، باب كفُّ اللسان في الفتنة: رقم الحديث (٣٩٧٣)، ج ٢ ص ١٣١٤

(١) هذه الرواية أخرجها الإمام أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل: رقم الحديث (١٣٢١)، ج ٢ ص ٣٥، ولفظها: عن أنس بن مالك في هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ قال: كانوا يتيقَّظون ما بين المغرب والعشاء يصلُّون.

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة السجدة: رقم الحديث (٣١٩٦)، ج ٥ ص ٣٤٦، ولفظها: عن أنس بن مالك أنَّ هذه الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العتمة. وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه)).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٤٢٠، وانظر مثلاً: ج ٢ ص (٢٦٠، ٣٥١)، ج ٤ ص ٤٩٤

اختلف في بيان المراد بالزيادة على ثلاثة أقوال[1]:

القول الأول: هي رؤية الربِّ عزَّ وجلَّ.

القول الثاني: المحبة في قلوب العباد.

القول الثالث: مغفرة من الله ورضوان.

فالقول الراجح عند الإمام النسفي هو ما صدَّر به تفسير الآية، وأورد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نصٌّ في بيان المراد بالزيادة، ولفظه: « إذا دخل أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجينا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب، فينظرون إلى الله تعالى، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم، ثمَّ تلا: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ »[2].

– أو يذكر تلاوةَ النبي صلى الله عليه وسلم لآيةٍ معيَّنةٍ، ثم بيانَه – أي النبي صلى الله عليه وسلم – لمعناها.

ومثال ذلك:

– عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن:٢٩]

اختُلِف في ذلك الشأن، فقال الإمام النسفي: ((... ﴿هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ أي كلَّ وقتٍ وحينٍ يُحدِثُ أموراً ويُجدِّد أحوالاً، كما روي أنَّه عليه السلام تلاها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ فقال: « مِنْ شأنه أن يغفرَ ذنباً، ويفرِّجَ كرباً، ويرفعَ قوماً، ويضعَ آخرين »[3]. وعن ابن

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢٣١، وانظر مثلاً في ذلك: ج ٢ ص ٦٠، ج ٣ ص ٤١٥، ج ٤ ص ١٢١

(٢) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث صهيب رضي الله عنه: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى: رقم الحديث (١٨١)، ج ١ ص ١٦٣

(٣) والحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: باب فيما أنكرت الجهميَّة: رقم الحديث (٢٠٢)، ج ١ ص ٧٣، وفي إسناده الوزير بن صبيح، لذلك قال أحمد بن أبي بكر الكناني: ((هذا إسنادٌ حسنٌ؛ لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان. قال فيه أبو حاتم: صالح، وقال دحيم: ليس بشيء، وقال أبو نعيم: كان يعدُّ من الأبدال، ربما أخطأ. وذكره ابن حبان في الثقات. روى البخاري هذا الحديث تعليقاً موقوفاً في تفسير=

عيينة: الدهرُ عند الله يومان، أحدهما اليومُ الذي هو مُدَّة الدنيا، فشأنُه فيه الأمرُ والنهيُ والإحياءُ والإماتةُ والإعطاءُ والمنعُ، والآخرُ يومُ القيامة، فشأنُه فيه الجزاءُ والحسابُ... وقيل: سوقُ المقاديرِ إلى المواقيتِ...)) [(١)].

فالقول الراجح عند الإمام النسفي هو ما صدَّر به تفسير الآية، وأورد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نصٌّ في تفسيرها.

- ومما يندرج أيضاً تحت قولنا: الحديث نصٌّ في تفسير الآية: أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد بيَّن المراد بلفظٍ معيَّنٍ في مناسبة معيَّنة، وكان هذا اللفظ وارداً في آيةٍ ما، دون أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم - عندما بيَّن معنى اللفظ - قد قصد تفسير الآية.

ومثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ داوموا عليها بمواقيتها، وأركانها، وشرائطها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ بين الصلوات، أي: الفضلى، من قولهم للأفضل: الأوسط، وإنما أُفردت وعطفت على الصلوات؛ لانفرادها بالفضل، وهي صلاة العصر عند أبي حنيفة رحمه الله، وعليه الجمهور؛ لقوله عليه السلام يوم الأحزاب: « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاةِ العصر، ملأ الله بيوتهم ناراً »[(٢)]، وقال عليه السلام: « إنها الصلاة التي شُغل

=سورة الرحمن، ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق أم الدرداء به انتهى. لكن لم ينفرد به الوزير بن صبيح، فقد رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده: حدثنا عبد الله بن أبان الكوفي حدثنا إسحاق بن سليمان عن معاوية بن يحيى عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفاً، فذكره)). مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه لأحمد بن أبي بكر الكناني: ج ١ ص ٢٨

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٣١٠-٣١١)

(٢) والحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر: رقم الحديث (٦٢٧)، ج ١ ص ٤٣٧، وأخرج الإمام البخاري نحوه في صحيحه: كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين: رقم الحديث (٦٠٣٣)، ج ٥ ص ٢٣٤٩

عنها سليمان حتى توارت بالحجاب »[1]، وفي مصحف حفصة: (والصلاة الوسطى صلاة العصر) [2]، ولأنَّها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار، وفضلُها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم، وقيل: صلاةُ الظهر؛ لأنَّها في وسط النهار، أو صلاةُ الفجر؛ لأنَّها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، أو صلاةُ المغرب؛ لأنَّها بين الأربع والمثنى، ولأنها بين صلاتي مخافتة وصلاتي جهر، أو صلاةُ العشاء؛ لأنَّها بين وترين، أو هي غير معيَّنة كليلة القدر ليحفظوا الكل...)) [3].

فالإمام النسفي رجَّح القولَ بأنَّها صلاةُ العصر، وأيَّد ترجيحه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما في مصحف حفصة، ولأنَّها بين صلاتيَ الليل وصلاتيَ النهار.

والحديث الذي رجَّح به الإمام النسفي لم يرد في سياق تفسير الآية، ولكن وصْفُ النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة العصر الفائتة بهذا الوصف – يوم الأحزاب – يدلُّ على أنَّها المراد في الآية.

---

(١) الحديث رواه ابن عدي في: الكامل في ضعفاء الرجال: ج ٦ ص ٤٣٧، وهو من حديث مقاتل بن سليمان الأزدي صاحب التفسير عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور عن علي، ومقاتل متروك الحديث، منكره. انظر: ذخيرة الحفاظ لمحمد بن طاهر المقدسي: ج ٣ ص ١٥٣٦، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه موقوفاً على علي في كتاب الصلاة، في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ : رقم الحديث (٨٦١٢)، ج ٢ ص ٢٤٥

(٢) انظر: كتاب المصاحف لابن أبي داود: ص (٢١١-٢١٧)، أما زيادة (صلاة العصر) على كتابة الآية الكريمة فقد ورد في الحديث عن عمرو بن رافع أنه قال: كنت أكتب مصحفاً لحفصة أم المؤمنين، فقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذني: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، فلما بلغتها آذنتها، فأملت عليّ: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين)، وهذا الحديث رواه الإمام مالك في الموطأ: كتاب صلاة الجماعة: باب الصلاة الوسطى، رقم الحديث (٣١٤)، ج ١ ص ١٣٩، وأبو يعلى في مسنده: رقم الحديث (٧١٢٩)، ج ١٣ ص ٥٠، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (ج ٦ ص ٣٢٠): ((رواه أبو يعلى ورجاله ثقات)). وانظر أيضاً: تخريج الأحاديث والآثار: ج ١ ص (١٥٤-١٥٥)

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٨٩

وهكذا من خلال ما تقدَّم من الأمثلة نلاحظ مدى التزام الإمام النسفي بقاعدة الترجيح القائلة: إذا ثبت الحديث، وكان نصَّاً في تفسير الآية، فلا يُصار إلى غيره.

إلا أنَّنا نلاحظ في بعض الأحيان أنَّ الإمام النسفي يورد حديثَ النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو نصٌّ في تفسير الآية، إلا أنَّه يُقدِّم عليه تفسيراً آخر؛ ربما لأنَّ الحديث فيه مقال، ولكنَّ – مع ذلك – نجده يُوجِّه الآية بناء على هذا الحديث، وهذا يعني أنَّ تفسير الآية بناء عليه له شيءٌ من الوَجَاهة، وليس مردوداً مطلقاً.

ومثال ذلك:

– عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزُّمَر:٦٣]

يقول الإمام النسفي: ((﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي هو مالكُ أمرها وحافظُها، وهو مِنْ باب الكناية؛ لأنَّ حافظَ الخزائن ومدبِّرَ أمرِها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: فلانٌ ألقيتُ إليه مقاليدَ المُلْك، وهي المفاتيح ... وقيل: سأل عثمانُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقال: « يا عثمان ما سألني عنها أحدٌ قبلَك، تفسيرُها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفرُ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيءٍ قدير »[1]، وتأويلُه على هذا أنَّ لله هذه الكلمات يُوحَّد بها ويمجَّد، وهي مفاتيح

(١) الحديث أخرجه الطبراني في كتابه "الدعاء": باب فضل التسبيح والتحميد: رقم الحديث (١٧٠٠)، ص ٤٨٤، وزاد في الحديث ذكر الخصال الست لمن قال هذه الكلمات، وأخرجه البيهقي في "الأسماء والصفات": باب جماع أبواب معاني أسماء الربِّ عزَّ ذكره: ج ١ ص ٤٨٤، وأخرجه أبو يعلى: انظر كتاب "المقصد العليّ في زوائد أبي يعلى الموصلي": كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا أصبح: رقم الحديث (١٦٤٧)، ج ٤ ص ٣٢٦، وقال الهيثمي: ((فيه الأغلب بن تميم، وهو ضعيف)). مجمع الزوائد: ج ١٠ ص ١١٥، وقال الزيلعي: ((رواه العقيلي في ضعفائه عن أغلب بن تميم هذا، ويعرف بالكندي، ويقال: المسعودي، وضعَّفه وقال: لا يتابع عليه. وذكره ابن الجوزي في كتابه الموضوعات، قال: أمَّا أغلب بن تميم، فقال يحيى: ليس بشيء، وأمَّا مخلد، فقال ابن حبان: منكر الحديث، وأمَّا عبد=

خير السموات والأرض، مَنْ تكلَّم بها من المتقين أصابَه، والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون)) [1].

- وفي سياق الكلام عن اعتماد الإمام النسفي على السنَّة النبوية المطهرة في الترجيح نجده أيضاً يذكرُ الخلافَ في تفسير الآية، ويرجِّح أحدَ الأقوال؛ لأنه مؤيَّدٌ بحديثٍ يشهد لمعنى الآية، وليس بنصٍّ في تفسيرها.

والإمام النسفي بفعله هذا يُقرِّر قاعدة من قواعد الترجيح التي نَصَّ عليها العلماء فيما بعد، وهي: إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال، فهو مرجِّح له على ما خالفه.

فإذا اختلف المفسِّرون في تفسير آيةٍ من كتاب الله، وتعدَّدت أقوالهم فيها، وكان أحدُ هذه الأقوال تؤيِّده السنَّة النبويَّة، فهو المقدَّم على غيره؛ لأنَّ ورود معنى هذا القول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلُّ على صحته.

ولا بدَّ من الإشارة هنا إلى أنَّ الحديث الوارد في هذه القاعدة لم يرد مورد التفسير لألفاظ الآية الكريمة؛ بل كان وروده لأيِّ سبب آخر في أيِّ بابٍ من أبواب العلم؛ لكنَّ معناه يوافق معنى أحد الأقوال المقولة في الآية الكريمة[2].

=الرحيم فكذا هو في رواية يوسف بن يعقوب القاضي، وهو في رواية العقيلي عبد الرحمن ابن عدي المدني، وهو ضعيف، قال: وهذا الحديث من الموضوعات الباردة التي لا تليق بمنصب النبوة. انتهى)). تخريج الأحاديث والآثار: ج ٣ ص ٢٠٧، وقال أبو الحسن علي الكناني بعد أن ذكر الأقوال التي تؤكد بأنَّ الحديث موضوع: ((غير أني رأيت عن فتاوى الحافظ ابن حجر أنه قال: عندي أنَّه منكرٌ من جميع طرقه، وأمَّا الجزم بكونه موضوعاً فأتوقف عنه؛ إذ لم أر في رواته من وصف بالكذب. انتهى، وقال في "لسان الميزان" في ترجمة أغلب: قال ابن عدي: أحاديثه عامَّتها غير محفوظة، إلا أنَّه ممن يكتب حديثه والله أعلم)). تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي الكناني: ج ١ ص (١٩٢-١٩٣)، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره بعد أن أورد هذا الحديث: ((وهو غريب، وفيه نكارة شديدة، والله أعلم)). تفسير القرآن العظيم: ج ٤ ص ٦٢

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٩٦

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين: ج ١ ص ٢٠٦

ومن خلال الأمثلة التي سأذكرها – عند الكلام عن أسلوب الإمام النسفي في الترجيح بالسنَّة النبوية – سيتبين لنا مدى التزام الإمام النسفي بهذه القاعدة، إلا أنَّه أحياناً يخالف هذه القاعدة ويُقدَّم قولاً غير مؤيَّدٍ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأسبابٍ أذكرها عند ذكر الأمثلة.

وبعد ذكر القواعد التي تتعلَّق بالسنَّة النبوية، والتي اعتمدها الإمام النسفي في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية أعود إلى الكلام عن أسلوب الترجيح بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي، فأقول: إنَّ أسلوبه في ذلك يندرج – في الأغلب – تحت أساليبه في بيان القول الراجح التي تحدَّثتُ عنها سابقاً في الفصل الأول.

– فنجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال النص على القول الراجح بعبارةٍ من عبارات الترجيح؛ ومؤيِّداً القول الراجح بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى ذكر سبب الترجيح أحياناً، وأغلب الأحيان لا يذكر.

ومن أمثلة ذلك:

١– عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤]

يقول الإمام النسفي مبيِّناً المراد بالشجرة الطيبة: ((... والشجرةُ كلُّ شجرةٍ مثمرةٍ طيبةِ الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك، والجمهور على أنَّها النخلة، فعن ابن عمر أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: « إنَّ الله تعالى ضرب مَثَلَ المؤمنِ شجرةً، فأخبروني ما هي؟ فوقع الناسُ في شجر البوادي، وكنت صبيَّاً، فوقع في قلبي أنَّها النخلة، فهبت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ أقولها وأنا أصغرُ القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إنَّها النخلة. فقال عمر: يا بني لو كنتَ قلتَها لكانت أحبَّ إليَّ من حُمرِ النعَم »[(١)]))[(١)].

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من عدة طرق، وفي أكثر من كتاب وباب، حيث أخرجه في: كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا: رقم الحديث (٦١)، ج ١ ص ٣٤، وفي باب طرح الإمام المسألة=

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح قول الجمهور، وأيَّد قولهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتعرَّض لذكر باقي الأقوال في بيان المراد بالشجرة الطيِّبة[٢].

ونلاحظ أنَّ الحديث الذي رجَّح به الإمام النسفي لم يرد في سياق التفسير للآية، ولكن معنى الحديث يشهد للمعنى الذي حُملت عليه الآية.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور:٥٥]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي أرض الكفار، وقيل: أرض المدينة، والصحيح أنَّه عام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « ليدخلنَّ هذا الدِّين على ما دخل عليه الليل »[٣]...))[١].

=على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم: رقم الحديث (٦٢)، وفي باب الفهم في العلم: رقم الحديث (٧٢)، ج ١ ص ٣٩، وفي باب الحياء في العلم: رقم الحديث (١٣١)، ج ١ ص ٦١، وفي كتاب البيوع: باب بيع الجمَّار وأكله: رقم الحديث (٢٠٩٥)، ج ٢ ص ٧٦٨، وفي كتاب الأدب: باب ما لا يستحيا من الحق للتفقه في الدين: رقم الحديث (٥٧٧١)، ج ٥ ص ٢٢٦٨، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة: رقم الحديث (٢٨١١)، ج ٤ ص ٢١٦٤، ولم يرد في نص الحديث في الصحيحين قول سيدنا عمر: (من حمر النعم)، وإنما الذي ورد: (من كذا وكذا).

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٣٧٥

(٢) فقد قيل: - بالإضافة إلى القول بأنَّها النخلة - بأنَّها شجرة في الجنة، وقيل: بأنَّها المؤمن، وأصلُه الثابت أنه يعمل في الأرض ويبلغ عملُه السماءَ، وقوله تعالى:﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ﴾، فالمؤمن يذكر الله كلَّ ساعة من النهار. انظر: زاد المسير: ج ٤ ص ٣٥٨

(٣) بعد البحث فيما بين يديّ من المصادر ما وجدت هذا الحديث بلفظه؛ ولكن ورد حديث في نفس المعنى أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث تميم الداريِّ: رقم الحديث (١٢٨٠)، ج ٢ ص ٥٨، ولفظه: عن تميم الداريِّ أنَّه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: « ليبلغنَّ هذا الدِّينُ ما بلغ الليل، حتى يدخلَ بيت المدر وبيت الوبر حتى=

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي ذكر قولين في تعيين الأرض، ثمَّ رجَّح عمومَ الأرض، وأيَّد ترجيحه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونلاحظ أيضاً أنَّ الحديث الذي رجَّح به الإمام النسفي لم يرد في سياق التفسير للآية، ولكن معنى الحديث يشهد للمعنى الذي حُملت عليه الآية.

ومن خلال المثالين السابقين أيضاً نلمس مدى التزام الإمام النسفي بقاعدة الترجيح التي أشرت إليها، وهي: إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال، فهو مرجِّح له على ما خالفه.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال الاقتصار على قولٍ واحدٍ يُدلِّل له بحديثٍ يورده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنَّ غيره من المفسرين يذكر أقوالاً أخرى في تفسير الآية، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول – مع وجود أقوالٍ أخرى في تفسير الآية – دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة:٢٢٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ جمع قَرْءٍ، أو قُرْءٍ، وهو الحيض؛ لقوله عليه السلام: « دعي الصلاة أيام أقرائك »(٢)، وقولِه: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان»(٣)، ولم يقل: طهران، وقولِه تعالى: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ

=يعزَّ الله به الإسلام، ويذلَّ الكفار ». قال تميم: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، قد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، وأصاب من ثبت منهم على الكفر الذُّل والصغار والجزية.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٢٢٤، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٨٩، ٣٦٠)، ج ٢ ص ٣٧٦، ج ٣ ص (٥٣، ٢٨٤، ٤٩٥-٤٩٦)، ج ٤ ص (٤٢، ٤٧، ٢٠٩، ٢٧٣، ٢٩٦)

(٢) الحديث أخرجه الدارقطني في سننه من حديث حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن الزبير عن عائشة: كتاب الحيض: رقم الحديث (٣٦)، ج ١ ص ٢١٢

(٣) والحديث أخرجه أبو داود في سننه من حديث مظاهر عن القاسم بن محمد عن عائشة: كتاب الطلاق، باب في سنة طلاق العبد: رقم الحديث (٢١٨٩)، ج ٢ ص ٢٥٧، وقال أبو داود: ((وهو حديث مجهول))، وأخرجه ابن=

﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ [الطلاق:٤]، فأقام الأشهر مقامَ الحيض دون الأطهار، ولأنَّ المطلوب من العِدَّة استبراء الرحم، والحيضُ هو الذي يُستبرأ به الأرحام دون الطهر، ولذلك كان الاستبراء من الأمة بالحيضة...)) [(١)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي اقتصر على تفسير القرء بالحيض، وأيَّد قوله بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبآيةٍ قرآنيةٍ، ودليلٍ عقلي.

ولقد ذكر المفسِّرون أنَّ كلمة الحيض تعني أيضاً الطهر[(٢)]، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول – مع وجود قولٍ آخر في تفسير الآية – دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الأحاديث التي رجَّح بها الإمام النسفي لم ترد في سياق تفسير الآية، وإنما هذه الأحاديث تشهد للمعنى الذي حُملت عليه الآية، فحديث: « دعي الصلاة أيام أقرائك » سيق لبيان حكم شرعي، وهو وجوب ترك الصلاة أيام الأقراء، وكما هو معلوم فالصلاة تُترك أيام الحيض، لا أيام الطهر، وحديث: « طلاق الأمَة تطليقتان، وعِدَّتها حيضتان » بيَّن أنَّ عِدَّة الأمة حيضتان، أي قرءان، فيكون بالمراد بالقرء في الآية هو الحيض.

٢– عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم:١٠]

=ماجه في سننه: كتاب الطلاق، باب في طلاق الأمة وعدتها: رقم الحديث (٢٠٨٠)، ج ١ ص ٦٧٢، وأخرجه الترمذي في جامعه: كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء أنَّ طلاق الأمة تطليقتان: رقم الحديث (١١٨٢)، ج ٣ ص ٤٨٨، وقال أبو عيسى: ((حديث عائشة حديثٌ غريبٌ لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث مظاهر بن أسلم، ومظاهر لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم، وهو قول سفيان الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق)).اهـ، وأخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب الطلاق: رقم الحديث (٢٨٢٢)، ج ٢ ص ٢٢٣، وأشار إلى أنَّ الحديث صحيح ولم يخرجاه.

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٧٩

(٢) انظر مثلاً: زاد المسير: ج ١ ص (٢٥٨–٢٦٠)، تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص (٢٧٠–٢٧١)

يقول الإمام النسفي: ((﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريلُ عليه السلام ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى عبدِ الله، وإن لم يجر لاسمه ذكرٌ؛ لأنَّه لا يلبس، كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ [فاطر:٤٥] ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تفخيمٌ للوحي الذي أُوحِيَ إليه، قيل: أُوحِيَ إليه: « إنَّ الجنَّة محرمةٌ على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلَها أمتك »[(١)]))[(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي اقتصر في بيان المُوحى على قولٍ واحدٍ، مع العلم بأنَّ هناك أقوالاً أخرى في بيان المُوحى، فمنها:

أنَّه أوحى إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ [الضُّحى:٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشَّرح:٤]، أو أنَّه كان ممَّا أوحى اللهُ إليه: أنَّه فرض على هذه الأمة خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثمَّ رُدَّت إلى الخمس، وممَّا أوحى إليه أيضاً: خواتيم سورة البقرة، وممَّا أوحى إليه تلك الليلة: أنَّه غفر لأُمَّته المُقْحِمَات[(٣)] ما لم يشركوا بالله[(٤)].

---

(١) والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط: رقم الحديث (٩٤٢)، ج ١ ص ٢٨٩، من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن عمر بن الخطاب، بلفظ: « الجنَّة حُرِمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحُرِمت على الأمم حتى تدخلها أمتي »، والحديث غريب تفرَّد به أبو حفص عمرو بن أبي سلمة التنيسي، عن صدقة السمين، عن زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الزهري، كما ذكر الدارقطني في أطراف الغرائب والأفراد: ج ١ ص ١٠٣، وقال محمد بن طاهر المقدسي: ((رواه عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن عمر بن الخطاب، وعبد الله ضعيف)). ذخيرة الحفَّاظ: ج ١ ص ٥٤٧، وقال الهيثمي بعد أن ساق الحديث: ((رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقة بن عبد الله السمين، وثَّقه أبو حاتم وغيرُه، وضعَّفه جماعة؛ فإسناده حسن)). مجمع الزوائد: ج ١٠ ص ٦٩

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٢٨٦-٢٨٧)، وانظر أيضاً مثلاً في الاقتصار على قول واحد: ج ٤ ص ٢٢٩، وقارن بما في زاد المسير: ج ٧ ص (٤١٥-٤١٦)

(٣) المقحمات: أي الذنوب العظام التي تُقحِم أصحابها في النار، أي: تلقيهم فيها. لسان العرب: ج ١٢ ص ٤٦٣

(٤) انظر هذه الأقوال في: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج ٤ ص ٢٤٦، تفسير السمعاني: ج ٥ ص ٢٨٨

وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول – مع وجود أقوالٍ أخرى في تفسير الآية – دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له.

– كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالقول الراجح، فعندما يذكر الإمام النسفي الأقوال في تفسير الآية، يبدأ في كثير من المواضع بذكر أحد الأقوال بطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده، كأن يبدأ تفسير الآية بقوله: (أي كذا)، أو: (معناه كذا)، أو: (يعني كذا)، أو: (المراد كذا)، أو: (هو، هي، هم...)، أو: (روي)، أو يبدأ به التفسير مطلقاً، ويؤيِّد ما بدأ به بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر باقي الأقوال.

وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١– عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

يقول الإمام النسفي مبيِّناً متى تكون شهادة المؤمنين على الناس؟ هل هي في الآخرة؟ أم هي في الدنيا؟: ((﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ غير منصرف لمكان ألف التأنيث ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ صلة شهداء ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ عطفٌ على﴿لِّتَكُونُوا۟ ﴾ روي أنَّ الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغَ الأنبياء، فيطالب اللهُ الأنبياءَ بالبينة على أنهم قد بلَّغوا – وهو أعلم – فيُؤتى بأمَّة محمد عليه السلام فيشهدون، فتقول الأمم: من أين عرفتم؟ فيقولون: علِمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه السلام فيُسأل عن حال أمته فيزكيهم، ويشهد بعدالتهم(١)... وقيل: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ في

(١) هذه الرواية ساقها الإمام النسفي بالمعنى، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري: كتاب التفسير، باب: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ

الدنيا فيما لا يصحُّ إلا بشهادة العُدُول الأخيار،﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ يزكيكم ويُعلِم بعدالتكم...)) [1].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بدأ تفسير الآية مباشرة بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي ساقه بالمعنى حيث قال: (روي...)، ثم ثنَّى بقوله: (وقيل...)، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده؛ مع العلم أنَّ الحديث الذي رواه – كما يتبين من لفظ الرواية في التخريج – هو نصٌّ في تفسير الآية؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ذكر معنى الآية، ثم استشهد بها.

٢- عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦١﴾ [آل عمران:١٦١]

شَهِيدًاۗ﴾: رقم الحديث (٤٢١٧)، ج ٤ ص ١٦٣٢، ونصُّ الحديث: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يُدعى نوحٌ يوم القيامة، فيقول: لبيك وسعديك يا رب، فيقول: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لأمَّته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمَّد وأمَّته، فيشهدون أنه قد بلَّغ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾، فذلك قوله جل ذكره:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ »، فهذه الرواية تفيد أنَّ المسؤول من الأنبياء هو نوح عليه السلام، ولكن وردت رواية عامة أخرجها ابن ماجه في سننه: كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث (٤٢٨٤)، ج ٢ ص ١٤٣٢، ولفظها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يجيء النبي ومعه الرجلان، ويجيء النبي ومعه الثلاثة، وأكثر من ذلك وأقل، فيقال له: هل بلَّغت قومك؟ فيقول: نعم، فيُدعى قومه، فيقال: هل بلَّغكم؟ فيقولون: لا، فيقال: من شهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فتدعى أمة محمد، فيقال: هل بلَّغ هذا؟ فيقولون: نعم، فيقول: وما علمكم بذلك؟ فيقولون: أخبرنا نبينا بذلك أنَّ الرسل قد بلَّغوا فصدقناه، قال: فذلكم قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ »، أما شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمَّته بعد شهادتهم على الأمم، فقد وردت عند ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الفضائل، باب ما أعطاه الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم: رقم الحديث (٣١٦٨٤)، ج ٦ ص ٣١٠، ولفظها: « ثم أشهد عليكم بعد ».

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٣٢

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي يأت بالشيء الذي غلَّه بعينه حاملاً على ظهره كما جاء في الحديث[1]، أو يأت بما احتمل من وباله وإثمه ..))[2].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بدأ تفسير الآية بقوله: (أي...)، وأيَّد تفسيره بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي أشار إليه بقوله: (كما جاء في الحديث)، ثم ذكر قولاً ثانياً، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ونلاحظ أيضاً أنَّ الحديث الذي رجَّح به الإمام النسفي لم يرد في سياق التفسير للآية، ولكن معنى الحديث يشهد للمعنى الذي حُملت عليه الآية.

- وأحياناً عندما يذكر الإمام النسفي الأقوالَ في تفسير الآية نجده يُصدِّر تفسير الآية بقولٍ غيرِ مؤيَّدٍ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده - كما

---

(١) ولفظ الحديث كما عند الإمام مسلم: عن أبي هريرة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فذكر الغلول فعظَّمه وعظَّم أمره، ثم قال: « لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رُغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حَمْحَمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثُغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفْس لها صياحٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا أُلفينَّ أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رِقاعٌ تخفِق، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك ». والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الغلول، وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ : رقم الحديث (٢٩٠٨)، ج ٣ ص ١١١٨، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإمارة، باب غلظ تحريم الغلول: رقم الحديث (١٨٣١)، ج ٣ ص ١٤٦١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٨٧، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٢٤، ٢١٠، ٢٦١، ٢٩٠، ٣٩٦)، ج ٢ ص (٦٣، ١٥٨، ٢١٢، ٢٧٠)، ج ٣ ص (٧٢-٧٣، ٤٢٠، ٤٥٨)، ج ٤ ص (٢٧٧، ٤٦٨، ٤٩٤، ٥٦٤)

ذكرت سابقاً – ثم يذكر باقي الأقوال، وربَّما كان بعض هذه الأقوال مؤيَّداً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا دليلٌ على ترجيحه لما بدأ به، ودليلٌ أيضاً على مرجوحيَّة باقي الأقوال؛ وإن كانت مؤيَّدةً بالمنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾... أي تتصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على من أعسر من غرمائكم... ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في القيامة، وقيل: أُريد بالتصدق الإنظارُ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: « لا يحلُّ دَين رجلٍ مسلمٍ، فيؤخرَه إلا كان له بكلِّ يوم صدقة »[(١)]...))[(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بدأ تفسير الآية بقوله: (أي...)، ثم ثنَّى بقوله: (وقيل...)، وأيَّد القول الثاني بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، والقولُ الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

---

(١) الحديث رواه أحمد في مسنده من حديث بريدة بألفاظ متقاربة: ولفظه: « من أنظر معسراً كان له كل يوم صدقة، ومن أنظره بعد حلِّه كان له مثله في كل يوم صدقة »: رقم الحديث (٢٣٠٢٠)، ج ٥ ص ٣٥١، وابن ماجه في سننه: كتاب الصدقات، باب إنظار المعسر: رقم الحديث (٢٤١٨)، ج ٢ ص ٣٥١، وسنده عند ابن ماجه ضعيف؛ لأنَّ فيه نفيع بن الحارث الأعمى الكوفي، وهو متفق على ضعفه، انظر: مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: ج ٣ ص ٦٥، ورواه الحاكم في مستدركه: كتاب البيوع: رقم الحديث (٢٢٢٥)، ج ٢ ص ٣٤، وقال: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه)).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢١٢

ونلاحظ أنَّ الإمام النسفي هنا لم يذكر سبب تقديمه القول الأول على القول المؤيَّد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فربَّما كان السبب هو ضعف القول الثاني؛ لأنَّ الإنظار ثبت وجوبه بالآية الأولى، فلا بدَّ من فائدة جديدة، ولأنَّ قوله ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إنما يليق بالمندوب لا بالواجب(١).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [النساء:٨٦]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ أي قولوا: وعليكم السلامُ ورحمةُ الله إذا قال: السلامُ عليكم، وزيدوا: وبركاته، إذا قال: ورحمةُ الله... ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ أي أجيبوها بمثلِها، وردُّ السلام جوابُه بمثله؛ لأنَّ المجيب يردُّ قولَ المسلِّم، وفيه حذف مضاف، أي: ردُّوا مثلَها... وقيل: ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ لأهل الملَّة ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ لأهل الذمَّة، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: « إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتاب، فقولوا: وعليكم »(٢)، أي: وعليكم ما قلتم؛ لأنهم كانوا يقولون: السَّام عليكم(٣)...))(٤).

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب: ج ٧ ص ٩١، ولقد صرَّح الإمام الرازي بضعف القول الثاني.

(٢) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان، باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام: رقم الحديث (٥٩٠٣)، ج ٥ ص ٢٣٠٩، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم: رقم الحديث (٢١٦٣)، ج ٤ ص ١٧٠٥

(٣) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاستئذان، باب كيف الردّ على أهل الذمة بالسلام: رقم الحديث (٥٩٠١)، ج ٥ ص ٢٣٠٨، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، وكيف يرد عليهم: رقم الحديث (٢١٦٥)، ج ٤ ص ١٧٠٦

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٥١، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٨٧، ١٦٢، ١٨٧، ٢٣٠، ٢٤١، ٣٧٠)، ج ٢ ص (١٥٣، ١٥٨، ٢٢٢، ٢٤٢)، ج ٣ ص (٣٠٦)، ج ٤ ص (١٤٧، ٣١٨، ٣٨٩، ٥٧٣)

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بدأ تفسير الآية بقوله: (أي...)، ثم ثنَّى بقوله: (وقيل...)، وأيَّد بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم أنَّ الردَّ يكون على أهل الذمَّة ، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ونلاحظ أنَّ الإمام النسفي هنا لم يذكر سبب تقديمه القول الأول، فربَّما كان السبب هو وجود مرجِّح أقوى في نظره ولكن لم يُشر إليه(١).

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ من كل ما يُتقوَّى به في الحرب من عُددها، وفي الحديث: « ألا إنَّ القوة الرمي »(٢) قالها ثلاثاً على المنبر، وقيل: هي الحصون...))(٣).

فالقوة عند الإمام النسفي لفظٌ عامٌّ يُرادُ به كلُّ ما يُتقوَّى به في الحرب من عُددها، وقدَّم هذا التفسير على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فسَّر القوة بالرمي؛ وذلك لأنَّه ليس في الحديث ما يدلُّ على أنَّ المرادَ بالقوة الرميُ خاصة دون سائر معاني القوة، فإنَّ الرمي أحد معاني القوة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: « ألا إنَّ القوة الرمي »، ولم يقل دون

---

(١) والمرجِّح – والله أعلم – هو ورود حديث هو نصٌّ في تفسير الآية، وهو ما رواه ابن جرير الطبري بسنده عن سلمان الفارسي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: السلام عليك يا رسول الله. فقال: وعليك ورحمة الله، ثمَّ جاء آخر، فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله. فقال له رسول الله: وعليك ورحمة الله وبركاته، ثمَّ جاء آخر، فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال له: وعليك. فقال له الرجل: يا نبي الله بأبي أنت وأمي، أتاك فلان وفلان فسلَّما عليك، فردَّدت عليهما أكثر مما ردَّدت عليَّ، فقال: إنك لم تدع لنا شيئاً، قال الله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾، فرددناها عليك. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥ ص ١٩٠، والقول الذي قدَّمه الإمام النسفي هو الذي اختاره الإمام ابن جرير الطبري؛ لورود هذا الحديث، أمَّا القول الثاني الذي ذكره الإمام النسفي فهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن زيد. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥ ص (١٨٩-١٩٠)

(٢) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عقبة بن عامر: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، والحثِّ عليه وذمِّ من علمه ثم نسيه: رقم الحديث (١٩١٧)، ج ٣ ص ١٥٢٢

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٥٨

غيرها، ومن القوة أيضاً السيف والرمح والحربة، وكلُّ ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمي[1].

فسبب تقديم القولِ هنا على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أنَّ ما ورد في الحديث من باب ذكر بعض أفراد العام لأهمِّيته، ومن باب ذكر المثال، لا الحصر.

فما بدأ به الإمام النسفي هو الراجح ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّم:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾... والمراد بالمسجد الحرام: الحَرَمُ؛ لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((الحرم كلُّه مسجد))[2]، وقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، فقد قال عليه السلام: « بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عندَ البيت بين النائم واليقظان، إذ أتاني جبريل بالبراق، وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة »[3]...))[4].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلافَ القول الذي صدَّر به تفسير الآية، وأيَّد قوله بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يشهد للمعنى الذي حُملت عليه الآية، حيث

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٠ ص ٣٢

(٢) رواه ابن زنجويه في الأموال بسنده عن عطاء عن ابن عباس: ج ١ ص ٢٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد عن ابن عباس: رقم الحديث (١٠٠١٥)، ج ٦ ص ١٧٧٦، بلفظ: ((الحرم كلّه المسجد الحرام)).

(٣) والحديث أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: رقم الحديث (٣٠٣٥)، ج ٣ ص ١١٧٣، وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات: رقم الحديث (١٦٤)، ج ١ ص (١٤٩-١٥٠)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٤٤٢، وانظر مثلاً: ج ٣ ص (٢٢٤، ٢٨٤)

ورد في الحديث أنَّ جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بالبراق والنبي صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام في الحِجْر عندَ البيت، وهذا تأكيد أنَّ المراد بالمسجد الحرام عينُه، لا الحرم.

- وأحياناً يذكر الإمام النسفي أكثر من معنى، ويؤيِّد كلَّها أو بعضَها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يُرجِّح بينها؛ ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعاني يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه:١- ٢]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ لتتعب لفرط تأسُّفِكَ عليهم وعلى كفرهم، وتحسُّرِك على أن يؤمنوا، أو بقيام الليل، فإنَّه روي أنَّه عليه السلام صلَّى بالليل حتى تورَّمت قدماه، فقال له جبريل: « أبق على نفسك؛ فإنَّ لها عليك حقاً »[(١)]، أي: ما أنزلناه لتُنهِك نفسك بالعبادة، وما بُعِثتَ إلا بالحنيفية السمحة)) [(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر الآية بقولين، بدأ تفسير الآية بالقول الأول مباشرة، ثم ثنَّى بالقول الثاني معطوفاً بـ (أو)، وأكَّده بفعل النبي صلى الله عليه وسلم، ثم فسَّر الآية بالقول الثاني أيضاً، ولم يُرجِّح، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعنيين يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعنيين مقبولان راجحان.

---

(١) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وليس فيه ذكر جبريل: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح:٢]: رقم الحديث (٤٥٥٦)، ج ٤ ص ١٨٣٠، ولفظه: « قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر. قال: أفلا أكون عبداً شكوراً »، وأخرج البخاري نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها في نفس الباب، كذلك أخرج الإمام مسلم نحو الحديث في صحيحه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وليس فيه ذكر جبريل أيضاً: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة: رقم الحديث (٢٨١٩)، ج ٤ ص ٢١٧١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٧٦

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الزُّمَر:٦٩]

يقول الإمام النسفي: ((﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي بعَدلِه بطريق الاستعارة، يُقال للملك العادل: أشرقت الآفاق بعَدْلِك، وأضاءت الدنيا بقِسْطِك، كما يُقال: أظلمت البلاد بجَورِ فلان، وقال عليه الصلاة والسلام: « الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة »[(١)]، وإضافة اسمه إلى الأرض؛ لأنَّه يُزيِّنها حيث ينشرُ فيها عدَله، وينصِب فيها موازين قسطه، ويحكم بالحق بين أهلها، ولا نرى أزينَ للبقاع من العدل، ولا أعمرَ لها منه، وقال الإمام أبو منصور رحمه الله[(٢)]: يجوز أن يخلق الله نوراً فينوِّرُ به أرضَ الموقف، وإضافتُه إليه تعالى؛ للتخصيص كبيت الله، وناقة الله...)) [(٣)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر الآية بقولين، بدأ تفسير الآية بالقول الأول بقوله: (أي...)، وأكَّد أنَّ النورَ يُطلَقُ على العدل من باب الاستعارة، كما أنَّ الظلمة تُطلَق على الجور، وأكَّد ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جوَّز أن يُرادَ بالنور في الآية نوراً يخلقه الله تعالى يوم القيامة، ولم يُرجِّح، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعنيين يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعنيين مقبولان راجحان.

- وأحياناً نجد الإمام النسفي في بعض المواضع قد عدل عن ترجيح القول المؤيَّد بالحديث الصحيح الذي هو نصٌّ في تفسير الآية.

ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات يوم القيامة: رقم الحديث (٢٣١٥)، ج ٢ ص ٨٦٤، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم: رقم الحديث (٢٥٧٩)، ج ٤ ص ١٩٩٦

(٢) أي الماتريدي.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٩٩، وانظر مثلاً: ج ١ ص ١٦٥، ج ٢ ص ١٨٠، ج ٣ ص ٣٩٤، ج ٤ ص (١٦٣، ١٨٨، ٢٩٢، ٥٢٢)

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة:٨٧]

يقول الإمام النسفي في بيان المراد بروح القدس: ((...﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ أي بالروح المقدَّسة، كما يقال: حاتمُ الجُودِ، ووصفها بالقدس؛ للاختصاص والتقريب، أو بجبريل عليه السلام؛ لأنَّه يأتي بما فيه حياة القلوب؛ وذلك لأنَّه رفعه إلى السماء حين قصد اليهود قتله، أو بالإنجيل كما قال في القرآن: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢]، أو باسم الله الأعظم الذي كان يحيي بذكره)) [(١)].

فالإمام النسفي فسَّر روح القدس بالروح المقدسة، وابتداؤه بهذا القول دليل على ترجيحه له[(٢)]، لكنَّ تفسيره روح القدس بالروح المقدسة مخالفٌ لما جاء في السنَّة من أنَّه جبريل عليه السلام، وذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت[(٣)]: « إنَّ روح القدس لا

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٠٧

(٢) لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ الإمام النسفي فسَّر روح القدس في مواضع أخرى بجبريل عليه السلام، ففي تفسير الآية (٢٥٣) من سورة البقرة، يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ قوَّيناه بجبريل أو بالإنجيل...)). مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٩٧، كذلك في تفسيره للآية (١١٠) من سورة المائدة، يقول الإمام النسفي: ((...﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ بجبريل عليه السلام أُيِّد به لتثبت الحجَّة عليهم، أو بالكلام الذي يحيا به الدين، وأضافه إلى القدس؛ لأنَّه سبب الطهر من أوساخ الآثام...)). مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٤٣

(٣) حسان بن ثابت بن المنذر، الأنصاريّ الخزرجيّ، ثمَّ النجاري، شاعرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا الوليد، كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلِّها في الإسلام، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يضع له المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو المشركين، اختلف في وفاته، فقيل: مات حسان قبل الأربعين، وقيل: سنة أربعين، وقيل: خمسين، وقيل: أربع وخمسين، والجمهور على أنه عاش مائة وعشرين سنة. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٢ ص (٦٢-٦٤)، الاستيعاب: ج ١ ص (٣٤١-٣٥٠)

يزال يؤيِّدك ما نافحت عن الله ورسوله »[1]، وورد في رواية أخرى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن ثابت: « اهج المشركين فإنَّ جبريل معك »[2]، فهذه الرواية تفسِّر أنَّ المراد بروح القدس في الرواية السابقة هو جبريل عليه السلام.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ ﴾ [التوبة:١٠٨]

يقول الإمام النسفي في بيان المراد بالمسجد الذي أُسِّس على التقوى: ((... وهو مسجد قُباء، أسَّسه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلَّى فيه أيام مُقَامه بقباء، أو مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة...)) [3].

فالإمام النسفي بيَّن أنَّ المراد بالمسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجد قباء، وابتداؤه بهذا القول دليل على ترجيحه له، لكنَّ ترجيحه مخالفٌ لما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري[4] رضي الله عنه أنَّه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه

---

(١) وهذا لفظ رواية الإمام مسلم، وأخرج الإمام البخاري نحوه في صحيحه: كتاب الصلاة، باب الشعر في المسجد: رقم الحديث (٤٤٢)، ج ١ ص ١٧٣، أمَّا الإمام مسلم فقد أخرجه في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه: رقم الحديث (٢٤٩٠)، ج ٤ ص ١٩٣٦

(٢) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي: باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة، ومحاصرته إياهم: رقم الحديث (٣٨٩٧)، ج ٤ ص ١٥١٢

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢٠٩

(٤) سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، اشتهر بكنيته، استصغر يوم أحد، وشهد المشاهد بعدها، وروى الكثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، اختلف في وفاته، فقيل: مات سنة أربع وسبعين، وقيل: أربع وستين، وقيل: مات سنة ثلاث وستين، وقيل: مات سنة خمس وستين. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٣ ص (٧٨-٧٩)، الاستيعاب: ج ٢ ص ٦٠٢

فقال: يا رسول الله أيُّ المسجدين الذي أسِّس على التقوى؟ قال: فأخذ كفًّاً من حصباء فضرب به الأرض، ثم قال: « هو مسجدكم هذا »[1] أي مسجد المدينة.

فهذا الحديث نصَّ فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أنَّ المراد بالمسجد الذي أُسِّس على التقوى هو مسجده الشريف.

وبعد كلامي عن أسلوب الترجيح بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي أكون قد أنهيت الكلام عن الترجيح بالسنَّة النبوية المطهرة، وسأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بأقوال الصحابة والتابعين وأسباب النزول والإجماع، وهذا ما خصِّص له الفصل الآتي.

---

(١) والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب بيان أنَّ المسجد الذي أسِّس على التقوى هو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: رقم الحديث (١٣٩٨)، ج ٢ ص ١٠١٥، وروي عن أبي سعيد الخدري، قال: امترى رجلٌ من بني خُدْرَة، ورجل من بني عمرو بن عوف في المسجد الذي أُسِّس على التقوى، فقال الخدري: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر هو مسجد قباء، فأتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال: « هو هذا – يعني مسجده – وفي ذلك خير كثير ». والحديث أخرجه الإمام الترمذي في جامعه: كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في المسجد الذي أسس على التقوى: رقم الحديث (٣٢٣)، ج ٢ ص ١٤٤، وقال أبو عيسى: ((هذا حديث حسن صحيح)).

الفصل الرابع

الترجيح بأقوال الصحابة والتابعين وأسباب النزول والإجماع

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وحُجِّية أقوالهم في التفسير.

المبحث الثاني: الترجيح بأقوال الصحابة.

المبحث الثالث: الترجيح بأقوال التابعين.

المبحث الرابع: الترجيح بأسباب النزول.

المبحث الخامس: الترجيح بالإجماع.

المبحث الأول

تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وحُجِّية أقوالهم في التفسير.

يتناول المبحث الكلام عن تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وحُجِّية أقوالهم في التفسير.

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

قبل أن أتكلم عن تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين لا بدَّ من تعريف الصحابة والتابعين لغة واصطلاحاً.

أولاً: تعريف الصَّحابة:

أ- تعريف الصَّحابة لغة:

جاء في "جمهرة اللغة": ((الصَّحْبُ، والصِّحابُ، والأصحاب، والصَّحابة واحدٌ، فإذا قالوا: صحابة، فهم الأصحاب...)) [(١)].

فالصَّحابة: الأصحاب، والأصحاب: جمع صاحب، والصَّاحب يُجمع على: صَحْبٍ، كراكبٍ ورَكْبٍ، وصُحْبةٍ، كفارهٍ وفُرْهةٍ، وصِحابٍ، كجائعٍ وجِياع، وصُحْبان، كشابٍّ وشُبَّان.

وكلمة الصَّحابة هي في الأصل مصدر، تقول: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبةً، بالضم، وصَحَابةً، بالفتح، ولم يُجمع فاعل على فَعَالة إلا هذا الحرف فقط[(٢)].

فالصَّحابي هو الصاحب، والاشتقاق في اللغة جاء من مادة (صحب).

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد: ج ١ ص ٢٨٠

(٢) مختار الصحاح: ص ١٤٩

قال ابن فارس: ((الصَّادُ، والحاءُ، والباءُ، أصلٌ واحدُ يدلُّ على مقارنة شيء ومقاربته، من ذلك: الصَّاحب، والجمع: الصَّحْبُ، كما يقال: راكبٌ ورَكْبٌ، ومن الباب: أصْحَبَ فلانٌ إذا انقاد، وكل شيءٍ لاءم شيئاً، فقد استصحبه))[١].

وأصْحَبَ: تَبِعَ وانقاد، وأصْحَبَ فلانٌ فلاناً: أي غلبه، فأصْحَبَه، يعني: استتبعه فتبعه[٢].

وتقول: أصْحَبتُ الرَّجُلَ، إذا اتبعتَه منقاداً... وصاحبتُه إذا رافقتَهُ، فهو مصحوب[٣].

والصَّاحب هو المعاشر، تقول: صَحِبَهُ يَصْحَبُهُ صُحْبةً، وصَحَابةً، وصَاحَبَه: عاشره[٤].

فممَّا سبق نلاحظ أنَّ مادة (صحب) يدور معناها على مقارنة شيءٍ لشيءٍ ومقاربته له، مع وجود الملاءمة بينهما، وانقياد أحدهما للآخر، واتباعه.

وبناءً على ما سبق يكون معنى صحبة الصَّحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقارنتَهم واتباعَهم وانقيادَهم له، لوجود الملاءمة بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم – وهي الإيمان بالله عزَّ وجلَّ – وما يترتب على ذلك كلِّه من حصول المعاشرة بينهم[٥].

ب- تعريف الصَّحابة اصطلاحاً:

عرَّف ابن حجر الصَّحابي بقوله: ((هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم، مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلَّلت رِدَّةٌ في الأصحِّ))[٦].

فيدخل في التعريف من طالت صحبته، أو قصرت، ومن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو لم يرو عنه، ومن غزا معه، أو لم يغز معه، ومن رآه رؤيةً ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى[٧][١].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٣٣٥

(٢) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد: ج ٢ ص ٤٦٧

(٣) جمهرة اللغة: ج ١ ص ٢٨٠

(٤) لسان العرب: ج ١ ص ٥١٩

(٥) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص ١٤٩

(٦) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر لابن حجر: ص ١١١

(٧) انظر: الإصابة: ج ١ ص ٦

لذلك قال ابن حجر: ((والمرادُ باللقاء ما هو أعمُّ من المجالسة، والمماشاة، ووصول أحدهما إلى الآخر، وإن لم يُكالمه، وتدخل فيه رؤيةُ أحدهما الآخر، سواءٌ كان ذلك بنفسه أو بغيره.

والتعبير بـ (اللُّقيِّ) أولى من قول بعضهم: الصحابي من رأى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؛ لأنه يُخرج ابنَ أمِّ مكتوم[٢]، ونحوه من العُميان، وهم صحابة بلا تردُّد.

واللُّقيُّ في هذا التعريف كالجنس، وفي قولي: (مؤمناً)؛ كالفَصْل، يُخْرِجُ من حصل له اللقاء المذكور، لكن في حال كونه كافراً.

وقولي: (به)؛ فصلٌ ثانٍ يُخْرِجُ من لَقِيَه مؤمناً، لكن بغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٣]...

وقولي: (ومات على الإسلام)؛ فصلٌ ثالثٌ يُخْرِجُ من ارتد بعد أن لَقِيَه مؤمناً به، ومات على الرِّدة[٤].

---

(١) وكذلك يدخل فيهم من رآه وآمن به من الجنِّ؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – بُعث إليهم قطعاً، وهم مكلَّفون، فِيهِم العُصاة والطائعون. انظر: فتح المغيث: ج ٣ ص ٩٦

(٢) عمرو بن قيس بن زائدة القُرشيّ العامري، ابن أمِّ مكتوم، صحابي جليل، من السابقين المهاجرين، ويقال: كان اسمه الحصين، فسمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم عبدَ الله، كان يُؤَذِّن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع بلال وهو أعمى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة، شهد القادسية، ثم رجع إلى المدينة، ومات بها في آخر خلافة عمر رضي الله عنه. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٤ ص (٦٠٠-٦٠١)، الاستيعاب: ج ٣ ص (٩٩٧-٩٩٨)

(٣) لذلك لا يدخل من رآه من مؤمني أهلِ الكتاب قبل البعثة الشريفة، كزيد بن عمرو بن نُفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: « إنه يبعث أمة وحده ». قال السخاوي في شرحه على ألفية الحديث للعراقي: ((وهل يدخل من رآه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة الشريفة... الظاهر: لا، وبه جزم شيخنا في مقدمة "الإصابة")).اهـ. فتح المغيث: ج ٣ ص (٩٧-٩٨)

(٤) كعبد الله بن خَطَل، وربيعة بن أمية، ومِقيَس بن صُبَابة، ونحوهم، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء لا يُطلق عليهم اسم الصحابة. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للحافظ زين الدين العراقي: ص ٢٩٢

وقولي: (ولو تخلَّلت رِدَّة)؛ أي: بين لُقِيِّه له مؤمناً به، وبين موته على الإسلام؛ فإن اسم الصحبة باقٍ له، سواءٌ أرجع إلى الإسلام في حياته صلى الله عليه وسلم أو بعده، وسواءٌ أَلَقِيَهُ ثانياً أم لا.

وقولي: (في الأصحِّ)؛ إشارةٌ إلى الخلاف في المسألة))[1][2].

وبعد تعريف الصحابة، لا بدَّ من تعريف التابعين – أيضاً – لغةً واصطلاحاً.

ثانياً: تعريف التابعين:

أ- تعريف التابعيِّ لغة:

التابعيُّ: مشتقٌ في اللغة من: (تبع).

قال ابن فارس: ((التاءُ، والباءُ، والعينُ، أصلٌ واحدٌ، لا يشِذُّ عنه من الباب شيءٌ، وهو التُّلُوُّ، والقَفْوُ. يُقال: تَبِعْتُ فلاناً: إذا تَلَوْتُهُ، واتَّبَعْتُهُ، وأَتْبَعْتُهُ: إذا لحِقْتُهُ...))[3].

تقول تَبِعْتُ الشيءَ تُبوعاً: سِرْت فِي إِثْرِه، واتَّبَعَه وأَتْبَعَه وتتَبَّعه: قَفاه، وتَطلَّبه مُتَّبعاً له[4].

---

(١) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص (١١١-١١٢)

(٢) قال الحافظ العراقي في شرحه على مقدمة ابن الصلاح: ((أمَّا من ارتد منهم، ثمَّ عاد إلى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم، فالصحبة عائدةٌ إليهم بصحبتهم له ثانياً، كعبد الله بن أبي سَرْح، وأمَّا من ارتد منهم في حياته، وبعد موته، ثمَّ عاد إلى الإسلام بعد موته – صلى الله عليه وسلم – كالأشعث بن قيس، ففي عَودِ الصحبة له نظرٌ عند مَن يقول إنَّ الرِّدة محبطةٌ للعمل، وإن لم يتصل بها الموت، وهو قول أبي حنيفة، وفي عبارة الشافعي في "الأم" ما يدلُّ عليه، نعم الذي حكاه الرافعي عن الشافعي أنها إنما تُحبط العمل بشرط اتصالها بالموت)). اهـ. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: ص ٢٩٢، والراجح – والله أعلم – هو قول من قال بأنَّ الرِّدة تُحبط العمل بشرط اتصالها بالموت، لذلك قال ابن حجر مُرجِّحاً هذا القول: ((ويدلُّ على رجحان الأول قصة الأشعث بن قيس؛ فإنه كان ممن ارتدَّ، وأُتي به إلى أبي بكر الصِّديق أسيراً، فعاد إلى الإسلام، فقبل منه ذلك، وزوَّجه أخته، ولم يتخلف أحدٌ عن ذكره في الصحابة، ولا عن تخريج أحاديثه في المسانيد وغيرها)). اهـ. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ١١٢

(٣) معجم مقاييس اللغة: ج ١ ص ٣٦٢

(٤) انظر: لسان العرب: ج ٨ ص ٢٧

والتابع: هو التالي، ويتبَعُه: يتلُوه، وتقول: تتبَّعتُ علمَه، أي: اتَّبعتُ آثاره، والمتابعة: أن تُتبِعه هواك وقلبك، وتقول: هؤلاء تَبَعٌ وأتباعٌ، أي: مُتَّبِعوك ومتابعوك على هواك(١).

والتَّبابِعة: ملوكُ اليمن، واحدهم تُبَّع، سُمُّوا بذلك؛ لأَنه يَتْبَع بعضُهم بعضاً، كلَّما هلك واحدٌ قام مَقامه آخرُ تَابِعاً له على مِثْلِ سِيرته(٢).

فممَّا سبق نلاحظ أنَّ مادة (تبع) يدور معناها على التتالي، وقَفْوِ الشَّيءِ الشَّيءَ، سواءٌ كان ذلك في أمر حسِّيٍّ كالمشي، أو معنويٍّ كالسِّيرة، وبناءً على ما سبق يمكن القول: إنَّ تسمية التابعين بذلك؛ لأنهم تَلَوْا عصر الصحابة، وأتَوْا بعده، أو لأنهم كانوا مقتفين لسيرتهم وآثارهم، ولعلَّ الأول هو الأرجح؛ لأنَّ اقتفاء آثارِ الصحابة وسيرتهم يتأتَّى في كل عصر لمن جاء بعدهم، ولا يختص بالتابعين(٣).

ب- تعريف التابعي اصطلاحاً:

عرَّف ابن حجر الصَّحابيَّ بقوله: ((هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم، مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخلَّلت رِدَّةٌ في الأصحِّ))(٤)، ثم بعد أن بيَّن محترزات هذا التعريف، ذكر التابعي، فقال: ((وهو من لَقِي الصَّحابيَّ كذلك، وهذا متعلق باللُّقِيِّ، وما ذُكِرَ معه؛ إلا قيدُ الإيمان به؛ فذلك خاصٌّ بالنبي صلى الله عليه وسلم))(٥).

فيُفهم من كلام ابن حجر أنه يشترط في التابعي القيود المذكورة في تعريف الصَّحابيِّ؛ إلا قيد الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم حال لقائه، فهذا خاصٌّ بالصَّحابي دون التابعي.

وبناءً على ذلك فالتابعي هو من لقي الصَّحابيَّ، مؤمناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومات على الإسلام، ولو تخلَّلت رِدَّةٌ في الأصحِّ، وكذلك يُعتبر مِن التابعين مَن لقي الصَّحابيَّ، ولو

---

(١) انظر: العين للفراهيدي: ج ٢ ص ٧٨

(٢) انظر: لسان العرب: ج ٨ ص ٣١

(٣) انظر: منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره: ص ١٦٥

(٤) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ١١١

(٥) المرجع السابق: ص ١١٣

كان غيرَ مؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، ثم أسلم، ومات على الإسلام، ولو تخلَّلت رِدَّةٌ في الأصحِّ[1].

ويكفي مجرد لقاء التابعي للصَّحابي، دون اشتراط طول ملازمته له، أو صحبة السماع، أو التمييز، وهذا هو المختار -كما قال ابن حجر[2]- وعليه عمل الأكثرين من أهل الحديث، وهو الأظهر كما قال النووي[3].

وبعد تعريف الصحابة والتابعين لغة واصطلاحاً أعود إلى تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، فأقول:

المراد بتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين اصطلاحاً هو: بيان القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، أي: بيان بعض آيات القرآن بما ورد عن الصحابة الكرام والتابعين من أقوالٍ في التفسير.

وبناءً على ما سبق نستطيع أن نُعرِّف ترجيح تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين بأنه: تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية بما ورد عن الصحابة الكرام والتابعين من أقوالٍ في التفسير لبعض آيات القرآن الكريم.

---

(١) انظر: شرح نخبة الفكر: ص ٥٩٥

(٢) انظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: ص ١١٣

(٣) انظر: تدريب الراوي: ج ٢ ص ٢٣٤

المطلب الثاني: حجِّية أقوال الصحابة والتابعين في التفسير عند العلماء:

أولاً: حجِّية أقوال الصحابة في التفسير عند العلماء:

روى الحاكم[١] بسنده عن أبي هريرة[٢] رضي الله عنه قال: « كان فيكم أمانان: مضت إحداهما، وبقيت الأخرى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال:٣٣] »[٣].

ثم قال: ((هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يُخَرِّجاه، وقد اتفقا على أنَّ تفسير الصَّحابيِّ حديثٌ مسندٌ)).

وروى الحاكم أيضاً بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل:﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة:٢] قال: « الجن والإنس »[٤]. ثم قال الحاكم بعد هذه الرواية: ((لِيَعلم طالبُ هذا العلم أنَّ تفسير الصَّحابيِّ الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديثٌ مسندٌ)).

---

(١) الإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن حمدويه، الطّهماني، النّيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المعروف بابن البيّع، اشتهر بحفظ الحديث، ومعرفة علله، وصحيحه وسقيمه، مصنفاته كثيرة، ومنها: المستدرك على الصحيحين، وعلوم الحديث، وكتاب فضائل الشافعي، وتاريخ نيسابور، مات سنة (٤٠٥هـ). انظر في ترجمته: طبقات الشافعية الكبرى: ج ٤ ص (١٥٥-١٦١)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٥ ص ٤٧٣

(٢) صحابي جليل، اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، والأصحُّ كما قال الإمام النووي: عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي، أسلم عام خيبر، وكان من أهل الصُّفة، لازم النبي صلى الله عليه وسلم ملازمة شديدة، فكان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله، وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، استعمله عمر بن الخطاب على البحرين، ومات سنة (٥٧هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٧ ص (٤٢٥-٤٤٤)

(٣) المستدرك على الصحيحين: كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر: رقم الحديث (١٩٨٨)، ج ١ ص ٧٢٦

(٤) المستدرك على الصحيحين: كتاب التفسير، تفسير سورة الفاتحة: رقم الحديث (٣٠٢١)، ج ٢ ص ٢٨٣

فيؤخذ من كلام الإمام الحاكم – في الموضعين السابقين – أنَّ تفسير الصَّحابيِّ الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم الرفع مطلقاً، وقد نسب القول بذلك للشيخين(١).

ولكنَّ الإمام الحاكم في كتابه "معرفة علوم الحديث"، وفي سياق كلامه عن الموقوفات، أورد مثالاً للحديث الموقوف، وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدَّثر:٢٩] قال: « تلقاهم جهنَّم يوم القيامة، فتلفحهم لفحةً، فلا تترك لحماً على عظم، إلا وضعت على العراقيب »(٢).

ثم قال عقب ذلك: ((وأشباه هذا من الموقوفات تعدُّ في تفسير الصَّحابة، فأمَّا ما نقول في تفسير الصَّحابي: مسندٌ، فإنما نقوله في غير هذا النوع))(٣).

ثم أورد مثالاً للتفسير المسنَد المرويِّ عن الصَّحابي، وهو ما رواه بسنده عن جابر(٤) رضي الله عنه قال: « كانت اليهود تقول: من أتى امرأتَه من دُبُرها في قُبُلها جاء الولدُ أحول، فأنزل الله عز وجل: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] »(٥).

---

(١) أي: البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى.

(٢) الحديث أيضاً أخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب "البعث والنشور": ج ٢ ص ٣٠، كما انتقد الإمام السيوطي عدَّ الحاكم أبي عبد الله هذا الحديث من الموقوف؛ لأنه يتعلق بالآخرة، ولا مجال للرأي فيه، فهو من قبيل المرفوع. انظر: تدريب الراوي: ج ١ ص ١٩٣، والعرقوب: العصب الغليظ الموتَّر فوق عقب الإنسان. لسان العرب: ج ١ ص ٥٩٤

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ص ٢٠

(٤) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي، صحابي بن صحابي، أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم، غزا مع رسول الله تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة سنة (٧٤هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ١ ص ٤٣٤

(٥) معرفة علوم الحديث: ص ٢٠، والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب التفسير، باب: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: رقم الحديث (٤٢٥٤)، ج ٤ ص ١٦٤٥، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب النكاح، باب جواز جماعه امرأته في قبلها من قدَّامها، ومن ورائها، من غير تعرض للدبر: رقم الحديث (١٤٣٥)، ج ٢ ص ١٠٥٨

ثم قال الحاكم عقب هذا المثال: ((هذا الحديث وأشباهه مسندةٌ عن آخرها، وليست بموقوفة؛ فإنَّ الصَّحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديثٌ مسندٌ)) [1].

وبناءً على هذا الكلام يكون الحاكم قد قيَّد في كتابه "معرفة علوم الحديث" ما أطلق في "المستدرك"، فحَكَمَ بأنَّ المسنَد من تفسير الصَّحابيِّ هو ما كان بياناً لأسباب النزول.

وقد اعتمد العلماء هذا التقييد، فقال ابن الصلاح[2]: ((ما قيل من أنَّ تفسير الصَّحابيِّ حديثٌ مسندٌ، فإنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آيةٍ يُخبر به الصَّحابيِّ، أو نحو ذلك...)) [3].

وقال الإمام النووي[4]: ((وأمَّا قول من قال: تفسيرُ الصَّحابيِّ مرفوعٌ، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آيةٍ أو نحوه، وغيره موقوف، والله أعلم)) [5].

ولا بدَّ من التنبيه على أنَّ ما يرويه الصَّحابيُّ من أسباب النزول ليس له حكم الرفع مطلقاً، بل ذلك مقيدٌ بأن لا يكون الصَّحابيُّ قد استنبط السبب استنباطاً [6].

---

(١) معرفة علوم الحديث: ص ٢٠

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان، الإمام العلَّامة، مفتي الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو بن الإمام البارع صلاح الدين، الشهرزوري الأصل، الموصلي المربا، الدمشقي الدار والوفاة، ولد سنة (٥٧٧هـ) بشهرزور، وكان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في فنون عدة، ومن تصانيفه: كتاب الفتاوى، علوم الحديث، كتاب أدب المفتي والمستفتي، نكت على المهذب...مات بدمشق سنة (٦٤٣هـ)، ودفن بمقابر الصوفية. انظر في ترجمته: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج ٢ ص (١١٣-١١٥)

(٣) علوم الحديث لابن الصلاح: ص ٥٠

(٤) يحيى بن شرف النووي، شيخ الإسلام، محي الدين، أبو زكريا، الفقيه الشافعي، الحافظ الزاهد، ولد سنة (٦٣١هـ)، ومن تصانيفه: الروضة، المنهاج، شرح المهذب: وصل فيه إلى أثناء الربا، وسمّاه المجموع، المنهاج في شرح مسلم، الأذكار، رياض الصالحين... وغيرها، مات سنة (٦٧٦هـ)، انظر في ترجمته: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ج ٢ ص (١٥٣- ١٥٧)، شذرات الذهب: ج ٥ ص (٣٥٤-٣٥٦).

(٥) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: ص ٣

(٦) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج ١ ص ١٩٤

ومما له حكم الرَّفع أيضاً ما يخبر به الصَّحابيُّ عن الأمور الماضية: كبدء الخلْقِ، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية: كالملاحم، والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عملٍ يحصل به ثوابٌ مخصوصٌ، أو عقابٌ مخصوصٌ، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها؛ لأنَّ إخبار الصَّحابيِّ بذلك يقتضي مُخبِراً له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي مُوَقِّفاً للقائل به، ولا مُوَقِّفَ للصَّحابة إلا النبيُّ صلى الله عليه وسلم، أو بعضُ من يُخبِر عن الكتب القديمة، فلهذا يُشترط ألا يكون الصَّحابيُّ ممن يأخذ عن الإسرائيليات(١).

ومن الموقوف على الصَّحابة – رضوان الله تعالى عليهم – ما يذكره الصَّحابيُّ في التفسير مما يُنقل عن لسان العرب، كبيان لغةٍ، وشرح غريبٍ(٢)، وكذلك إذا فسَّر الصَّحابيُّ آيةً تتعلق بحكم شرعي فيُحتمل أن يكون ذلك مُستفاداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن القواعد، فلا يجزم برفعه(٣).

وما له حكم الرفع من تفاسير الصَّحابة – إن صحَّ – فهو كالحديث المرويِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من حيث إنه يُؤخذ به، ولا يلتفت إلى غيره بحال من الأحوال(٤).

أما ما كان من تفاسير الصحابة موقوفاً عليهم، فلقد اختلف العلماء في الرجوع إليه:

فذهب فريق إلى أنَّ الموقوف على الصَّحابيِّ من التفسير لا يجب الأخذ به؛ لأنه قاله باجتهادٍ منه، وقوله ليس بحُجَّة(٥)، والمجتهد يُخطئ ويُصيب، والصَّحابة في اجتهادهم كسائر المجتهدين.

---

(١) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر: ج ٢ ص (٥٣١-٥٣٢)، نزهة النظر: ص (١٠٦-١٠٧)

(٢) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح: ج ٢ ص (٥٣١-٥٣٢)، نزهة النظر: ص (١٠٦-١٠٧)

(٣) انظر: النكت على كتاب ابن الصلاح: ج ٢ ص ٥٣٢

(٤) خالف أبو الخطاب من الحنابلة، فقال: ((يُحتمل ألا يُرجع اليه إذا قلنا: إنَّ قوله ليس بحجة)). اهـ. وقال الزركشي مُعقِّباً: ((والصواب: الأول [أي: الأخذ بقول الصحابي]؛ لأنه من باب الرواية، لا الرأي)). اهـ. البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٥٧

(٥) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ٩٥

وذهب فريق آخر إلى أنه يجب الأخذ به، والرجوع إليه؛ لأنهم أدرى الناس بكتاب الله، فهم أهل اللسان، ولِمَا شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله، ولِمَا اختُصُّوا به من الفهم التامِّ، والعلم الصحيح، لاسيَّما علماؤهم، وكبراؤهم، كالأئمَّة الأربعة، وعبد الله بن مسعود، وابن عباس وغيرهم[1].

وهذا الرأي الأخير هو الذي يطمئنُّ إليه القلب؛ لأنَّ الصَّحابة هم أدرى الناس بكتاب الله عزَّ وجلَّ، فهم أهل اللسان، وهم الذين عاينوا القرائن والأحوال عند نزول القرآن على قلب المصطفى صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى بركة صحبتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وما فيها من الأنوار والعلوم والمعارف والأحوال.

وهذا القسم من تفاسير الصحابة مأثورٌ بالنسبة إلينا؛ لأنه يؤثر وينقل إلينا، أمَّا بالنسبة إليهم فهو تفسير مبنيٌّ على الرأي والاجتهاد.

ثانياً: حجِّية أقوال التابعين في التفسير عند العلماء:

بعد أن بيَّن الإمام النووي أنَّ تفسير الصَّحابيِّ الذي له حكم المرفوع، هو الذي يتعلق بسبب نزول آيةٍ، أو نحو ذلك، قال الإمام النووي: ((وغيره موقوف، والله أعلم))[2]، ثم قال الإمام السيوطي[3] شارحاً هذه الجملة: ((قلت: وكذا يُقال في التابعي، إلا أنَّ المرفوعَ من جهته مرسلٌ[4]))[1].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٧٢، تفسير القرآن العظيم: ج ١ ص ٤، الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص ٤٦٧، مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٠

(٢) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: ص ٣

(٣) الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ولد سنة (٨٤٩هـ)، تصانيفه كثيرة ومنها: الإتقان في علوم القرآن، الدر المنثور، طبقات المفسرين، الأشباه والنظائر، حسن المحاضرة، تدريب الرواي ... وغيرها، مات سنة (٩١١هـ). انظر في ترجمته: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: ج ١ ص (١١٠- ١١٥)، شذرات الذهب: ج ٨ ص (٥١ - ٥٥).

(٤) قال ابن الصلاح في تعريف المرسل: ((وصورته التي لا خلاف فيها: حديث التابعيِّ الكبير الذي لقي جماعةً من الصحابة وجالسهم، كعُبيد الله بن عديِّ بن الخيار، ثمَّ سعيد بن المسيِّب، وأمثالهما، إذا قال: قال رسول الله صلى الله

فيُفهم من هذا الكلام أنَّ التفصيل السابق الذي مرَّ في حجِّية تفسير الصَّحابي، يَرِدُ نفسه في حجِّية تفسير التابعي، فما يرويه التابعي فيما يتعلق بسبب نزول آيةٍ – بشرط ألَّا يكون قد استنبط السبب استنباطاً باجتهاده – فله حكم المرفوع، لكنَّه مرسلٌ، والحجَّة في كونه مرفوعاً، أنَّ غالبَ رواية التابعين كانت عن الصَّحابة الكرام، فيغلب على الظنِّ أنَّ التابعي قد نقله عن صحابيٍّ شهد نزول الآية، أو نقله هذا الصَّحابيُّ عمَّن شهده، ولكن كما ذكرتُ سابقاً بشرط ألَّا يكون الصَّحابيُّ قد استنبط السبب استنباطاً باجتهاده.

ومما له حكم الرَّفع أيضاً: ما يُخبر به التابعي عن الأمور الماضية: كبدء الخلْقِ، وقصص الأنبياء، وعن الأمور الآتية: كالملاحم، والفتن، والبعث، وصفة الجنة والنار، والإخبار عن عملٍ يحصل به ثوابٌ مخصوصٌ، أو عقابٌ مخصوصٌ، فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها، ولا يُقال مثلها بالرأي، فلهذا يُشترط ألَّا يكون التابعيُّ ممَّن يأخذ عن الإسرائيليات، أو ينقل عمَّن يأخذ عنها.

أمَّا ما يُنقل عن التابعين في التفسير من بيان لغةٍ، أو شرح غريبٍ، أو بيان مُبهمٍ، ونحوِ ذلك ممَّا يعتمد على الاجتهاد والاستنباط، فهو موقوف عليهم، ويُسمَّى في اصطلاح المحدثين بالحديث المقطوع[٢]، وهو من التفسير المأثور بالنسبة إلينا، من حيثُ إنه يُؤثر، ويُنقل إلينا، أمَّا بالنسبة إليهم، فهو تفسيرٌ مبني على الرأي والاجتهاد.

= عليه وسلم. والمشهور: التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك رضي الله عنهم)). علوم الحديث: ص ٥١، وبعبارة أخرى: ((هو ما رفعه التابعيُّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر واسطة))، وقولنا: (التابعي) بإطلاق شامل للتابعي الصغير والكبير. الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح للدكتور مصطفى الخن والدكتور بديع السيد اللحام: ص ١٣٥

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج ١ ص ١٩٣

(٢) عرَّفه الإمام ابن الصلاح بقوله: ((وهو ما جاء عن التابعين موقوفاً عليهم من أقوالهم وأفعالهم)). علوم الحديث: ص ٤٧

وما له حكم الرفع من تفاسير التابعين – مع مراعاة الشروط السابقة – فهو كالحديث المرفوع المرويِّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنَّه مرسلٌ، والمرسل ضعيف[1] عند جماهير المحدِّثين، والشافعي، وكثير من الفقهاء، وأصحاب الأصول، ويمكن أن يرتقي إلى درجة القَبول إذا اعتضد[2].

أمَّا ما كان من تفاسير التابعين موقوفاً عليهم، فلقد اختلف العلماء في الرجوع إليه:

قال ابن تيمية: ((قال شعبة بن الحجَّاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حُجَّة، فكيف تكون حُجَّةً في التفسير؟ يعني أنَّها لا تكون حُجَّةً على غيرهم ممَّن خالفهم، وهذا صحيح، أمَّا إذا أجمعوا على الشيء، فلا يُرتاب في كونه حُجَّة، فإن اختلفوا فلا يكون قولُ بعضهم حُجَّةً على بعض، ولا على مَن بعدَهم، ويُرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السُّنَّة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصَّحابة في ذلك))[3].

فيُفهم من كلام شُعبة أنَّه لا يريد عدمَ حُجِّيتها مطلقاً، بل يريد أنها ليست بحجَّة إذا اختلفوا، فلا يكون قول بعضهم حُجَّة على بعض، ولا على غيرهم، أمَّا إذا أجمعوا على الشيء، فلا يُرتاب في كونه حُجَّة.

واستدل أصحاب هذا الرأي على ما ذهبوا إليه بأنَّ التابعين ليس لهم سماعٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في تفسير الصَّحابيِّ: إنَّه محمولٌ على سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم، وبأنَّهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها

---

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج ١ ص ١٩٨

(٢) وذلك إذا جاء الحديثُ المرسَلُ أو نحوه من وجهٍ آخرَ مُسنَداً، أو مرسَلاً أرسله من أَخَذَ العلمَ عن غير رجالِ المرسِلِ الأولِ، وقيَّدَ الإمام الشافعي بأن يكون مرسَلاً لكبار التابعين، ومَن إذا سمَّى من أَرسَل عنه سمَّى ثقةً، وإذا شاركه الحفَّاظُ المأمونون لم يخالفوه، وأن يوافق قولَ صحابيٍّ، أو يفتي أكثرُ العلماء بمقتضاه. انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج ١ ص (١٩٨-١٩٩)

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ص (٤٥-٤٦)

القرآن، فيجوز عليهم الخطأُ في فهم المراد، وظنُّ ما ليس بدليلٍ دليلاً، بالإضافة إلى أنَّ عدالة التابعين غيرُ منصوصٍ عليها، كما نُصَّ على عدالة الصَّحابة رضوان الله عليهم[١].

ونُقل عن الإمام أحمد[٢] رحمه الله تعالى روايتان في الرجوع إلى أقوال التابعين: روايةٌ بالرجوع إلى أقوالهم، وروايةٌ بعدم الرجوع[٣].

ولقد ذهب أكثر المفسِّرين إلى أنَّه يؤخذ بقول التابعيِّ في التفسير؛ لأنَّ التابعين تلقَّوا غالبَ تفسيراتهم عن الصَّحابة الكرام، فقد روي عن مجاهد أنَّه قال: ((عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أُوقفه عند كل آيةٍ منه، وأسأله عنها)) [٤]، وكان سفيان الثوري يقول: ((إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به)) [٥]، وروي عن قتادة أنَّه قال: ((ما في القرآن آيةٌ إلا وقد سمعتُ فيها شيئاً)) [٦]، لذلك حكى أكثر المفسِّرين أقوال التابعين في كتبهم، ونقلوها عنهم، مع اعتمادهم لها [٧].

---

(١) التفسير والمفسرون: ج ١ ص ١٢٨

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله، الشَّيباني المروَزي البغدادي، الحافظ، الفقيه، الحُجَّة، إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، ولد ببغداد سنة (١٦٤هـ)، طلب الحديث منذ صغره، وطاف البلاد والآفاق، وسمع من مشايخ عصره، اشتُهر بصبره على المحنة التي وقعت به، والتي عُرفت باسم (فتنة خلق القرآن)، وذلك في عهد الخليفة المأمون، ثم المعتصم، والواثق مِن بعده، ومن مصنفاته: كتاب المسند، كتاب المناسك، كتاب الناسخ والمنسوخ من القرآن، تفسير القرآن، كتاب الزهد، كتاب العلل في الحديث... مات سنة (٢٤١هـ). انظر في ترجمته: البداية والنهاية: ج ١٠ ص (٣٢٥ -٣٤٣)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني: ج ٩ ص (١٦١-٢٣٤)، هدية العارفين: ج ٥ ص ٤٨

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٥٨

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٤٠

(٥) انظر: المرجع السابق: ج ١ ص ٤٠

(٦) وقول قتادة أخرجه الترمذي في جامعه: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه: رقم الحديث (٢٩٥٢)، ج ٥ ص ٢٠٠

(٧) انظر: مقدمة في أصول التفسير: ص ٤٤، البرهان في علوم القرآن: ج ٢ ص ١٥٨

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي: ((والذي تميل إليه النفس هو أنَّ قول التابعيِّ في التفسير لا يجب الأخذ به، إلا إذا كان ممَّا لا مجال للرأي فيه، فإنَّه يُؤخذ به حينئذٍ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله، ولا نعتمد عليه، أمَّا إذا أجمع التابعون على رأي، فإنَّه يجب علينا أن نأخذ به، ولا نتعداه إلى غيره)) [1].

(١) التفسير والمفسرون: ج ١ ص (١٢٨-١٢٩)

المبحث الثاني

الترجيح بأقوال الصحابة

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة الكرام عند الإمام النسفي، وأسلوب الترجيح بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي.

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي:

اعتمد الإمام النسفي في تفسير القرآن على أقوال الصحابة، من أجل بيان معنى كلمةٍ، أو جملةٍ في الآية، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه، وأحياناً يتجاوز ذلك القَدْر، فبعد تفسيره للآية يسرد أقوال للصحابة الكرام تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه، وأحياناً نجده يعتمد على فعل الصحابة الكرام – كما اعتمد على أقوالهم – من أجل تأكيد أحد الأقوال في تفسير الآية.

– فمن أمثلة اعتماد الإمام النسفي على أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في بيان معنى كلمة في الآية:

١– عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء:٤٠]

يقول الإمام النسفي: ((﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ هي النملة الصغيرة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه أدخل يده في التراب، فرفعه، ثمَّ نفخ فيه، فقال: ((كلُّ واحدة من هؤلاء ذرة)) (١)، وقيل: كلُّ جزء من أجزاء الهباء في الكوَّة ذرة...)) (٢).

فالإمام النسفي فسَّر الذَّرة بقول ابن عباس رضي الله عنهما، وقولُه موقوف عليه؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

---

(١) والأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه هنَّاد بن السري في "الزهد": باب الشفاعة: رقم الحديث (١٩٣)، ج ١ ص ١٤٤

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٣١

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر:١]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتدئها ومبتدعِها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدُهما: أنا فطرتُها، أي ابتدأتُها)) [١]...)) [٢].

فالإمام النسفي بيَّن معنى فاطر بقول ابن عباس رضي الله عنهما، وقولُه موقوف عليه؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

- كذلك نجد الإمام النسفي يعتمد أحياناً على أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في بيان معنى جملةٍ من الآية، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة:٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾... قال ابن عباس: ((طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير)) [٣]، يعني أنَّ الله طبع عليها فجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر، ولا يدخلها ما ليس فيها من الإيمان...)) [٤].

---

(١) والأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه القاسم بن سلام في "غريب الحديث": ج ٤ ص ٣٧٣، وأخرجه أيضاً في "فضائل القرآن": باب لغات القرآن، وأيُّ العرب نزل القرآن بلغته: ج ٢ ص ١٧٤، كذلك أخرجه الطبري في تفسيره: ج ٧ ص ١٥٩

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٤٨٣، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٥٠، ٢٦٢، ٣٣٣)، ج ٢ ص ٣٢، ج ٣ ص ٢٠٧، ج ٤ ص (٢٨٦، ٤٧٠)

(٣) أورد السمرقندي قول ابن عباس بغير إسناد، ودون زيادة: (فلا يعقلون الخير) حيث قال في تفسير هذه الآية: ((قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني طبع الله)). بحر العلوم للسمرقندي: ج ١ ص٥١، وقال السيوطي: ((وأخرج الطستي في مسائله عن ابن عباس أنَّ نافع بن الأرزق قال له: أخبرني عن قوله عز وجل﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: طبع الله عليها...)). الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: ج ١ ص ٧٣

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٩

فالإمام النسفي بيَّن معنى جملة من الآية بقول ابن عباس رضي الله عنهما، وقولُه له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٦]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((نُسلِّطه عليه فهو معه في الدنيا والآخرة يحملُه على المعاصي)) [١] ...))[٢].

فالإمام النسفي بيَّن معنى جملة من الآية بقول ابن عباس رضي الله عنهما، وقولُه قد يكون له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي.

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً يذكر معنى كلمة، ثمَّ يستشهد على صحة هذا المعنى بما روي عن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة:٧٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ إلا ما هم عليه مِنْ أمانيِّهم، وأنَّ الله يعفو عنهم، ويرحمهم، ولا تمسُّهم النار إلا أياماً معدودة، أو إلا أكاذيبَ مختلقةً سمعوها مِنْ علمائهم فتقبَّلوها على التقليد، ومنه قول عثمان رضي الله عنه: ((ما تمنَّيتُ منذ أسلمت)) [٣]...)) [٤].

---

(١) بحثت عن قول ابن عباس رضي الله عنهما فيما بين يدي من المصادر فلم أعثر عليه.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ١٧٣، وانظر مثلاً: ج ٣ ص (١٤٨، ٣٥٩، ٤٩١)، ج ٤ ص (٤١، ٥٧، ١٣٩، ٢٢٢، ٤٢٨)

(٣) قول عثمان رضي الله عنه أورده أبو بكر السجستاني في "غريب القرآن": ص ٤٨، وأخرجه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ٨٨، وابن الجوزي في "غريب الحديث": ج ٢ ص ٣٧٥، وابن الأثير في "النهاية في غريب الحديث والأثر": ج ٤ ص ٣٦٧، والقرطبي في تفسيره: ج ٢ ص ٦

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٠٣

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر الأمانيَّ بالأكاذيب، واستشهد على صحة إطلاق التمنِّي على الكذب بما روي عن عثمان رضي الله عنه.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠﴾ [الأعراف:٢٠٠]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ وإما ينخسَنَّك منه نخسٌ، أي بأن يحملَك بوسوسته على خلاف ما أُمِرت به ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ ولا تطعه. والنزْغ: النخْسُ، كأنَّه ينخسُ الناسَ حين يغريهم على المعاصي... أو أريدَ بنزغِ الشيطان: اعتراءُ الغضب، كقول أبي بكر رضي الله عنه: ((إنَّ لي شيطاناً يعتريني)) [(١)]...)) [(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر نزغ الشيطان باعتراءِ الغضب، واستشهد على صحة إطلاق اعتراءِ الغضب على نزغ الشيطان بما روي عن أبي بكر رضي الله عنه.

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً يؤكِّد المعنى الذي فسَّر به بما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾ [البقرة:٢٨٣]

يقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ ((وإنما أُسنِدَ إلى القلب وحدَه والجملةُ هي الآثمة لا القلبُ وحدَه؛ لأنَّ كتمان الشهادة أن يضمرها في القلب، ولا يتكلم بها، فلما كان إثماً مقترَفاً بالقلب أُسنِدَ إليه؛ لأنَّ إسناد الفعل

---

(١) قول أبي بكر رضي الله عنه أخرجه معمر بن راشد الأزدي في "الجامع": باب لا طاعة في معصية: رقم الحديث (٢٠٧٠١)، ج ١١ ص ٣٣٦، وابن سعد في "الطبقات الكبرى": ج ٣ ص ٢١٢

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٣٢، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٤٣، ٣٢٣، ٣٤٥)، ج ٢ ص (٧١، ١٩٠)، ج ٣ ص (٣٠١، ٤٩٨)، ج ٤ ص (٦٤، ٣٤٦، ٤٣٩، ٤٤١)

إلى الجارحة التي يُعمل بها أبلغ ... ولأنَّ القلبَ رئيسُ الأعضاء، والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد كلُّه، وإن فسدت فسد الجسد كلُّه ... ولأنَّ أفعال القلوب أعظمُ من أفعال سائر الجوارح، ألا ترى أنَّ أصلَ الحسنات والسيئات الإيمانُ والكفرُ، وهما من أفعال القلوب، وإذا جُعِل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شُهِدَ له بأنَّه من معاظم الذنوب، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أكبرُ الكبائر: الإشراكُ بالله، وشهادةُ الزور، وكتمانُ الشهادة))[1]...))[2].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن أنَّ كتمان الشهادة من معاظم الذنوب، وأكَّد ذلك بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما الذي أكَّد به الإمام النسفي له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي والاجتهاد.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال:٤٤]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ ... أي وإذ يُبَصِّركم إياهم ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ﴾ وقتَ اللقاء ﴿فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ هو نصبٌ على الحال، وإنما قلَّلهم في أعينهم؛ تصديقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليعاينوا ما أخبرَهم به، فيزداد يقينُهم ويجُدُّوا ويثبتوا، قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((لقد قُلِّلوا في أعيننا حتى قلتُ لرجلٍ إلى جنبي: أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، وكانوا ألفاً))[3]...))[1].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣ ص ١٤١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢١٦

(٣) قول ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب المغازي، غزوة بدر الكبرى ومتى كانت وأمرها: رقم الحديث (٣٦٦٩٨)، ج ٧ ص ٣٦٠، وأخرجه الطبري في تفسيره: ج ٣ ص ١٩٨، والطبراني في "المعجم الكبير": رقم الحديث (١٠٢٦٩)، ج ١٠ ص ١٤٧

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي أكَّد تقليل المشركين في أعين المؤمنين بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقول ابن مسعود رضي الله عنه الذي أكَّد به الإمام النسفي موقوف؛ لأنه مبني على مشاهدة الوقائع والقرائن التي احتفَّت بنزول الآيات، وذلك كله يعتمد على الاجتهاد.

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً بعد تفسيره للآية يذكر أقوالاً للصحابة تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة:٦٩]

فبعد أن انتهى الإمام النسفي من تفسير الآية الكريمة، قال: ((عن عليٍّ رضي الله عنه: ((مَنْ لبس نعلاً صفراء قلَّ همُّه؛ لقوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [٢])) [٣].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص:٢٦]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٥٢، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٨٠، ٢٠٧، ٢٨٢)، ج ٢ ص (٧٩، ٢١٥، ٢٦٩)، ج ٣ ص (٨٦، ١٠٥، ١٢٣)، ج ٤ ص (١٨، ٥٦، ٢١٧، ٤٦٧)

(٢) لم أجده عن علي رضي الله عنه؛ وإنما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، فقد أخرجه العقيلي في "الضعفاء": رقم الحديث (٢٨٣)، ج ١ ص ٢٣٥، من حديث الحسن بن علي النميري عن فضل بن الربيع عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: ((من لبس نعلاً صفراء لم يزل ينظر في سرور، ثم قرأ: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ﴾ الآية))، وقال العقيلي: ((الحسن بن علي النميري مجهول، وفضل بن الربيع نحوه ولا يتابعه عليه إلا من هو دونه أو مثله)). اهـ. كما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: رقم الحديث (٧٠٥)، ج ١ ص ١٣٨، والطبراني في "المعجم الكبير": رقم الحديث (١٠٦١٢)، ج ١٠ ص ٢٦٣، والخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد": رقم الحديث (٢٣٧٠)، ج ٥ ص ٢٤، وقال ابن أبي حاتم: ((سألت أبي عن حديث رواه سهل بن عثمان العسكري عن ابن العذراء عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: من لبس نعلاً صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها، وذلك قول الله عز وجل: ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ قال أبي: هذا حديث كذب موضوع)). علل الحديث لابن أبي حاتم: رقم الحديث (٢٤٧٣)، ج ٢ ص ٣١٩

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٩٨

فبعد أن انتهى الإمام النسفي من تفسير الآية الكريمة، قال: ((وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ((أفرسُ الناس ثلاث: بنتُ شعيب، وصاحبُ يوسف في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ [يوسف:٢١]، وأبو بكر في عمر)) [١])) [٢].

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً يؤكِّد أحد الأقوال في تفسير الآية بفعل الصحابة رضوان الله عليهم، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة:٤٥]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَٱسْتَعِينُواْ﴾ على حوائجكم إلى الله ﴿بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي بالجمع بينهما، وأن تصلُّوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقِّها، وما يجب فيها من إخلاص القلب، ودفع الوساوس الشيطانيَّة، والهواجس النفسانية، ومراعاة الآداب والخشوع، واستحضارِ العلم بأنَّه انتصابٌ بين يدي جبار السموات والأرض، أو استعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها، والالتجاء إلى الصلاة عند وقوعها، وكان رسول الله صلى الله عليه

---

(١) أخرج سعيد بن منصور نحو هذه الرواية في سننه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة يوسف، الآية (٢١): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١]، رقم الحديث (١١١٣)، ج ٥ ص ٣٧٩، وابن سعد في "الطبقات الكبرى": ج ٣ ص ٢٧٣، وابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب المغازي، ما جاء في خلافة عمر بن الخطاب: رقم الحديث (٣٧٠٥٨)، ج ٧ ص ٤٣٥، والطبري في تفسيره: ج ١٢ ص (١٧٥-١٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره: رقم الحديث (١١٧١٠)، ج ٧ ص ٢١٥٩، رقم الحديث (١٦٨٣٨)، ج ٩ ص ٢٩٦٦، والطبراني في "المعجم الكبير": رقم الحديث (٨٨٢٩)، ج ٩ ص ١٦٧، رقم الحديث (٨٨٣٠)، ج ٩ ص ١٦٨، والحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة يوسف: رقم الحديث (٣٣٢٠)، ج ٢ ص ٣٧٦، وفي كتاب معرفة الصحابة، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: رقم الحديث (٤٥٠٩)، ج ٣ ص ٩٦

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٣٧، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٧٣، ٢٦٢، ٣٢٦، ٤٢٠)، ج ٢ ص (١٠٨، ٣٦٩، ٤٣٩، ٤٥٥)، ج ٣ ص (٢٠٦، ٣٤٠، ٣٥٨)، ج ٤ ص (٥١، ١٠٣، ٢٥٠، ٤٢٣)

وسلم إذا حزبه أمرٌ فزع إلى الصلاة[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه نُعِي إليه أخوه قُثَم[2] وهو في سفرٍ، فاسترجع وصلَّى ركعتين، ثمَّ قال: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [3]، وقيل: الصبرُ الصومُ؛ لأنَّه حبس عن المفطِّرات، ومنه قيل لشهر رمضان: شهر الصبر، وقيل: الصلاةُ الدعاء، أي استعينوا على البلايا بالصبر والالتجاء إلى الدعاء والابتهال إلى الله في دفعه)) [4].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي ذكر أكثر من قول في تفسير الآية، ثم أيَّد أحد هذه الأقوال بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبفعل ابن عباس رضي الله عنهما عندما نُعِي إليه أخوه قُثَم وهو في سفر.

- كما يعتمد الإمام النسفي في تفسيره على أقوال الصحابة في بيان أسباب النزول[5]، أو بيان الناسخ والمنسوخ[6]، أو بيان معنى الأحرف المقطعة في أوائل السور[1].

---

(١) الحديث ورد بهذا اللفظ في "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": ج ١٤ ص ٧٣، وأخرجه أبو داود في سننه من حديث حذيفة بلفظ: « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى »: كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل: رقم الحديث (١٣١٩)، ج ٢ ص ٣٥

(٢) قثم بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه كان آخر من خرج من قبره ممن نزل فيه، وكان والياً لعلي بن أبي طالب على مكة، وقيل على المدينة، استشهد قثم بسمرقند، وكان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفان زمن معاوية. انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٥ ص٤٢٠، الاستيعاب: ج ٣ ص (١٣٠٤-١٣٠٥)

(٣) حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه سعيد بن منصور في سننه: كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، رقم الحديث (٢٣١)، ج ٢ ص ٦٣٢، وأخرجه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٢٦٠، والبيهقي في "شعب الإيمان": الباب السبعون من شعب الإيمان، وهو باب في الصبر على المصائب وعما تنزع إليه النفس من لذة وشهوة: رقم الحديث (٩٦٨٢)، ج ٧ ص ١١٤

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٧، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٣٦٠-٣٦١)، ج ٢ ص ١٨٠

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٢٠، ١٧٣، ٤١٣)، ج ٢ ص (١٣٤-١٣٥)، ج ٣ ص ٤٢٠، ج ٤ ص ٣٠٤

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ١٩٩، ج ٤ ص ٣٤٦

المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي:

قبل الكلام عن أسلوب الترجيح بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي لا بدَّ من الإشارة إلى أن الإمام النسفي يعتمد في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية على ما له حُكم الرفع من أقوال الصحابة الكرام؛ كما يعتمد في الترجيح أيضاً على الموقوف من أقوالهم، وهذا سيتبين لنا من خلال الأمثلة التي سأوردها لاحقاً.

أمَّا أسلوبه في ذلك فهو يندرج – في الأغلب – تحت أساليبه في بيان القول الراجح التي تحدَّثتُ عنها سابقاً في الفصل الأول.

– فنجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال النص على القول الراجح بعبارةٍ من عبارات الترجيح؛ ومؤيِّداً القول الراجح بما روي عن الصحابي، بالإضافة إلى ذكر سبب الترجيح أحياناً، وأغلب الأحيان لا يذكر.

ومن أمثلة ذلك:

١– عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البقرة:١٤٦]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾ أي محمداً عليه السلام، أو القرآن، أو تحويل القبلة، والأول أظهر؛ لقوله: ﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ قال عبد الله بن سلام: ((أنا أعلمُ به مني بابني، فقال له عمر: ولم؟ قال: لأنِّي لست أشكُّ في محمد أنَّه نبيٌّ، فأمَّا ولدي فلعلَّ والدتَه خانت، فقبَّل عمرُ رأسَه))[٢]...))[١].

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٦٥، ٣٤٧)، ج ٤ ص (٥، ١٠٢، ٤٠٨)

(٢) والأثر عن عبد الله بن سلام أخرج نحوه الثعلبي من طريق الكلبي عن الربيع عن ابن عباس قال: ((لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قال عمر لعبد الله بن سلام: لقد أنزل الله على نبيه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ فكيف يا عبد الله هذه المعرفة ؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني إذا رأيته مع الصبيان يلعب، وأنا أشدُّ معرفة بمحمد مني لابني، فقال عمر: وكيف ذاك ؟ فقال: أشهد إنه رسول حقٌّ من الله، وقد نعته الله في كتابنا، وما أدري ما تصنع النساء، فقال له عمر: وفقك الله يا ابن سلام فقد=

فالإمام النسفي رجَّح أنَّ الضمير في كلمة ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ عائدٌ إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأيَّد ذلك بجملة لاحقة للكلمة في نفس الآية المفسَّرة، كما أيَّد قوله بقول ابن سلام رضي الله عنه، وقول ابن سلام رضي الله عنه الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف عليه؛ لأنَّه مبني على اجتهاد منه.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ [مريم:٢٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿ سَرِيًّا ﴾ نهراً صغيراً عند الجمهور، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السَّريِّ، فقال: « هو الجدول »[٢]، وعن الحسن: سيداً كريماً، يعني عيسى عليه السلام[٣] ... وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((ضرب عيسى أو جبريل عليهما السلام

=صدقت وأصبت)). الكشف والبيان: ج ٢ ص ١٣، وأورده السمعاني في تفسيره: ج ١ ص ١٥٣، وأخرجه البغوي في تفسيره: ج ١ ص ١٢٦

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٣٥

(٢) رواه الطبراني في "المعجم الصغير" من طريق البراء بن عازب: رقم الحديث (٦٨٥)، ج ٢ ص ٩، وقال الطبراني: ((لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا أبو سنان سعيد بن سنان)). وقال الهيثمي: ((وفيه معاوية بن يحيى الصدفي، وهو ضعيف)). مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٥٤، ورواه الحاكم في المستدرك موقوفاً على البراء بن عازب: كتاب التفسير، تفسير سورة مريم: رقم الحديث (٣٤١٣)، ج ٢ ص ٤٠٥، وقال الحاكم: ((هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)). وروي مرفوعاً من طريق ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير": رقم الحديث (١٣٣٠٣)، ج ١٢ ص ٣٤٦، ولفظه: « نهر أخرجه الله لتشرب منه ». وذكر الهيثمي أنَّ فيه يحيى بن عبد الله البابلتي ، وهو ضعيف. انظر: مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٥٥، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية": عكرمة مولى ابن عباس: ج ٣ ص ٣٤٦، وقال: ((غريبٌ من حديث عكرمة، لم يروه عنه إلا أيوب بن نهيك، ولا عنه – فيما أعلم – إلا يحيى)). وقال الزيلعي: ((وأيوب بن نهيك هذا هو الحلبي، قال أبو حاتم: ضعيف، وقال أبو زرعة: منكر الحديث)). تخريج الأحاديث والآثار: ج ٢ ص ٣٢٢

(٣) والأثر عن الحسن رواه الطبري في تفسيره: ج ١٦ ص ٧٠

بعقبه الأرض فظهرت عينُ ماءٍ عذبٍ، فجرى النهر اليابس، فاخضرت النخلة وأثمرت وأينعت ثمرتها، فقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ﴾ ((1)...))(2).

فالإمام النسفي رجَّح أنَّ المراد بالسريِّ هو النهر الصغير، وأيَّد ذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبقول ابن عباس رضي الله عنهما.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قولَ ابن عباس رضي الله عنهما في بيان المراد بالسريِّ له حكم الرفع- إن ثبت أنه لم يأخذه ممَّن ينقل عن كتب أهل الكتاب - لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال الاقتصار على قولٍ واحدٍ مروي عن أحد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، مع أنَّ غيره من المفسرين يذكر أقوالاً أخرى في تفسير الآية، وبناءً على ذلك نستطيع أن نقول: إنَّ اقتصار الإمام النسفي على هذا القول - مع وجود أقوالٍ أخرى في تفسير الآية - دليلٌ على ترجيح هذا القول، واختيارِه له.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران:١١٧]

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان معنى ﴿صِرٌّ﴾، فقال: ((... ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾: بَرْدٌ شديدٌ، عن ابن عباس رضي الله عنهما (3)...)) (4).

وفي معنى الصِّر ثلاثة أقوال(5):

---

(١) قول ابن عباس رضي الله عنهما أورده الثعلبي في "الكشف والبيان": ج ٦ ص ٢١١، وقد ذكر في مقدمة تفسيره أسانيده إلى ابن عباس رضي الله عنهما تجنباً لتكرارها، كما أخرجه البغوي في "معالم التنزيل": ج ٣ ص ١٩٣

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٥٣-٥٤)، وانظر مثلاً: ج ١ ص ٢٦٢، ج ٢ ص (٢٣١، ٤٤٣)، ج ٣ ص (١٥٠، ١٥١-١٥٢)، ج ٤ ص (٤٢، ٤٥٩، ٥٤٣)

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٤ ص ٥٩

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٦٦

(٥) انظر: زاد المسير: ج ١ ص ٤٤٥

الأول: أنَّه البرد.

الثاني: أنَّه النار.

الثالث: أنَّه التصويت والحركة من الحصى والحجارة، ومنه صرير النعل.

وقول ابن عباس رضي الله عنهما الذي اقتصر عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [النساء:٤٣]

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان معنى الملامسة، فقال: ((... ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهنَّ، كذا عن عليٍّ رضي الله عنه وابن عباس[١]...)) [٢].

وفي المراد بالملامسة قولان[٣]:

الأول: أنها الجماع .

الثاني: أنها الملامسة باليد.

وقول عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهم الذي اقتصر عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الصافات:١٠٧]

---

(١) انظر قول ابن عباس وعلي رضي الله عنهم في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥ ص (١٠٢-١٠٣)، تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (٥٣٦٧)، ج ٣ ص ٩٦١

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٣٣

(٣) انظر: زاد المسير: ج ٢ ص ٩٢

ذكر الإمام النسفي قولاً واحداً في بيان المراد بالذِّبح، فقال: ((...﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ ﴾هو ما يُذبح، وعن ابن عباس: ((هو الكبش الذي قرَّبه هابيل فقُبِلَ منه، وكان يرعى في الجنَّة حتى فُدِيَ به إسماعيل)) [1]...))[2].

وفي المراد بالذِّبح ثلاثة أقوال[3]:

الأول: أنَّه الكبش الذي قرَّبه هابيل فقُبِلَ منه، وكان يرعى في الجنَّة حتى فُدِيَ به إسماعيل.

الثاني: أنَّ إبراهيم فدى ابنه بكبشين أبيضين أعينين أقرنين.

الثالث: أنه ما فُدِيَ إلا بتيسٍ أُهبط عليه من جبل في مكة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قولَ ابن عباس رضي الله عنهما في بيان المراد بالذِّبح قد يكون له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر، وربما أخذه من أهل الكتاب.

- كما نجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالمرويِّ عن الصحابة الكرام مباشرة، فعندما يذكر الإمام النسفي الأقوال في تفسير الآية، يبدأ تفسير الآية بقوله: (أي كذا)، أو: (هو، هي،...)، ثم يُتبع ذلك بقوله مثلاً: عن ابن عباس، أو: عن ابن مسعود، أو: عن غيرهما، أو يبدأ تفسير الآية مباشرة بقوله: عن ابن عباس، أو: عن عليٍّ، أو: عن غيرهما...، ثم يذكر باقي الأقوال.

وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

---

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في تفسيره: ج ٢٣ ص (٨٦، ٨٧)

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٤١

(٣) انظر: زاد المسير: ج ٧ ص ٧٧

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة:٢٣٧]

يقول الإمام النسفي في بيان المراد بالذي بيده عقدة النكاح: ((...﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ هو الزوجُ، كذا فسَّره علي رضي الله عنه[١] ... وهذا لأنَّ الطلاق بيده فكان إبقاء العقد بيده، والمعنى أنَّ الواجب شرعاً هو النصف إلا أن تُسقِطَ هي الكلَّ، أو يعطي هو الكلَّ تفضلاً، وعند مالك والشافعي في القديم: هو الولي، قلنا: هو لا يملكُ التبرعَ بحقِّ الصغير، فكيف يجوز حملُه عليه؟...))[٢].

فالإمام النسفي بدأ تفسير الآية مباشرة بتفسير الإمام عليٍّ رضي الله عنه، ثم ثنَّى بقول آخر، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول عليٍّ رضي الله عنه الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء:٣١]

يقول الإمام النسفي: ((﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنهما: ((الكبائرُ كلُّ ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾))[٣]، وعنه أيضاً: ((الكبائرُ ثلاثٌ: الإشراك بالله،

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢ ص ٥٤٥

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٨٨

(٣) أثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبري في تفسيره: ج ٥ ص ٣٧

واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله)) [(١)]، وقيل: المراد بها أنواع الكفر؛ بدليل قراءة عبد الله (كبيرَ ما تنهون عنه) [(٢)]، وهو الكفر...)) [(٣)].

فالإمام النسفي بدأ تفسير الآية مباشرة بقول ابن مسعود رضي الله عنه، ثم ثنَّى بقول آخر، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قولَ ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير الكبائر قد يكون له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر، وربما استنبطه من أدلة الشرع.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين:١]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين الأشجار المثمرة... وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((هو تينُكم هذا، وزيتونُكم هذا))[(٤)]، وقيل: هما جبلان بالشام منبتاهما...))[(٥)].

فالإمام النسفي ذكر قولين في المراد بالتين والزيتون، وبدأ بقول ابن عباس رضي الله عنهما، فهو الراجح عنده، والله أعلم.

---

(١) أثر ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه معمر بن راشد الأزدي في "الجامع": باب الكبائر: رقم الحديث (١٩٧٠١)، ج ١٠ ص ٤٥٩، ولفظه: ((أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله))، ورواه الطبري في تفسيره بهذا اللفظ، كما رواه بلفظ: ((الكبائر أربع...)) انظر: ج ٥ ص ٤٠، ورواه الطبراني في "المعجم الكبير": رقم الحديث (٨٧٨٣)، رقم الحديث (٨٧٨٤)، ج ٩ ص ١٥٦، وقال الهيثمي: ((وعن ابن مسعود، قال: الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وفي رواية: أكبر الكبائر، وإسناده صحيح)). مجمع الزوائد: ج ١ ص ١٠٤

(٢) انظر قراءة ابن مسعود رضي الله عنه في: الكشف والبيان: ج ٣ ص ٢٩٨، المحرر الوجيز: ج ٢ ص ٤٣

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٣٢٦

(٤) أثر ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: رقم الحديث (١٩٤٠٥)، ج ١٠ ص ٣٤٤٨، كما أورده الثعلبي في "الكشف والبيان": ج ١٠ ص ٢٣٨، وأخرجه البغوي في "معالم التنزيل": ج ٤ ص ٥٠٤

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٣٨، وانظر مثلاً: ج ١ ص (٣٣٠، ٣٩٥)، ج ٢ ص (٤١٨، ٤٧٦)، ج ٣ ص (٥٢-٥٣، ١٠٤، ١٩٠، ٢٠٥، ٢٢٨)، ج ٤ ص (٢٦، ٤٤٦، ٥٣٨، ٥٥٤)

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

فما بدأ به الإمام النسفي هو الراجح ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّم:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء:١]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾... والمراد بالمسجد الحرام: الحَرَمُ؛ لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((الحرم كلُّه مسجد)) [(١)]، وقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر، فقد قال عليه السلام: « بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عندَ البيت بين النائم واليقظان، إذ أتاني جبريل بالبراق، وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة »[(٢)]...))[(٣)].

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء:٣٣]

---

(١) رواه ابن زنجويه في الأموال بسنده عن عطاء عن ابن عباس: ج ١ ص ٢٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد عن ابن عباس: رقم الحديث (١٠٠١٥)، ج ٦ ص ١٧٧٦، بلفظ: ((الحرم كلّه المسجد الحرام)).

(٢) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة: رقم الحديث (٣٠٣٥)، ج ٣ ص ١١٧٣، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات: رقم الحديث (١٦٤)، ج ١ ص (١٤٩-١٥٠)

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٤٤٢

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فِي فَلَكٍ﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((الفلك السماء))[1]، والجمهور على أنَّ الفلك موجٌ مكفوفٌ تحت السماء تجري فيه الشمسُ والقمر والنجوم...))[2].

وموضع الشاهد في المثالين أنَّ الإمام النسفي رجَّح خلاف القول الذي قدَّمه.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس الذي اعتمد عليه الإمام النسفي في المثالين موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

- وأحياناً عندما يذكر الإمام النسفي الأقوالَ في تفسير الآية نجده يُصدِّر تفسير الآية بقولٍ غيرِ مرويٍّ عن الصحابة الكرام، وبطريقةٍ تُوحي أنَّه الراجحُ عنده، ثمَّ يذكر باقي الأقوال، وربَّما كان بعض هذه الأقوال مرويَّاً عن أحد الصحابة.

وهذا دليلٌ على ترجيحه لما بدأ به، ودليلٌ أيضاً على مرجوحيَّة باقي الأقوال؛ وإن كانت مرويَّةً عن أحد الصحابة، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة:٣٧]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ... وهنَّ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف:٢٣]، وفيه موعظة لذريتهما حيث عرفوا كيفية السبيل إلى التنصُّل من الذنوب، وعن ابن مسعود رضي الله عنه ((أنَّ أحبَّ الكلام إلى الله تعالى ما قاله أبونا آدم حيث اقترف الخطيئة: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله إلا أنت، ظلمتُ نفسي، فاغفر لي، إنَّه لا

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري بسنده في تفسيره: ج ١٧ ص ٢٢

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١١٩

يغفر الذنوب إلا أنت)) [1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((يا ربُّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى. قال: يا ربُّ ألم تنفخ فيَّ من روحك؟ ألم تسبق رحمتُك غضبك؟ ألم تسكنِّي جنَّتك؟ وهو تعالى يقول: بلى بلى. قال: فلم أخرجتني من الجنَّة؟ قال: بشؤم معصيتك. قال: فلو تبتُ أراجعي أنت إليها؟ قال: نعم)) [2]...)) [3].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي بيَّن المراد بالكلمات بآيةٍ قرآنية، وصدَّر تفسيره للآية بهذا القول، ثمَّ ذكر قولاً لابن مسعود في بيان الكلمات، وقولاً لابن عباس، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قولَي ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم في تفسير الكلمات قد يكون له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر، وربما كان مأخوذاً من أهل الكتاب.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم:٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ ﴾ أي آذن ... والمعنى وإذ تأذَّن ربُّكم، فقال ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ يا بني إسرائيل ما خوَّلتُكم من نعمة الإنجاء وغيرها ﴿ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ نعمةً إلى نعمةٍ، فالشكر قيد الموجود، وصيد المفقود، وقيل: إذا سمعت النعمةُ نغمة الشكر

---

(١) قول ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الصلاة، باب فيما يفتتح به الصلاة: رقم الحديث (٢٤٠٣)، ج ١ ص ٢١٠، ولفظه: ((قال ابن مسعود: إنَّ من أحبِّ الكلام إلى الله أن يقول الرجل: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك، ربِّ إني ظلمت نفسي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت))؛ ولكن ليس فيه هذه الجملة: ((ما قاله أبونا آدم حيث اقترف الخطيئة)).

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري بسنده في تفسيره: ج ١ ص ٢٤٣

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٤

تأهبت للمزيد، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((لئن شكرتم بالجدِّ في الطاعة لأزيدنَّكم بالجدِّ في المثوبة))[1]...))[2].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي صدَّر تفسيره للآية ببيان المراد بالشكر والزيادة، ثمَّ ذكر قولاً لابن عباس رضي الله عنهما في بيان ذلك، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحج:٣٤]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المطمئنين بذكر الله، أو المتواضعين الخاشعين، من الخَبْتِ، وهو المطمئن من الأرض، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((الذين لا يَظلِمون، وإذا ظُلموا لم ينتصروا))[3]، وقيل: تفسيره ما بعدَه))[4].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي فسَّر المخبتين بتفسيرَين، وصدَّر تفسيره للآية بقوله: ((المطمئنين بذكر الله))، ثمَّ ذكر قولاً لابن عباس رضي الله عنهما في بيان المخبتين، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

---

(١) أثر ابن عباس رضي الله عنهما بحثت عنه فلم أجده؛ ولكن أورد السمعاني نحوه في تفسيره بلفظ: ((وقيل: لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنَّكم في الثواب)). تفسير السمعاني: ج ٣ ص ١٠٥، وكذلك البغوي في "معالم التنزيل": ج ٣ ص ٢٧

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٣٦٧، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٢٤، ٣٢٤، ٤٣٢)، ج ٢ ص (٢٩٤، ٣٨٥، ٤٤٥، ٤٥٣)، ج ٣ ص (٦٤، ١٥٢، ٢٥٥، ٢٧٠)، ج ٤ ص (٥٦، ١٠٠، ٢٧١، ٤٢١)

(٣) لم أجده عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ وإنما روي عن عمرو بن أوس، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه: كتاب الزهد، كلام عكرمة: رقم الحديث (٣٥٤٨٧)، ج ٧ ص ٢١٩، ورواه الطبري في تفسيره: ج ١٧ ص ١٦١

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٥٥

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

فما بدأ به الإمام النسفي هو الراجح ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّم:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه:١٢٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن الحجَّة، عن ابن عباس: ((أعمى البصر)) [(١)]، وهو كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء:٩٧]، وهو الوجه)) [(٢)].

وموضع الشاهد أنَّ الإمام النسفي رجَّح قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو خلاف القول الذي قدَّمه.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية له حكم الرفع؛ لأنَّ مثله لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر.

- وأحياناً يذكر الإمام النسفي أكثر من قول في تفسير الآية، كلُّها مرويٌّ عن الصحابة أو بعضُها ، ولا يُرجِّح بينها؛ ولعلَّ السبب في ذلك أنَّه يرى أنَّ كلَّ معنى من المعاني يحتمل أن يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ومن أمثلة ذلك:

---

(١) الذي ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ((إذا أخرج من القبر خرج بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي))، وهذه رواية أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكر ابن الجوزي في "زاد المسير": ج ٥ ص ٣٣٢، وكذلك ذكر السمرقندي في تفسيره "بحر العلوم": ج ٢ ص ٤١٦

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٠٥

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران:٩٧]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي جحد فرضيَّة الحجِّ، وهو قول ابن عباس والحسن وعطاء[١]، ويجوز أن يكون من الكفران، أي ومن لم يشكر ما أنعمتُ عليه من صحة الجسم، وسعة الرزق، ولم يحج...)) [٢].

فالإمام النسفي فسَّر الكفر بجحود فرضية الحجِّ، وجوَّز أن يُراد به كفران النعمة، ولم يُرجِّح أحد المعنيين، فقد يكون كلُّ معنى من المعاني هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول ابن عباس الذي اعتمد عليه الإمام النسفي موقوف؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم:٤٨]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ... والمعنى يوم تُبدَّل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غيرَ هذه المعروفة، وتُبدَّل السموات غيرَ السموات، وإنَّما حُذف لدلالة ما قبله عليه، والتبديلُ: التغييرُ، وقد يكون في الذوات كقولك: بدَّلتُ الدراهمَ دنانيرَ، وفي الأوصاف: كقولك بدَّلتُ الحلقةَ خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً، فنقلتها من شكل إلى شكل، واختلف في تبديل الأرض والسموات، فقيل: تُبَّدل أوصافها، وتُسيَّرُ عن الأرض جبالها، وتفجَّر بحارها، وتسوَّى فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وعن ابن عباس رضي

(١) انظر هذه الأقوال في جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٤ ص ١٩

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٢٥٩

الله عنهما: ((هي تلك الأرض، وإنَّما تُغيَّر)) [(١)]، وتُبَّدلُ السماءُ بانتشار كواكبها، وكسوفِ شمسها، وخسوف قمرها، وانشقاقها، وكونها أبواباً. وقيل: تُخلَق بدلها أرضٌ وسمواتٌ أُخَر، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ((يُحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة)) [(٢)]، وعن علي رضي الله عنه: ((تُبدَّل أرضاً من فضة وسموات من ذهب)) [(٣)]))[(٤)].

فالإمام النسفي فسَّر التبديل بمعنيين، وبيَّن أنَّه يكون في الذوات، ويكون في الأوصاف، وأيَّد كل معنى بقول الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولم يُرجِّح أحد المعنيين، فقد يكون كلُّ معنى من المعاني هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ أقوال الصحابة في تفسير هذه الآية لها حكم الرفع؛ لأنَّ مثلها لا يُقال بالرأي، فلا بدَّ له من مخبر

وبعد كلامي عن أسلوب الترجيح بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي سأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بأقوال التابعين، وهذا ما خصِّص له المبحث الآتي.

---

(١) أورد الثعلبي قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره بلفظ: ((الأرض هي تلك الأرض؛ وإنما تبدَّل كلّها وجبالها وأنهارها)). الكشف والبيان: ج ٥ ص ٣٢٨، وذكر ابن الجوزي أنَّ في تبديل الأرض معنيين: أحدهما أنها تلك الأرض؛ وإنما يزاد فيها، وينقص منها، وتذهب آكامها، وجبالها، وأوديتها، وشجرها، وتمدُّ مدَّ الأديم. ثم قال: ((روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عباس)). انظر: زاد المسير: ج ٤ ص ٣٧٥، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: ج ٩ ص ٣٨٣

(٢) أثر ابن مسعود رضي الله عنه رواه الطبري في تفسيره بسنده، ولفظه: ((تبدَّل أرضاً بيضاء نقية كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل فيها خطيئة)). جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٣ ص ٢٥٠

(٣) أثر علي رضي الله عنه رواه الطبري في تفسيره بسنده: ج ١٣ ص ٢٥١

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٣٨٢-٣٨٣)

المبحث الثالث

الترجيح بأقوال التابعين

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تفسير القرآن بأقوال التابعين عند الإمام النسفي، وأسلوب الترجيح بأقوال التابعين عند الإمام النسفي.

المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال التابعين عند الإمام النسفي:

اعتمد الإمام النسفي في تفسير القرآن على أقوال التابعين، من أجل بيان معنى كلمةٍ، أو بيان معنى الآية، أو جملةٍ في الآية، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه، وأحياناً يتجاوز ذلك القَدْر، فبعد تفسيره للآية يسرد أقوال للتابعين تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه.

- فمن أمثلة اعتماد الإمام النسفي على أقوال التابعين في بيان معنى كلمة في الآية:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة:٨٠]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شِركاً عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما رضي الله عنهم[(١)]...)) [(٢)].

فالإمام النسفي فسَّر السيئة بقول ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهم.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النمل:٢٥]

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١ ص ٣٨٤، تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (٨٢٣)، ج ١ ص ١٥٧

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ١٠٤

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ سمى المخبوء بالمصدر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ قتادة: ((خبءُ السماء المطر، وخبءُ الأرض النبات)) [1]...)) [2].

فالإمام النسفي فسَّر الخبء بقول قتادة.

- كذلك نجد الإمام النسفي يعتمد في بيان معنى الآية، أو جزءٍ منها على أقوال التابعين، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [الأنعام:٢٢-٢٤]

اعتمد الإمام النسفي في تفسير هذه الآيات على قول مجاهد، فبعد أن فسَّرها أورد قول مجاهد: ((إذا جمع الله الخلائقَ، ورأى المشركون سعة رحمة الله، وشفاعةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين، قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتمُ الشِّرك لعلَّنا ننجوا مع أهل التوحيد، فإذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ قالوا والله ربنا ما كنَّا مشركين، فيختم الله على أفواههم، فتشهد عليهم جوارحهم)) [3]...)) [1].

---

(١) لم أجد من نسب هذا القول إلى قتادة؛ وإنما يروى هذا القول عن عبد الرحمن بن زيد، أمَّا المروي عن قتادة فهو أنَّ المراد بالخبء هو: غيب السموات والأرض. انظر: النكت والعيون للماوردي: ج ٤ ص ٢٠٤

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٠٥

(٣) بعد البحث لم أجد هذا القول بطوله لمجاهد؛ وإنما روى الطبري بسنده عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ قال: ((قول أهل الشرك حين رأوا الذنوب تُغفر، ولا يغفر الله لمشرك ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بتكذيب الله إياهم))، كذلك روى الطبري أيضاً بسنده عن مجاهد قال: ((يأتي على الناس يوم القيامة ساعة لما رأى أهلُ الشرك أهلَ التوحيد يُغفر لهم، فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ قال: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾)). انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧ ص (١٦٨-١٦٩)، أما جملة: ((فيختم الله على أفواههم، فتشهد عليهم جوارحهم)) فقد ورد نحوها في قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾. انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧ ص (١٦٨-١٦٩)

فالإمام النسفي اعتمد في تفسير هذه الآيات على قول مجاهد، ومثله لا يُقال بالرأي، فله حكم المرفوع المرسل، ما لم يكن قد أخذه عن الإسرائيليات.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء:٤٧]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع ميزان، وهو ما يُوزَن به الشيء فتعرف كميته، عن الحسن: ((هو ميزان له كفتان ولسان)) [٢]...)) [٣].

فالإمام النسفي فسَّر الميزان بقول الحسن، ومثله لا يُقال بالرأي، فله حكم المرفوع المرسل، ما لم يكن قد أخذه عن الإسرائيليات.

- كذلك نجد الإمام النسفي يعتمد أيضاً على أقوال التابعين في تأكيد المعنى الذي فسَّر به، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩]

يقول الإمام النسفي: ((﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لأجلكم ولانتفاعِكم به في دنياكم ودينكم... ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ...أي أقبلَ وعمد إلى خلق السموات بعد

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ١٢

(٢) قول الحسن أخرجه أبو القاسم اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، قال: ((ذُكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان)). شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: جماع وجوب الإيمان بالجنة والنار والبعث بعد الموت والميزان والحساب والصراط يوم القيامة، سياق ما روي في أنَّ الإيمان بأنَّ الحسنات والسيئات توزن بالميزان واجبٌ: رقم الحديث (٢٢١٠)، ج ٦ ص ١١٧٣

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٢٣، وانظر مثلاً: ج ٢ ص ٤٦٧، ج ٣ ص (١٤٨، ٢٥٢، ٣٦٩)، ج ٤ ص (١١، ١٧، ١٥٥، ٢١٢، ٣٢٩، ٥٠٧)

خلق ما في الأرض من غيرِ أن يريد فيما بين ذلك خلقَ شيءٍ آخر... و(ثمَّ) هنا لبيان فضلِ خلق السموات على خلق الأرض، ولا يناقض هذا قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات:٣٠]؛ لأنَّ جرْمَ الأرض تقدَّم خلقُه خلقَ السماء، وأمَّا دحوها فمتأخرٌ، وعن الحسن: ((خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفِهْرِ، عليها دخان ملتزقٌ بها، ثمَّ أصعد الدخانَ، وخلق منها السموات، وأمسك الفهرَ في موضعها، وبسط منها الأرض، فذلك قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء:٣٠]، وهو الالتزاق)) [(١)]...)) [(٢)].

فالإمام النسفي بيَّن أنَّ (ثمَّ) لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض، وبيَّن أنَّه لا تناقض بين هذه الآية وبين آية دحو الأرض، وأكَّد ذلك بما روي عن الحسن، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول الحسن لا يقال مثله بالرأي، فيكون له حكم المرفوع المرسل، ما لم يكن قد أخذه عن الإسرائيليات.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحُجرات:١٢]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ ... وهذا تمثيلٌ وتصويرٌ لما يناله المغتابُ من عرضِ المغتابِ على أفحش وجه... وعن قتادة: ((كما تكره إنْ وجدتَ جيفةً مدوَّدةً أن تأكل منها، كذلك فاكره لحمَ أخيك وهو حي)) [(٣)]...)) [(٤)].

---

(١) الأثر عن الحسن بحثت عنه ولم أجد تخريجه؛ ولكن ذكره قبل الإمام النسفي الزمخشريُّ في تفسيره: انظر: الكشاف: ج ١ ص ١٥٣

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٧٧-٧٨)

(٣) الأثر عن قتادة رواه الطبري بسنده في تفسيره: ج ٢٦ ص ١٣٨

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٢٥٢، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٠٦، ١٣٨، ٣١٧)، ج ٢ ص (٣٠، ١٢٠، ٣٧٩)، ج ٣ ص (٨٤، ١٤٢، ٢١٣)، ج ٤ ص (٨٥، ٢٢٥، ٣٢١)

فالإمام النسفي أكَّد تفسير الآية بما روي عن قتادة.

- كذلك نجد الإمام النسفي أحياناً بعد تفسيره للآية يذكر أقوالاً للتابعين تشتمل على فوائد وأحكام لها تعلُّق بالآية من وجهٍ ما، ولا علاقة لها ببيان المعنى وتوضيحه، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء:٤١]

فبعد أن فسَّر الإمام النسفي الآية قال: ((وكان الثوري إذا قرأها يقول: ((زادني لك خضوعاً ما زاد أعداءك نفوراً)) [(١)])) [(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الشورى:٣٨]

فبعد أن فسَّر الإمام النسفي الآية قال: ((وعن الحسن: ((ما تشاور قوم إلا هُدُوا لأرشدِ أمرهم)) [(٣)])) [(٤)].

المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بأقوال التابعين عند الإمام النسفي:

قبل الكلام عن أسلوب الترجيح بأقوال التابعين عند الإمام النسفي لا بدَّ من الإشارة إلى أن الإمام النسفي يعتمد في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية على ما له حُكم الرفع من

---

(١) الأثر عن سفيان الثوري بحثت عنه ولم أجد تخريجه؛ ولكن ذكره قبل الإمام النسفي الزمخشريُّ في: الكشاف: ج ٢ ص ٦٢٦، والقرطبي في: الجامع لأحكام القرآن: ج ١٣ ص ٦٤

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٤٥٥

(٣) الأثر عن الحسن أخرجه الإمام البخاري في "الأدب المفرد" بلفظ: ((والله ما استشار قوم قط إلا هُدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثمَّ تلا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾)). الأدب المفرد: باب المشورة: رقم الحديث (٢٥٨)، ص ١٠٠، وأخرجه ابن أبي حاتم بلفظ: ((والله ما تشاور قط إلا عزم الله لهم بالرشد والذي ينفع)). تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (٤٤١٤)، ج ٣ ص ٨٠١

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ١٥٩، وانظر مثلاً: ج ٢ ص ٢٩٧، ج ٣ ص ٤٠٩، ج ٤ ص ٩١

أقوال التابعين؛ كما يعتمد في الترجيح أيضاً على الموقوف من أقوالهم، وهذا سيتبين لنا من خلال الأمثلة التي سأوردها لاحقاً.

أمَّا أسلوبه في ذلك فهو يندرج – في الأغلب – تحت أساليبه في بيان القول الراجح التي تحدَّثتُ عنها سابقاً في الفصل الأول.

– فنجده أحياناً يلجأ إلى الترجيح من خلال النص على القول الراجح من بين الأقوال التي يذكرها في تفسير الآية، وهذا قليل في تفسيره بالنسبة للتابعين، ومثال ذلك:

– عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام:١٣٠]

يقول الإمام النسفي: ((﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ عن الضحَّاك: ((بعث إلى الجنِّ رسلاً منهم كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم)) (١)؛ لأنَّهم بهم آنس، وعليه ظاهر النص، وقال آخرون: الرُّسل من الإنس خاصة، وإنما قيل: ﴿رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾؛ لأنَّه لمَّا جمع الثقلين في الخطاب صحَّ ذلك وإن كان من أحدهما، كقوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢]، أو رسلُهم رسلُ نبيِّنا، كقوله: ﴿وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩])) (٢).

فالإمام النسفي رجَّح قول الضحَّاك بإرسال رسلٍ إلى الجنِّ منهم كما أُرسل إلى الإنس، ثمَّ ذكر قولين مخالفين لقول الضحَّاك، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

---

(١) الأثر عن الضحَّاك بحثت عنه فلم أجد تخريجه؛ ولكن أورده الماوردي في تفسيره "النكت والعيون": ج ٢ ص ١٧٠، وأورده ابن الجوزي في تفسيره: زاد المسير: ج ٣ ص ١٢٥

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٥٠

ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ قول الضحَّاك لا يقال مثله بالرأي، فيكون له حكم المرفوع المرسل، ما لم يكن قد أخذه عن الإسرائيليات.

- وأحياناً نجده يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالمرويِّ عن التابعي مباشرة، ثمَّ يذكر أقوالاً في تفسير الآية؛ أحياناً تكون عن تابعي آخر، وأحياناً تكون عن صحابي، وأحياناً يذكرها دون أن ينسبها لأحد، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة:٤١]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ ولا تستبدِلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ بتغييرها وتحريفها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ قال الحسن: ((هو الدنيا بحذافيرها)) [(١)]، وقيل: هو الرياسةُ التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اتبعوا رسول الله...)) [(٢)].

فالإمام النسفي ذكر قولين في بيان المراد بالثمن القليل، وبدأ بقول الحسن - وقولُه موقوف عليه؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد - والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص:٨٣]

يقول الإمام النسفي: ((﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بغياً: ابن جبير [(٣)]، وظلماً: الضحَّاك [(٤)]...)) [(١)].

---

(١) والأثر عن الحسن رواه ابن أبي حاتم بسنده في تفسيره: ج ١ ص ٩٨

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٨٦

(٣) الأثر عن سعيد بن جبير رواه الطبري في تفسيره: ج ٢٠ ص ١٢٢

(٤) الأثر عن الضحَّاك أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: رقم الحديث (١٧١٨٢)، ج ٩ ص ٣٠٢٣

فالإمام النسفي بدأ بقول ابن جبير – وقولُه موقوف عليه؛ لأنَّه مبني على الاجتهاد – وقدَّمه على قول الضحَّاك، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التكوير:٥]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمعت من كلِّ ناحية. قال قتادة: ((يُحشر كلُّ شيءٍ حتى الذباب للقصاص، فإذا قُضِي بينها رُدَّت تراباً، فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم كالطاووس ونحوه)) [٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ((حشرُها موتُها)) [٣]...))[٤].

فالإمام النسفي ذكر قولين في بيان المراد بحشر الوحوش، وبدأ بقول قتادة، وقدَّمه على قول ابن عباس، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده، والله أعلم.

وقول قتادة لا يُقال مثله بالرأي، فيكون له حكم المرفوع المرسل، ما لم يكن قد أخذه عن الإسرائيليات.

فما بدأ به الإمام النسفي هو الراجح ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّم:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١١٥﴾ [المائدة:١١٥]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ٣٥٨

(٢) الأثر عن قتادة ذكره الزمخشري في الكشاف: ج ٤ ص ٧٠٨، ورواه الطبري بلفظ: ((إنَّ هذه الخلائق موافية يوم القيامة، فيقضي الله فيها ما يشاء)). جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠ ص ٦٧

(٣) الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في تفسيره: ج ٣٠ ص ٦٧

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٤٩٠-٤٩١)، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٨٨، ٢٥٠)، ج ٣ ص ٥٦، ج ٤ ص (٢٢١-٢٢٢، ٢٩٢، ٥٠٧)

يقول الإمام النسفي في بيان هل نزلت المائدة من السماء أم لم تنزل؟: ((عن الحسن أنَّ المائدة لم تنزل[1]، ولو نزلتْ لكانت عيداً إلى يوم القيامة؛ لقوله: ﴿وَءَاخِرِنَا﴾، والصحيح أنَّها نزلت، فعن وهْب: ((نزلت مائدةً منكوسةً تطير بها الملائكة، عليها كلُّ طعامٍ إلا اللحم)) [2]، وقيل: كانوا يجدون عليها ما شاؤوا، وقيل: كانت تنزل حيث كانوا بكرةً وعشياً)) [3].

فالإمام النسفي قدَّم قول الحسن، ثمَّ رجَّح خلاف ما قدَّم.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى:٢٣]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ يكتسب طاعةً، عن السُّدِّي[4]: أنَّها المودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم[5]، نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ومودَّتِه

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧ ص ١٣٥

(٢) الأثر عن وهب بحثت عنه فلم أجده؛ وإنما يروى هذا الأثر عن كعب الأحبار، فقد أورده الثعلبي في "الكشف والبيان": ج ٤ ص ١٢٨، والبغوي في تفسيره: ج ٢ ص ٧٩، والقرطبي في تفسيره: ج ٦ ص ٣٧٢، والمروي عن وهب بن منبه قوله: ((نزل عليهم أقرصة من شعير وأحوات)). انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٧ ص ١٣٣، تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (٧٠٢٧)، ج ٤ ص ١٢٤٦

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص ٤٤٥

(٤) إسماعيل بن عبد الرحمن، الإمام المفسر، أبو محمد الكوفي السُّدِّي، أحد موالي قريش، صدوق يهم، ورمي بالتشيع، مات سنة (١٢٧هـ). انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء: ج ٥ ص (٢٦٤-٢٦٥)، تقريب التهذيب: ص ١٠٨

(٥) هذا الأثر رواه عبد الله بن عدي الجرجاني؛ ولكن ليس عن السدِّي؛ وإنما من طريقه عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((المودة لأهل محمد صلى الله عليه وسلم)). انظر: الكامل في ضعفاء الرجال لعبد الله بن عدي الجرجاني: ج ٢ ص ٢٠٨، كذلك رواه الثعلبي بسنده من طريق السدِّي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((المودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم)). انظر: الكشف والبيان: ج ٨ ص ٣١٤، وانظر: الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ٢٤

فيهم، والظاهرُ العمومُ في أيِّ حسنة كانت، إلا أنَّها تتناول المودة تناولاً أوليَّاً؛ لِذِكرها عقيب ذِكر المودة في القربى...)) [(١)].

- وأحياناً نجده يلجأ إلى الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بقولٍ غير مرويٍّ عن التابعي، ثمَّ يذكر أقوالاً في تفسير الآية، قد تكون عن تابعي، أو عن غيره، وقد يذكرها دون أن ينسبها لأحد، وهذا ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَاتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [البقرة:٨٠]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوماً عدد أيام عبادة العجل، وعن مجاهد رضي الله عنه: ((كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنَّما نُعَذبُ مكان كلِّ ألف سنة يوماً)) [(٢)])) [(٣)].

فالإمام النسفي فسَّر الآية مباشرة، ثمَّ ذكر قول مجاهد، والقول الذي بدأ به هو الراجح عنده والله أعلم.

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر:٣]

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ١٥٥، وانظر مثلاً: ج ١ ص ٢٠٢

(٢) أثر مجاهد رواه الطبري في تفسيره: ج ١ ص ٣٨٣، والثعلبي في "الكشف والبيان": ج ١ ص ٢٢٥

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (١٠٣-١٠٤)

يقول الإمام النسفي: ((﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ أي هو الذي وجب اختصاصُه بأن تُخلصَ له الطاعة من كلِّ شائبة كدرٍ؛ لاطلاعه على الغيوب والأسرار، وعن قتادة: ((الدِّين الخالص: شهادة أن لا إله إلا الله)) [1]، وعن الحسن: ((الإسلام)) [2])) [3].

فما بدأ به الإمام النسفي هو الراجح ما لم يُصرِّح بخلاف ذلك، بأنَّ ينصَّ على رجحان خلاف ما قدَّمه أولاً، أو ضعف ما قدَّمه أولاً.

ومن أمثلة ترجيحه خلاف ما قدَّم:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الحج:٥٥]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ فجأة ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ يعني: يوم بدر، فهو عقيمٌ عن أن يكون للكافرين فيه فرجٌ، أو راحةٌ كالريح العقيم لا تأتي بخير، أو شديدٌ لا رحمة فيه، أو لا مِثْلَ له في عِظَمِ أمره؛ لقتال الملائكة فيه، وعن الضحَّاك أنَّه يوم القيامة[4]، وأنَّ المراد بالساعة مقدِّماته)) [5].

وبمتابعة تفسير الآيات نلاحظ أنَّ الإمام النسفي رجَّح قول الضحَّاك الأخير بأنَّ اليوم العقيم هو يوم القيامة حيث فسَّر الآية اللاحقة بذلك، فقال:

((﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ﴾أي يومَ القيامة، والتنوين عوضٌ عن الجملة، أي يومَ يؤمنون، أو يومَ تزول مِريتُهم ﴿ لِلَّهِ ﴾ فلا منازعَ له فيه ﴿ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾ أي يقضي، ثمَّ بيَّن حُكْمَه فيهم

---

(١) الأثر عن قتادة رواه الإمام الطبري في تفسيره: ج ٢٣ ص ١٩١

(٢) قول الحسن أورده الإمام الماوردي في تفسيره "النكت والعيون": ج ٥ ص ١١٤

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٧٥-٧٦)، وانظر مثلاً: ج ١ ص (١٩٨، ٢٢٥، ٣١٨-٣١٩، ٤٤١)، ج ٢ ص (٢٠، ١٩٥، ٢٩٤، ٤٣٩، ٤٧٦)، ج ٣ ص (١٨٢، ٢٥٣، ٣٥٩، ٣٨٠)، ج ٤ ص (٧٥-٧٦، ١٩١، ٢٧٤، ٤٥٣، ٥٣٥)

(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٧ ص ١٩٣

(٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص ١٦٢

بقولـــه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾﴾)) [1].

٢- عنـد تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم:٢٧]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي الوصفُ الأعلى الذي ليس لغيره، وقد عُرف به، ووُصف في السموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل، وهو أنَّه القادر الذي لا يعجز عن شيء من إنشاءٍ وإعادةٍ وغيرهما من المقدورات، ويدلُّ عليه قوله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي القاهر لكلِّ مقدور ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي يُجري كلَّ فعل على قضايا حكمته وعلمه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ((المثل الأعلى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١])) [2]، وعن مجاهد: ((هو قول لا إله إلا الله)) [3]، ومعناه: وله الوصفُ الأرفع الذي هو الوصف بالوحدانيَّة، ويعضده قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ فهذا مثلٌ ضربه الله عزَّ وجلَّ لمن جعل له شريكاً من خلقه...)) [4].

فالإمام النسفي صدَّر تفسير الآية ببيان المثل الأعلى، ثم ذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما، ثم قول مجاهد، ثم وجَّه معنى الآية على قول مجاهد، وبيَّن أنَّ الآية اللاحقة تعضد قول مجاهد، وفسَّرها بما يتفق مع وصف الوحدانية.

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (١٦٢-١٦٣)

(٢) أثر ابن عباس رضي الله عنهما رواه الطبري في تفسيره: ج ٢١ ص ٣٨

(٣) أثر مجاهد أورده السمعاني في تفسيره: ج ٣ ص ١٨١، والزمخشري في "الكشاف": ج ٣ ص ٤٨٣، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن": ج ١٤ ص ٢٢

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٣٩٢-٣٩٣)، وانظر مثلاً: ج ٤ ص ٣٠٨

- وقد يذكر الإمام النسفي أكثر من قولٍ، وربما كان أحد هذه الأقوال مرويَّاً عن أحد التابعين، ولا يرجِّح بينها؛ لأنَّ كلَّ معنى من المعاني قد يكون هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

مثال ذلك:

- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٩-١٠]

يقول الإمام النسفي: ((... ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ طهَّرها اللهُ، وأصلحها، وجعلها زاكيةً ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أغواها الله، قال عكرمة[1]: ((أفلحت نفسٌ زكاها اللهُ، وخابت نفسٌ أغواها اللهُ)) [2]، ويجوز أن تكون التدسيةُ والتطهيرُ فعلَ العبد...)) [3].

فالإمام النسفي بيَّن أنَّ التزكية والتدسية هي فعل الله عزَّ وجلَّ، واستدل على ذلك بما روي عن عكرمة، وجوَّز أن تكون التدسيةُ والتطهيرُ فعلَ العبد، ولم يُرجِّح أحد المعنيين، فقد يكون كلُّ معنى من المعاني هو المراد، ولا مرجِّح، أو أنَّ المعاني كلَّها مقبولةٌ راجحة.

وبعد كلامي عن أسلوب الترجيح بأقوال التابعين عند الإمام النسفي سأنتقل بعون الله تعالى للكلام عن الترجيح بأسباب النزول، وهذا ما خصِّص له المبحث الآتي.

---

(١) عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، أبو عبد الله البربريُّ، المدني، الهاشمي، أصله من البربر من أهل المغرب، روى عن مولاه وعائشة وأبي هريرة وعقبة بن عامر وأبي سعيد، ثقةٌ، ثبتٌ، عالم بالقرآن ومعانيه، أفتى في حياة ابن عباس، وكان من علماء التابعين، مات سنة (١٠٥هـ)، وقيل غير ذلك. انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (٩٥-٩٦)، طبقات الحفاظ: ص (٤٣-٤٤)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص ١٢

(٢) أثر عكرمة بحثت عنه فلم أجده؛ ولكن روي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: ((أفلحت نفس زكَّاها الله، وخابت نفس خيَّبها الله من كل خير)). انظر: تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (١٩٣٥١)، ج ١٠ ص ٣٤٣٨، وروى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قال: ((من أصلحها)). انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٣٠ ص ٢١١، وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾ قال: ((من خسرها)). انظر: تفسير ابن أبي حاتم: رقم الحديث (١٩٣٤٧)، ج ١٠ ص ٣٤٣٨

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص ٥٢٨

المبحث الرابع

الترجيح بأسباب النزول

يتضمن هذا المبحث الكلام عن تعريف تفسير القرآن بأسباب النزول، وفوائد معرفة أسباب النزول، وطرق معرفتها، والتعبير عن سبب النزول، وأسلوب الإمام النسفي في ذكر أسباب النزول مع نماذج من الترجيح بها.

المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بأسباب النزول:

قبل أن أتكلَّم عن تعريف تفسير القرآن بأسباب النزول لا بدَّ من تعريف أسباب النزول.

أولاً: تعريف أسباب النزول:

أسباب النزول تركيب إضافي، فلا بدَّ من تعريفه أولاً باعتبار أفراده، ثم باعتبار تركيبه.

أ- تعريف الأسباب:

الأسباب: جمع سبب، وكلمة (سبب) مأخوذةٌ في اللغة من (سبَّ)، وأصل السَّبِّ في اللغة: القطع[(١)]، قال ابن فارس: ((ثمَّ اشتُق منه الشَّتْمُ... وأكثر الباب موضوع عليه، من ذلك: السِّبُّ: الخمار؛ لأنه مقطوع من منسجه... ويقال: مضت سُبَّة من الدَّهر، يريد: مضت قطعة منه))[(٢)].

وقال ابن منظور: ((السَّبُّ: القطع، سَبَّه سَبّاً: قَطَعه... وسَبْسَبَ: إذا قطع رحمه، والتَّسابُّ: التَّقاطع، والسَّبُّ: الشَّتْم، وهو مصدر: سَبَّه يَسُبُّه سَبّاً: شَتَمَه؛ وأصله من ذلك))[(٣)].

والسَّبب: الطريق؛ لأنَّك تصل به إلى ما تريد[(٤)].

---

(١) جمهرة اللغة: ج ١ ص ٦٩

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٣ ص ٦٣

(٣) لسان العرب: ج ١ ص ٤٥٥

(٤) العين للفراهيدي: ج ٧ ص ٢٠٤

والسَّبب: الحَبْل، وكلُّ شيءٍ يُتَوصَّلُ به إلى الشيء، فهو سبب، تقول: جَعَلْتُ فُلاناً لي سَبَباً إلى فلانٍ في حاجتي، أَي: وُصْلةً وذريعةً[1].

ب- تعريف النزول:

النزول في اللغة مصدر (نزل)، قال ابن فارس: ((النُّونُ، والزاءُ، واللام، كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على هبوط شيءٍ، ووقوعِه، ونزل عن دابته نزولاً، ونزل المطر من السماء نزولاً، والنَّازلة: الشَّديدة من شدائد الدهر تنزِل... ومكان نَزِلٌ: يُنزَل فيه كثيراً... والنُّزُل: ما يُهيأ للنَّزيل... والنَّزيل: الضَّيف))[2].

والنُّزول: الحُلول، يقال: نَزَلَهم، ونزل عليهم، ونزل بهم، يَنزِل نزولاً ومَنزَلاً ومَنزِلاً، وأنزلَه غيرُه و نزَّله تنزيلاً، والتَّنزيل: التَّرتيب، والتَّنزُّل: النُّزول في مهلة، ونَزَلَ من علو إلى سفل: انحدر، ونَزَلَ به الأَمر: حلَّ، والنَّزْلَة: المرَّة الواحدة مِن النُّزول، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم:١٣] أي: مرة أخرى. والنَّزَل: المطر[3].

ولما كان الهبوط والحُلول من صفات الأجسام، والقرآن ليس جسماً، حتى يَحُلَّ في مكانٍ، أو ينحَدِر من عُلوٍ إلى سُفْلٍ، كان لا بدَّ من حمل معنييِّ الإنزال على المجاز دون الحقيقة، فقيل: المراد من إنزال القرآن: إنزال حامِلِه، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، أو المراد من إنزال القرآن: لازمُه، وهو الإعلام؛ لأنَّ إنزال شيءٍ ما، يلزم منه إعلامُ المنزَل إليه بهذا الشيء، وإيصالُه له، فمعنى إنزال القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم: إيصالُه إليه، وإعلامُه به[4].

---

(١) انظر: لسان العرب: ج ١ ص ٤٥٨

(٢) معجم مقاييس اللغة: ج ٥ ص ٤١٧

(٣) انظر: لسان العرب: ج ١١ ص (٦٥٦-٦٥٩)

(٤) انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن للدكتور فضل عباس: ج ١ ص ٩٩، مناهل العرفان: ج ١ ص (٣٠-٣٢)

ج- تعريف المركب الإضافي بعد أن أصبح عَلَماً على عِلْمٍ معيَّن:

سبب النزول: ((هو ما نزلت الآيةُ أو الآياتُ مُتَحَدِّثةً عنه، أو مُبَيِّنةً لحُكمه أيام وقوعه))[1].

أي أنَّ حادثةً وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو سؤالاً وُجِّهَ إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال، سواءٌ أكانت تلك الحادثةُ خصومةً دبَّت[2]، أم كانت تلك الحادثةُ خطأً فاحشاً ارتُكب[3]، أم كانت تلك الحادثة تمنِّياً من التمنِّيات، ورغبةً من الرغبات، كموافقات سيدنا عمر رضي الله عنه، وسواءٌ أكان ذلك السؤال المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يتصل بأمرٍ مضى، نحو قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [الكهف:٨٣]، أم يتصل بحاضرٍ، نحو قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ

---

(١) مناهل العرفان: ج ١ ص ٧٦

(٢) كالخصومة التي دبَّت بين الأوس والخزرج بدسيسة من اليهود، ونزل بسبب ذلك آيات من القرآن، قال السيوطي: ((أخرج ابن إسحق، وأبو الشيخ، عن زيد بن أسلم، قال: مرَّ شاس بن قيس – وكان يهودياً – على نفرٍ من الأوس والخزرج يتحدَّثون، فغاظه ما رأى من تألفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم، فيذكرهم يوم بعاث، ففعل، فتنازعوا، وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس، وجبَّار بن صخر من الخزرج، فتقاولا، وغضب الفريقان، وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فجاء حتى وعظهم، وأصلح بينهم، فسمعوا، وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [آل عمران:١٠٠]، وفي شاس بن قيس: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٩])). لباب النقول في أسباب النزول: ص (٥٥-٥٦)

(٣) كالصحابي الذي أمَّ الناس في صلاته، وهو سكران، ثم أخطأ في القرآن، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء:٤٣]، قال السيوطي: ((روى أبو داود، والترمذي، والنسائي، والحاكم، عن علي قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً، فدعانا، وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة، فقدموني، فقرأت: (قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ونحن نعبد ما تعبدون)، فأنزل الله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾)). المرجع السابق: ص (٦٨-٦٩)

ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥]، أم يتصل بمستقبلٍ، نحو قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ [النازعات:٤٢].

والمراد بقولنا: "أيام وقوعه" أي: الظروف التي ينزل القرآن فيها متحدِّثاً عن ذلك السبب، سواءٌ أوقع هذا النزول عقب سببه مباشرةً، أم تأخَّر عنه مدةً لحكمةٍ من الحكم.

ثمَّ إنَّ كلمة "أيام وقوعه" – في تعريف سبب النزول – قيدٌ لا بدَّ منه؛ للاحتراز عن الآية أو الآيات التي تنزل ابتداءً من غير سببٍ مُتَحَدِّثةً عن بعض الوقائع، والأحوال الماضية، أو المستقبَلة كبعض قصص الأنبياء السابقين، وأممهم، وكالحديث عن الساعة، وما يتصل بها، وهو كثير في القرآن الكريم(١).

أي أنَّ أحداث أسباب النزول هي ما كانت في عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد البعثة، أمَّا الأحداث التي تحدَّثت عن عهود الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام، أو قبل بعثته كحادثة الفيل فلا تعدُّ من أسباب النزول(٢).

وأمَّا قولنا: "مُتَحَدِّثةً عنه، أو مُبَيِّنةً لحُكمه"، فمعناه: أنَّ سبب النزول قد تكون الآية الكريمة مُتَحَدِّثةً عنه، كالسؤال عن الأهلة، كما في قوله تعالى: ﴿۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩]، أو مُبَيِّنةً لحُكمه، كالسؤال عن المحيض، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ومعنى هذا أنَّ سبب النزول قد يكون حكماً شرعيَّاً، أو بياناً لحدثٍ معين.

وندرك من تعريف سبب النزول أنَّ القرآن الكريم منه ما نزل ابتداءً يُبيِّن للناس ما فيه خيرهم وسعادتهم، إمَّا بالحثِّ على عمل خيرٍ، وإمَّا لبيان حكمٍ، وإمَّا للحثِّ على فضيلة خُلُقيَّة، أو

---

(١) انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص (٧٦-٧٨)

(٢) انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص ٣١٠

تقرير قاعدة عقدية، أو ترغيباً بخير يؤدي إلى الجنة، أو ترهيباً من شرٍّ يؤدي إلى النار، إلى غير ذلك ممَّا اشتمل عليه القرآن من أنواع الخير، وهذا هو الأكثر، أي: الذي نزل ابتداءً.

ومنه ما نزل لسبب معين، وإجابة عن سؤال، سواءٌ أكان هذا السؤال مذكوراً في الآية الكريمة أم لم يكن[1].

والمناسبة واضحة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي؛ لأنَّ السبب لغة هو ما يُتوصل به إلى غيره، وسبب النزول سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّ الحادثة التي وقعت، أو السؤال الذي وُجِّهَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، تُوصِّلَ به إلى بيانٍ من الله عزَّ وجلَّ يتحدث عن تلك الحادثة، أو يُبيِّن جواب ذاك السؤال.

وبعد تعريف أسباب النزول أعود إلى تعريف تفسير القرآن بأسباب النزول، فأقول:

المراد بتفسير القرآن بأسباب النزول اصطلاحاً هو: بيان القرآن بأسباب النزول، أي: بيان بعض آيات القرآن بما ورد عن الصحابة الكرام والتابعين من رواياتٍ في أسباب النزول.

وبناءً على ما سبق نستطيع أن نُعرِّف ترجيح تفسير القرآن بأسباب النزول بأنه: تقوية بعض الأقوال على بعض في تفسير الآية بما ورد عن الصحابة الكرام والتابعين من رواياتٍ في أسباب النزول لبعض آيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول:

اهتم العلماء بأسباب نزول القرآن الكريم، وأُلِّفت في هذا الباب مؤلفات عدة[2]؛ لأنَّ معرفة أسباب النزول لها أهميةٌ بالغةٌ في تفسير الكتاب العزيز، والعلمُ بها من العلوم التي يحتاجها

(١) انظر: إتقان البرهان في علوم القرآن: ج ١ ص (٣١٢-٣١٣)

(٢) وأشهر هذه المؤلفات: أسباب النزول للواحدي، والعُجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ولباب النُّقول في أسباب النزول للسيوطي.

المتصدِّر لتفسير كتاب الله عزَّ وجلَّ[1]، وأكَّد ذلك الإمام الشاطبي[2] فقال: ((معرفة أسباب التنزيل لازمةٌ لمن أراد علمَ القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أنَّ علم المعاني والبيان الذي يُعرف به إعجاز نظْم القرآن فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب؛ إنما مداره على معرفة مُقتضَيَات الأحوال: حالِ الخطابِ من جهة نفسِ الخطاب، أو المخاطِب، أو المخاطَب، أو الجميع؛ إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطَبين، وبحسب غير ذلك، كالاستفهام، لفظه واحد، ويدخله معانٍ أخر، من تقريرٍ، وتوبيخٍ، وغير ذلك، وكالأمر، يدخله معنى الإباحة، والتهديد، والتعجيز، وأشباهها، ولا يدلُّ على معناها المراد إلا الأمورُ الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كلُّ حالٍ يُنقل، ولا كلُّ قرينة تقترن بنفس الكلام المنقول، وإذا فات نقل بعض القرائن الدَّالَّة، فات فهم الكلام جملةً، أو فهمُ شيءٍ منه، ومعرفةُ الأسباب رافعةٌ لكل مُشكِلٍ في هذا النمط، فهي من المهمَّات في فهم الكتاب بلا بُدٍّ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال، وينشأ عن هذا الوجه:

الوجه الثاني: وهو أنَّ الجهل بأسباب التنزيل موقعٌ في الشُّبَهِ والإشكالات، ومُوردٌ للنصوص الظاهرة مَورِد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظِنَّة وقوع النزاع))[3].

وذكر العلماء من فوائد معرفة أسباب النزول ما يلي[4]:

---

(١) وهي خمسة عشر علماً: اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة: البديع والمعاني والبيان، وأصول الدين، والفقه، وأصول الفقه، وأسباب النزول والقصص، والأحاديث المبيِّنة لتفسير المبهم والمجمل، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وعلم الموهبة. انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ٤ ص (٤٧٧-٤٧٩)

(٢) إبراهيم بن موسى اللخمي الغِرناطي المالكي، أبو إسحاق، الشهير بالشَّاطبي، من كبار الأئمة المعتبرين، وله القدم الراسخة في الفنون: فقهاً، وأصولاً، وتفسيراً، وحديثاً، وعربية، وغيرها، ومن مصنفاته: عنوان التعريف بأسرار التكليف والمشهور بكتاب الموافقات، الاعتصام بالسنة، أصول النحو...وغيرها، مات سنة (٧٩٠هـ). انظر في ترجمته: نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي: ص (٤٨-٥٢)، هدية العارفين: ج ٥ ص ١٨

(٣) الموافقات: ج ٣ ص ٣٤٧

(٤) انظر في معرفة فوائد أسباب النزول: الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص (٨٧-٨٩)

١- معرفة وجه الحِكمة الباعثة على تشريع الحكم.

٢- الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال، ولذلك ذكر العلماء أنَّه لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيانِ نزولها، فبيانُه طريقٌ قوي في فهم معاني القرآن، وقال ابن تيمية: ((معرفة سبب النزول يُعين على فهم الآية؛ فإنَّ العلمَ بالسبب يُورث العلم بالمسَبَّب)) [(١)].

٣- تخصيص الحكم بالسبب عند مَن يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ[(٢)]، فعند هؤلاء ما لم يُعرف السبب لا يمكن معرفة المقصود بالحكم، ولا القياس عليه، وتبقى الآية معطَّلة خالية من الفائدة.

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج ١٣ ص ٣٣٩

(٢) يذكر الكاتبون في كتب علوم القرآن هذه الفائدة، والتي بعدها عند حديثهم عن فوائد معرفة أسباب النزول، وهاتان الفائدتان لهما علاقة بمسألة من مسائل علم أصول الفقه، وهي: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟ اختلف العلماء في المسألة على قولين:

القول الأول: قال الجمهور: العبرة بعموم اللفظ، وهو قول أحمد، وأصحابه، والحنفية، ونصَّ عليه الشافعي في "الأم"، واختاره الإمام فخر الدين، والآمدي وأتباعهما، والقول الثاني: العبرة بخصوص السبب، وهو رواية عن أحمد، وبعض أصحابه، واختاره المزني، والقفَّال، والدَّقاق، وقاله أبو الفرج، وابن نصر، وغيرهما من المالكية، وحُكي عن مالك، وذَكَرَ الجويني بأنَّه الذي صحَّ من مذهب الشافعي.

والتحقيق أنَّ الذي صحَّ من مذهب الشافعي - رضي الله عنه - موافقة الجمهور في القول بعموم اللفظ خلافاً لما ذكره إمام الحرمين الجويني، والذي نُقل عن الشافعي من القول بخصوص السبب وهْمٌ والتباس. انظر: البرهان في أصول الفقه: ج ١ ص ٢٥٣، الإبهاج في شرح المنهاج: ج ٢ ص (١٨٥-١٨٦)، التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: ص ٤١١، القواعد والفوائد الأصولية: ص (٢٤٠-٢٤١)

وفي الحقيقة النتيجة عند الفريقين واحدة، ولكن اختلفوا في طريقة تعدية الحكم: هل هو بعموم اللفظ مباشرة دون حاجة إلى دليل خارجي، أم بواسطة دليل آخر؟ فالذين قالوا العبرة بخصوص السبب يقصرون الآية الكريمة على السبب الذي نزلت من أجله الآية، أما غيرهم ممن هم مثلهم فيشملهم الحكم بالقياس، والذين قالوا العبرة بعموم اللفظ يرون أن نصَّ الآية الكريمة يشمل من نزلت من أجله الآية، ويشمل غيرهم ممن هم مثلهم دون حاجة إلى دليل خارجي.

ويجب أن نلاحظ أنَّ هذا الخلاف القائم بين الجمهور وغيرهم محلّه إذا لم تقم قرينةٌ على تخصيص لفظ الآية العامِّ بسبب نزوله، أمَّا إذا قامت تلك القرينة، فإنَّ الحكم يكون مقصوراً على سببه لا محالة بإجماع العلماء. انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص ٩٠

٤- إنَّ اللفظ قد يكون عامًّاً، ويقوم الدليل على التخصيص، فإذا عُرف السبب، قُصِر التخصيص على ما عدا صورته؛ فإنَّ دخول صورة السبب قطعيٌّ، وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، فلو لم يُعرف سبب النزول لجاز أن يُفهم أنه مما خرج بالتخصيص، مع أنه لا يجوز إخراجه قطعا للإجماع على ذلك.

٥- دفع توهُّم الحصر عمَّا يفيد بظاهره الحصر نحو قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام:١٤٥] فالكفار لما حرَّموا ما أحلَّ اللهُ، وأحلُّوا ما حرَّم الله، وكانوا على المضادَّة والمحادَّة، جاءت الآية مناقضةً لغرضهم، فكأنه تعالى قال: لا حلال إلا ما حرَّمتموه، ولا حرام إلا ما أحللتموه. تنزيلاً للكلام منزلة من يقول: لا تأكل اليوم حلاوة، فتقول: لا آكل اليوم إلا الحلاوة، والغرض: المضادَّة، لا النَّفي والإثبات على الحقيقة، فكأنه تعالى قال: لا حرام إلا ما أحللتموه من الميتة، والدَّم، ولحم الخنزير، وما أُهلَّ لغير الله به، ولم يقصد حِلَّ ما وراءه؛ إذ القصد إثبات التحريم، لا إثبات الحلِّ.

٦- معرفة اسم النازل فيه الآية، وتعيين المبهم فيها.

٧- تيسير الحفظ، وتسهيل الفهم، وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها؛ وذلك لأنَّ ربط الأسباب بالمسبَّبات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمنة والأمكنة، كلُّ أولئك من دواعي تقرُّر الأشياء، وانتقاشها في الذِّهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارناتها في الفكر[1].

(١) انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص ٨١

المطلب الثالث: طرق معرفة أسباب النزول[١]:

لا طريق لمعرفة أسباب النزول إلا النقل الصحيح، قال الإمام الواحِديُّ[٢]: ((ولا يحلُّ القول في أسباب نزول الكتاب، إلا بالرِّواية والسَّماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن عِلمها، وجَدُّوا في الطِّلاب)) [٣].

فمعرفة أسباب النزول لا تكون بالرأي والاجتهاد، وإنما بالرواية والسماع، وبناءً على هذا الكلام، فما يرويه الصَّحابيُّ فيما يتعلق بسبب نزول آيةٍ – بشرط ألَّا يكون قد استنبط السبب استنباطاً باجتهاده[٤] – له حكم المرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا صحَّ سنده فهو مقبول؛ لأنَّ مثلَه لا يُقال بالرأي، فهذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، ولأنَّه يبعد كلَّ البعد أن يكون الصَّحابيُّ قد قال ذلك من تلقاء نفسه، أضف إلى ذلك أنَّه خبرٌ يرويه الصَّحابيُّ، فلا مردَّ له إلا السَّماع والنَّقل، أو المشاهدة والرؤية.

ولقد مرَّ معنا من قبل – عند الكلام عن حجِّية تفسير الصحابة – قول الإمام الحاكم: ((... فإنَّ الصَّحابيَّ الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آيةٍ من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديثٌ مسندٌ)) [٥].

وكذلك قول الإمام النَّووي: ((وأمَّا قول من قال: تفسيرُ الصَّحابيِّ مرفوعٌ، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آيةٍ أو نحوه...)) [٦].

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص (٩٢-٩٤)، مناهل العرفان : ج ١ ص ٨١

(٢) علي بن أحمد، أبو الحسن، الواحِديّ، النَّيْسَابُوريّ، كان أستاذ عصره في النحو والتفسير، ومن مصنفاته: البسيط، والوسيط، والوجيز في تفسير القرآن الكريم، كتاب أسباب النزول، التحبير في شرح أسماء الله تعالى الحسنى.... وغيرها، مات سنة (٤٦٨هـ)، انظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج ٣ ص (٣٠٣ – ٣٠٥)، طبقات المفسرين للأدنهوي: ص (١٢٧-١٢٨)

(٣) أسباب نزول القرآن للواحدي: ص ٨

(٤) انظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: ج ١ ص ١٩٤

(٥) معرفة علوم الحديث: ص ٢٠

(٦) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: ص ٣

أما ما يرويه التابعي فيما يتعلق بسبب نزول آيةٍ – بشرط ألَّا يكون قد استنبط السبب استنباطاً باجتهاده – فله حكم المرفوع، لكنَّه مرسلٌ، والحجَّة في كونه مرفوعاً، أنَّ غالبَ رواية التابعين كانت عن الصَّحابة الكرام، فيغلب على الظنِّ أنَّ التابعيَّ قد نقله عن صحابيٍّ شهد نزول الآية، أو نقله هذا الصَّحابيُّ عمَّن شهده، ولكن كما ذكرتُ سابقاً بشرط ألَّا يكون الصَّحابيُّ قد استنبط السبب استنباطاً باجتهاده.

المطلب الرابع: التعبير عن سبب النزول[1]:

تختلف العبارات في التعبير عن سبب النزول، فتارةً يُصرَّح فيها بلفظ (السبب)، فيقال: سبب نزول الآية كذا، فهذه العبارة نصٌّ في السَّببيَّة لا تحتمل غيرها.

وتارةً لا يُصرَّح بلفظ (السبب)، ولكن يُؤتى بـ (فاءٍ) داخلةٍ على مادة نزول الآية عقب سرد حادثةٍ، نحو: "فأنزل الله"، "فنزلت"، "فنزل قوله تعالى"، وهذه العبارة مثل تلك في الدلالة على السَّببيَّة أيضاً.

ومرةً يُسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فيُوحى إليه، ويجيب بما نزل عليه، ولكن دون التصريح من قبل الصَّحابيِّ بلفظ (السبب)، ولا الإتيان بتلك (الفاء) الداخلة على مادة نزول الآية، ولكنَّ السَّببيَّة تُفهم قطعاً من المقام، فحُكْمُ هذه أيضاً حكم ما هو نصٌّ في السَّببيَّة.

ومرةً أخرى لا يُصرَّح بلفظ (السبب)، ولا يؤتى بتلك (الفاء)، ولا بذلك الجواب المبنيِّ على السؤال، بل يقال: نزلت هذه الآية في كذا، فهذه العبارة ليست نصاً في السَّببيَّة بل تحتملها، وتحتمل أمراً آخر هو: بيان ما تضمنته الآية من الأحكام، قال ابن تيمية: ((قولهم: نزلت هذه الآية في كذا: يُراد به تارةً أنَّه سببُ النزول، ويُراد به تارةً أنَّ ذلك داخلٌ في الآية؛ وإن لم يكن السبب، كما تقول: عَنَى بهذه الآية كذا)) [2].

---

(١) انظر: مناهل العرفان: ج ١ ص (٨١-٨٢)

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ج ١٣ ص ٣٣٩

ولقد عُرف من عادة الصَّحابة والتابعين أنَّ أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية في كذا، فإنه يريد بذلك أنَّها تتضمن هذا الحكم، لا أنَّ هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع[1]، والقرائنُ وحدها هي التي تُعيِّن أحدَ هذين الاحتمالين، أو ترجِّحه.

ولقد تنازع العلماء في قول الصَّحابيِّ: نزلت هذه الآية في كذا، هل يجري مجرى المسند كما يذكر السبب الذي أُنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند؟

فالبخاري يُدخِله في المسند، وغيرُه لا يُدخِله في المسند، وأكثر المساند على هذا الاصطلاح، كمسند أحمد وغيره[2].

المطلب الخامس: أسلوب الإمام النسفي في ذكر أسباب النزول مع نماذج من الترجيح بها:

أولاً: أسلوب الإمام النسفي في ذكر أسباب النزول:

يكثر الإمام النسفي من ذكر أسباب النزول، والاعتمادِ عليها في تفسير الآيات، ويؤخِّر السبب أحياناً عن التفسير[3]، وأحياناً يُقدِّمه[4]، ويذكر أسباب النزول دون التزام بالصحيح منها أحياناً[5]، وإذا تعدَّدت الروايات ذكرها دون ترجيح[6]، وأحياناً يرجِّح[7]، وعندما يذكر أسباب النزول فإنه يأتي بها غالباً مجردة من أسانيدها، مسبوقة بلفظ (قيل) أو (روي)، ولا

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ج ١ ص ٩٣

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ج ١٣ ص ٣٤٠

(٣) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٢٧٥، ٣٣١)، ج ٢ ص (٢١، ٣٤)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٤٨، ١٦٥)، ج ٢ ص (٤٧، ١٩٥-١٩٦)

(٥) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص ٣٤٠، ج ٢ ص (١٩٦-١٩٧)، ج ٤ ص ٢٤٧

(٦) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (٢٧٥، ٢١٠، ٣٠٣)، ج ٢ ص ١٧٤، ج ٣ ص (٢٢٩، ٣٥٠، ٣٦٠)، ج ٤ ص (٢٤٤، ٢٥٠)

(٧) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ٣ ص ٧٠

يعزو الرواية إلى أصحابها[١]، ولا يلتزم ذكر الحديث بنصِّه، والصيغة التي يستعملها في التعبير عن سبب النزول هي (حدث كذا فنزلت) [٢]، وهي الصيغة الغالبة في تفسيره، وقد يستعمل صيغة (نزلت الآية في كذا) [٣]،كما يعتمد الإمام النسفي في بيان أسباب النزول على أقوال الصحابة الكرام[٤].

ثانياً: نماذج من الترجيح بأسباب النزول عند الإمام النسفي:

يذكر الإمام النسفي أحياناً الأقوال في تفسير الآية، ويرجِّح أحدها مستدلاً بموافقته لسبب النزول، لكنَّ الترجيح بذلك قليل جداً بالمقارنة مع ما مضى من المأثور، ومن الأمثلة على ذلك:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود:١١٤]

يقول الإمام النسفي: ((...﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ إنَّ الصلوات الخمس يذهبن الذنوب، وفي الحديث: « إنَّ الصلوات الخمس تكفِّر ما بينها من الذنوب »[٥]، أو

---

(١) انظر مثلاً: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٢١٢، ٢٤٩)، ج ٢ ص (١٦٠-١٦١، ٢٥٩)، ج ٣ ص (١٤٢، ٢١٨)، ج ٤ ص (٩٣، ٣٥٠)

(٢) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٣٤، ٢٦٠)، ج ٢ ص (١٣، ٢٠٦)، ج ٣ ص (٢١٣، ٤٢٠)، ج ٤ ص (٢٤٠، ٣٤٠)

(٣) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٢٠، ٢١٠)، ج ٢ ص (٢٩٨، ٤٠٢)، ج ٣ ص (١١٧، ١٤٢)، ج ٤ ص (٢١١، ٢٤٥)

(٤) انظر مثلاً: المرجع السابق: ج ١ ص (١٢٠، ١٧٣، ٤١٣)، ج ٢ ص (١٣٤-١٣٥)، ج ٣ ص ٤٢٠، ج ج ٤ ص (٢٤٤، ٣٠٤)

(٥) أصل الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفاراتٌ لما بينهنَّ »، وفي رواية بزيادة لفظ: « ما لم تغش الكبائر ». انظر: صحيح مسلم: كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر: رقم الحديث (٢٣٣)، ج ١ ص ٢٠٩

الطاعات، قال عليه السلام: « أتبع السيئة الحسنة تمحها »[1]، أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر... نزلت في عمرو بن غزيَّة الأنصاري[2] بائع التمر، قال لامرأة: في البيت تمرٌ أجود، فدخلت، فقبَّلها، فندم، فجاءه حاكياً باكياً، فنزلت، فقال عليه السلام: «هل شهدت معنا العصر؟ قال: نعم. قال: هي كفارة لك. فقيل: أله خاصة؟ قال: بل للناس عامَّة»[3]))[4].

فالإمام النسفي ذكر ثلاثة أقوال في بيان المراد بالحسنات، ثم ذكر سبب نزول الآية، وفيه سؤال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل – الذي أساء – عن شهود صلاة من الصلوات الخمس، وبناءً على ذلك فالقول الراجح عند الإمام النسفي هو أنَّ المراد بالحسنات الصلوات الخمس؛ وذلك لموافقته سبب النزول.

٢- وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور:٢٢]

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح من حديث أبي ذر: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس: رقم الحديث (١٩٨٧)، ج ٤ ص ٣٥٥، وقال الترمذي: ((هذا حديث حسن صحيح)).

(٢) عمرو بن غزيَّة بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة، ثم شهد بدراً، وهو والد الحجَّاج بن عمرو بن غزيَّة وإخوته، وهم: الحارث، وعبد الرحمن، وزيد، وسعيد، وأكبرهم الحارث وله صحبة، واختلف في صحبة الحجَّاج، ولم تصح لغيرهما من ولده صحبة، والله أعلم. انظر: الاستيعاب: ج ٣ ص ١١٩٧، الإصابة: ج ٤ ص ٦٦٨، قال ابن حجر العسقلاني: ((كان في الأصل أبو اليسر عمرو بن غزية؛ وهو غلط، وإنما هو أبو اليسر كعب بن عمرو، وكذا هو في كتب أسماء الصحابة، وإنما تبع المصنِّف الثعلبي فإنه قال كذلك: نزلت في عمرو بن غزية الأنصاري، والحديث عند الترمذي والنسائي والبزار والطبري من رواية عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة بن أبي اليسر بن عمرو)). الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني: ص (٨٧-٨٨)

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة هود: رقم الحديث (٣١١٥)، ج ٥ ص ٢٩٢، وقال الترمذي: ((وهذا حديث حسن صحيح، وقيس بن الربيع ضعَّفه وكيع وغيره)).

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص ٢٩٨

يقول الإمام النسفي: ((﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ ولا يحلِف، مِنْ ائتلى إذا حلفَ؛ افتعالٌ من الأليَّة، أو لا يقصِّر من الأَلْوِ ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ ﴾ في الدين ﴿ وَٱلسَّعَةِ ﴾ في الدنيا ﴿ أَن يُؤْتُوٓاْ ﴾ إن كان من الأليَّة ﴿ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أي لا يحلِفوا على أن لا يُحسِنوا إلى المستحقين للإحسان، أو لا يُقصِّروا في أن يحسنوا إليهم، وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها ... نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مِسطح[1] ابن خالته؛ لخوضه في عائشة رضي الله عنها، وكان مسكيناً بدريًّاً مهاجراً، ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال: ((بلى أحب أن يغفر الله لي، وردَّ إلى مسطح نفقته))[2]...)) [3].

فالإمام النسفي ذكر معنيين لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾:

١- ولا يحلِف.

٢- ولا يقصِّر.

وبدأ بـ (ولا يحلِف)، وهو الراجح عنده؛ لورود سبب النزول، ووجه الاستدلال بالسبب أنَّ الفعل الذي نزلت الآية للنهي عنه، قد صدر من أبي بكر الصديق، وهذا الفعل هو الحلف على ترك الإنفاق على مسطح، لا التقصير فيه.

---

(١) مسطح بن أثاثة بن عبد مناف بن قصي المطلبي، كان اسمه عوفاً؛ وأمَّا مسطح فهو لقبه، وأمُّه بنت خالة أبي بكر، وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، فلما خاض مع أهل الإفك في أمر عائشة حلف أبو بكر ألا ينفعه حتى نزلت الآية الكريمة من سورة النور، فعاد أبو بكر إلى الإنفاق عليه، مات مسطح سنة (٣٤هـ) في خلافة عثمان، ويقال عاش إلى خلافة علي، وشهد معه صفين، ومات في تلك السنة سنة (٣٧هـ). انظر في ترجمته: الاستيعاب: ج ٤ ص ١٤٧٢، الإصابة: ج ٦ ص ٩٣

(٢) والحديث في الصحيحين، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب المغازي، باب حديث الإفك: رقم الحديث (٣٩١٠)، ج ٤ ص ١٥٢١، وفي كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور:١٢]، رقم الحديث (٤٤٧٣)، ج ٤ ص ١٧٧٧، وفي كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب: رقم الحديث (٦٣٠١)، ج ٦ ص ٢٤٥٨، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف: رقم الحديث (٢٧٧٠)، ج ٤ ص ٢١٣٦

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٣ ص (٢٠٤-٢٠٥)

٣- وفي قولـه تعـالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٠]

يقـول الإمـام النسـفي: ((﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ ﴾ القـرآن ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ هـو عبـد الله بـن سـلام عنـد الجمهـور؛ ولهـذا قيـل: إنَّ هـذه الآيـة مدنيَّـة؛ لأنَّ إسلام ابن سلام بالمدينة، رُوي أنَّه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ نظر إلى وجهه فعلم أنَّه ليس بوجه كذَّاب، وقال له: « إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبي؟ ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته، فقال أشهد أنك رسول الله حقاً »[(١)]...)) [(٢)].

وفي المراد بالشاهد في هذه الآية قولان[(٣)]:

الأول: أنه عبد الله بن سلام.

والثاني: أنه موسى بن عمران عليه السلام.

والإمام النسفي رجَّح أنَّه عبد الله بن سلام؛ لأنَّه ورد في الحديث كما عند البخاري أنَّ هذه الآية نزلت فيه[(٤)]، وهو قول الجمهور[(٥)].

---

(١) والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب فضائل الصحابة، باب كيف آخى النبي بين أصحابه: رقم الحديث (٣٧٢٣)، ج ٣ ص ١٤٣٣

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٤ ص (٢٠٨-٢٠٩)

(٣) انظر: زاد المسير: ج ٧ ص ٣٧٣

(٤) انظر: صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه: رقم الحديث (٣٦٠١)، ج ٣ ص ١٣٨٧

(٥) انظر مثلاً في الترجيح بأسباب النزول: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ٢ ص (٣٤٣، ٤٠٢)

المبحث الخامس

الترجيح بالإجماع

ويتضمن هذا المبحث الكلام عن تعريف الإجماع، وأنواعه، والترجيح به مع المثال عليه.

المطلب الأول: تعريف الإجماع، وأنواعه:

أولاً: تعريف الإجماع:

أ- تعريف الإجماع لغة:

قال ابن فارس: ((الجيمُ والميمُ والعينُ أصلٌ واحد، يدلُّ على تضامٍّ الشيء.... وجَمْعُ مكَّة سُمِّي؛ لاجتماع الناس به، وكذلك يوم الجمعة، وأجمعتُ على الأمر إجماعاً وأجمعته... ويُقال: فلاةٌ مُجْمِعَة: يجتمع الناس فيها، ولا يتفرَّقون خوف الضلال...)) [(١)].

وجامَعَهُ على الأمر: مالَأَه عليه، واجتمع معه... وجمع أمره، وأجمعه، وأجمع عليه: عزم عليه كأنه جمع نفسه له.

والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء .... أجمعْتُ الرأي، وأزمعتُه، وعزمتُ عليه بمعنىً.

وأجمع أمره: أي جعله جميعاً بعدما كان متفرِّقاً.... والإجماع: أن تجمع الشيء المتفرِّق جميعاً، فإذا جعلته جميعاً بقي جميعاً، ولم يكد يتفرَّق، كالرأي المعزوم عليه الممضى[(٢)].

نستنتج مما سبق أن معنى الإجماع يدور على التضامِّ، والتمالؤ، والعزم، فالمجتهدون إذا اتفقوا على أمرٍ معينٍ، فهذا يعني أنَّهم تمالؤوا عليه، وأنَّ آراءهم انضم بعضُها إلى بعضٍ، وصارت كالرأي المعزوم عليه الممضى، ومن هنا سُمِّي اتفاق المجتهدين إجماعاً.

ب- تعريف الإجماع اصطلاحاً:

الإجماع اصطلاحاً هو: ((عبارة عن اتفاق جملة أهل الحلِّ والعقد، من أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم، في عصرٍ من الأعصار، على حكم واقعةٍ من الوقائع))[(٣)].

---

(١) مقاييس اللغة: ج ١ ص (٤٧٩- ٤٨٠)

(٢) انظر: لسان العرب: ج ٨ ص (٥٧- ٥٨)

(٣) الإحكام في أصول الأحكام: ج ١ ص ٢٥٤

فقولنا: (اتفاق) يعمُّ الأقوال والأفعال والسكوت والتقرير.

وقولنا: (جملة أهل الحلِّ والعقد) احترازٌ عن اتفاق بعضهم، وعن اتفاق العامَّة.

وقولنا: (من أمَّة محمد) احترازٌ عن اتفاق أهل الحلِّ والعقد من أرباب الشرائع السالفة.

وقولنا: (في عصرٍ من الأعصار) حتى يندرج فيه إجماعُ أهلِ كل عصرٍ، وإلَّا أوهم ذلك أنَّ الإجماع لا يتمُّ إلا باتفاق أهل الحلِّ والعقد في جميع الأعصار إلى يوم القيامة.

وقولنا: (على حكم واقعة) ليعمَّ الإثبات، والنفي، والأحكام العقلية، والشرعية[١].

ثانياً: أنواع الإجماع:

الإجماع بحسب طريقة تكوينه نوعان: إجماع صريح أو نطقي، وإجماع سكوتي[٢].

فالإجماع الصريح: هو أن تتفق آراء المجتهدين بأقوالهم أو أفعالهم على حكمٍ في مسألة معينة، كأن يجتمع العلماء في مجلس، ويبدي كلٌّ منهم رأيه صراحةً في المسألة، وتتفق الآراء على حكمٍ واحدٍ، أو أن يفتي كلُّ عالمٍ في المسألة برأي، وتتحد الفتاوى على شيءٍ واحدٍ.

والإجماع السكوتي: هو أن يقول بعض المجتهدين في العصر الواحد قولاً في مسألة، ويسكت الباقون بعد اطلاعهم على هذا القول، من غير إنكار[٣]، وللعلماء في حجِّيته مذاهب[٤].

المطلب الثاني: الترجيح بالإجماع مع المثال عليه:

بعد أن تحدَّثنا فيما سبق عن الترجيح بالقرآن، والترجيحِ بما نُقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة، والتابعين، والترجيحِ بأسباب النزول، لا بدَّ من الحديث عن الترجيح

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ج ١ ص ٢٥٥

(٢) انظر: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد لابن بدران الدمشقي: ص ٢٨٥

(٣) أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي: ج ١ ص ٥٥٢

(٤) انظر مذاهب العلماء في حجِّية الإجماع السكوتي في: الإحكام في أصول الأحكام: ج ١ ص (٣١٢-٣١٥)، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: ج ٣ ص (٣٣٩-٣٤٢)، البحر المحيط في أصول الفقه: ج ٣ ص (٥٣٨-٥٤٧)، روضة الناظر وجنة المناظر: ص (١٥١-١٥٣)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: ج ٢ ص (٢٠٣-٢١٩)

بالإجماع؛ لأنَّ الإجماع لا بدَّ أن يكون له مُستنَد، وإن لم يُنقل إلينا[1]، ولأنَّ المثال الذي وجدتُّه للترجيح بالإجماعِ هو إجماع الصحابة رضوان الله عليهم، فهو إذن مأثور عن الصحابة.

مثال الترجيح بالإجماع:

بعد البحث في تفسير الإمام النسفي وجدتُّ مثالاً واحداً للترجيح بالإجماع هو فِعْل الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم، فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾ [النساء:١٠٢]

يقول الإمام النسفي: ((﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِيهِمْ﴾ في أصحابك ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فأردتَّ أن تقيمَ بهم الصلاة، وبظاهره تعلَّق أبو يوسف[2] – رحمه الله – فلا يرى صلاة الخوف بعدَه عليه السلام، وقالا[3]: الأئمَّة نوَّابٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصرٍ، فكان الخطاب له متناولاً لكلِّ إمامٍ، كقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة:١٠٣] دليلُه: فِعلُ الصحابة رضي الله عنهم بعدَه عليه السلام...))[4].

---

(١) قال الطاهر بن عاشور في معرض حديثه عن التفسير بالآثار: ((وتشمل الآثارُ إجماعَ الأمة على تفسير معنى؛ إذ لا يكون إلا عن مُسْتَندٍ، كإجماعهم على أنَّ المراد من الأخت في آية الكلالة الأولى هي الأخت للأم، وأنَّ المراد من الصلاة في سورة الجمعة هي صلاة الجمعة)). تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ج ١ ص ٢٥

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي، أبو يوسف القاضي، تلميذ أبي حنيفة وصاحبه، كان فقيهاً عالماً حافظاً، ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء، وهو أول من خُوطب بقاضي القضاة، وأول من غيَّر لباس العلماء بهذا الزي، وهو أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها، وبثَّ علم أبي حنيفة في أقطار الأرض، ومن مصنفاته: الأمالي، النوادر، وله كتاب الخراج، مات سنة (١٨٢هـ). انظر في ترجمته: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ج ٦ ص (٣٧٨– ٣٨٨)، تاج التراجم في طبقات الحنفية: ص (٣١٥–٣١٧)، الفوائد البهية: ص ٢٢٥

(٣) أي: أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وصاحبه محمد بن الحسن. انظر: بدائع الصنائع: ج ١ ص (٢٤٢–٢٤٣)

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج ١ ص (٣٦٠–٣٦١)

فالإمام النسفي ذكرَ قولَ الإمام أبي حنيفة، ومحمد بن الحسن – وهذا قول كافة العلماء، وما شذَّ عنهم إلا أبو يوسف، وإسماعيل بن عُلَيَّة[1][2] – وأيَّد قولَهما بفعل الصحابة رضي الله عنهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روي أَّن سعيد بن العاص[3] لما أراد أن يُصلِّي صلاة الخوف قال: من شهد منكم صلاة الخوف مع رسول الله؟ فقام حذيفة بن اليمان[4] رضي الله عنه فوصف له ذلك، فصلَّى بهم كما وصف[5]، وكان ذلك بحضرة

---

(١) إسماعيل بن عُلَيَّة، وعُليَّة هي أمُّه، وهو ابن إبراهيم مولى بني أسد، ويُكنى أبا بشر، الحافظُ الثبتُ العلَّامة، ولَّاه الرشيد القضاء ثم أعفي منه، وقد بدت منه هفوة، وتاب منها في حديث: ((تجيء البقرة وآل عمران يحاجَّان عن صاحبهما))، فقيل: ألهما لسان؟ فقال: نعم. وإلَّا كيف تكلمتا؟! فقالوا: يقول القرآن مخلوق. وإنما غلط في التعبير وتاب مما قال، وله من الكتب: كتاب التفسير، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب المناسك، مات في سنة (١٩٣هـ). انظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ: ج ١ ص (٣٢٢-٣٢٣)، الفهرست: ص٣١٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ٥ ص ٣٦٤، ولقد ذهب الجمهور إلى جواز صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: المحرر الوجيز: ج ٢ ص ١٠٥، مفاتيح الغيب: ج ١١ ص ٢٠، التسهيل لعلوم التنزيل: ج ١ ص ١٥٥، تفسير البحر المحيط: ج ٣ ص ٣٥٤، فتح القدير للشوكاني: ج ١ ص ٥٠٨، روح المعاني: ج ٥ ص ١٣٤

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، أبو عثمان، كان له صحبة، وكان من فصحاء قريش؛ ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القرآن، ولي الكوفة، وغزا طبرستان ففتحها، وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة، وولي المدينة لمعاوية، وكان مشهوراً بالكرم والبرِّ، مات سعيد في سنة (٥٣هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٣ ص (١٠٧- ١٠٨)، الاستيعاب: ج ٢ ص (٦٢١-٦٢٤)

(٤) حذيفة بن اليمان العبسي، من كبار الصحابة، شهد أُحداً والخندق – وله بها ذكر حسن – وما بعدها، كان صاحب سرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد حذيفة فتوح العراق، وله بها آثار شهيرة، استعمله عمر على المدائن، فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان، وبعد بيعة علي بأربعين يوماً، وذلك في سنة (٣٦هـ). انظر في ترجمته: الإصابة: ج ٢ ص ٤٤، الاستيعاب: ج ١ ص (٣٣٤-٣٣٥)

(٥) والحديث أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الصلاة، باب من قال: يصلي بكل طائفة ركعة ولا يقضون: رقم الحديث (١٢٤٦)، ج ٢ ص ١٦، والنسائي في المجتبى من السنن: كتاب صلاة الخوف: رقم الحديث (١٥٢٩)، ج ٣ ص ١٦٧، والحاكم في مستدركه: كتاب صلاة الخوف: رقم الحديث (١٢٤٥)، ج ١ ص ٤٨٥، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه هكذا)).

الصحابة رضي الله عنهم، فلم ينكره أحدٌ منهم، وهم الذين لا تأخذهم في الله تعالى لومة لائم، فحلَّ محلَّ الإجماع[١]، وهذا إجماع سكوتي[٢].

أمَّا من تعلَّق بظاهر الآية، وقال: لا نصلِّي صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنَّ الخطاب كان خاصاً له بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾، فيردُّ عليهم الإمام القرطبي[٣] بقوله: ((وهذه الآية خطابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يتناول الأمراء بعده إلى يوم القيامة، ومثلُه قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣]))[٤]، ثم قال: ((ولو كان ما ذكروه دليلاً على الخصوص لَلَزِم قصرُ الخطابات على من توجَّهت له، وحينئذٍ كان يلزم أن تكون الشريعةُ قاصرةً على من خُوطب بها))[٥]، ثم يؤكِّدُ الإمام القرطبي قولَ جمهور العلماء بفعلِ الصحابة الكرام، وفهمِهم، فيقول: ((ثم إنَّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أطرحوا توهُّم الخصوص في هذه الصلاة، وعدُّوه إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم، وهم أعلم بالمقال، وأقعد بالحال، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]، وهذا خطابٌ له، وأمَّتُه داخلةٌ فيه، ومثله

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: ج ٢ ص (٢٢٦-٢٢٧)، روح المعاني: ج ٥ ص ١٣٤

(٢) يقول الإمام الكاساني في "بدائع الصنائع": ((ولأبي حنيفة ومحمد إجماعُ الصحابة رضي الله عنهم على جوازها؛ فإنه روي عن عليٍّ رضي الله عنه أنه صلَّى صلاة الخوف، وروي عن أبي موسى الأشعري أنه صلَّى صلاة الخوف بأصبهان، وسعيد بن العاص كان يحارب المجوس بطبرستان، ومعه جماعة من الصحابة منهم: الحسن، وحذيفة، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم، فقال: أيُّكم شهد صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقال حذيفة: أنا. فقام وصلَّى بهم صلاة الخوف على نحو ما يقول، فانعقد إجماع الصحابة على الجواز، وبه تبيَّن أنَّ ما ذكرا من المعنى غير سديدٍ؛ لخروجه عن معارضة الإجماع)). بدائع الصنائع: ج ١ ص ٢٤٣

(٣) محمد بن أحمد بن فرج الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي، أبو عبد الله، إمام متفنن متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه، ووفور فضله، من مصنفاته: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، التفسير الجامع لأحكام القرآن، مات سنة (٦٧١هـ)، انظر في ترجمته: شذرات الذهب: ج ٥ ص ٣٣٥، طبقات المفسرين للسيوطي: ص ٩٢

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ج ٥ ص ٣٦٤

(٥) المرجع السابق: ج ٥ ص ٣٦٤

كثير، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣]، وذلك لا يوجب الاقتصار عليه وحده، وأنَّ من بعده يقوم في ذلك مقامه، فكذلك في قوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ﴾ ألا ترى أنَّ أبا بكرٍ الصِّديق[١] في جماعة الصحابة رضي الله عنهم قاتلوا من تأوَّل في الزكاة مثلَ ما تأوَّلتموه في صلاة الخوف...)) [٢].

(١) عبد الله بن عثمان القرشي التميمي، أبو بكر الصديق بن أبي قُحافة، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصاحبه قبل البعثة، سبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة، وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحجَّ في الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة (٩هـ)، بويع بالخلافة يوم وفاة النبي صلّى الله عليه وسلم سنة (١١هـ)، ولقبه المسلمون خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق، مات بالمدينة سنة (١٣هـ). انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد: ج ٣ ص (١٦٩-٢١٣)، الإصابة: ج ٤ ص (١٦٩-١٧٤)

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ج ٥ ص (٣٦٤-٣٦٥)

خاتمة البحث:

وتتضمن أهم النتائج التي توصَّلت إليها، مع التوصيات.

أولاً: نتائج البحث:

ظهر لي من خلال البحث النتائج الآتية:

١- عاصر الإمام النسفي كارثة غزو التتار لبلاد المسلمين، وما خلَّفته من دمار على كافة مستويات الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية والدينية، وبرز في خضم هذه الأحداث حتى انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه علماً وعملاً.

٢- الإمام النسفي إمامٌ من أئمَّة أهل السُّنة والجماعة، حنفيُّ المذهب، ماتُريديّ العقيدة، تفسيرهُ زاخرٌ بالدفاع عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، مع الردِّ على الفرق المخالفة لهم.

٣- تناولت مصنفاته مختلف الفنون والعلوم من فقه وأصول وعقيدة وتفسير، وجميعها كتبٌ مفيدة ومعتبرة عند العلماء المحققين.

٤- لا يذكر الإمام النسفي غالباً عند عرضه لأقوال المفسرين صاحبَ القول، وإنَّما يستخدم عبارةً مبهمةً، وهي: (قيل) في الأكثر الغالب، وأحياناً يذكر صاحبَ القول.

٥- عندما يذكر الإمام النسفي أقوالَ المفسرين في تفسير الآية، يذكر معها أحياناً أدلتها، وأحياناً يقتصر على ذكر القول فقط دون ذكر الدليل.

٦- لا يتوسَّع الإمام النسفي في ذكر أقوال المفسرين، ولا يستوعب، وإنما يقتصر على ذكر بعضها، ولعلَّه يختار من الأقوال أشهرها وأقواها في نظره.

٧- يقتصر الإمام النسفي أحياناً على ذكر قولٍ واحدٍ فقط، مع وجود خلاف في تفسير الآية، وهذا دليلٌ على ترجيحه لهذا القول.

٨- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً بين أقوال المفسرين التي يذكرها في تفسير الآية، وأحياناً يكتفي بعرض الأقوال دون ترجيح.

٩- غالباً ما يُصدِّر الإمام النسفي تفسيرَ الآية بالقول الراجح عند حكايته للأقوال الواردة في تفسير الآية، ما لم ينص على خلاف ذلك.

١٠- عندما يُرجِّح الإمام النسفي قولاً من الأقوال، يذكر أحياناً سبب رجحانه، وأحياناً يُرجِّحه، دون بيان سبب الرُّجحان.

١١- يستخدم الإمام النسفي كلمة (قيل) لحكاية الأقوال؛ لأنَّه لا يُسمِّي صاحبَ القول غالباً، ولذلك لا تدلُّ على التضعيف، إلَّا إذا اقترنت بترجيح أحد الأقوال بإحدى طرق الترجيح، أو اقترنت بتضعيف القول الذي حُكي بها.

١٢- إذا ضعَّف الإمام النسفي قولاً من الأقوال، فإنَّه يذكر سبب ضعفه، ومن النادر أن يكتفي بتضعيفه، دون ذِكر سبب ضعفه.

١٣- إنَّ اختيار الإمام النسفي لقولٍ من الأقوال لا يعني - دائماً - أنَّ مُقابِلَه مردود، بل تراه أحياناً، يُبيِّن تأويل الآية على هذا القول المقابل، وهذا يعني أنَّ له شيئاً من الوَجَاهة، وليس مردوداً مطلقاً.

١٤- يتوقف الإمام النسفي غالباً عن الترجيح بين أسباب النزول، وفي الأحكام الفقهية، وفي مسائل الغيب التي تتوقف على النقل، وكذلك لا يرجِّح بين الأقوال التي يكون كلٌّ منها محتملاً، وله ما يؤيِّده من الأدلة.

١٥- يعتمد الإمام النسفي في تفسيره على الآيات، من أجل بيان المعنى، أو تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به، كذلك يُؤَكِّد الإعراب في الآية ويُقوِّيه معتمداً على آيات تتماثل في إعرابها مع الآية التي يفسِّرها.

١٦- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً القول المؤيَّد بآيات القرآن الكريم، وأحياناً يقدِّم غيره عليه؛ لأسباب معينة.

١٧- يهتم الإمام النسفي بالقراءات، ويُوجِّهُها، ويُفسِّر الآيات على معناها، ولا يقتصر على عرض القراءة المتواترة والشاذَّة؛ بل يتعدَّى ذلك إلى عرض القراءات الموضوعة.

١٨- يوظِّف الإمام النسفي القراءات المتواترة والشاذَّة أحياناً من أجل توضيح المعنى، أو تحديده، أو لتأكيد المعنى الذي فسَّر به.

١٩- يوظِّف الإمام النسفي القراءات المتواترة والشاذَّة أحياناً من أجل إثراء تفسير الآية الواحدة بالمعاني المختلفة، وأحياناً من أجل بيان حكم فقهي، وأحياناً يوظِّفها في الترجيح بين المعاني الواردة في تفسير الآية.

٢٠- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً القول المؤيَّد بقراءة، وأحياناً يُرجِّح حملَ المعنى المستفاد من مجموع قراءتين متواترتين؛ ولا يُفسِّر بالمعنى المستفاد من أحد القراءتين.

٢١- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً حمل المعنى على القراءة الشاذَّة، ولا يتعرَّض للمعنى على القراءة المتواترة.

٢٢- يعتمد الإمام النسفي في تفسيره على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل بيان المعنى، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه.

٢٣- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً القول المؤيَّد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحياناً يقدِّم غيره عليه؛ لأسباب معينة.

٢٤- لا يُشترط أن يكون الحديث نصاً في تفسير الآية حتى يُرجِّح به الإمام النسفي، وإنما يكفي أن يكون معناه يشهد لمعنى الآية.

٢٥- يعتمد الإمام النسفي في تفسيره على أقوال الصحابة من أجل بيان المعنى، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه.

٢٦- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً بأقوال الصحابة الكرام، وأحياناً يقدِّم غيره عليه.

٢٧- لا يُشترط أن يكون قول الصحابي الذي رجَّح به الإمام النسفي مما له حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل قد يكون موقوفاً على الصحابي.

٢٨- يعتمد الإمام النسفي في تفسيره على أقوال التابعين من أجل بيان المعنى، أو من أجل تأكيدِ المعنى الذي فسَّر به وتقويتِه.

٢٩- يرجِّح الإمام النسفي بأقوال التابعين رحمهم الله، ولكنه قليل.

٣٠- من القواعد التي قرَّرها الإمام النسفي في ترجيحه بين الأقوال ما يلي:

أ- القول الذي تؤيِّده آياتٌ قرآنية مقدَّم على ما عَدِم ذلك.

ب- اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافه.

ج- معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذَّة.

د- إذا ثبت الحديث، وكان نصَّاً في تفسير الآية، فلا يُصار إلى غيره.

هـ- إذا ثبت الحديث، وكان في معنى أحد الأقوال، فهو مرجِّح له على ما خالفه.

٣١- يرجِّح الإمام النسفي أحياناً القول المؤيَّد بسبب النزول.

٣٢- يرجِّح الإمام النسفي القول المؤيَّد بإجماع الصحابة الكرام.

٣٣- المأثور عند الإمام النسفي ليس حُجَّة مطلقاً، بل يُرجِّح به أحياناً، وأحياناً يقدِّم غيره عليه، فهو أمر اجتهادي متوقف على النظر.

ثانياً: التوصيات:

يوصي البحث بما يأتي:

١- دراسة منهج الإمام النسفي في الإعراب وأثره في تفسيره؛ فتفسيرُه جامع لوجوه الإعراب، وله ترجيحات تتعلق بذلك.

٢- جمع ودراسة ترجيحات الإمام النسفي في كلِّ سور القرآن الكريم، فيما يتعلق بعلوم القرآن أو اللغة، أو العقيدة، أو العبادات والمعاملات وغير ذلك من أبواب الفقه؛ فالإمام النسفي كانت له عناية بالترجيح عموماً في تفسيره.

٣- دراسة منهج الإمام النسفي في تقرير عقيدة أهل السُنَّة والجماعة، والردِّ على الفرق المخالفة.

فهرس الآيات

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الفاتحة

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾ [الفاتحة:٦]..... ١٤٧

﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] ١٩٦

- سورة البقرة

﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ ﴾ [البقرة:١٧]..... ١٩٧

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣]..... ٢٠٣

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا ﴾ [البقرة:٣٦]..... ٢١٠

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ [البقرة:٨٣]..... ٢٢٨

﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:١١٤]..... ٢٠١

﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ [البقرة:١٨٤]..... ٢٢٩

- سورة آل عمران

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران:٧]..... ٢٣١

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران:١٤]..... ٢٣٢

﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ [آل عمران:٩٧] ٢٦٩

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ ﴾ [آل عمران:١٣٤] ٢٦٤

- سورة النساء

﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ ﴾ [النساء:٣١] ٣٢٣

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النساء:٤٠] ٣١٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣]..... ١٥٠

الآية	رقم الصفحة

﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ ﴾ [النساء:٨٦]..... ٢٨٦

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [النساء:١٥٢]..... ٦٣

- سورة المائدة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ [المائدة:١]..... ١٦٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٢] ١٤٦

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ ﴾ [المائدة:٨٩] ٢٣٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ ﴾ [المائدة:٩٥]..... ١٥١

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۖ ﴾ [المائدة:١١٥]..... ٣٤٠

- سورة الأنعام

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [الأنعام:١]..... ٦٥

﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ﴾ [الأنعام:٢٧]..... ١٤٧

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ ﴾ [الأنعام:٦٨]..... ١٩٦

﴿ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ ﴾ [الأنعام:٧٠]..... ١٢٨

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢]..... ١٧٩

﴿ قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ ﴾ [الأنعام:١٦١]..... ٢٠١

- سورة الأعراف

﴿ وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ ﴾ [الأعراف:٨]..... ١٥٤

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا ﴾ [الأعراف:٢٣]..... ٣٢٦

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا ﴾ [الأعراف:٤٠]..... ١٩٩

﴿ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ﴾ [الأعراف:١٦٣]..... ١٨٥

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ ﴾ [الأعراف:٢٠٠]..... ٣١٣

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الأنفال

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال:٣٣]..... ٣٠١

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ ﴾ [الأنفال:٤٤]..... ٣١٤

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ [الأنفال:٥٠]..... ١٦١

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠]..... ٢٨٧

- سورة التوبة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٢٨]..... ٦٨

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً ﴾ [التوبة:١٠٣]..... ٣٦٣

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:١٠٦]..... ١٨٧

﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة:١٠٨]..... ١٤٠

- سورة يونس

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾ [يونس:٥]..... ١٩٧

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس:٢٦]..... ٢٧١

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس:٣٨]..... ٢٠٣

﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس:٩٢]..... ٢١٨

- سورة هود

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [هود:١٣]..... ٢٠٣

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ [هود:٨٢]..... ١٩٠

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود:١٠٧]..... ٢٠٧

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود:١١٤]..... ٣٥٧

- سورة يوسف

﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ﴾ [يوسف:٧]..... ١٩٣

الآية **رقم الصفحة**

- سورة يوسف

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا ﴾ [يوسف:٢٤]..... ٩٩

- سورة الرعد

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ ﴾ [الرعد:٤٣]..... ٢٣٢

- سورة إبراهيم

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ ﴾ [إبراهيم:٧]..... ٣٢٧

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً ﴾ [إبراهيم:٢٤]..... ٢٧٧

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:٤٨]..... ٣٣٠

- سورة الحجر

﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ [الحجر:١٥]..... ١٢٩

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ [الحجر:٨٧]..... ١٨٠

- سورة النحل

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ ﴾ [النحل:٧]..... ٢٠٨

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ [النحل:٤٤]..... ١٦

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل:٦٢]..... ١٦٤

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل:١٠٥]..... ٤٠

- سورة الإسراء

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء:١]..... ٢٨٨

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء:٧]..... ٢٠٨

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [الإسراء:٤١]..... ٣٣٦

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ ﴾ [الإسراء:٥٩]..... ٢٠١

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء:١١٠]..... ١٢٦

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الكهف

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً ﴾ [الكهف:٧]..... ١٤٥

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف:٨٣]..... ٣٤٨

- سورة مريم

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى ﴾ [مريم:٢٤]..... ٣١٩

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم:٧١]..... ١٤٣

﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم:٦٢]..... ١٦٨

- سورة طه

﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ ﴾ [طه:١- ٢]..... ٢٨٩

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]..... ١٨٩

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ [طه:١٠٢]..... ٢٤٣

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ [طه:١٢٣]..... ٢١٠

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم ﴾ [طه:١٢٨]..... ٢٤١

- سورة الأنبياء

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]..... ٧٢

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [الأنبياء:٣٣]..... ٣٢٥

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأنبياء:٤٧]..... ٣٣٤

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء:٩٩]..... ١٤٣

- سورة الحج

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا ﴾ [الحج:٣٤]..... ٣٢٨

﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ﴾ [الحج:٥٥]..... ١٦٦

الآية **رقم الصفحة**

- سورة المؤمنون

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ﴾ [المؤمنون:٦٠]..... ٢٣٤

- سورة النور

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ [النور:٢٢]..... ٣٥٨

﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾ [النور:٣١]..... ١٦٢

﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]..... ٦٨

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ﴾ [النور:٥٥]..... ٢٧٨

- سورة النمل

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:١٦]..... ٩٧

﴿أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل:٢٥]..... ٣٣٢

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [النمل:٣٥]..... ٩٧

﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ [النمل:٣٨]..... ١٧١

- سورة القصص

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [القصص:٢٣]..... ١٤٤

﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص:٢٦]..... ٣١٥

﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص:٣٤]..... ٢٠٠

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص:٣٨]..... ١٨١

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا﴾ [القصص:٨٣]..... ٣٣٨

- سورة الروم

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [الروم:٢٣]..... ١٩٦

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧]..... ٣٤٣

الآية **رقم الصفحة**

- سورة لقمان

﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ ﴾ [لقمان:١٣]..... ١٨٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]..... ١٧٩

- سورة السجدة

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦]..... ٢٧٠

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ ﴾ [السجدة:٢٨]..... ٢١١

- سورة الأحزاب

﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ ﴾ [الأحزاب:٢٧]..... ٢٦٦

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]..... ٦٤

- سورة فاطر

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [فاطر:١]..... ٣١١

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر:١٠]..... ٢٠٥

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا ﴾ [فاطر:٣٢]..... ١٢٦

- سورة الصافات

﴿ ۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ ﴾ [الصافات:٢٢]..... ١٨١

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الصافات:٤١]..... ١٦٧

﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴾ [الصافات:١٠٧]..... ٣٢١

- سورة ص

﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾ [ص:٢١]..... ٩٧

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ ﴾ [ص:٢٩]..... ١٧٨

﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا ﴾ [ص:٣٤]..... ٩٨

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الزمر

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ [الزُّمَر:٣]..... ١٤٢

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الزُّمَر:٢٢]..... ٢٦٩

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الزُّمَر:٦٣]..... ٢٧٥

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ﴾ [الزُّمَر:٦٩]..... ٢٩٠

- سورة غافر

﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١]..... ١٨١

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر:٥٥]..... ١٦٥

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [غافر:٦١]..... ١٩٧

- سورة فصلت

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى﴾ [فُصِّلَت:٤٧]..... ١٦٨

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۚ﴾ [فُصِّلَت:٥٠]..... ٢٠٤

- سورة الشورى

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]..... ١٨٩

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾ [الشورى:٢٣]..... ٣٤٠

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾ [الشورى:٣٨]..... ٣٣٦

- سورة الزخرف

﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾ [الزُّخرُف:١٩]..... ٦٤

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزُّخرُف:٣٦]..... ٣١٢

- سورة الدخان

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾ [الدخان:٣]..... ١٩١

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الدخان:١٦]..... ١٦٥

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الأحقاف

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ﴾ [الأحقاف:١٠]..... ٣٥٩

﴿ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٩]..... ٣٣٧

- سورة محمد

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ ﴾ [محمد:٤]..... ١٧٢

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ [محمد:٢٢]..... ١٨٤

- سورة الفتح

﴿ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح:٢٠]..... ٢٠١

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:٢٩]..... ٤١

- سورة الحجرات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحُجُرات:١]..... ١٥٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا ﴾ [الحُجُرات:١٢]..... ٣٣٥

- سورة ق

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ [ق:٤٠]..... ١٦٧

- سورة الذاريات

﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ [الذاريات:٣٣]..... ١٩٠

- سورة النجم

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ [النجم:٣]..... ١٧٩

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾ [النجم:٨]..... ١٢٧

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠]..... ٢٨٠

﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم:٣٧]..... ٢٣٣

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الرحمن

﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ [الرحمن:٢٢]..... ٣٣٧

﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الرحمن:٢٩]..... ٢٧٢

- سورة الحديد

﴿ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا ﴾ [الحديد:٢٧]..... ٢٣

- سورة الحشر

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر:٧]..... ٢٥٣

﴿ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ ﴾ [الحشر:٢٠]..... ٧٥

- سورة الطلاق

﴿ وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ ﴾ [الطلاق:٤]..... ٢٨٠

- سورة الملك

﴿ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المُلك:٢٢]..... ٦

- سورة المعارج

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ [المعارج:١]..... ١٦٥

- سورة نوح

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ ﴾ [نوح:٢٨]..... ١٥٤

- سورة المدثر

﴿ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴾ [المدَّثر:٢٩]..... ٣٠٢

- سورة القيامة

﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾ [القيامة:١٧]..... ١٧٦

- سورة الإنسان

﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان:٢٠]..... ٦

الآية **رقم الصفحة**

- سورة المرسلات

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]..... ٢٣٧

- سورة النازعات

﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ [النازعات:١٠]..... ١٨٢

﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥]..... ١٨١

- سورة عبس

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس:١٩]..... ٢٣٨

- سورة التكوير

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥]..... ٣٣٩

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير:٧]..... ١٨١

- سورة المطففين

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤]..... ١٨٢

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ [المطففين:٣١]..... ٢٣٤

- سورة الأعلى

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى:١٦]..... ٢٤٠

- سورة الغاشية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية:١]..... ٢٠٩

- سورة الشمس

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس:٥]..... ١٧١

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩]..... ٣٤٤

الآية **رقم الصفحة**

- سورة الليل

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل:١]..... ٢١١

-سورة الضحى

﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضُّحى:٦]..... ٢٨١

- سورة الشرح

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشَّرح:٤]..... ٢٨١

- سورة التين

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾ [التين:١]..... ٣٢٤

- سورة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدْر:١]..... ١٩١

- سورة الفلق

﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفَلَق:٣]..... ٢١١

- سورة الناس

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢]..... ٢١٦

فهرس الأحاديث

طرف الحديث **رقم الصفحة**

- أتبع السيئة الحسنة تمحها ٣٥٧
- إذا دخل النورُ القلبَ انشرحَ ٢٧٠
- إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ ٢٧٢
- إذا سلَّم عليكم أهلُ الكتاب ٢٨٦
- ألا أدلُّك على أبواب الخير ٢٧١
- ألا إنَّ القوة الرمي ٢٨٧
- ألا إني أوتيت القرآن، ومثلَه معه ٢٥٢
- البِكرُ بالبِكرِ جَلْدُ مائةٍ، ونفي سنة ٢٥٩
- الحمد لله رب العالمين: هي السبع المثاني ١٨٠
- الحمَّى حظُّ كل مؤمن من النار ١٤٥
- الظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة ٢٩٠
- المغضوب عليهم: اليهود ٢٥٦
- الورود: الدخول لا يبقى بَرٌّ ولا فاجر..... ١٤٤
- إنَّ الجنَّة محرمةٌ على الأنبياء حتى ٢٨١
- إنَّ الصلوات الخمس تكفِّر ما ٣٥٧
- إنَّ الله تعالى ضرب مَثَلَ المؤمنِ ٢٧٧
- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أُتي بسارق، فقطع ٢٥٦

طرف الحديث **رقم الصفحة**

- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض زكاة الفطر ٢٥٧
- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر ٢٥٨
- إنَّ روح القدس لا يزال ٢٩٢
- إنَّ موسى قام خطيباً ٢٩
- إنَّ وسادتك لعريض ٢٥٤
- إنك لعريض القفا ٢٦٢
- أنَّه عليه السلام صلَّى بالليل ٢٨٩
- إنها الصلاة التي شُغل عنها سليمان ٢٧٤
- إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلا نبي ٣٦٠
- اهج المشركين فإنَّ جبريل معك ٢٩٢
- بايعْنَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع ٢٦٥
- بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ٢٦٧
- بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ٢٤
- بينا أنا في المسجد الحرام ٢٨٨
- جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ٢٨٧
- خُذُوا عنِّي مناسككم ٢٥٣
- خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم... .....٤١
- دعي الصلاة أيام أقرائك ٢٧٩

طرف الحديث **رقم الصفحة**

- شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاةِ العصر... .....٢٧٣
- صار لنا عثمان بن مظعون في القرعة ٢٦٦
- صدقة تصدق الله بها عليكم.....١٤٣
- صلُّوا كما رأيتموني ٢٥٣
- صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ١٥٢
- طلاق الأمة تطليقتان ٢٧٩
- عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء ٢٤٨
- فاتقوا الله في النساء ٢٦٠
- قال سليمان بن داود ٣٢
- قيام العبد من الليل ٢٧٠
- قيل لبني إسرائيل ٢٥٧
- كان النبي ساجداً يدعو: يا رحمن، يا رحيم ١٥٢
- كان صفوان بن أمية بن خلف نائماً ٢٥٦
- لا أُلفينَّ أحدَكم يجيء يوم القيامة ٢٨٤
- لا تسبّوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق ٤١
- لا تصدّقوا أهل الكتاب، ولا تكذّبوهم ٢٤
- لا وصية لوارث ٢٥٨
- لا يُجمع بين المرأة وعمَّتها... .....٢٥٥

طرف الحديث **رقم الصفحة**

- لا يحلُّ دم امرئٍ مسلم ٢٥٧
- لا يحلُّ دَين رجلٍ مسلمٍ ٢٨٥
- لا يحل مال امرئٍ مسلمٍ إلا بطيب ٢٥٩
- ليدخلنَّ هذا الدِّين على ما دخل ٢٧٨
- ليس كما تظنون، إنما هو كما قال... .....١٨٠
- مفاتح الغيب خمس ١٧٩
- من سنَّ في الإسلام سنَّةً حسنةً فله... .....٢٤٧
- مِنْ شأنه أن يغفرَ ذنباً ٢٧٢
- من قتل قتيلاً ٢٦٣
- من كظم غيظاً، وهو يقدِرُ على إنفاذه..... .....٢٦٤
- هل شهدت معنا العصر ٣٥٨
- وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن السَّريِّ ٣١٩
- وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر ٣١٧
- ويلٌ وادٍ في جهنم ٢٦١
- يا رسول الله أيُّ المسجدين الذي أسِّس على التقوى... .....٢٩٣
- يا رسول الله، إني أصبت كتاباً حسناً ٢٥
- يا عثمان ما سألني عنها أحدٌ قبلَك ٢٧٥
- يجيء النبي ومعه الرجلان ٢٨٣

طرف الحديث	رقم الصفحة
- يُدعى نوحٌ يوم القيامة	٢٨٣

فهرس الأشعار

الشاعر	طرف البيت	رقم الصفحة
- أبو حفص عمر النسفي	- والحمد لله ولي الحمد	٧٨
- أبو تمام الطائي	- والترك تخشاك من وراء نسف	٤٨
- أبو حفص عمر النسفي	- الفان والستون والستمائة	٧٨
- أبو حفص عمر النسفي	- جنان عدن وقصوراً ناعمة	٧٨

فهرس الأعلام

اسم العلم	رقم الصفحة
- إبراهيم بن معقل النسفي	٤٩
- إبراهيم بن موسى، الشهير بالشَّاطبي	٣٥٠
- أُبيّ بن كعب	٤٢
- أحمد الأسمر بن الظاهر بأمر الله محمد، المستنصر بالله	١٠٧
- أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية	١٧٧
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	٢٤
- أحمد بن علي، المعروف بابن الساعاتي	٦٠
- أحمد بن فارس بن زكريا	٢
- أحمد بن محمد العتَّابي	٥٨
- أحمد بن محمد القُدُوري	٧٦

اسم العلم **رقم الصفحة**

- أحمد بن محمد بن حنبل ٣٠٨
- أحمد بن محمد، الحاكم بأمر الله ١٠٨
- إسماعيل بن حمَّاد الجوهري ٩٢
- إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ٣٤١
- إسماعيل بن عُلَيَّة ٣٦٤
- إسماعيل بن عمر، ابن كثير ١٠٩
- الحسن بن يسار البصري ١٤١
- الحسين أو الحسن بن علي السِّغْناقي ٥٩
- الحسين بن الخضر النسفي ٤٩
- الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني ١٢٠
- الحسين بن مسعود البغوي ٩٠
- الضَّحَّاك بن مزاحم ١٦٦
- العباس بن عبد المطلب ٤٢
- المبارك بن محمد، ابن الأثير الجزري ٢١٣
- النَّضِر بن الحارث ١٦٥
- النعمان بن ثابت، أبو حنيفة ١٥٠
- أمير كاتب بن أمير عمر الإتقاني ٧٦
- بُشير بن كعب ٤٣
- بيبرس بن عبد الله ١٠٧
- تقي الدين بن عبد القادر التميمي ٧٢
- جابر بن عبد الله ٣٠٢
- جعفر بن محمد المسْتَغفِري ٤٩
- جنكز خان ١١٧
- حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام ٤٨

اسم العلم **رقم الصفحة**

- حذيفة بن اليمان ٣٦٤
- حسان بن ثابت ٢٩١
- حفص بن سليمان ٢٣٥
- حفصة بنت عمر بن الخطاب ٢٢٩
- حمد بن محمد الخطَّابي ٢٥٢
- حمزة بن حبيب ٢١٥
- خلف بن هشام ٢٤٤
- زبان بن العلاء، أبو عمرو البصري ٢٤٠
- زيد بن أحمد الحضرمي ٢٤١
- سعد بن مالك، أبو سعيد الخدري ٢٩٢
- سعيد بن إبراهيم النسفي ٤٩
- سعيد بن العاص ٣٦٤
- سفيان بن سعيد الثوري ٤٤
- سفيان بن عيينة ٣٣
- شعبة بن الحجّاج ٣٤
- عائشة بنت أبي بكر الصديق ١٥٣
- عبادة بن الصامت ٢٦٥
- عبد الحميد بن منصور ٨٩
- عبد الرحمن بن أبي بكر، المعروف بابن العيني ٩٣
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ٣٠٥
- عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ١٨٢
- عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي ٣٠١
- عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون ٢٧
- عبد العزيز بن أحمد البخاري ٦١

اسم العلم **رقم الصفحة**

- عبد القادر بن محمد القرشي ٤٧
- عبد الله بن الحسين العكبري ٨٩
- عبد الله بن المبارك ٤٤
- عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور، الخليفة المستعصم ١٠٥
- عبد الله بن سلام ٢٨
- عبد الله بن عامر ١٦١
- عبد الله بن عباس ٢١
- عبد الله بن عثمان، أبو بكر الصديق ٣٦٦
- عبد الله بن عمر البيضاوي ..... ح
- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي ٧٨
- عبد الله بن مسعود ١٨١
- عثمان بن عبد الرحمن، ابن الصلاح ٣٠٣
- عثمان بن عفان ٤٢
- عدي بن حاتم ٢٦٢
- عكرمة مولى عبد الله بن عباس ٣٤٤
- علاء الدين محمد بن السلطان علاء الدين تكش، خوارزم شاه ١٠٢
- علي بن أبي بكر المرغيناني ٧٧
- علي بن أبي طالب ٣٥
- علي بن أحمد الواحِدي ٣٥٣
- علي بن الحسين، أبو الحسن الباقولي ٨٩
- علي بن حمزة الكسائي ٢٣٨
- علي بن محمد الرَامُشي ٥٧
- علي بن محمد الماوردي ١٣٧
- علي بن محمد، فخر الإسلام البزدوي ٩١

اسم العلم **رقم الصفحة**

- عمر بن إبراهيم، ابن نجيم الحنفي ٥٥
- عمر بن الخطاب ٢٥
- عمر بن محمد النسفي ٤٩
- عمران بن حصين ٢٥٤
- عمرو بن عثمان، سيبويه ٩٢
- عمرو بن غزية ٣٥٧
- عمرو بن قيس، ابن أمِّ مكتوم ٢٩٧
- عمرو بن هشام، أبو جهل ١٥٢
- قتادة بن دعامة ١٢٩
- قثم بن العباس ٣١٧
- قطز بن عبد الله المعزي ١٠٧
- كعب بن ماتع ٢٧
- مالك بن أنس ٦٨
- مجاهد بن جبر ١٤٥
- محمد أمين بن عمر، ابن عابدين ٥٦
- محمد بن أحمد القرطبي ٣٦٥
- محمد بن أحمد بن جزيء الكلبي ٢٥٠
- محمد بن أحمد، ابن العلقمي ١٠٥
- محمد بن أحمد، علاء الدين السَّمرقندي ٨٧
- محمد بن إدريس الشافعي ٢١
- محمد بن إسماعيل البخاري ٩٠
- محمد بن الأمير نجم الدين أيوب، الملك العادل ١٠٣
- محمد بن الحسن الشيباني ١٥١
- محمد بن بهادر الزركشي ٥

اسم العلم **رقم الصفحة**

- محمد بن جرير الطبري ١٦
- محمد بن سيرين ٤٢
- محمد بن طيفور السِّجاوَندي ٨٨
- محمد بن عبد الستار الكَرْدَري ٥٧
- محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري ٣٠١
- محمد بن قلاوون، الملك الناصر ١٠٨
- محمد بن محمد الأخسيكثي ٧٤
- محمد بن محمد، أبو الفضل البخاري ٤٧
- محمد بن محمد، أبو منصور الماتُريدي ٦٢
- محمد بن محمد، المعروف بابن الجزري ٢١٤
- محمد بن محمد، المعروف بابن الشحنة ٨١
- محمد بن محمد، المعروف بالكاكي ٦١
- محمد بن محمود الكَرْدري ٥٧
- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ٤٥
- محمد بن مكرّم بن منظور ٢
- محمد بن هارون الرشيد، الخليفة المعتصم ٤٨
- محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ٢
- محمد بن يوسف، أبو حيان الأندلسي ٣
- محمد بن يوسف، ناصر الدين السمرقندي ٧٩
- محمد حسين الذهبي ١٥
- محمد عبد الحي بن محمد اللكنوي الهندي ٥٣
- محمد عبد العظيم الزرقاني ٥
- محمد محمد أبو شهبة ١٨
- محمود بن أبي الحسن، أبو القاسم النيسابوري، الشهير ببيان الحق ٨٧

اسم العلم **رقم الصفحة**

- محمود بن أحمد، بدر الدين العيني ١١٠
- محمود بن أحمد، تاج الشريعة المحبوبي ٧٧
- محمود بن الحاجي سليمان الكفوي ٥٨
- محمود بن حمزة الكرماني ٨٨
- محمود بن عمر الزمخشري ..... ح
- مسطح بن أثاثة ٣٥٨
- مسلم بن الحجَّاج القشيري ٩٠
- مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ٩٣
- مقاتل بن سليمان ٢٦
- منصور بن أحمد العراقي ٨٨
- منيع عبد الحليم محمود ٩٤
- نافع بن عبد الرحمن ٢٣٨
- هولاكو بن تولى خان بن جنكز خان ١٠٥
- وكيع بن الجراح ٣٣
- وهب بن منبه ٢٧
- يحيى بن شرف النووي ٣٠٣
- يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف القاضي ٣٦٣
- يعقوب بن إسحاق الحضرمي ٢٤١
- يعلى بن أمية ١٤٢
- يوسف بن أيوب، السلطان صلاح الدين ١٠٣
- يوسف بن تغري بردي ٥٤

فهرس المراجع

- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: صديق بن حسن القنوجي، الوفاة: ١٣٠٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار، الطبعة: لا توجد.

- إتقان البرهان في علوم القرآن: الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثانية- ١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م

- آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى : ٦٨٢هـ)، دون طبعة، دون دار نشر.

- أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء: ماهر ياسين فحل الهيتي، رسالة ماجستير، دار عمار للنشر، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

- اختلاف الأئمة العلماء: الوزير أبي المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني، الوفاة:٥٦٠هـ، دار الكتب العلمية، لبنان / بيروت، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد يوسف أحمد

- أدب الاملاء والاستملاء : عبد الكريم بن محمد السمعاني، الوفاة: ٥٦٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الطبعة: الأولى، تحقيق : ماكس فايسفايلر

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم = تفسير أبي السعود: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، الوفاة: ٩٥١هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.

- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني، الوفاة: ١٢٥٠هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد سعيد البدري أبو مصعب

- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، الوفاة: ٥٣٨هـ ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، دون طبعة.

- أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام: الدكتور عبد الإله الحوري: رسالة ماجستير في جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الشريعة الإسلامية، عام ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م

- أسباب اختلاف المفسرين: د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
- أسباب نزول القرآن : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، الوفاة: ٤٦٨هـ، المحقق: عصام ابن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- أسماء الكتب: عبد اللطيف بن محمد رياض زادة، الوفاة: ١٠٨٧هـ ، دار الفكر، دمشق/ سورية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. محمد التونجي
- أصول السرخسي: محمد بن أحمد السرخسي، الوفاة: ٤٩٠هـ، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ.
- أصول الشاشي: أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي، الوفاة: ٣٤٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٢هـ، دون طبعة.
- أصول الفقه الإسلامي: الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام الدارقطني: محمد بن طاهر المقدسي، الوفاة: ٥٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار / السيد يوسف.
- أطلس دول العالم الإسلامي: الدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر، الطبعة الثانية،١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م
- أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، الوفاة: ٢٧٩هـ، دون دار النشر، دون طبعة.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي: ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، المتوفى: ٦٨٥هـ، دار الفكر، بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا بن محمد أمين، الوفاة: ١٣٣٩هـ، دار الكتب العلمية: بيروت: ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: لا توجد.
- الإبانة عن معاني القراءات: مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني، الوفاة: ٤٣٧هـ، المحقق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دون طبعة، دون تاريخ

- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: علي بن عبد الكافي السبكي، الوفاة: ٧٥٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق : جماعة من العلماء
- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.
- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، الوفاة:٦٣١ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سيد الجميلي
- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الوفاة: ٢٥٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق : علي محمد البجاوي
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الوفاة: ١٤٠٣هـ، مكتبه السنة، الطبعة: الرابعة
- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، الوفاة: ٤٥٨هـ، دار النشر: لاتوجد، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق : علي محمد البجاوي
- الأعلام: خير الدين بن محمود الزركلي، الوفاة: ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م
- الأم: محمد بن إدريس الشافعي، الوفاة: ٢٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ، الطبعة: الثانية
- الأموال لابن زنجويه: حميد بن مخلد المعروف بابن زنجويه، الوفاة:٢٥١هـ، دار النشر: لا توجد، الطبعة: لا توجد
- الأنساب: أبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الوفاة: ٥٦٢هـ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الله عمر البارودي.

- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد: علي بن سليمان المرداوي، الوفاة: ٨٨٥هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي
- الإيضاح في علوم الحديث والاصطلاح للدكتور مصطفى الخن والدكتور بديع السيد اللحام: دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط الخامسة، ١٤٢٥هـ،٢٠٠٤م
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق: زين الدين ابن نجيم الحنفي، الوفاة: ٩٧٠هـ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: الثانية
- البحر المحيط في أصول الفقه: محمد بن بهادر الزركشي، الوفاة: ٧٩٤هـ ، دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق: د. محمد تامر
- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، الوفاة: ٧٤٥هـ ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، د.أحمد النجولي الجمل.
- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، الوفاة: ٧٧٤هـ، مكتبة المعارف، بيروت، بدون طبعة
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني، الوفاة: ١٢٥٠هـ، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير: ابن الملقن، الوفاة: ٨٠٤هـ، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م ، الطبعة الأولى ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط و عبد الله بن سليمان وياسر بن كمال
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: عبد الفتاح القاضي، الوفاة: ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دون طبعة.
- البديع في علم العربية: مجد الدين ابن الأثير الجزري، الوفاة: ٦٠٦ هـ، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين، الناشر: جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

- البرهان في علوم القرآن: محمد بن بهادر الزركشي، الوفاة: ٧٩٤هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم
- البعث والنشور: أحمد بن الحسين البيهقي، الوفاة: ٤٥٨هـ، دون دار النشر، دون طبعة.
- البلدان: أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، الوفاة : ٢٩٢هـ، دون طبعة، دون دار نشر.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الوفاة: ٨١٧هـ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.
- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه: علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، الوفاة: ٨٨٥ هـ، مكتبة الرشد، السعودية / الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الوفاة: ١٢٨٤هـ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: عبد العظيم المنذري، الوفاة: ٦٥٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى، تحقيق : إبراهيم شمس الدين
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، الوفاة: ٧٤١هـ ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، الطبعة: الرابعة.
- التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- التعريفات: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الوفاة: ٨١٦ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الوفاة: ٦٠٦هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، الطبعة الثانية- ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

- التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث: النووي، الوفاة: ٦٧٦هـ، دون طبعة، دون دار نشر
- التقرير والتحرير في علم الأصول: ابن أمير الحاج، الوفاة: ٨٧٩هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: الحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، الوفاة: ٨٠٦هـ، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، الوفاة: ٤٦٣هـ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب - ١٣٨٧هـ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الطبعة: لا توجد.
- التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي الوفاة: ١٠٣١هـ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد رضوان الداية
- التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، الوفاة: ١٠٣١هـ ، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة الثالثة
- الثقات: محمد بن حبان البستي، دار الفكر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد
- الجامع الصحيح = سنن الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الوفاة: ٢٧٩هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- الجامع الصحيح المختصر: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الوفاة: ٢٥٦هـ ، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا.

- الجامع الصغير للإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة (١٨٩هـ)، مع شرحه النافع الكبير للعلامة الشهير أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي المتوفى سنة (١٣٠٤هـ)، ١٩٩٠م- ١٤١١هـ، إدارة القرآن والعلوم الاسلامية، باكستان، دون طبعة.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الوفاة: ٦٧١هـ، دار الشعب، القاهرة، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الوفاة: ٤٦٣هـ، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، تحقيق : د. محمود الطحان
- الجامع: معمر بن راشد الأزدي، الوفاة: ١٥١هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الأعظمي.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، الوفاة: ٧٧٥ هـ، مير محمد كتب خانه - كراتشي، دون طبعة
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء القرشي، الوفاة: ٧٧٥هـ، تحقيق الدكتور: عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة أولى في دار إحياء الكتب العربية، ودار العلوم في الرياض، ١٣٩٨- ١٤٠٨هـ ، ١٩٧٨-١٩٨٨م، طبعة ثانية، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد الأنصاري، الوفاة: ٩٢٦هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١١هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق: د. مازن المبارك
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣، الطبعة: لا توجد.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية: حيدر آباد/ الهند - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق: مراقبة: محمد عبد المعيد ضان.
- الدعاء: سليمان بن أحمد الطبراني أبو القاسم، الوفاة: ٣٦٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

- الذخيرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الوفاة: ٦٨٤هـ، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م ، تحقيق : محمد حجي، دون طبعة.
- الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن القشيري، الوفاة: ٤٦٥هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : خليل المنصور
- الرسالة: محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، الوفاة: ٢٠٤هـ، القاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: لا توجد.
- الروض الداني (المعجم الصغير): سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، الوفاة: ٣٦٠ هـ، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت ، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد شكور، محمود الحاج أمرير.
- الزهد: هناد بن السري الكوفي، الوفاة: ٢٤٣هـ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي
- السُنَّة المطهرة والتحديات: د. نور الدين عتر، مجلة مركز بحوث السُنَّة والسيرة - قطر، العدد الثالث، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- السنَّة قبل التدوين: د. محمد عجاج الخطيب، رسالة ماجستير من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م
- السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي: الدكتور مصطفى السباعي، الوفاة:١٣٨٤هـ، الناشر: المكتب الإسلامي: دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- الضعفاء الكبير: محمد بن عمر بن موسى العقيلي، الوفاة: ٣٢٢هـ، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت، دون طبعة.
- الطبقات السنية في تراجم الحنفية: تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي، الوفاة: ١٠١٠هـ، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، طبعة أولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري، الوفاة: ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت، الطبعة: لا توجد.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة الحسيني الملقب بالمؤيد باللَّه، الوفاة: ٧٤٥هـ، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ
- العصر المماليكي في مصر والشام: الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، الوفاة: ٥٩٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ، الطبعة الأولى، تحقيق : خليل الميس.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية: علي بن عمر الدارقطني، الوفاة: ٣٨٥هـ، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي
- الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي: المناوي، الوفاة: ١٠٣١هـ، دار العاصمة، الرياض، تحقيق: أحمد مجتبى، الطبعة: لا توجد
- الفصول في الأصول: أحمد بن علي الرازي الجصاص، الوفاة: ٣٧٠هـ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عجيل جاسم النشمي
- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي والمخطوط، الفقه وأصوله، عمان، ١٤٢٤/٢٠٠٣، مؤسسة آل البيت للفكر الاسلامي
- الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الوفاة: ٣٨٥هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دون طبعة.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية: أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، اعتنى به السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون طبعة.
- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الوفاة: ٨١٧هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: لا توجد
- القواعد والفوائد الأصولية وما يتعلق بها من الأحكام: علي بن عباس الحنبلي، الوفاة: ٨٠٣هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، تحقيق : محمد حامد الفقي
- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: ابن حجر العسقلاني، د/ط، د/ت.

- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري، الوفاة: ٦٣٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : عبد الله القاضي
- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني، الوفاة: ٣٦٥هـ، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، الوفاة: ٢٣٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : كمال يوسف الحوت
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الوفاة: ٥٣٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- الكشف والبيان: أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري، الوفاة: ٤٢٧ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ .- ٢٠٠٢م ، الطبعة الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي
- الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الوفاة: ١٠٩٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة: لا توجد.
- المبسوط: شمس الدين السرخسي، الوفاة: ٤٨٣هـ، دار المعرفة، بيروت، دون طبعة.
- المجتبى من السنن: أحمد بن شعيب النسائي، الوفاة: ٣٠٣هـ ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، الطبعة الثانية ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين: محمد بن حبان البستي، دار الوعي، حلب، ١٣٩٦هـ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمود إبراهيم زايد
- المجموع شرح المهذب: النووي، الوفاة: ٦٧٦هـ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م، دون طبعة.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الوفاة: ٣٩٢هـ، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دون طبعة.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، الوفاة: ٣٦٠هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الثالثة، تحقيق : د. محمد عجاج الخطيب
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، الوفاة: ٥٤٦هـ ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد.
- المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الوفاة: ٦٠٦هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: طه جابر فياض العلواني
- المحيط في اللغة: الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد الطالقاني، الوفاة: ٣٨٥هـ، عالم الكتب - بيروت/ لبنان - ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين.
- المدخل إلى كتاب الإكليل: محمد بن عبد الله الحاكم، الوفاة: ٤٠٥هـ، دار الدعوة، الاسكندرية، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل: عبد القادر بن بدران الدمشقي، الوفاة: ١٣٤٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
- المدخل لدراسة القرآن الكريم: الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، الوفاة: ١٤٠٣هـ، مكتبه السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م
- المسالك والممالك: إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، (المتوفى : ٣٤٦هـ)، دون طبعة، دون دار نشر.
- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، الوفاة: ٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- المستصفى في علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي، الوفاة: ٥٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، الوفاة: ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية – بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- المعالم الأثيرة في السنَّة والسيرة: محمد شُرَّاب، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١ هـ
- المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، الوفاة: ٤٣٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: خليل الميس
- المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، الوفاة: ٣٦٠هـ، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
- المعجم الكبير: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، الوفاة: ٣٦٠هـ، مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الوفاة: ٦٢٠هـ ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ، الطبعة الأولى، دون تاريخ
- المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار: علي محمد محمد الصَّلابي، الأندلس الجديدة، مصر،الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩
- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد، الوفاة: ٥٠٢هـ، دار المعرفة - لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، الوفاة: ٨٠٧هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الوفاة: ٥٤٨هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق : محمد سيد كيلاني
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر الحنبلي، الوفاة: ٧٥١هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٣ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد: عبد بن حميد الكسي، الوفاة: ٢٤٩هـ، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى، تحقيق : صبحي البدري السامرائي ، محمود محمد خليل الصعيدي

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي: يوسف بن تغري بردي، الوفاة: ٨٧٤هـ، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ
- الموافقات في أصول الفقه: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي، الوفاة: ٧٩٠هـ، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز، دون طبعة، دون تاريخ
- المؤتَلِف والمختَلِف: أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، الوفاة: ٣٨٥هـ، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- الموسوعة العربية الميسرة: الجمعية المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٩م
- الموسوعة القرآنية المتخصصة: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: يوسف بن تغري بردي، الوفاة: ٨٧٤هـ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، دون طبعة.
- النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، الوفاة: ٨٣٣ هـ، المحقق: علي محمد الضباع، الوفاة: ١٣٨٠هـ، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]
- النكت على كتاب ابن الصلاح: ابن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢ هـ، دون دار نشر، دون طبعة.
- النكت والعيون = تفسير الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، الوفاة: ٤٥٠هـ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، الوفاة: ٦٠٦هـ، المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، الطبعة: لا توجد.

- النهر الفائق شرح كنز الدقائق: عمر بن إبراهيم بن نجيم الحنفي، الوفاة: ١٠٠٥هـ، المحقق: أحمد عزو عناية، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ - ٢٠٠٢، طبعة أولى
- الواضح في علوم القرآن: د. مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، الوفاة: ٧٦٤هـ، المحقق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
- الوافي على مذهب الإمام أبي حنيفة، تأليف: أبو البركات عبد الله النسفي المتوفى (٧١٠هـ)، عدد صفحات المخطوط: ٥٠٠ صفحة
- الوافي في أصول الفقه: حسام الدين حسين بن علي السغناقي، الوفاة: ٧١٤هـ، دراسة وتحقيق: أحمد محمد محمود اليماني، إشراف: د. علي عباس الحكمي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م
- الوسيط في علوم ومصطلح الحديث: د. محمد بن محمد أبو شهبة، الوفاة: ١٤٠٣هـ، دار الفكر العربي، بدون طبعة.
- بحر العلوم = تفسير السمرقندي: نصر بن محمد أبو الليث السمرقندي، الوفاة: ٣٦٧هـ ، دار الفكر - بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، الوفاة: ٥٩٥هـ ، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني، الوفاة: ٥٨٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢، الطبعة : الثانية
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، المكتبة العصرية - لبنان - صيدا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.

- تاج التراجم زين الدين قاسم بن قطلوبغا السودوني، الوفاة: ٨٧٩هـ ، دار القلم، دمشق / سوريا، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد خير رمضان يوسف
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، الوفاة: ١٢٠٥هـ، دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: د. حسن ابراهيم حسن، طبعة أولى، ١٩٦٧م، مكتبة النهضة المصرية
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الوفاة: ٧٤٨هـ، دار الكتاب العربي: لبنان - بيروت: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.
- تاريخ التشريع الإسلامي: الشيخ محمد الخضري بك، دار الفكر، الطبعة الثامنة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م
- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد
- تاريخ الفقه الإسلامي: الأستاذ محمد علي السايس، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، دون طبعة.
- تاريخ المدينة المنورة : عمر بن شبة النميري البصري، الوفاة: ٢٦٢هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م ، تحقيق : علي محمد دندل، وياسين سعد الدين بيان
- تاريخ بغداد: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، الوفاة: ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة.
- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، الوفاة: ١٢٣٧هـ، دار الجيل، بيروت، دون طبعة.
- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك: إبراهيم بن علي الطرسوسي، الوفاة: ٧٥٨هـ، بدون طبعة، دون دار نشر.

- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري: جمال الدين الزيلعي، الوفاة: ٧٦٢هـ ، دار ابن خزيمة، الرياض، ١٤١٤هـ ، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد
- تخريج الفروع على الأصول: محمود بن أحمد الزنجاني، الوفاة: ٦٥٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٨هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد أديب صالح
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة
- تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الأولى.
- تذكرة المحتاج إلى أحاديث المنهاج: ابن الملقن، الوفاة: ٨٤٠ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، الطبعة الأولى، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي
- تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، الوفاة: ٧٧٤هـ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠١هـ، الطبعة: لا توجد.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، الوفاة: ٣٢٧هـ، المكتبة العصرية، صيدا، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الطبعة: لا توجد.
- تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية: الدكتور أحمد البريدي، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢ ذو الحجة، ١٤٢٧هـ
- تفسير القرآن: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، الوفاة: ٤٨٩هـ، دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم.
- تفسير عبد الرزاق: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الوفاة: ٢١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ
- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، الوفاة: ٧٢٨ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، الطبعة الأولى ، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات.

- تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، دار الرشيد، سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق : محمد عوامة
- تَكملَة مُعجم المؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م): محمد خير يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م
- تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢هـ، المدينة المنورة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: علي بن محمد بن علي بن عراق الكناني، الوفاة: ٩٦٣ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله محمد الصديق الغماري.
- تهذيب الأسماء واللغات: محي الدين بن شرف النووي، الوفاة: ٦٧٦هـ ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات
- تيسير التحرير: محمد أمين المعروف بأمير بادشاه، الوفاة: ٩٧٢هـ ، دار الفكر، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، الوفاة: ٣١٠هـ، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: لا توجد.
- جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، الوفاة: ٣٢١هـ، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، الوفاة: ١٢٥٠هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: لا توجد
- حاشية رد المحتار على الدر المختار: ابن عابدين، الوفاة: ١٢٥٢هـ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة: جلال الدين السيوطي، الوفاة:٩١١هـ، دار النشر: لا توجد، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الرابعة، دون تاريخ.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار، الوفاة: ١٣٣٥هـ، دون طبعة، دون دار نشر.
- خزانة التراث، فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: المحبي، الوفاة: ١١١١هـ، دار صادر، بيروت، دون طبعة.
- خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي: عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، الوفاة: ٨٠٤هـ ، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى ، تحقيق : حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي
- دراسات في علوم القرآن الكريم: د. فهد الرومي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة: الثانية عشرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- ذخيرة الحفاظ: محمد بن طاهر المقدسي، دار السلف، الرياض، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م ، الطبعة الأولى، تحقيق: د.عبد الرحمن الفريوائي.
- ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: أحمد العلاونة، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، طبعة أولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م
- رفع الإصر عن قضاة مصر: ابن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢هـ ، مكتبة الخانجي، القاهرة /مصر، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د.علي محمد عمر
- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب: تاج الدين السبكي، الوفاة: ٦٤٦هـ ، عالم الكتب، لبنان / بيروت، ١٩٩٩م - ١٤١٩هـ ، الطبعة : الأولى، تحقيق : علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، الوفاة: ١٢٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.

- روضة الناظر وجنة المناظر: ابن قدامة المقدسي، الوفاة: ٦٢٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ، الطبعة الثانية، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الوفاة: ٥٩٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الثالثة.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني المعروف بـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، المحقق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ٢٠١٠ م
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي، الوفاة: ١١١١هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض
- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، الوفاة: ٢٧٥هـ ، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
- سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الوفاة: ٢٧٥هـ، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- سنن البيهقي الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، الوفاة: ٤٥٨هـ، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة: لا توجد.
- سنن الدارقطني: علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، الوفاة: ٣٨٥هـ ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني
- سنن سعيد بن منصور: سعيد بن منصور، الوفاة: ٢٢٧هـ، دار العصيمي، الرياض، ١٤١٤ هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد
- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، الوفاة: ٧٤٨هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، الوفاة: ١٠٨٩هـ، دار بن كثير: دمشق - ١٤٠٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الوفاة: ٤١٨هـ، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان.
- شرح الأصول الخمسة: القاضي عبد الجبار بن أحمد، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د عبد الكريم عثمان، الطبعة : الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، مكتبة وهبة
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، الوفاة: ٧٩٢ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م ، تحقيق: زكريا عميرات
- شرح العيني على كنز الدقائق المسمى بـ رمز الحقائق: بدر الدين العيني، الوفاة: ٨٥٥ هـ،
- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير: محمد بن أحمد المعروف بابن النجار، الوفاة: ٩٧٢ هـ ، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، ١٤١٣ هـ ، الطبعة: الثانية ، تحقيق: د. محمد الزحيلي ، د. نزيه حماد
- شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، الوفاة: ٦٧٦هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الثانية.
- شرح علل الترمذي: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الوفاة: ٧٩٥هـ، المحقق: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- شرح فتح القدير: كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، الوفاة: ٦٨١هـ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة : الثانية
- شرح مختصر خليل للخرشي: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله، الوفاة: ١١٠١هـ، دار الفكر للطباعة، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ

- شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر: الملا علي القاري، الوفاة: ١٠١٤هـ، قدم له: الشيخ عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، لبنان / بيروت، بدون طبعة.
- شرف أصحاب الحديث: أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر، الوفاة: ٤٦٣هـ، دار إحياء السنة النبوية، أنقرة، تحقيق : د. محمد سعيد خطي أوغلي
- شعب الإيمان: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الوفاة: ٤٥٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
- صبح الأعشى في كتابة الإنشا: القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، الوفاة: ٨٢١هـ، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٨١م، تحقيق : عبد القادر زكار، دون طبعة.
- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الوفاة: ٣٥٤هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، الطبعة الثانية ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الوفاة: ٢٦١هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي أبو الفرج، الوفاة: ٥٩٧هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي
- طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي، الوفاة:٩١١هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.
- طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، الوفاة: ٥٢١هـ، دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : محمد حامد الفقي، دون طبعة.
- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، الوفاة: ٧٧١هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو.
- طبقات الشافعية: ابن قاضي شهبة، الوفاة: (٨٥١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان.

- طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأدنهوي، الوفاة: القرن الحادي عشر، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
- طبقات المفسرين: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد عمر.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: بدر الدين العيني (المتوفى : ٨٥٥هـ)، دون طبعة، دون دار نشر.
- علل الحديث: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن مهران الرازي، الوفاة: ٣٢٧هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- علوم الحديث: أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، الوفاة: ٦٤٣هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر.
- علوم القرآن الكريم: الدكتور نور الدين عتر ، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
- غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، الوفاة: ٨٣٨هـ، دون طبعة، دون دار نشر
- غريب الحديث: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الوفاة: ٥٩٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي.
- غريب الحديث: القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، الوفاة: ٢٢٤هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٦هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢ هـ، دار المعرفة، بيروت ، تحقيق : محب الدين الخطيب
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الوفاة: ١٢٥٠هـ، دار الفكر - بيروت، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- فتح المغيث شرح ألفية الحديث: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الوفاة: ٩٠٢هـ ، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ ، الطبعة الأولى

- فضائل القرآن: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي، الوفاة: ٢٢٤هـ، دار النشر: لا توجد، الطبعة: لا توجد
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، المحقق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٢م
- فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، الوفاة: ٧٦٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود
- قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، الوفاة: ٤٨٩هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، تحقيق: محمد حسن محمد، حسن إسماعيل الشافعي
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: محمد جمال الدين القاسمي، الوفاة: ١٣٣٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة: الأولى
- قواعد الترجيح عند المفسرين - دراسة نظرية تطبيقية : الدكتور حسين بن علي الحربي، دار القاسم، الرياض، طبعة أولى، ١٤١٧- ١٩٩٦، راجعه وقدم له: الشيخ مناع القطان
- قواعد الفقه: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م ، الطبعة : الأولى
- كتاب التلخيص في أصول الفقه: أبو المعالي عبد الملك الجويني، الوفاة: ٤٧٨هـ ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م ، تحقيق : عبد الله جولم النبالي، وبشير أحمد العمري
- كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، الوفاة: ١٧٥هـ، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- كتاب المصاحف: أبو بكر بن أبي داود السجستاني، الوفاة: ٣١٠هـ، الفاروق الحديثة، مصر / القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد بن عبده

- كتاب المغازي: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الوفاة: ٢٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا
- كتاب علل الوقوف للإمام أبي عبد الله السجاوندي: دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد - ناشرون، طبعة ثانية، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
- كتاب علل الوقوف: الإمام أبي عبد الله السجاوندي، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بن عبد الله بن محمد العيدي، مكتبة الرشد، ناشرون، الطبعة: الثانية: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م
- كتاب غريب القرآن: أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، الوفاة: ٣٣٠هـ، دار قتيبة - ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران
- كشف الأستار عن زوائد البزار: علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، الوفاة: ٨٠٧هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- كشف الأسرار شرح المصنف على المنار للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى (٧١٠هـ)، مع شرح نور الأنوار على المنار لمولانا حافظ شيخ أحمد المعروف بميلاجيون المتوفى ١١٣٠هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي: علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، الوفاة: ٧٣٠هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق : عبد الله محمود محمد عمر.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، الوفاة: ١١٦٢هـ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ ، الطبعة الرابعة ، تحقيق: أحمد القلاش.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي، الوفاة: ١٠٦٧هـ، دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢، الطبعة: لا توجد.
- كنز الدقائق: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، الوفاة: ٧١٠هـ، تحقيق: أ. د. سائد بكداش، دار البشائر الإسلامية/ بيروت، دار السراج/ المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- لباب النقول في أسباب النزول: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ، دار إحياء العلوم، بيروت، دون طبعة.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الوفاة: ٧١١هـ، دار صادر- بيروت، الطبعة: الأولى.
- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة والعشرون، ٢٠٠٠م
- مباحث في علوم القرآن: مناع القطان، الوفاة: ١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، الوفاة: ٨٠٧ هـ، دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ
- مجموع الفتاوى: كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الوفاة: ٧٢٨هـ، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، عام النشر: لا يوجد.
- مجموعة رسائل العلامة قاسم بن قطلوبغا الحنفي المولود سنة ٨٠٢هـ والمتوفى سنة ٨٧٩هـ: تحقيق: عبد الحميد محمد الدرويش، وعبد العليم محمد الدرويش، دار النوادر، طبعة أولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، الوفاة: ١٣٣٢هـ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ
- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، الوفاة: ٧٢١هـ، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥- ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، الوفاة: ٧١٠هـ، تحقيق: الشيخ مروان الشعار، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، الوفاة: ٧٦٨هـ، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: لا توجد.

- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، الوفاة: ٣٠٧هـ، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة الأولى، تحقيق : حسين سليم أسد
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني، الوفاة: ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، مصر، دون طبعة.
- مسند الشاميين: سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، الوفاة: ٣٦٠هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥ - ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.
- مشاهير علماء الأمصار: محمد بن حبان أبو حاتم البستي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٩م ، تحقيق : م. فلايشهمر
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: أحمد بن أبي بكر الكناني، الوفاة:٨٤٠هـ، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، الوفاة: ٥١٠هـ، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد.
- معالم السنن: أبو سليمان الخطابي، الوفاة: ٣٨٨هـ، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م
- معاني القرآن الكريم: النحاس، الوفاة: ٣٣٨هـ ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، الطبعة الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني
- معجم الأدباء: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، الطبعة : الأولى
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، الوفاة: ٦٢٦هـ، دار الفكر، بيروت، دون طبعة.
- معجم الصحابة: أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي، الوفاة: ٣١٧هـ، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف بن إليان بن موسى سركيس، الوفاة: ١٣٥١هـ، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨م

- معجم المؤلفين: عمر بن رضا كحالة، الوفاة: ١٤٠٨هـ، مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون طبعة.
- معجم مقاليد العلوم: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ ، مكتبة الآداب - القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أ.د محمد إبراهيم عبادة.
- معجم مقاييس اللغة: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، الوفاة: ٣٩٥هـ، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- معرفة الصحابة: لأبي نعيم الأصبهاني، الوفاة: ٤٣٠هـ ، دون دار النشر، دون طبعة
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس
- معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، الوفاة: ٤٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الطبعة الثانية، تحقيق: السيد معظم حسين
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: محمد الخطيب الشربيني، الوفاة: ٩٧٧هـ، دار الفكر، بيروت، دون طبعة.
- مفتاح السعادة ومصباح الريادة في موضوعات العلوم لطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م
- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر السكاكي، الوفاة: ٦٢٦هـ، دون طبعة، دون دار نشر.
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١ هـ، المحقق: الدكتور مصطفى ديب البغا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٢م
- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، الوفاة: ٨٠٨ هـ، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤م ، الطبعة : الخامسة.
- مقدمة في أصول التفسير: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م، دون طبعة.

- من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل: د. محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
- مناقب الشافعي: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المحقق: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث- القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- مناهج البحث العلمي: عبد الرحمن بدوي، طبعة ثالثة، ١٩٧٧م، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت
- مناهج المفسرين: منيع بن عبد الحليم محمود، الوفاة: ١٤٣٠هـ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، الوفاة: ١٣٦٧هـ، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ، الطبعة: الأولى
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، الوفاة: ٨٣٣هـ، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م
- منهج الإمام النسفي في القراءات وأثرها في تفسيره: الباحثة سحر محمد فهمي كردية، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور عبد الرحمن الجمل، كلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة، عام ٢٠٠١م
- منهج البحث في العلوم الإسلامية: الدكتور محمود الدسوقي، دار الأوزاعي، دون طبعة، دون تاريخ نشر.
- منهج الترجيح عند أبي السعود في تفسيره "إرشاد العقل السليم": الباحث عجاج برغش، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية الشريعة، جامعة دمشق
- منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم - دراسة نقدية: الدكتور سامر رشواني، دار الملتقى، طبعة أولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
- منهج النقد في علوم الحديث: د. نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م
- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة: يوسف بن تغرري بردي، الوفاة: ٨٧٤هـ، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز أحمد

- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية: الدكتور عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، مصر، القاهرة، طبعة أولى، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م
- موسوعة المدن العربية والإسلامية: الدكتور يحيى الشامي، دار الفكر العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣
- موضح أوهام الجمع والتفريق: أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الوفاة: ٤٦٣هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. عبد المعطي أمين قلعجي
- موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس الأصبحي، الوفاة: ١٧٩هـ، دار إحياء التراث العربي، مصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: لا توجد
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، الوفاة: ٥٩٧ هـ، مؤسسة الرسالة، لبنان/ بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي
- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: ابن حجر العسقلاني، الوفاة: ٨٥٢هـ، تحقيق: الدكتور نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م
- نسمات الأسحار: تأليف محمد أمين بن عابدين، وهو شرح على إفاضة الأنوار للعلامة محمد علاء الدين الحصني الحنفي، وهو شرح على المنار للإمام الهمام أبي البركات النسفي ، منشورات إدارة القرآن والعلوم الاسلامية ، طبعة ثالثة، ١٤١٨هـ
- نصب الراية لأحاديث الهداية: عبد الله بن يوسف الزيلعي، الوفاة: ٧٦٢هـ ، دار الحديث، مصر، ١٣٥٧هـ، تحقيق : محمد يوسف البنوري
- نظم العقيان في أعيان الأعيان: جلال الدين السيوطي، الوفاة: ٩١١هـ ، المكتبة العلمية، بيروت ، تحقيق : فيليب حتي، دون طبعة.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري التلمساني، الوفاة: ١٠٤١هـ، دار صادر، بيروت - ١٣٨٨هـ، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة: لا توجد.

- نهاية الأرب في فنون الأدب: أحمد بن عبد الوهاب النويري الوفاة: ٧٣٣هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م ، الطبعة: الأولى، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: شمس الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، الوفاة: ١٠٠٤هـ، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: محمد بن علي الحكيم الترمذي، الوفاة: ٣٦٠هـ ، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دون طبعة.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس، الوفاة: ١٠٣٦ هـ، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠م
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، الوفاة: ١٣٣٩هـ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣ - ١٩٩٢، الطبعة: لا توجد.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، الوفاة: ٦٨١هـ، دار الثقافة، لبنان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة: لا توجد، عام النشر: لا يوجد. اعتنى بإخراجه: نعيم أشرف نور أحمد، الطبعة: الأولى/ ١٤٢٤هـ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي

المواقع الإلكترونية:

- موقع الدرر السنيَّة.
- موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	ت
شكر وتقدير	ث
المقدمة	ج-ح
أهمية البحث	ح-خ
أسباب اختيار البحث	خ
أهداف البحث	خ
الدراسات السابقة	خ- ذ
منهج البحث	ذ
إجراءات البحث والكتابة	ذ- ر
خطة البحث	ر- س
الفصل التمهيدي	١
المبحث الأول: تعريف التفسير	٢
المطلب الأول: تعريف التفسير لغة	٢-٣
المطلب الثاني: تعريف التفسير اصطلاحاً	٣-٧
المبحث الثاني: تعريف منهج الترجيح	٨
المطلب الأول: تعريف المنهج	٨
أولاً: تعريف المنهج لغة	٨
ثانياً: تعريف المنهج اصطلاحاً	٨-٩
المطلب الثاني: تعريف الترجيح	٩
أولاً: تعريف الترجيح لغة	٩-١٠
ثانياً: تعريف الترجيح اصطلاحاً	١٠-١٢

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثاً: تعريف المركب الإضافي منهج الترجيح	١٢-١٣
المبحث الثالث: تعريف المأثور	١٤
المطلب الأول: تعريف المأثور	١٤
أولاً: تعريف المأثور لغة	١٤
ثانياً: تعريف المأثور اصطلاحاً	١٤-٢٠
المبحث الرابع: الضعف في رواية التفسير المأثور وأسبابه	٢١-٢٢
المطلب الأول: دخول الإسرائيليات	٢٢-٢٣
أولاً: مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير وتطوره	٢٣-٢٨
ثانياً: أثر الإسرائيليات في التفسير	٢٨-٢٩
ثالثاً: قيمة ما يروى من الإسرائيليات	٢٩-٣١
رابعاً: موقف المفسِّر من الإسرائيليات	٣١-٣٣
المطلب الثاني: كثرة الوضع في التفسير المأثور	٣٣
أولاً: نشأة الوضع في التفسير	٣٣-٣٤
ثانياً: أسباب الوضع في التفسير	٣٥
الخلافات السياسية	٣٥-٣٦
التعصب المذهبي	٣٦
الكيد للإسلام من قبل أعدائه	٣٧
القصَّاص	٣٧-٣٨
بعض الزهاد والمتصوفة	٣٨- ٣٩
ثالثاً: أثر الوضع في التفسير	٣٩-٤٠
المطلب الثالث: حذف الأسانيد	٤٠-٤٦
المبحث الخامس: التعريف بالإمام النسفي وتفسيره	٤٧
المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه	٤٧- ٤٩
المطلب الثاني: ولادته ونشأته	٥٠- ٥١

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: وفاته	٥١- ٥٣
المطلب الرابع: ثناء العلماء عليه	٥٣- ٥٦
المطلب الخامس: شيوخ الإمام النسفي	٥٦-٥٨
المطلب السادس: تلاميذ الإمام النسفي	٥٩- ٦١
المطلب السابع: عقيدة الإمام النسفي	٦٢
رده على المعتزلة	٦٢-٦٣
رده على الكرامية	٦٣
رده على الباطنية	٦٣-٦٤
رده على الثنوية	٦٤
رده على الجهمية	٦٥
رده على المرجئة	٦٦
رده على الروافض	٦٦-٦٧
رده على الخوارج	٦٧
المطلب الثامن: مذهبه الفقهي	٦٧-٦٨
المطلب التاسع: مصنفات الإمام النسفي	٦٩- ٨٣
المطلب العاشر: التعريف بتفسيره	٨٣
أولاً: مقدمة الإمام النسفي في تفسيره	٨٤
ثانياً: مصادر الإمام النسفي في تفسيره	٨٤- ٩٢
ثالثاً: منزلة تفسيره وآراء العلماء فيه	٩٣-٩٥
رابعاً: نبذة عن منهج الإمام النسفي في تفسيره	٩٥- ١٠١
المطلب الحادي عشر: عصر الإمام النسفي	١٠١
أولاً: الحالة السياسية	١٠١-١١٠
ثانياً: الناحية العلمية	١١١-١١٤
ثالثاً: الناحية الاجتماعية	١١٥-١١٨

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين وبيان الراجح من أقوالهم	١١٩
المبحث الأول: تعريف اختلاف المفسرين وأنواعه وأسبابه	١٢٠
المطلب الأول: تعريف اختلاف المفسرين	١٢٠
أولاً: تعريف الاختلاف لغة	١٢٠
ثانياً: تعريف الاختلاف اصطلاحاً	١٢٠-١٢١
ثالثاً: تعريف المفسرين	١٢١
المطلب الثاني: أنواع اختلاف المفسرين	١٢٢- ١٢٩
المطلب الثالث: أسباب اختلاف المفسرين	١٢٩- ١٣٩
المبحث الثاني: أساليب الإمام النسفي في عرض أقوال المفسرين	١٤٠
المطلب الأول: أساليبه في نسبة القول إلى صاحبه	١٤٠-١٤٢
المطلب الثاني: أساليبه في ذكر دليل القول	١٤٢- ١٤٦
المطلب الثالث: أساليبه في استيعاب أقوال المفسرين	١٤٦- ١٤٨
المطلب الرابع: عرض أقوال المفسرين مع الترجيح وعدمه	١٤٨-١٥٥
المبحث الثالث: أساليب الإمام النسفي في بيان القول الراجح	١٥٦
المطلب الأول: الترجيح من خلال النص على القول الراجح	١٥٦
أولاً: عبارات الترجيح عند الإمام النسفي	١٥٦- ١٦٠
ثانياً: الترجيح المعلَّل وغير المعلَّل	١٦٠- ١٦٣
المطلب الثاني: الترجيح من خلال الاقتصار على قول واحد	١٦٣-١٦٤
المطلب الثالث: الترجيح من خلال تصدير تفسير الآية بالقول الراجح	١٦٤-١٦٨
المطلب الرابع: الترجيح من خلال تضعيف القول المقابل	١٦٨
أولاً: عبارات التضعيف عند الإمام النسفي	١٦٨- ١٧٠
ثانياً: التضعيف المعلَّل وغير المعلَّل	١٧٠-١٧٣

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني: الترجيح بالقرآن الكريم وقراءاته	١٧٤
المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن وأهميته وأنواعه	١٧٥
المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالقرآن	١٧٥-١٧٦
المطلب الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن	١٧٦-١٧٨
المطلب الثالث: أنواع تفسير القرآن بالقرآن	١٧٨
أولاً: أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث مصدره	١٧٩-١٨٤
ثانياً: أنواع تفسير القرآن بالقرآن من حيث أوجه التفسير	١٨٤-١٩٢
المبحث الثاني: الترجيح بالقرآن الكريم	١٩٣
المطلب الأول: تعريف الآية	١٩٣
أولاً: تعريف الآية لغة	١٩٣
ثانياً: تعريف الآية اصطلاحاً	١٩٣
ثالثاً: علاقة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي	١٩٤
المطلب الثاني: تفسير القرآن بالقرآن عند الإمام النسفي	١٩٤
أولاً: تعريف النظائر لغة	١٩٤
ثانياً: تعريف النظائر اصطلاحاً	١٩٥
ثالثاً: جوانب اعتماده الإمام النسفي على النظائر القرآنية	١٩٥-٢٠٢
المطلب الثالث: أسلوب الترجيح بآيات القرآن عند الإمام النسفي	٢٠٢-٢١٢
المبحث الثاني: الترجيح بالقراءات عند الإمام النسفي	٢١٣
المطلب الأول: تعريف القراءات، وضابطها	٢١٣
أولاً: تعريف القراءات	٢١٣
معنى القراءات لغة	٢١٣
معنى القراءات اصطلاحاً	٢١٤-٢١٥
ضابط القراءة المقبولة	٢١٥-٢١٧
القراءة الشاذة	٢١٧-٢١٩

الموضوع	رقم الصفحة
خلاف العلماء في حجية القراءة الشاذة	٢١٩-٢٢١
المطلب الثاني: أهمية تعدد القراءات في التفسير	٢٢١-٢٢٣
المطلب الثالث: القراءات عند الإمام النسفي	٢٢٤-٢٢٧
المطلب الرابع: أثر القراءات في التفسير عند الإمام النسفي	٢٢٨
أولاً: أثر القراءات في توضيح معنى في الآية	٢٢٨-٢٣٠
ثانياً: أثر القراءات في بيان معنى كلمة في الآية	٢٣٠
ثالثاً: أثر القراءات في تحديد المعنى المراد في الآية	٢٣٠-٢٣٢
رابعاً: أثر القراءات في تأكيد المعنى المفسَّر به	٢٣٢-٢٣٣
خامساً: أثر القراءات في إثراء تفسير الآية بالمعاني المختلفة	٢٣٣-٢٣٥
سادساً: أثر القراءات في بيان الأحكام الفقهية	٢٣٥-٢٣٧
سابعاً: أثر القراءات في الترجيح بين المعاني الواردة في الآية	٢٣٧-٢٤٥
الفصل الثالث: الترجيح بالسنَّة المطهرة	٢٤٦
المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بالسنَّة، وأهمية السنَّة في التفسير، وأوجه بيانها للقرآن الكريم	٢٤٧
المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بالسنَّة	٢٤٧
أولاً: تعريف السنَّة لغة	٢٤٧
ثانياً: تعريف السنَّة اصطلاحاً	٢٤٧-٢٤٩
المطلب الثاني: أهمية السنَّة النبوية في التفسير	٢٤٩-٢٥٢
المطلب الثالث: أوجه بيان السنَّة المطهرة للقرآن الكريم	٢٥٢-٢٦٠
المبحث الثاني: الترجيح بالسنَّة المطهرة عند الإمام النسفي	٢٦١
المطلب الأول: تفسير القرآن بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي	٢٦١-٢٦٧
المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بالسنَّة النبوية عند الإمام النسفي	٢٦٧-٢٩٣
الفصل الرابع: الترجيح بأقوال الصحابة والتابعين وأسباب النزول والإجماع	٢٩٤

الموضوع	رقم الصفحة
المبحث الأول: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين وحجِّية أقوالهم في التفسير	٢٩٥
المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين	٢٩٥
أولاً: تعريف الصحابة	٢٩٥
تعريف الصحابة لغة	٢٩٥-٢٩٦
تعريف الصحابة اصطلاحاً	٢٩٦-٢٩٨
ثانياً: تعريف التابعين	٢٩٨
تعريف التابعي لغة	٢٩٨-٢٩٩
تعريف التابعي اصطلاحاً	٢٩٩-٣٠٠
المطلب الثاني: حجِّية أقوال الصحابة والتابعين في التفسير عند العلماء	٣٠١
أولاً: حجِّية أقوال الصحابة في التفسير عند العلماء	٣٠١-٣٠٥
ثانياً: حجِّية أقوال التابعين في التفسير عند العلماء	٣٠٥-٣٠٩
المبحث الثاني: الترجيح بأقوال الصحابة	٣١٠
المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي	٣١٠-٣١٧
المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بأقوال الصحابة عند الإمام النسفي	٣١٨-٣٣١
المبحث الثالث: الترجيح بأقوال التابعين	٣٣٢
المطلب الأول: تفسير القرآن بأقوال التابعين عند الإمام النسفي	٣٣٢-٣٣٦
المطلب الثاني: أسلوب الترجيح بأقوال التابعين عند الإمام النسفي	٣٣٦-٣٤٤
المبحث الرابع: الترجيح بأسباب النزول	٣٤٥
المطلب الأول: تعريف تفسير القرآن بأسباب النزول	٣٤٥
أولاً: تعريف أسباب النزول	٣٤٥
تعريف الأسباب	٣٤٥-٣٤٦
تعريف النزول	٣٤٦

الموضوع	رقم الصفحة
تعريف المركب الإضافي	٣٤٧-٣٤٩
المطلب الثاني: فوائد معرفة أسباب النزول	٣٤٩-٣٥٢
المطلب الثالث: طرق معرفة أسباب النزول	٣٥٣-٣٥٤
المطلب الرابع: التعبير عن سبب النزول	٣٥٤-٣٥٥
المطلب الخامس: أسلوب الإمام النسفي في ذكر أسباب النزول مع نماذج من الترجيح بها	٣٥٥
أولاً: أسلوب الإمام النسفي في ذكر أسباب النزول	٣٥٥-٣٥٦
ثانياً: نماذج من الترجيح بأسباب النزول عند الإمام النسفي	٣٥٦-٣٥٩
المبحث الخامس: الترجيح بالإجماع	٣٦٠
المطلب الأول: تعريف الإجماع وأنواعه	٣٦٠
أولاً: تعريف الإجماع	٣٦٠
تعريف الإجماع لغة	٣٦٠
تعريف الإجماع اصطلاحاً	٣٦٠-٣٦١
ثانياً: أنواع الإجماع	٣٦١
المطلب الثاني: الترجيح بالإجماع مع المثال عليه	٣٦١-٣٦٢
مثال الترجيح بالإجماع	٣٦٢-٣٦٥
الخاتمة	٣٦٦
نتائج البحث	٣٦٦-٣٦٩
التوصيات	٣٦٩
فهرس الآيات	٣٧٠-٣٨١
فهرس الأحاديث	٣٨٢-٣٨٦
فهرس الأشعار	٣٨٦
فهرس الأعلام	٣٨٦-٣٩٢
فهرس المراجع	٣٩٣-٤٢٢